

تأليف

تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق وتعليق

محمد عبد الحميد النميسي

الجزء الثاني

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

ISBN 2-7451-2208-8



http://www.al-ilmiyah.com.lb/
e-mail : sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هـديـة الخمـر

وأُهْدِي له يومئذ راوية خمر فقال : إن الله حرَّمها ! فسارَّ الرجل غلامه : إذهب بها إلى الحَزْوَرَةِ[1] فبعها . فقال : بم أمَرْته ؟ قال : بِبَيْعِها ! فقال : إن الذي حرَّم شرْبَها حرَّم بيعها ! فَفُرِّغت بالبطحاء . ونهي يومئذ عن ثمن الخمر . وثمن الخنزير ، وثمن المَيْتة ، وثمن الأصنام ، وحلوان الكاهن .

تحريم شحوم الميتة

وقيل له يومئذ : ما ترى في شحوم الميتة يدهن به السِّقاء ؟ فقال قاتل الله يهودا ! حرَّم عليهم الشحوم فباعوها ، فأكلوها ثمنها .

وحرَّم متعة النساء يومئذ ، وقال يومئذ – وهو بالحزورة – : والله إنك لخير أرض الله إليّ ، ولولا أني أُخرجْت مِنْكِ ما خرجت[2] .

العفو عن بعض أهل مكة

وهبط ثمانون من أهل مكة على رسول الله ﷺ من جبل التَّنعيم عند صلاة الفجر ، فأخذهم سَلَماً[3] فعفا عنهم ، ونزل فيهم : ﴿ **وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً** ﴾[4] .

---

(١) كانت الحزورة سوق مكة ، وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه ؛ وفي الحديث : وقف النبي ﷺ بالحزورة وقال : يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني ما سكنت غيرك (معجم البلدان) ج ٢ ص ٢٥٥ .

(٢) لفظ الحديث في التعليق السابق ، وفي (خ) « أخرجت » .

(٣) مستسلمين بغير حرب .

(٤) الآية ٢٤ / الفتح ، وفي (خ) إلى قوله تعالى ﴿ **أضفركم عليهم** ﴾ .

حد شارب الخمر

وأتي بشاربٍ فضربوه بما في أيديهم ، فمنهم من ضَرَبَ بالسوط وبالنَّعْل وبالعصا ، وحثا عليه النبي ﷺ التراب .

إســلام جبر

وجاء جَبْر غلام بني عبد الدار – وقد كان يكتم إسلامه – فأعطاه ثمنه ، فاشتري نَفسُه فعتق .

نذر رجل الصلاة في بيت المقدس

وقال رجل يومئذ : إني نذرت أن أصلي في بيت المقدس إن فتح الله عليك مكة ، فقال ﷺ ، والذي نفسي بيده ! لصلاةٌ ها هنا أفضل من ألف صلاةٍ فيما سواه من البلدان .

نذر ميمونة أم المؤمنين

وقالت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها : يا رسول الله ، إني جعلت على نفسي – إن فتح الله عليك مكة – أن أصلي في بيت المقدس ! فقال : لا تقدرين على ذلك ، ولكن ابعثي بزيت يستصبح[1] لك فيه به ، فكأنك أَتَيْتِه[2] . وكانت ميمونة تبعث إلى بيت المقدس كل سنة بمال ليشترى به زيت يستصبح به في بيت المقدس ، حتى ماتت فأوصت بذلك .

نساء قريش وجمالهن

وجلس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في مجلس فيه جماعة – منهم سعد ابن عبادة رضي الله عنه – فمرَّت نسوة من قريش فقال سعد : قد كان يذكر لنا من نساء قريش حسنٌ وجمال[3] ، ما رأيناهنّ كذلك ! فغضب عبد الرحمن ابن عوف حتى كاد أن يقع بسعد وأغلظ له[4] ، ففرَّ منه سعدٌ حتى أتى رسول

---

(١) الاستصباح : الاستسراج ، أي إشعال السراج به .

(٢) في (خ) « أنيتيه » .

(٣) في (خ) « حسناً وجمالاً » .

(٤) في (خ) « وأغلظ » .

الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ماذا لقيت من عبد الرحمن ؟ فقال : وماله ؟ فأخبره بما كان ، فغضب ﷺ حتى كان وجهه ليتوقد[1] ، ثم قال : رأيتهنّ وقد أصبن بآبائهن وأبنائهنّ وإخوانهنّ وأزواجهن ! خير نساءٍ ركبن الإبل نساء قريش ! أحْناهُ على ولد ، وأبذلهُ لزوج بما ملكت يدٌ .

هدية هند بنت عتبة بعد إسلامها

وأهدت هند بنت عتبة بعد إسلامها هدية لرسول الله ﷺ – وهو بالأبطح – مع مولاة لها ، جَدْيَيْنِ[2] مَرْضُوفَيْن وَقِدًّا[3] ، فانتهت الجارية إلي خيمته ، فسلمتْ واستأذنتْ فأذن لها فدخلت ورسول الله ﷺ بين أم سَلَمة وميمونة ونساء بني عبد المطلب ، فقالت : إن مولاتي أرسلت إليك بهذه الهدية ، وهي معتذرة إليك ، وتقول : إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة ، فقال : بارك الله لكم في غنمكم ، وأكثر والدتها ! فَسُرَّت هند لما أخبرتها مولاتها بذلك ، ورأوا من كثرة غنمهم ووالدتها ما لم يكن من قبل ولا قريباً . وكانت هند تقول : هذا بدعاء رسول الله وبركته .

إحدى نساء بني سعد وخبر وفاة حليمة السعدية

وأَتَتْهُ ﷺ إحدى نساء بني سعد بن بكر – إمَّا خالةٌ أو عمةٌ – بنِحْيٍ[4] مملوءٍ سمناً وجراب أَقِطٍ[5] – وهو بالأبطح – فعرفها ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت ، وأخبرته بوفاة حليمة[6] فذرفت عيناه ، وقالت : أخواك وأختاك محتاجون ! فأمر لها بكسوة وجملٍ ومائتي درهم ، فقالت : نِعْم والله المكفول كنت صغيراً ، ونعم المرءُ كنتَ كبيراً ، عظيم البركة .

السرايا وهدم الأصنام

وبثَّ ﷺ سراياه وأمرهم أن يغيروا على من لم يُسْلم . فخرج هشام بن العاص

---

(١) توقد : تلألأ .

(٢) في (خ) « جد بين » .

(٣) المرضوف : المشوي ، والقد : سقاء صغير متخذ من جلد السَّخْلَة يكون فيه لبن .

(٤) النحى : زق من الجلد يكون فيه السمن خاصة .

(٥) الأقط : يتخذ من ألبان الإبل .

(٦) حليمة السعدية ، ظئره وحاضنته ﷺ .

في مائتين قِبَل يُلَمْلم . وخرج خالد بن سعيد بن العاص في ثلاثمائة قِبَل عُرَنَة وبعث خالد بن الوليد إلى العُزَّى في ثلاثين فارساً فهدمها لخمس[1] بقين من رمضان ، وكانت بنخلة . وبعث الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم ابن فَهْمٍ[2] الدَّوْسي إلى ذي الكفيْن صنم عمرو بن حُمَمَة فحرَّقه بالنار ، وبعث سعد بن زَيْدٍ الأشهليّ إلى مَنَاة بالمشلَّل[3] فهدمه . وبعث عمرو بن العاص إلى صنم هُذَيل سواعٍ فهدمه . ونادى منادى رسول الله ﷺ من كان يؤمن بالله وبرسوله فلا يدعنّ في بيته صنما إلا كسره أو حرَّقه ، وثمنه حرام . فجعل المسلمون يكسرون الأصنام ، ولم يكن رجل من قريش بمكة إلا وفي بيته صنم : إذا دخل مسحه وإذ خرج مسحه : تبركاً به . وكان عكرمة بن أبي جهل لما أسلم لم يسمع بصنم في بيتٍ إلا مشى إليه حتى يكسره . وجعلت هند بنت عتبة تضرب صنما في بيتها بالقدوم فِلذة فِلذة[4] وهي تقول : كنا منك في غرورٍ !!

مدة المقـام بمكة

وأقام ﷺ بمكة - على ما في صحيح البخاريّ - خمسَ عشرة ليلة . [وفي رواية تسع عشرة ، وفي أبي داود تسع عشرة ، وفي الترمذيّ ثماني عشرة ، وقيل عَشْراً ، وقيل بضع عشرة ، وقيل : عشرين ليلة] يصلي ركعتين ، ويأمر أهل مكة أن يتموا ، كما رواه النسائيّ . وأفطر بقية شهر رمضان .

بعثة خالد بن الوليد إلى بني جذيمة وقتلهم ، وكانوا مسلمين

ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العزّى ، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني جذيمة ابن عامر بن عمرو بن مناة بن كنانة يدعوهم إلى الإسلام فخرج أول شوّال في ثلاثمائة وخمسين إلى أسفل مكة وانتهى إليهم ، فقالوا : نحن مسلمون ! فقال خالد : استأسروا ! فكتف بعضهم بعضا ، ودفع خالد إلى كل رجل من أصحابه رجلا أو رجلين ، فباتوا في وثـاقٍ إلى السَّحر . فنادى خالدٌ : من كان معه أسيرٌ فليدافّه[5] .

---

(١) في (خ) « بخمس » .

(٢) في (خ) « سالم بن فهر » ، وما أثبتناه من (الإصابة) جـ٥ ص ٢٢٣ ترجمة رقم ٤٢٤٧ .

(٣) جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر (معجم البلدان) جـ٥ ص ١٣٦ .

(٤) الفلذة : القطعة .

(٥) فليدافه : فليجهز عليه .

فقتل بنو سليم من كان في أيديهم ، وكانوا قريباً من ثلاثين رجلا . وأما المهاجرون والأنصار فأرسلوا أسراهم وقالوا : اذهبوا حيث شئتم ! فغضب خالدٌ على من أرسل أسيره . فقال له أبو أسيد السَّاعديّ : اتق الله يا خالد ! ما كنا لنقتل قوماً مسلمين ! قال : وما يدريك ؟ قال : تسمع إقرارهم بالإسلام ، وهذه المساجد بساحتهم ! فلما قدم خالدٌ على رسول الله ﷺ عاب[1] عبد الرحمن بن عوف عليه ما صنع ، فتلاحيا ، وأعانه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأعرض رسول الله ﷺ عنه وقال له – وقد بلغه ما صنع بعبد الرحمن بن عوف – : يا خالد ! ذروا لي أصحابي ! متى يُنكأ أنف المرء يجع[2] ! لو كان أحدٌ ذهباً تنفقه قيراطاً قيراطاً في سبيل الله لم تدرك غدْوة أو روْحة من غدَوات أو رَوَحات عبد الرحمن بن عوف ! ورفع ﷺ يديه حتى رُؤِي بياض إبطيه ، وهو يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد !!

بعثة عليٍّ بالديات إلى بني جذيمة

وبعث علياً رضي الله عنه إلى بني جذيمة بمال فَوَدَى لهم ما أصاب خالدٌ ، ودفع إليهم مالهم ، فبقيت لهم بقية مال ، فبعث عليٌّ أبا رافع إلى النبي ﷺ ليستزيده فزاده مالاً ، فودى لهم كلَّ ما أصاب [خالد] ، حتى إنه ليدي لهم ميلغة[3] الكلب وبقي مع عليٍّ شيء من المال . فقال : هذه البقية من هذا المال لكم عن رسول الله ﷺ مما أصاب خالدٌ ، مما لا يعلمه ولا تعلمونه . فأعطاهم ذلك وعاد فأخبر النبي ﷺ بما صنع فقال : أصَبتَ ! ما أمرتُ خالداً بالقتال ، إنما أمرته بالدعاء ! ثم أقبل على خالدٍ رضي الله عنه وقال : لا تسبوا خالداً ابن الوليد ، فإنما هو سيف من سيوف الله سله على المشركين .

فـتح مكـة

وقد اختلف في فتح مكة ، فقال الأوزاعيّ ومالك وأبو حنيفة : إنَّها فتحت عَنوة ثم أمَّنَ أهلها . وقال مجاهد والشافعيّ : فتحت صلحاً بأمانٍ عَقَده . وقيل :

---

(١) في (خ) « غاب » .

(٢) كذا في (ط) ، وفي (خ) « متى يتكأ أنف المرء وينكا » ولم أجد هذا المثل في (مجمع الأمثال للميداني) ولا في جمهرة الأمثال للعسكري) ، ولا في كتاب (الأمثال في الحديث النبوي) لأبي الشيخ الأصبهاني . ونكأ القرحة : نشرها .

(٣) في (خ) « « مبلغة » .

فتح أسفلها عَنوة وأعلاها صُلحاً[1] .

وروي أنه يوم فتح مكة حام حَمام الحرم[2] فأظلته ﷺ ، فدعا لها بالبركة . وكان يحبُّ الحمام .

غزوة حنين

« هــوازن »

ثم خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة حنين : وذلك وادٍ – ويقال ماءٌ – بينه وبين مكة ثلاث ليال في قرب الطائف . سمِّي بحُنين بن قانية بن مَهْلائيل من جرهم ، وقيل : حنين بن ماثقة بن مهلان بن مهليل بن عبيل بن عوص بن إرم ابن سام[3] بن نوح .

جموع هوازن وثقيف

وذلك أن أشراف هوازن وثقيف حشدوا ، وقد جعلوا أمرهم إلى مالك ابن عوف بن سعيد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة[4] بن دُعمان بن نصر بن معاوية ابن بكر بن هوازن النصريِّ ، وهو ابن ثلاثين سنة . وأقبلت ثقيفٌ ونصرٌ وجشم ، وكان في ثقيف سيِّدان[5] لهم هما : قارب بن عبد الله بن الأسود بن مسعود الثقفيُّ ، وذو الخمار سبيع بن الحارث ، [ويقال : الأحمر بن الحارث] ، واجتمع إليهم من بني هلال بن عامر نحو المائة ، ولم يحضرهم أحد من كعب ولا كلاب

---

(١) يقول ابن القيم في (زاد المعاد) جـ٣ ص ٤٢٩ في الإشارة إلى ما في الغزوة من الفقه واللطائف ، « وفيها البيان الصريح بأن مكة فتحت عنوة كما ذهب إليه جمهور أهل العلم ، ولا يعرف في ذلك خلاف إلا عن الشافعي وأحمد في أحد قوليه » ثم قال : « قال أصحاب الصلح : لو فتحت عنوة لقسمها رسول الله ﷺ بين الغانمين كما قسم خيبر » ، « ولو فتحت عنوة لملك الغانمون رباعها ودورها » ، « قال أرباب العنوة : لو كان قد صالحهم لم يكن لأمانه المقيد بدخول كل واحد داره ، وإغلاق بابه ، وإلقاء سلاحه فائدة » .

« وأيضاً فلو كان فتحها صلحاً ، لم يقل : إن الله قد أحلها لي ساعة من نهار ، فإنها إذا فتحت صلحاً كانت باقية على حرمتها » .

(٢) في (خ) « الحرر » .

(٣) في (خ) « سلام » .

(٤) في (خ) « واثله » .

(٥) في (خ) « سيديان » .

[من هوازن][1] وحضر دُرَيْد بن الصِّمَّة بن [الحارث بن][2] بكر بن علقمة ابن خزاعة بن غزِيَّة[3] بن جُشم بن معاوية بن بكر بن هَوَازن في بني جشم ، وهو ابن ستين ومائة سنة لا شيء فيه ، إلا أنهم يتيمنون برأيه ومعرفته بالحرب ودربته[4] .

منزل هـوازن

وجاءوا جميعاً بأموالهم ونسائهم وأبنائهم يريدون حرب رسول الله ﷺ حتى نزلوا بأوطاس ، فقال دريد : بأيِّ وادٍ أنتم : قالوا : بأوطاس فقال : مجال الخيل ! لا حزْنٌ ضرسٌ ، ولا سهْلٌ دَهِس[5] . ثم قال لمالك بن عوف : مالي أسمع بكاء الصغير ، ورغاء البعير ، ونهاقَ الحمير ، ويُعار الشاة ؟ قال مالك : يا أبا قرَّه ! إني سقت مع الناس أموالهم وذراريهم ، وأردت أن أجعل خلف كلِّ رجل منهم أهله وماله يقاتل عنه ، فأنقض به دريد ، ثم قال : رُوَيْعي ضأنٍ والله ! وهل يردُّ المنهزم شيء ؟ وقال : هذا يوم لم أشهده[6] ، ولم أغب عنه ! وقال :

يا ليتني فيها جــذع[7] أخُب فيهـا وأضـع[8]
أقـود وطفـاء الزَّمـع[9] كأنهـا شـاة صـدَعْ[10]

[قوله : « أنقض به دريد » يريد أنه نقر بلسانه في فيه كما يزجر الشاة أو الحمار . وقوله : « رويعي[11] ضأن » ، يستجهله] .

خروج رسول الله إلى حنين

فغدا ﷺ يريدهم يوم السبت لستٍ خلون من شوال ، وقيل قدم مكة لثماني

---

(١) زيادة للبيان .
(٢) زيادة من نسبه من (ط) .
(٣) في (خ) « عربة » .
(٤) في (خ) « ذريته » .
(٥) الحزن : الغليظ من الأرض . الضرس : الغليظ الخشن . الدهس : اللين الوطء من الأرض .
(٦) في (خ) « أشهد » .
(٧) جذع : صغير السن ، وفي (خ) « جزع » .
(٨) الخب والوضع : ضربان من العدو والوضع أشد .
(٩) في (خ) « الرمع » ، والوطفاء : الغزيرة الشعر . والزمع جمع زمعة : وهي شعرة مدلاة خلف الرسغ .
(١٠) الصدع : الوعل الحديث السن .
(١١) رويعي : تصغير « راع » .

عشرة ليلة من شهر رمضان سنة ثمانٍ ، وأقام بها اثنتي عشرة ليلة ، ثم أصبح غداة الفطر غادياً إلى حنين . وخرج معه أهل مكة - لم يتأخر منهم كبير أحد - ركباناً ومشاة ، حتى خرج معه النساء يمشين : على غير دين نظاراً ينظرون ويرجون الغنائم ، ولا يكرهون الدَّولة لرسول الله ﷺ . واستعمل على مكة عتَّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس القرشيَّ الأمويّ - وله نحو عشرين سنة - ، وجعل معه معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عُدَيّ بن كعب بن عمرو بن أديٍّ ابن سعيد بن علي بن أسد بن سادرة[1] بن زيد بن جشم بن الخزرج الأنصاريّ الخزرجي ، يعلمهم السُّنن والفقه . وخرج معه إثنا عشر ألف رجل : عشرة آلاف من المدينة وألفان من أهل مكة ، وهم الطلقاء .

إعجاب المسلمين بكثرتهم يوم حنين

فقال رجل من بني بكر : لو لقينا بني شيبان ما بالينا ، ولا يغلبنا اليوم أحدٌ من قلة ! فأنزل الله تعالى : ﴿ **لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحُبت ثم وليَّتم مدبرين** ﴾[2] .

عارية السلاح

واستعار رسول الله ﷺ من صفوان بن أمية مائة درع ، وقيل أربعمائة درع ، بأداتها ، وخرج [صفوان][3] وهو مشرك مع المسلمين .

خبر ذات الأنواط

فمرُّوا بشجرة عظيمةٍ خضراء يقال لها ذات أنواطٍ - كانت العرب من قريش وغيرها يأتونها كل سنة يعلقون عليها أسلحتهم ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوماً - فقالوا : يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط : فقال : الله أكبر ! قلتم - والذي نفسي بيده - كما قال قوم موسي : ﴿ **اجعل لنا إلهاً كما**

---

(١) في (خ) « ماردة » .

(٢) الآية ٢٥ / التوبة ، وفي (خ) « ...... كثرتكم الآي » .

(٣) زيادة للبيان .

لهم آلهةٌ قال إنكم قوم تجهلون ﴾[1] ، إنها السُّنن ، سُنن من كان قبلكم [وفي رواية : لتركبُن سنن من قبلكم][2] .

خبر الرجل الذي أراد قتل رسول الله

ونزل رسول الله تحت شجرة دوين أوطاس ، وعلق بها سيفه وقوسه ، فجاء رجل وهو نائمٌ فسلّ السيف ، وقام على رأسه ففزع به[3] وهو يقول : يا محمد ! من يمنعك منّي اليوم ؟ فقال : الله ! فأتى أبو بُرْدة بن نِيَار يريد أن يقتل الرجل ، فمنعه النبي عليه السلام من قتله وقال : يا أبا بردة ، إن الله مانعي وحافظي حتى يُظْهِرَ دينه على الدِّين كلّه .

وانتهى ﷺ إلى حنين مساءً ليلة الثلاثاء لعشر ليالٍ خلون من شوال .

عيون هوازن ورعب المشركين

فبعث مالك بن عوف ثلاثة رجال متفرقين في العسكر [يأتونه بخبر أصحاب رسول الله ﷺ][4] ، فرجعوا وقد تفرقت أوصالهم [من الرعب][4] ، وقالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بُلْق ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ! وقالوا : ما نقاتل أهل الأرض إنما نقاتل إلا أهلَ السماء ! وإنْ أطعتنا رجعت بقومك . فسبَّهم وحبسهم . ثم بعث آخر فعاد إليه بمثل ما قال الثلاثة ، فلم ينته . وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حَدْرَد مَرْثَد بن أبي مَرْثد الغنويُّ تلك الليلة على فرسه وهو يحرس المسلمين .

خروج غير المسلمين إلى حنين

وكان قد خرج رجال من مكة على غير دين ، ينظرون على من تكون الدائرة ، فيصيبون من الغنائم ، منهم أبو سفيان بن حرب[5] ، ومنهم معاوية بن أبي سفيان — خرج ومعه الأزلام[6] في كنانته ، وكان يسير فى أثر العسكر ، كلّما مرَّ بترسٍ

---

(١) الآية ١٣٨ / الأعراف . (٢) سنن الطريق : نهجه ووجهه . (٣) فزع به : أنبهه .

(٤) زيادة من (ابن سعد) جـ٢ ص ١٥٠ .

(٥) كذا في (خ) و (الواقدي) جـ٣ ص ٨٩٥ ، وهو غريب ، فمن الثابت أن أبا سفيان بن حرب أسلم ليلة الفتح ، ومعاوية أسلم يوم الفتح ، والحارث بن هشام أسلم يوم الفتح أيضاً .

(٦) الأزلام : سهام كانوا يستقسمون بها في الجاهلية .

ساقط أو رمح أو متاع حمله ، حتى أوقر جمله[1] - ، وصفوان بن أمية ، ومعه حكيم بن حزام ، وحويطب بن عبد العُزَّى ، وَسُهَيْل بن عمرو ، والحارث ابن هشام[2] ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، فلما كانت الحرب وقفوا خلف الناس .

تعبئة المسلمين

وعبأ مالك بن عوف أصحابه في الليل بوادي حُنَين ، وعبأ له رسول الله ﷺ في السَّحر ، ووضع الألوية والرايات في أهلها . فحمل رايات المهاجرين : عليّ وسعدُ بن أبي وَّقاص ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، وحمل رايات الأنصار الحُبابُ بن المنذر ، وقيل كان لواء الخزرج الأكبر مع سعد بن عُبادة ، ولواء الأوس مع أسيد بن حُضَيْر . وفي كل بطن لواء أو راية . وكانت رايات المهاجرين سوداً وألويتهم بيضاء ، ورايات الأنصار خُضْراً وحُمْراً ، وكانت في قبائل العرب رايات ، وبقيت سُلَيْم كما هي في مقدمة الخيل ، وعليهم خالد بن الوليد .

المسير إلى القتال

وانحدر رسول الله ﷺ بأصحابه في وادي حنين . وهو على تعبئته وقد ركب بغلته البيضاء دُلْدُل ، ولبس درعين والمغفر والبيضة ، وحضَّ على القتال ، وبشر بالفتح إن صدقوا وصبروا .

إنهزام المسلمين

فاستقبلتهم هوازن في غَبَش الصُّبح[3] بكثرة لم يَرَوْا مثلها قط ، وحملوا على المسلمين حملة واحدة ، فانكشف أول الخيل خيْل [بني][4] سُلَيْم مولِّية ، فولَّوْا وتبعهم أهل مكة ، وتبعهم الناس منهزمين ما يلوون على شيء .

---

(١) أوقر الجمل : أثقل حمله .

(٢) كذا في (خ) و (الواقدي) جـ٣ ص ٨٩٥ ، وهو غريب ، فمن الثابت أن أبا سفيان بن حرب أسلم ليلة الفتح ، ومعاوية أسلم يوم الفتح ، والحارث بن هشام أسلم يوم الفتح أيضاً .

(٣) غبش الصبح : الظلمة يخالطها البياض في بقية الليل .

(٤) زيادة للسياق .

إنهزام المشركين بغير قتال

فالتفت رسول الله ﷺ يميناً وشمالاً – والناس منهزمون حتى بلغوا مكة ، فلم يرجع آخرهم إلا والأسارى بين يدي النبي عليه السلام – وهو يقول : يا أنصارَ الله وأنصارَ رسول الله ؟ أنا عبدُ الله ورسوله !! ثم تقدَّم بحربته أمام الناس ، وانهزم المشركون ، وما ضرب أحدٌ من المسلمين بسيف ولا طَعَن برمح . ورجع ﷺ إلى العسكر ، وأمر أن يُقتلَ كلُّ من قُدِر عليه من المشركين ، وقد ولت هوازن ، وثاب من انهزم من المسلمين .

الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ فى الهزيمة

ولم يثبت معه ﷺ وقت الهزيمة إلا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد أخذ[1] بثَغر البلغة ، والعباس وقد أخذ بِحَكَمَتِها[2] ، وهو يركُضُها إلى وجه العدوّ ، وينوِّه بإسمه فيقول :

أنا النبيُّ لا كـذِبْ أنا ابنُ عبد المُطَّلِـبْ

دعـوة المنهزمـين

وقال ﷺ يا عباس ! اصرُخْ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السَّمُرَة[3] ! فنادى بذلك – وكان رجلا صَيِّتاً[4] –، فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنَّت إلى أولادها يقولون يا لبَّيْك .. يالبيك ! فأشرف ﷺ كالمتطاول في ركابيْه ، فنظر إلى قتالهم وقال : الآن حمي الوطيس ! ثم أخذ بيده من الحصا فرماهم به وهو يقول : شاهت الوجوه ، حَمٓ لا ينصرون ! ثم قال : انهزموا ورَبِّ الكعبة ! فمازال أمرهم مدبراً وانهزموا : فانحاز ﷺ ذات اليمين ، وهو على بغلته قد جرَّد سيفه .

---

(٣) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ، وأثبتناها من (الواقدي) جـ٢ ص ٨٩٨ ومعناها : السير في مؤخر السرع (ترتيب القاموس) .

(٢) الحَكَمَةُ : ما أحاط بحنكي الفرس من لجامه وفيها العذران (ترتيب القاموس) .

(٣) السَّمُرَة: قال في (النهاية) الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية .

(٤) صَيِّتًا : عالي الصوت رفيعه .

عدد من ثبت معه

وثبت معه[١] سوى من ذكرنا : عليٌّ ، والفضل بن عباس ، وربيعة ابن الحارث [بن عبد المطلب][٢] ، وأيمن بنُ عَبيْد الخزرجي ، وأسامةُ بن زيد ، وأبو بكر وعمر ، رضي الله عنهم . وقيل لما انكشف الناس عنه قال رسول الله ﷺ لحارثة بن النُّعْمان الأنصاري : كم تُرى الناسَ الذين ثبتوا ؟ فحرزهم مائة ، وهذه المائة هي التي كرَّت بعد الفِرار ، فاستقبلوا هوازِن واجتلدوهم[٣] وإياهم وكان دعاؤه يومئذٍ – حين انكشف الناسُ عنه ، فلم يبق إلا في المائة الصابرة – : اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان[٤] ! ويقال إن المائة الصابرة يومئذ : ثلاثة وثلاثون من المهاجرين ، وسبعة وستون من الأنصار ، وكان عليٌّ ، وأبو دجانة ، وعثمان بن عفان ، وأيمن بن عُبيد رضي الله عنهم يقاتلون بين يدي النبي ﷺ .

خبر علي وقتاله يوم حنين

قال الحارث بن نوَفْل : فحدَّثني الفضلُ بن العباس قال : التفت العباس يومئذ وقد أقشع[٥] الناس عن بكرة أبيهم – فلم يرَ علياً فيمن ثبت ، فقال : شوهةً وبوهةً[٦] ! أوَفي مثل هذه[٧] الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله ﷺ ؟ وهو صاحبه فيما هو صاحبه !! [يعني المواطن المشهورة له] فقلت : بعضَ قولك لابن أخيك ! أما تراه في الرَّهَج ؟ قال : أشْعِرهُ[٨] لي يا بُنيِّ . قلت ذو كذا ، ذو كذا ، ذو البُرْدَة . قال : فما تلك البرقةُ ؟ قلت : سيفه يرفل[٩] به بين

---

(١) في (خ) « وما معه » .

(٢) زيادة للبيان من (ط) .

(٣) اجتلدوا : ضربوا بالسيف .

(٤) في (الواقدي) جـ٢ ص ٩٠١ بعد قوله « المستعان » « قال له جبريل : لقد لقنت الكلمات التي لقن الله موسى يوم فلق البحر أمامه وفرعون خلفه » ومعنى لقن : فهم .

(٥) أقشع الناس : تفرقوا .

(٦) في (خ) « شوهةٌ بوهة » وهذا يقال في الدعاء والذم ، كذا في (ط) ولم أجد المثل في مجمع الأمثال ولا في جمهرة الأمثال .

(٧) في (خ) ، (ط) « هذا » وما أثبتناه حق اللغة .

(٨) الرهج : غبار الحرب وأَشْعِرْهُ لي : أذكر لي شعاره الذي يعرف به بين رفقته. (٩) يرفل : يتبختر .

الأقران[1] . فقال برٌّ ابن برٍّ ؟ فداه عم وخالٌ ! قال : فضرب عليٌّ يومئذ أربعين مبارزاً كلهم يقده حتى يَقُدَّ أنفه وذكره . قال : وكانت ضرباته مُنْكرة .

قتال أم عمارة وصواحباتها

وكانت أم عمارة في يدها سيف صارم ، وأم سليم معها خنجر قد حزمْته على وسطها وهي يومئذ حامل بعبد الله بن أبي طلحة ، وأم سَليط ، وأم الحارث – حين انهزم الناس – يقاتلن : وأم عمارة تصيح بالأنصار : أيَّةُ عادة هذه ! مالكم ولِلفرار ! وشدَّتْ على رجل من هوازن فقتلته وأخذت سيفه .

موقف رسول الله ﷺ

ورسول الله ﷺ قائم مُصْلِتٌ السيف بيده ، وقد طرح غِمْدَهُ ينادي : يا أصحاب سورة البقرة ! فكرَّ المسلمون ، وجعلوا يقولون : يا بني عبد الرحمن ! يا بني عبد الله ! يا بني عُبَيد الله ! يا خيل الله – وكان ﷺ قد سَمَّي خيْله خيل الله – [وكان شعار[2] المهاجرين بني عبد الرحمن ، وشعار الأوس بني عبيد الله ، وشعار الخزرج بني عبد الله] . فكرَّت الأنصار ، ووقفت هوازن حملة ناقة[3] ، ثم كانت هزيمتهم أقبح هزيمة ، والمسلمون يقْتُلون ويأسرون .

تحريض أم سليم

وأم سليم بنت ملْحان تقول : يا رسول الله ! ما رأيتَ هؤلاء الذين أسلموا وفرُّوا عنك وخذلوك ! لا تعفُ عنهم إذا أمْكَنَكَ الله منهم ، تقتلهم كما تقْتُل هؤلاء المشركين ! فقال : يا أم سُلَيْم ! قد كفى الله ، عافيةُ الله أوسع .

النهي عن قتل الذرية

وَحَنِقَ المسلمون على المشركين فقتلوهم حتى شرعوا[4] في قتل الذُّرية . فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : ما بالُ أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذُّرِّيَّة !

---

(١) الأقران : النظائر والأكفاء .

(٢) في (خ) « وجعل شعار » .

(٣) في (خ) « حملت » ، والمعنى : وقفوا مقدار ما تحمل الناقة رحلها .

(٤) في (خ) « أشرعوا » .

ألا لا تُقْتَلُ الذرية ، فقال أُسَيْدُ بن الحُضَيْر : يا رسول الله ! أليس إنما هم أولاد المشركين ؟! فقال : أَوَليس خيارَكم أولادُ المشركين ؟ كل نَسمةٍ تولد على الفطرة حتى يُعْرِبَ عنها لسانُها ، وأبواها يُهوِّدانها أو يُنَصِّرانها[1] !.

خبر النمل

وقال جُبَير بن مُطعم : لما تراءينا نحن والقومُ ، رأينا سواداً لم نَر مثله قط كثرة ، وإنما ذلك السواد نَعَمٌ فحملوا النساء عليه . فأقبل مثلُ الظُّلَّة السوداء من السماء ، حتى أظلت علينا وعليهم وسدَّت الأرض . فنظرت فإذا وادي حُنَينٍ يسيل بالنمل ، نمْل أسوَدَ مبثوث . لم أشكَّ أنه نصرٌ أيدنا الله به ، فهزمهم الله . وَحَدَّثَ شيوخ من الأنصار قالوا : رأينا كالبُجُد[2] السود هَوَت من السماء رُكاماً فنظرنا فإذا نمل مبثوث ، فإنْ كنا لننفُضه عن ثيابنا ، فكان نصراً أيَّدنا الله به .

نصر الملائكة

وكانت سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمراً[3] قد أرخوها بين أكتافهم ، وكان الرعب الذي قذف الله في قلوب المشركين يومئذ كوَقع الحصاة في الطَّسْت : له طنينٌ ، فيجدون في أجوافهم مثل ذلك . ولم رمي رسول الله ﷺ بذلك الكفِّ من الحصا ، لم يبق أحدٌ من المشركين إلا وهو يشكو القذي في عينه . ويجدون في صدورهم خفقاناً كوقع الحصا في الطِّساس[4] : ما يهدأ ذلك عنهم . ورأوا رجالا بيضاً على خَيْل بُلْق ، عليهم عمائم حُمْر قد أرخوها بين أكتافهم ، وهم بين السماء والأرض : كتائب ، فما كانوا يستطيعون أن يتأمَّلوهم من الرعب منهم .

القتلى في ثقيف

استَحَرَّ القَتْلُ من ثقيف [في][5] بني مالك ، فقتل منهم قريب من مائة رجل تحت رايتهم ، وقتِل ذو الخمار ، وهَرَبت ثقيف .

---

(١) أي يحملانها على شريعة يهودية أو نصرانية .

(٢) البجد : جمع بجاد : وهو كساء مخطط من أكسية الأعراب .

(٣) في (خ) « حمر » .

(٤) الطساس : جمع طست .

(٥) زيادة للسياق من (ابن هشام) جـ٤ ص ٦٩ .

إسلام شيبة بن عثمان

وكان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، قد تَعاهَد هو وصفوان بن أميَّة يومئذٍ إن رَأيا على رسول الله ﷺ دَبْرة أن يكون عليه ، وهما خلفه . قال شيبه : فأدخل الله الإيمان قلوبنا . ولقدهَمَمْتُ بقَتْله ، فأقبل شيء حتى يغْشَى فؤادي ، فلم أطِقْ ذلك ، وعلمتُ أنه قد منعَ مني وفي رواية : غشيتنى ظلمة حتى لا أبْصُر ، فعرفتُ أنه ممتنعٌ مني ، وأيقنت بالإسلام . وفي رواية : أنّ شيبة قال : لما رأيت النبي ﷺ غزا مكة فظفر بها وخرج إلى هوازن ، قلت : أخرُجُ لعلي أدرك ثأري ! وذكرتُ قَتْلَ أبي يوم أحد [قتلهُ حمزة] ، وعمي [قتلهُ عليٌّ] ، فلما انهزم أصحابه جئته عن يمينه ، فإذا العباسُ قائمٌ علي درعٌ بيضاءُ كالفضة ، فقلت : عمُّه ! لن يخْذله ! فلما جئتهُ عن يساره ، فإذا بأبي سفيان بن الحارث ، فقلت : ابن عمِّه ! ولن يخذله[1] ! فجئته من خلفه ، فلم يبق[2] إلا أسَوِّره بالسيف[3] ، إذ رُفع لي — فيما بيني وبينه — شواظ[4] من النار كأنه برقٌ ، وخِفْتُ أن يمحشني[5] ، فوضعت يدي على بصري ومشيتُ القهقري ، فالتفت إليَّ وقال : يا شيْبَ ! أدنُ مني ! فوضع يده على صدري وقال : اللهم أذهِبْ عنه الشيطان ! فرفعتُ رأسي إليه وهو أحبُّ إليَّ من سمعي وبصري وقلبي ، ثم قال : يا شيب ! قاتلِ الكفَّار ! فتقدَّمتُ بين يديه أحبُّ والله أقيه بنفسي وبكلِّ شيء . فلما انهزمت هَوازنُ ، رجَع إلى منزله ودخلتُ عليه ، فقال : الحمد لله الذي أراد بك خيراً مما أردتَ . ثم حدثني بما هممتُ به .

خبر المنافقين

ولما كانت هزيمة المسلمين ، تكلم قوم بما في نفوسهم من الضَّغْن والغشِّ ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ؟ فقال [أبو مُقَيت ابن سُلَيْم][6] : أما والله لولا أني سمعت رسول الله ﷺ ينهي عن قتلك لقتلتُك !

---

(١) في (خ) « أن يخذله » .

(٢) في (خ) « أبق » .

(٣) تَسَوَّرَهُ : علاه ، أي يعلوه فيأخذه بالسيف .

(٤) في (خ) « شوظ » .

(٥) يمشخني : يحرق الجلد حتي يبدو العظم .

(٦) كذا في (خ) ، (ط) ، وفي (الواقدي) جـ٣ ص ٩١٠ «يقول رجل من أسلم يقال له أبو مقيت ...إلخ» .

وقال كَلَدة بن حنبل – أخو صفوان لأمه – ألا بطَل سحرُ محمد اليوم ! فقال له صفوان : أسكتْ فَضَّ الله فاك ! لأنْ يُرُبَّني ربٌّ من قريش أحبُّ إلَّي من أن يربَّني ربٌّ من هوازن ! وقال سهيل بن عمرو : [والله][1] لا يجتبرها[2] محمد وأصحابه [أبداً][1] ! فقال له عكرمة [بن أبي جهل][1] : إنَّ هذا ليس بقول ! إنما الأمر بيد الله ، وليس إلى محمد الأمر شيء ! إن أديل[3] عليه اليوم فإن له العاقبة[4] غداً . فقال له سُهَيْل : والله إن عهْدك بخلافه لحديثٌ ! قال : يا أبا يزيد ، إنا كنا والله نوضع في غير شيء وعقولُنا عقولنا[5] نعبد حجراً لا ينفع ولا يضرُّ !!

النهي عن قتل النساء والمماليك

ومرَّ رسول الله ﷺ بامرأة مقتولة : قتلها خالد بن الوليد ، فبعث إليه : إن رسولَ الله ﷺ ينهاك أن تقتل امرأة أو عسيفا[6] .

خبر بني سليم

ولما هزم رسول الله ﷺ هوازن ، وأتبعهم المسلمون يقتلونهم ، نادت بنو سليم : ارفعوا عن بني أمكم القتل ! فقال رسول الله ﷺ اللهم عليك ببني بُكَمَة ! أمَّا في قوْمي فوضعوا السِّلاح وضعاً ؛ وأما عن قومهم فرفعوا رفعاً ، [وبُكمة بنت مرٍّ أم سليم ، وهي أخت تميم بن مرٍّ] .

خبر بجاد السعدي

وأمر عليه السلام بطلب القوم ، وقال : إن قدرتم على بجاد فلا يفلتنَّ منكم ! وكان [بجادٌ][7] من بني سعد [بن بكر بن هوازن][7] وقد قطَّعَ رجلاً مسْلماً وحرَّقه بالنار ، فأخذته الخيل ، وضموه إلى الشيماء بنت الحارث بن عبد العُزَّى – أختِ رسول الله ﷺ من الرضاعة – وأتوْا بهما فرحَّب بالشيماء وأجلسها على

---

(1) زيادة للبيان .
(2) يجتبرها : يصلحها .
(3) أديل : من الدولة بمعنى النصر .
(4) في (خ) « العافية » .
(5) كذا في (الواقدي) جـ٣ ص ٩١١ ، وفي بعض كتب السيرة « وعقولا ذاهبة » .
(6) العسيف : « الأجير » .
(7) زيادة للبيان .

ردائه ، وأعطاها – بعد ماأَسْلَمَتْ – ثلاثة أعْبُدٍ وجاريةً ، فاستوهبته بجاداً فوهبه لها .

هزيمة هوازن وقتل دريد بن الصمة

ومرَّت هوازن في هزيمتها إلى الطائف ، وإلى أوطاس ، وإلى نخلة . فسارت الخيْل تريد من أَتى نخلةَ . أدرك الربيع بن ربيعة بن رفيع بن أهبان[1] بن ثعلبة بن ضبيعة بن يربوع بن سَمَّال بن عوف بن مريء القيس بن بهثة بن سُلَيْم السُّلمي – [وكان يقال له « ابن الدُّغنَّة » ، وهي أمه فغلبت على اسمه][2] – دُريدَ بن الصِّمة فقتله .

أبو عامر الأشعري

وتوجَّه أبو عامر الأشعريُّ – أخو أبي موسى [الأشعريُّ][2] – إلى أوطاس ، ومعه لواء في عدَّةٍ من المسلمين ، وقد عسكر المشركون ، فقاتلهم وقتل منهم تسعة ثم أصيب ، فاستخلف أخاه أبا موسى ففتح الله عليه . ولحق مالكَ بن عوف بالطائف .

الغنائم والسبي

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم فجمعت . ونادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغلَّ ! وأصاب المسلمون سبايا ، فكانوا يكرهون أن يقعوا عليهنَّ ولهنَّ أزواجٌ ، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فأنزل الله ﴿ **والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليماً حكيماً** ﴾[3] وقال ﷺ يومئذ : لا توطأ حامل من السبي حتى تضع حملها ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض . وسألوه عن العزل[4] ، فقال : ليس من كل الماء

---

(١) في (خ) « أهان » .

(٢) زيادة للبيان من (ط) .

(٣) الآية ٢٤ / النساء ، وفي (خ) « ... أيمانكم ، الآية » .

(٤) (سنن ابن ماجه) جـ١ ص ٦٢٠ (باب العزل) حديث رقم ١٩٢٦، ١٩٢٧، ١٩٢٨ ، و (سنن أبي داود) جـ٢ ص ٦٢٢ وما بعدها (باب ما جاء في العزل) ، حديث رقم ٢١٧٠ ، ٢١٧١ ، ٢١٧٢ ، ٢١٧٣ .

يكون الولد ، وإذا أراد الله أن يخلق شيئاً لم يمنعه شيء .

دية عامر بن الأضبط

وقام عيينة بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري يطلب بدم عامر بن الأضبط الأشجعيّ – وقد قتله مُحلِّم بن جثَّامة بن قَيْس الليثي في سرية رسول الله ﷺ إلى إضَم – بعد ما حيًّا بتحية الإسلام – فدافع عنه الأَقْرَعُ بن حابس ، فأشار النبي ﷺ بالدية فقبلوها .

شارب الخمر

أُتِيَ يومئذ بشاربٍ ، فأمر عليه السلام مَن عنده[1] فضربوه بما كان في أيديهم ، وحثا عليه التراب .

الشهداء والسبي

وجميع من استشهد[2] بحُنَيْن أربعة[3] . وفي هذه الغَزَاة قال رسول الله ﷺ : من قتل قتيلاً فله سَلَبُه .

وكان أبو طلحة قد قتل عشرين رجلاً فأعطاه سَلَبهم . وذكر الزبير بن بَكَّار :

= وقال الخطابي في (معالم السنن) جـ٢ ص ٦٢٤ عند التعليق على الحديث رقم ٢١٧٢ : « وأخرجه البخاري في النكاح باب العزل رقم ٩٧ (٧ / ٤٢) ومسلم في النكاح باب حكم العزل حديث رقم ١٤٣٨ والنسائي في النكاح باب العزل (٦ / ١٠٧) ، والعزل : أن يعزل الرجل الماء عن النساء حذر الحمل .

(١) في (خ) « ابن عبدة » .

(٢) في (خ) « ما استشهد » .

(٣) وهؤلاء هم :

١ – من قريش ثم من بني هاشم : أيمن بن عبيد .

٢ – من بني أسد بن عبد العزى : يزيد بن زمعة .

٣ – ومن الأنصار : سراقة بن الحارث بن عدي .

٤ – ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعري .

(ابن هشام) جـ٤ ص ٧٦ .

وفي (الواقدي) جـ٣ ص ٢٢ : رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بدلا من يزيد بن زمعة . وقال محقق (الواقدي) أنه أثبته عن ابن حزم في (جوامع السيرة) ص ٢٤٤ (تعليق رقم (١) ص ٩٢٢ (من الواقدي) .

أن رسول الله ﷺ سَبى يوم حُنين سِتةَ آلاف - بين غلام وامرأة - فجعل عليهم أبا سفيان بن حرب . ومات رجل من أشجع أيام حُنين ، فقال رسول الله ﷺ : صَلُّوا على صاحبكم فإنه قد غلّ . فنظروا . فإذا في بُرْدَيْه خَرَزٌ لا يساوي درهمين .

غـزوة الطـائف

ثم كانت غزوة الطائف . وذلك أن رسول الله ﷺ لما فتح حُنيناً ، بعث الطفيل ابن عمرو بن طريف بـن العاص بن ثعلبة بن سالم بن فهم الدَّوْسيِّ إلى ذي الكَفَّيْنِ - صنم عمرو بن حُمَه - يهدمه ، وأمره أن يسْتَمدَّ قومه ويوافيه بالطائف ، وقال له : أفش السلام ، وأبذل الطعام - واسْتحي من الله كما يستحي الرجلُ ذو الهيئة من أهله[1] ؛ إذا أسأت فأحسن ، ﴿ **إنَّ الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾[2] . فخرج إلى قومه فَهدَم ذا الكفين ، وجعل يحشو النَّار في وجهه ويحرقه ويقول :

ياذا الكفيَن لست من عبّاكا ميلادنا أقـدم من ميلادِكا
أنا حششت[3] النار في فؤادِكا

ووافي معه بأربعمائة ، بعدما قدم عليه السلام الطائف بأربعة أيام ، ومعه دبَّابة ، ومنجنيق . ويقال : بل اتخذ المنجنيق سلمان الفارسيّ ، وقدم بالدبّابة خالد بن سعيد ابن العاص من جَرَش[4] . وكان مع رسول الله ﷺ حَسَك من خشب[5] يطيف بعسكره .

---

(١) كذا في (خ) ، (ط) وفي (الواقدي) جـ٣ ص ٩٢٢ « كما يستحي الرجل ذو الهيئة من أهله » وذو الهيئة : ذو الوقار .

(٢) نص الآية ١١٤ / هود كالآتي : ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾ .

(٣) في (الواقدي) جـ٣ ص ٩٢٣ « حشوت النار في فؤادكا » . وحش النار : جمع إليها ما تفرق من الحطب .

(٤) في (خ) « بن جرش » وجرش اسم مدينة سبق شرحها اسمها راجع (معجم البلدان) جـ٢ ص ١٢٧ .

(٥) الحسكُ : نبات تعْلَقُ ثمرته بصوف الغنم ، ورقه كورق الرِّجلة وأدق ، وعند ورقه شوكٌ ملززٌ صلبٌ ذو ثلاث شعب ، وله ثمر شربه يفتت حصى الكليتين والمثانة . وكذا شرب عصير ورقه جيد للباءَة ، وعسر البول ونهش الأفاعي ، ورشه في المنزل يقتل البراغيث ، ويعمل في مثال شوكه أداة للحرب من حديد أو قصب . فيلقى حول العسكر ويسمى باسمه . (ترتيب القاموس جـ١ ص ٦٤١ .

بعثة خالد بن الوليد على المقدمة

وقدَّم ﷺ خالد على مقدِّمته ، وبعث بالسبي والغنائم إلى الجِعرَّانة مع بُديل ابن ورقاء الخزاعيّ ، وسار إلى الطائف وقد رمُّوا حصنهم ، ودخل فيه من انهزم من أوطاسٍ ، واستعدوا للحرب وأتي ﷺ – في طريقه بِليَّة[1] – برجلٍ من بني ليْثٍ قتل رجلاً من هذيل ، فضرب أولياؤه عنقه ، وكان أوَّل دمٍ أقيد[2] به في الإسلام ، وحرَّق بليَّة[3] قصر مالك بن عوف .

منزل المسلمين بالطائف

ثم نزل قريباً من حصن الطائف وعسكر به ، فرموا بنبْلٍ كثير أصيب به جماعة من المسلمين بجراحة ، فحوَّل عليه السلام أصحابه ، وعسكر حيث لا يصيبهم رمي أهل الطائف ، وثار المسلمون إلى الحصن ، فقْتل يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب ابن أسد بن عبد العزىَّ بن قُصيٍّ القرشيّ الأسدي ، فظفر أخوه يعقوب بن زَمعة بهذيل بن أبي الصَّلت ، [أخي أميَّة بن الصلت] . وقال : هذا قاتل أخي ! فضرب عنقه ، وأقام ﷺ على حصار الطائف ثمانية عشر يوماً ، وقيل تسعة عشر يوماً ، وصحح ابن حزم إقامته عليه السلام بضع عشرة ليلة وفي الصحاح عن أنس بن مالك قال : فحاصرناهم أربعين يوماً . يعني ثقيفاً .

مصلى رسول الله ﷺ

فكان في إقامته يصلّي ركعتين بين قبَّتين قد ضُرِبَتا لزوجتيه أمّ سلمة وزينب رضي الله عنهما . فلما أسلمت ثقيفٌ ، بني أمية بن عمرو بن وهب بن معتِّب ابن مالك[4] على مصلى النبي ﷺ مَسْجداً، وكان فيه سارية – [فيما

---

(١) ليَّة : من نواحي الطائف مرَّ به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حنين يريد الطائف (معجم البلدان) جـ٥ ص ٣٠ .

(٢) من القَوَدَ : وهو القصاص .

(٣) في (خ) « وحرق عليه » .

(٤) كذا في (خ) ، (ط) ، واسمه محل خلاف عند أهل السير ، ففي (الواقدي) جـ٣ ص ٩٢٧ « أمية ابن عمرو بن وهب » وفي (ابن هشام) جـ٤ ص ٩٤ : « عمرو بن أمية بن وهب » وفي (الطبري)جـ٣ ص ٨٤ « أبو أمية بن عمرو بن وهب » .

يزعمون][1] - لا تطلع الشمس عليها [يوماً][1] من الدهر إلا يسمع لها نقيض أكثر من عشر مرارٍ ، وكانوا يرون أن ذلك تسبيح[2] .

محاصرة حصن الطائف

ونصب ﷺ المنجنيق على حصن الطائف ، وقد أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وقد عمله بيده ، وقيل : قدم به يزيد بن زَمعَة ومَعَه دبابتان[3] ، وقيل : قدم به الطُّفيل بن عمرو : وقيل : قدم به وبدبابتين خالد بن سعيد من جُرَش[4] ونثر ﷺ الحسك حول الحصن ، ودخل المسلمون تحت الدبابتين ، ثم زحفوا[5] بها إلى جدار الحصن ليحفروه ، فأرسلت عليهم ثقيفٌ سكك[6] الحديد محماه بالنار فحرقت الدبابتين - وكانت من جلود البقر - فأصيب من المسلمين جماعةٌ ، وخرج من بقى من تحتها فقُتلوا بالنبل . فأمر عليه السلام بقطع أعنابهم وتحريقها ، فقطعها المسلمون قطعاً ذريعاً . فنادى سفيان بن عبد الله الثَّقفي : يا محمد ! لمَ تقطع أموالنا ؟ إما أن تأخذها إن ظهرت علينا ، وإما أن تدعها [لله][7] وللرحم كما زعمت ! فقال عليه السلام : لله وللرَّحِم ! وكفَّ عنها .

النازلون من حصن الطائف

ونادى منادى رسول الله ﷺ : أيَّمَا عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر[8] ! فخرج بضعة عشر رجلاً : أبو بكرة ، والمنبعث ، والأزرق [أبو عقبة الأزرق] ، ووردان ، ويُحَنَّس النَّبَّال ، وإبراهيم بن جابر ، ويَسار ، ونافع ، وأبو السائب[9] ، ومرزوق ، فأعتقهم ﷺ ، ودفع كلَّ رجلٍ منهم إلى رجل من

---

(١) زيادة من الطبري جـ٣ ص ٨٤ وابن هشام جـ٤ ص ٩٤ .
(٢) في (خ) « تسبيحاً » .
(٣) في (خ) « دبابتين » .
(٤) في (خ) « بن جرش » .
(٥) في (خ) « رجفوا » .
(٦) السكة : الحديدة التي يحرث بها الأرض .
(٧) زيادة للسياق .
(٨) يقول ابن كثير في (البداية والنهاية) جـ٤ ص ٣٤٧ : [هذا الحديث تفرد به أحمد ومداره على الحجاج ابن أرْطَاة وهو ضعيف ، ولكن ذهب الإمام أحمد إلى هذا ، فعنده أن كل عبد جاء من دار الحرب إلى دار السلام عُتق حكماً شرعياً مطلقاً عاماً ، وقال آخرون : إنما كان هذا شرطاً لا حكماً عاماً ، ولو صح هذا الحديث لكان التشريع العام أظهر كما في قوله عليه السلام : « من قتل قتيلاً فله سلبه »] .
(٩) كذا في (ط) وفي (خ) « ونافع أبو السائب » وهي رواية (الواقدي) جـ٣ ص ٩٣١ .

المسلمين يمونه ويحمله ، وأمرهم أن يقرءوهم القرآن ويعلموهم السنن ، فشق ذلك على أهل الطائف .

خبر هيت وماتع

وكان مع رسول الله ﷺ مولى لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم ؛ يقال له « ماتع » وآخر يقال « هيت » . وكان « ماتع »[1] ، يدخل بيوته ويُرى أنه لا يفطن لشيء من أمر النساء ولا إربة له ، فسمعه وهو يقول لخالد ابن الوليد ، [ويقال لعبد الله بن أبي أمية[2] بن المغيرة] : إن افتتح رسول الله الطائف غداً فلا تفلتنَّ منك بادية بنت غيْلان ! فإنها تقبل بأربع وتدْبر بثمانٍ ، وإذا جلست تثنت ، وإذا تكلّمت تغنّت وإذا اضطجعت تمنّت ، وبين رجليها مثل الإناء المُكفأ ، مع ثغْرٍ كأنه الأقحوان[3] ، فقال عليه السلام : ألا أرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع !! لا يدْخلَن على أحدٍ من نسائكم ! وغرَّبهما إلى الحمى ، فتشكيا الحاجة[4] ، فأذن لهما أن ينزلا كل جمعة يسألان ثم يرجعان إلى مكانهما . فلما توفّي عليه السلام ودخلا مع الناس ، أخرجهما أبو بكر رضي الله عنه ، فلما توفّي [دخلا مع الناس ، أخرجهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فلما توفّي][5] دخلا مع الناس .

---

(١) يقول (ابن حجر) في (فتح الباري جـ٩ ص ٣٣٤) : « وحكى أبو موسى المديني في كون ماتع لقب هيت أو العكس أو أنهما اثنان خلافاً ، وجزم الواقدي بالتعدد فإنه قال : كان هيت مولى عبد الله ابن أبي أمية ، وكان ماتع مولى فاختة » :

(٢) في (خ) « عبد الله بن أمية » .

(٣) « قال الخطابي : يريد أن لها في بطنها أربع عكن فإذا أقبلت رؤيت مواضع بارزة متكسر بعضها على بعض ، وإذا أدبرت كانت أطراف هذه العكن الأربع عند منقطع جنبيها ثمانية ، وحاصله أنه وصفها بأنها مملوءة البدن بحيث يكون لبطنها عكن وذلك لا يكون إلا للسمينة من النساء ، وجرت عادة الرجال غالبا في الرغبة فيمن تكون بتلك الصفة » .
(المرجع السابق) ص ٣٣٥ .
والعكنة : ما انطوى وثني من لحم البطن (ترتيب القاموس جـ٣ ص ٢٨٨) .
والثّغْر : الفم والأسنان .
والأقحوان : نبتٌ زهره أصفر أو أبيض ، ورقه مؤلل كأسنان المنشار ، وكثر في الأدب العربي تشبيه الأسنان بالأبيض المؤلل منه . (المعجم الوسيط) جـ١ ص ٢٢ .

(٤) في (خ) « فشكيا » .

(٥) ما بين القوسين زيادة للسياق من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٣٤ بمعناه .

خبر خولة بنت حكيم

وقالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأَوْقَص السُّلميَّة امرأة عثمان بن مظعون : يارسول الله ، أعطني - إن فتح الله عليك [الطائف][1] - حلّى الفارعة بنت الخزاعي[2] أو بادية بنت غيلان . فقال لها : وإن كان لم يؤذن لنا في ثقيف يا خوله ! فذكرت ذلك لعمر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ! ما حديثٌ حدثتني خولة أنك قلته[3] ! قال : ولم يؤذن لك فيهم ؟ قال : لا ! قال أفلا أُؤَذِّنُ في الناس[4] بالرحيل ؟ قال : بلى .

أذان عمر بالرحيل عن الطائف

فأذّن عمر بالرحيل ، فشقّ على المسلمين رحيلهم بغير فتح . ورحلوا ، فأمرهم عليه السلام أن يقولوا : لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وَحْدَه فلما استقلوا المسير قال : قولوا آئبون إن شاء الله تائبون عابدون لربنا حامدون[5] . وقيل له لما ظعن : يا رسول الله : أُدْعُ الله على ثقيف ! فقال : اللهم أهدِ ثقيفاً وأتِ بهم ! وكان من استشهد بالطائف أحد عشر رجُلًا[6] .

خبر أبي رهـم

وسار ﷺ إلى الجعرانة . فبينا هو يسير - وأبو رُهم الغفاري إلى جَنْبه على ناقةٍ له ، وفي رجليْه نعلان غليظتان - إذ زحمت ناقتُه ناقة رسول الله ﷺ ، فوقع حْرَفُ نعْله على ساق رسول الله ﷺ فأوجعه فقال : أوجعتني ! [أخرِّ رجْلك ! وقرع رجله بالسَّوْط ، وقال أبو رُهم : فأخـذني ما تقدم من أمري وما تأخر ،

---

(١) زيادة للسياق من (ط) .

(٢) كذا في (خ) ، و (ط) ، و (الواقدي) جـ٣ ص ٩٣٥ وفي ابن هشام جـ٤ ص ٩٥ « الفارعة بنت عقيل » .

(٣) كذا في (ط) ، وفي (خ) « حديث خولة ما حدثني ... » وفي (الواقدي) جـ٣ ص ٩٣٥ « حدثت خولة ما حدثني أنك قلته » . وفي (ابن هشام) جـ٤ ص ٩٥ . « ما حديث حدثتنيه خويلة زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته » .

(٤) في (خ) « للناس » .

(٥) (الأذكار للنووي ص ٢٠٣ ، باب ما يقول إذا رجع من سفره .

(٦) وفي (ابن سعد) جـ٢ ص ١٥٨ « اثنى عشر رجلا » .

وخشيتُ أن ينزل فيَّ قرآن لعظيم ما صنعتُ ، فلما أصبحنا بالجعرَّانة ، خرجت أرعي الظَّهر –وما هو يومي– فرقاً أن يأتي للنبي عليه السلام رسولٌ يطلبني ! فلما روَّحتُ الركابَ سألتُ . فقالوا طلبكَ النبي ﷺ ، فقلتُ : إحداهُنَّ والله[1] ! فجئته وأنا أترقَّب . فقال : إنك [أوجعتني][2] برجلك فقرعتك بالسَّوط ، فخذ هذه الغنم عوضاً من[3] ضربتي [قال أبو رُهَم : فرضاهُ عنِّي كان أحبَّ إليَّ من الدنيا وما فيها][4] .

وحادثه عبد الله بن أبي حدرد[5] الأسلمي في مسيره ، فَلَصِقَتْ ناقته بناقة النبي ﷺ فأصاب رجله ، فقال :

أخِّ[6] !! أوجعتني ! ودفع رِجل عبد الله بمحجن في يده ، فلما نزل دعاه وقال له : أوجعتك بمحجني البارحة ! خذ هذه القطعة من الغنم . فأخذها فوجدها ثمانين شاة ضائنة[7] . ولما أراد أن يركب من قرْنٍ[8] راحلته ، وطيء له على يدها أبو روعة الجَهنيّ ، ثم ناوله الزمام بعد ماركب ، فخلَّف عليه السلام الناقة بالسوط ، فأصاب أبا روعة فالتفتَ إليه وقال : أصابك السوط ؟ قال : نعم ، بأبي وأمي : فلمَّا نزلَ الجعرانة صاح : أين أبو روعة ! قال : ها أنذا ! قال خذ هذه الغنم بالذي أصابك من السَّوط أمس . فوجدها عشرين ومائة .

خبر سراقة بن مالك بن جعشم

ولقيه سراقه بن مالك بن جُعْشَم وهو منحدر إلى الجعرانة ، فجعل الكتاب الذي كتبه أبو بكر رضي الله عنه بين إصبعيه ونادى : أنا سراقة ، وهذا كتابي ! فقال عليه السلام : هذا يوم وفاء وَبِرّ ، فأدْنوْه منه ، فأسلم وساق إليه الصَّدَقة .

(١) إحدى الدواهي التي كان يتوقعها .
(٢) زيادة للسياق .
(٣) في (خ) (عن) وما أثبتناه من (المغازي) جـ٣ ص ٩٣٩ .
(٤) زيادة يتم بها الخبر من المرجع السابق .
(٥) في (خ) (جدرد) ، والتصويب من المرجع السابق .
(٦) كذا في (خ) ، (ط) ، وفي (المغازي) أخٍّ .
(٧) الضأن من الغنم : ذو الصوف والأنثى ضائنة .
(٨) قرْن : قال القاضي عياض : « قرن المنازل ، وهو قرن الثعالب بسكون الراء : ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة » . (معجم البلدان) جـ٤ ص ٣٣٢ .

وسأله عن الضالة من الإبل تغشى حياضه ، وقد ملأها لإبله ، فهل له من أجر إن سقاها ؟ فقال عليه السلام : نعم! في كل ذاتِ كبدٍ حرّى[1] أجراً .

هدية رجل من أسلم

واعترض له رجل من أسلم معه غنم فقال يا رسول الله ! هذه هدية قد أهديتها لك ! - وكان قد أسلم وساق صدقته إلى بريْدة بن الحُصَيْب لما خرج مصدِّقاً - فقال ﷺ : نحن على ظهر كما ترى ، فالحقنا بالجعرانة ، فخرج يعدو عراض ناقة[2] رسول الله ﷺ وهو يقول . يا رسول الله ! تدركني الصلاة وأنا في عطن الإبل[3] ، أفأصلِّي فيه ؟ قال : لا ! قال : فتدركني وأن في مُرَاح الغنم[5] ، أفأصلي فيه ؟ قال : نعم ! قال : يا رسول الله ! ربما تباعد بنا الماء ومع الرجل زوجته ، فيدنو منها ؟ قال : نعم ! ويتيمم . قال : يا رسول الله ! وتكون فينا الحائض ؟ قال : تتيمم ! فلحقه عليه السلام بالجعرانة فأعطاه مائة شاةٍ .

سؤال الأعـراب

وجعل الأعراب في طريقه يسألونه [أن يقسم عليهم فيئهم من الإبل والغنم][4] ، وكثَّروا عليه حتى اضطروه إلى سَمُرة فخطفت ردائه فنزعته[5] ، فوقف وهو يقول : أعطوني ردائي ! لو كان عدد هذا العضاه نعما لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذَّاباً .

منزله بالجعرانة

وانتهى إلى الجعرَّانة ليلة الخميس لخمسٍ خلوْن من ذي القعدة ، والَّسبي والغنائم بها محبوسة ، وقد اتخذ السَّبْي حظائر يستظلون بها من الشمس ، وكانو ستة آلاف ،

---

(١) أي في كل روح من الحيوان أجر .

(٢) في (خ) (يعدو إعراض ناقته رسول الله) ، وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٤٢ ، ومعناه كما في النهاية : أي يسير حذاءه معارضاً له .

(٣) العطن : مبرك الإبل . المراح : الموضع الذي تروح الماشية إليه ليلا لتبيت فيه .

(٤) زيادة للبيان .

(٥) في (الواقدي) « فنزعته عن مثل شقة القمر » جـ٣ ص ٩٤٢ .

والإبل أربعة وعشرين ألف بعير - فيها إثنا عشر ألف ناقة - والغنم أربعين ألفاً ، وقيل أكثر . فأمر بُسْر[1] بن سفيان الخزاعي يقدم مكة فيشتري للسبي ثياباً يكسوهن ، وكساهم كلهم . واستأذنا ﷺ بالسَّبي ، وأقام يتربّص أن يقدم وفدُهم وكان قد فرَّق منه وهو بحنين ؛ فأعطى عبد الرحمن بن عوف امرأة . وأعطى صفوان ابن أميَّة ، وعلياً ، وعثمان ، وعمر ، وجبير بن مطعم ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد ابن أبي وقاص ، وأبا عبيدة بن الجرَّاح ، والزبير بن العوام رضي الله عنهم .

عطاء المؤلفة قلوبهم

فلما رجع إلى الجعرَّانة بدأ بالأموال فقسمها ، فأعطى المؤلفة قلوبهم أوَّل الناس ، وكان مما غنم أربعة آلاف أوقية فضة .

عطاء أبي سفيان

فجاء أبو سفيان بن حرب والفضَّة بين يديه ، فقال : يا رسول الله ! أصبحتَ أكثر قريش مالا ! فتبسَّم عليه السلام ، فقال أبو سفيان : أعطني من هذا يا رسول الله ، قال : يا بلال ، زن لأبي سفيان أربعين أوقية ، وأعطوه مائة من الإبل . قال : ابني يزيد ! قال : زنوا ليزيد أربعين أوقية ، وأعطوه مائة من الإبل . قال : ابني معاوية يا رسول الله ! قال : زن له يا بلال أربعين أوقية وأعطه مائة من الإبل . قال أبو سفيان : إنك لكريم فداك أبي وأمي ! والله لقد حاربتك فنعم المحاربُ كنت ! ثم سالمتك فنعم المسالم أنت .

عطاء حكيم بن حزام

وسأل حكيم بن حزام يومئذ من الإبل فأعطاه ، ثم سأل مائة فأعطاه ، ثم قال [ﷺ][2] : يا حكيم بن حزام إن هذا المال خضرة حلوةٌ . فمن أخذه بسخاوة نفسٍ بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس[3] لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ، واليد العليا[4] خيرٌ من اليد السُّفلى[5] ، وابدأ بمن تعول[6] . فأخذ

(١) في (خ) « بشر » وما أثبتناه من كتب السيرة .
(٢) زيادة للإيضاح .
(٣) إشراف النفس : تطلعها إلى المال بحرص وطمع .
(٤) اليد العليا : يد المعطي .
(٥) اليد السفلى : يد السائل .
(٦) أي بمن تجب عليك نفقتهم .

حكيم المائة الأولى ثم ترك ما عداها .

عطاء النضير بن الحارث

وأعطى النضير بن الحارث بن [علقمة][1] بن كلدة - أخا النضر ابن الحارث - مائة ، وأعطى أسيد بن جارية[2] - حليف بني زهرة - مائة من الإبل ، وأعطى العلاء بن جارية خمسين بعيراً ، وأعطى الحارث بن هشام مائة من الإبل ، وسعيد بن يربوع خمسين بعيراً ، وصفوان بن أميَّة مائة بعيرٍ .

عطاء صفوان بن امية

وفي صحيح مسلم عن الزُّهريِّ أن رسول الله ﷺ أعطي يومئذٍ صفوان بن أمية ثلاثمائة من الإبل . ويقال إنه طاف مع النبي ﷺ وهو يتصفَّحُ الغنائم إذ مرَّ بشعب مما أفاء الله عليه ، فيه غنم وإبلٌ ورعاؤها مملوء ، فأعجب صفوان وجعل ينظر إليه ، فقال : أَعجبك يا أبا وهبٍ هذا الشِّعب ؟ قال : نعم! قال: هُو لك وما هو فيه ! فقال : أشهد ما طابت بهذا نفس أحد قطُّ إلا نبي ، وأشهد أنك رسول الله .

عطاء جماعة من المؤلفة قلوبهم

وأعطى قيْس بن عَدِيِّ مائة من الإبل ، وأعطى عثمان بن وهب خمسين بعيراً ، وأعطى سُهَيل بن عمرو مائة من الإبل ، وأعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الإبل ، وأعطى هشام بن عمرو خمسين بعيراً ، وأعطى الأقرع بن حابس التميميَّ مائة من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصن الفزاري مائة من الإبل ، وأعطى أبا عامر العبَّاس بن مِرْداس بن أبي عامر بن حارثة[3] بن عبد بن عَبْس بن رفاعة بن الحارث [ابن يحيى بن الحارث][4] بن بهثة بن سليم [بن منصور السُّلميَّ][4] دون المائة ، فعاتب النبي ﷺ في شِعْرٍ قاله ، فقال رسول الله ﷺ اقطعوا عني لسانه ! فأعطوه مائة ، ويقال خمسين بعيراً ؛ وأثبت القولين أن هذا العطاء كان من الخمس .

---

(١) زيادة من نسبه من (ط) .

(٢) في (خ) « بن حارثة » .

(٣) في (خ) « جارية » .

(٤) زيادة من نسبه من (ط) .

منع جعيل بن سراقة من العطاء

وقال يومئذ سعد بنَ أبي وقاص رضي الله عنه : يا رسول الله ، أعطيتَ عيينه ابن حصن والأقرع بن حابسٍ مائة مائة ، وتركتَ جُعيل بن سراقة الضمريَّ ؟! فقال : أما والذي نفسي بيده ؛ لجعيل بن سراقة خير من طِلاع[1] الأرض كلها مثل عيينة والأقرع ، ولكني أتألفهما ليُسلما ، ووكلتُ جعيل بن سراقة إلى إسلامه .

خبر ذي الخويصرة التميمي

وجلس ﷺ يومئذ ، وفي ثوب بلال رضي الله عنه فضة يُقَبِّضها للناس على ما أراه الله ، فأتي ذو الخويصرة التميمي – (واسمه حرصوص) : فقال : اعْدِلْ يا رسول الله ! فقال : ويلك ! فمن يعدل إذا لم أَعْدِلْ ، قال عمر رضي الله عنه : إئذن لي أن أضرب عنقه ! قال : دعه ، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم[2] ، وصيامه مع صيامهم[2] ويقرأون القرآن لا يجاوز تَراقِيَهُمْ ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَّمية[3] : [ينظرُ إلى نَصْله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافة[4] فما يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نَضِيه[5] – وهو قدْحه – فلا يوجد فيه شيء ، ثم] ينظر إلى قُذَذِه[6] فلا يوجد فيه شيء[7] قد سبق الفَرْثُ[8] والدَّمَ . آيتُهم رجلٌ أسود ، إحدى عَضُدَيْه مثل ثدْي المرأة ، أو مثل البَضعْة تَدَرْدَرُ[9] ويخرجون على حين فرقةٍ من الناس[10] .

(١) في (خ) « طلائع » ، وطلاع الأرض : ملؤها .

(٢) في (خ) « صلاته مع صلاته » ، « وصيامه مع صيامه » .

(٣) مرق السهم من الرمية : نفذ فيها وخرج طرفه من الجانب الآخر ، والرمية هي الطريدة التي يرميها الصائد .

(٤) الرصاف : قطعة تلوى فوق مدخل سنخ النصل في عود السهم .

(٥) النضي : هو من عود السهم .

(٦) قذذ السهم : جمع قُذه ، وهي الريش يكون على السهم . وفي (خ) « في قذذ » .

(٧) كذا في (ط)، وفي (خ) « فلا يرى فيه شيئاً » ورواية (الواقدي) جـ٣ ص ٩٤٨ « فلا يرى شيئاً » .

(٨) الفَرْث : ما يكون في كَرْش الحيوان من طعامه .

(٩) تدردر : قال في (النهاية) : أي ترجرج ، تجيء وتذهب .

(١٠) راجع (المغازي للواقدي) جـ٣ ص ٩٤٨ .

مقالة رجل من المنافقين

وقال مُعتب بن قُشَيْر العمْريّ يومئذٍ ، ورسول الله ﷺ يعطي تلك العطايا : إنها لعطايا ما يراد بها وجه الله !! فأخبر عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله ﷺ بذلك فتغير لونه ، ثم قال : يرحم الله أخي موسى ! قد أوذِي بأكثر من هذا فصبر[1] .

إحصاء الناس والغنائم وقسمتها

ثم أمر رسول الله ﷺ زيدَ بن ثابت رضي الله عنه بإحصاء الناس والغنائم ثم فضَّها[2] على الناس . وكانت سُهْمانُم : لكل رجل أربعٌ من الإبل وأربعون شاة . وإن كان فارساً أخذ اثنتى عشرة من الإبل أو عشرين ومائة شاةٍ ، وإن كان معه أكثر من فرسٍ واحد لم يسهم له .

وفد هوازن وإسلامهم

وقدِم وفد هوازن : وهم أربعة عشر رجلاً - رأسهم[3] أبو صُرَدَ زهير ابن صُرد الجشمي السعديُّ - قد أسلموا وأخبروا بإسلام من وراءهم من قومه فقال أبو صرد : يا رسول الله ، إنَّا أصلٌ وعشيرةٌ[4] وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفي عليك ، إنما في هذه الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنَّا مَلَحنْا[5] للحارث بن أبي شَمْر أو للنعمان بن المنذر . ثم نزل منا أحدهما بمثل الذي نزلت به ، رجوْنا عطفه وعائدته[6] ، وأنت خير المكفولين .

[وفي رواية[7] أنه قال : إنما في هذه الحظائر أخواتك وعماتك وبنات عماتك وبنات خالاتك ، وأبعدهن قريب منك يا رسول الله ! بأبي أنت وأمّي ! حَضَنَّكَ في حجورهنّ ، وأرضعتك بُثديّهنَّ وتوركنك على أوراكهن ! وأنت خير المكفولين] .

---

(١) راجع (صحيح البخاري) جـ٣ ص ٧٠ .

(٢) فضها : فرّقها .

(٣) في (خ) « وأسهم » .

(٤) كذا في (ط) ، وفي (خ) « أصلك وعشيرتك ، وهي رواية (الواقدي) جـ٣ ص ٩٥٠ .

(٥) ولو أنا مَلَحْنا : قال في (النهاية) : « أي لو كنا أرضعنا لهما » .

(٦) العائدة : الفضل .

(٧) هي رواية (الواقدي) جـ٣ ص ٩٠ .

أمنن علينا رسول الله في كرمٍ ... فـإنك المرءُ نرجـوه وندَّخـرُ

أمنن على نِسوةٍ قد كنت تَرْضَعُها ... إذ فوك يملأهُ من مَحْضِها الدِّرَرُ

أمنـن على نِسوةٍ إعتاقها[1] قَـدرٌ ... ممزَّقٌ شملها في دَهْـرِها غِيَـرُ

أبْقَتْ لنا الدَّهرُ هُتَّافاً على حزن ... على قُلوبِهم الغمَّـاء والغَمَـــرُ

اللات[2] إذ كنت طفلا كنت ترضعها ... وإذْ يزينك[3] ما تأتي ومـا تـذرُ

إلا تدَاركَهـا نَعْماءَ تنشـرهـا ... يا أرجح الناس حلماً حين يختبرُ

فألبس العفو من قد كنتَ ترضعه ... من أمهاتك إن العفو مُشتهر

يا خير من مَرِحت كُمْت الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشَّررُ

إنا نؤمِّل عفواً منك تلبِسـه ... هذي البريَّة إذ تعفو وتنتصر[4]

فاعفُ عفا الله عمّا أنت واهبه ... يوم القيامة إذ يُهدي لك الظفرُ

تجْعلنَّا كمـن شالـتْ نعامتـه ... واستبق منا فإنا معشرٌ زُهُـرُ

إنا لنشكر آلاءً وإن قدمـتْ ... وعندنا بعد هذا اليوم مدَّخرُ

جواب رسول الله ﷺ

فقال رسول الله ﷺ : إن أحسن الحديث أصدقه ، وعندي ما ترون من المسلمين ، فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أمْ أموالكم ؟ قالوا : يا رسول الله ! خيَّرتَنا بين أحسابنا وأموالنا[5] !! وما كنا نعدل بالأحساب شيئاً ، فردَّ علينا أبناءنا ونسائنا . فقال : أمَّا ما [كان][6] لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وأسأل لكم الناس . فإذا [أنا][7] صليت الظُّهر بالناس [فقوموا][7] فقولوا[8] : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ! فإني سأقول لكم . ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وسأطلب لكم إلى الناس .

---

(١) في (الواقدي) « قد عافها قدرٌ » وذكرها (السهيلي) كذا في (الروض الأنف) .

(٢) في (خ) « اللاتي » وفي الواقدي « اللائي » وكلها بمعنى .

(٣) في (خ) « يريك » وما أثبتناه من (السهيلي) .

(٤) في (خ) « تنتصروا » .

(٥) كذا في (ط) وفي (خ) و (الواقدي) « وبين أموالنا » .

(٦) زيادة للسياق من (ط) .

(٧) زيادة للسياق من (ط) .

(٨) في (خ) « فقالوا : وما أثبتناه من (ط) و (الواقدي) .

رضي المهاجرين والأنصار ورد غيرهم

فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر بالناس ، قاموا فتكلموا بما أمرهم به ، فأجابهم بما تقدَّم فقال المهاجرون : فما كان لنا فهو لرسول الله ! وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله ؟ وقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ! وقال عيينة ابن حصن : أما أنا وفَزارة فلا ! وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سُليم فلا : فقالت بنو سُليم : ما كا لنا فهو لرسول الله ! فقال عباس : وهَّنتموني[1] .

خطبة رسول الله ﷺ في أمر هوازن

ثم قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً فقال : إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بهم فخيرتهم بين النِّساء[2] والأبناء والأموال ، فلم يعدلوا بالنساء والأبناء ، فمن كان عنده منهن شيء فطابت[3] نفسه أن يردَّه فسبيل[4] ذلك ، ومن أبي منكم ويمسِّك بحقه فليرد عليهم ، وليكن فرضاً علينا ستُّ فرائض من أول ما يفيء الله علينا به ! فقالوا : يا رسول الله ! رضينا وسلمنا ! قال . فمروا عرفاءكم أن يرفعوا ذلك إلينا حتى نعلم فكان زيد بن ثابت على الأنصار يسألهم : هل سلموا ورضوا ؟ فخبروه أنهم سلموا ورضوا ، ولم يتخلف منهم رجل واحد وبعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى المهاجرين يسألهم . فلم يتخلف منهم أحد ، وكان أبو رُهم الغفاري يطوف على قبائل العرب . ثم جمعوا العرفاء واجتمع الأمناء الذين أرسلهم رسول الله ﷺ ، فاتفقوا على قول واحد : أنهم سلموا ورضوا . ودفع عند ذلك السَّبي إليهم . وتمسكتْ بنو تميم مع الأقرع بن حابس بالسبي ، فجعل رسول الله ﷺ الفداء ست فرائض : ثلاث حقاقٍ وثلاثَ جذاعٍ[5] وقال يومئذ : لو كان ثابتاً[6] على أحدٍ من العرب ولاءٌ أورقٌّ لثبت

---

(١) وهنتموني : أضعفتموني .

(٢) في (خ) « الشاء » ، وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٥٢ .

(٣) في (خ) « فطبت » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٥٢ .

(٤) كذا في (ط) ، وفي (خ) « فسبل » . وفي (الواقدي) « فليرسل » .

(٥) الحقاق : جمع حِقه وهي الناقة التي استكملت السنة الثالثة في شبابها . والجذاع جمع جَذَعة ، وهي التي استكملت الرابعة ودخلت في الخامسة .

(٦) في (خ) « « ثابت » .

اليوم ، ولكن إنما هو إسارٌ أو فدية : وجعل أبا حذيفة العدوي على مقاسم المغنم .

سؤاله عن مالك بن عوف

وقال للوفد[1] : ما فعل مالك بن عوف ؟ قالوا : هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف فقال : إنه إن يأت[2] مسلماً رددت إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل . وكان قد حبس أهل مالك بمكة عند [عمتهم أم عبد الله بهمة[3] ابنة أبي أمية][4] ، ووقف ماله فلم تجر فيه السهام . فلما بلغ ذلك مالكا[5] مر من ثقيف ليلا ، وقدم الجعرانة وأسلم ، وأخذ أهله وماله ومائة من الإبل . ويقال : بل قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة واستعمله على قومه ، وعقد له لواءً فقاتل أهل الشرك ، وأغار على ثقيفٍ وقاتلهم وقتل وغنم كثيراً . وبعث إلى رسول الله ﷺ بالخمس مما يغير عليه : فبعث مرة مائة بعيرٍ ومرة ألف شاة .

مقالة الأنصار إذ منعوا العطاء

ولما أعطى رسول الله عطاياه وجد[6] الأنصار في أنفسهم – إذ لم يكن فيهم منها شيءٌ – وكثرت القالة ، فقال واحدٌ : لقي رسول الله قومه ! أما حين القتال فنحن أصحابه ! وأما حين القسْم فقومه وعشيرته ! ووددنا أنا نعلم ممن كان هذا ؟ إن كان هذا من الله صبرنا ، وإن كان هذا من رأي رسول الله استعتبناه ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً . ودخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال له : ما يقول قومك ؟ قال : وما يقولون يا رسول الله ؟! فذكر له ما بلغه وقال : فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ فقال يا رسول الله ، ما أن إلا كأحدهم وإنا لنحب أن نعلم من أين هذا ؟ قال : فاجمع لي من كان ها هنا من الأنصار . فلما اجتمعوا ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

---

(١) في (خ) « للوقد ».　　(٢) في (خ) « بات »

(٣) في (خ) « بهمت » .

(٤) يقول محقق (ط) : « ولم أجد أم عبد الله هذه ولا خبرها » ، ونقول : « أم عبد الله هذه وخبرها بتمامه في (المغازي للواقدي) جـ٣ ص ٩٥٥ » .

(٥) في (خ) « مالك » .

(٦) وجد الأنصار في أنفسهم : غضب الأنصار في أنفسهم .

خطبة رسول الله ﷺ

يا معشر الأنصار ! مقالةٌ بلغتنى عنكم ؟ وجِدَةٌ[1] وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضُلاّلا فهداكم الله ؟ وعالة فأغناكم الله ، وآعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ! الله ورسوله أمنُّ وأفضل ! قال : ألا تجيبوني ؟ قالوا : وماذا نجيبك يا رسول الله ؟ قال : أما والله لو شئتم قلتم فصدقتم : آتيتنا مكذَّباً فصدَّقناك ! ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك ! [وخائفاً فأمَّناك][2] وجدتم في أنفسكم يا مشعر الأنصار في شيء من الدُّنيا تألَّفت به قوماً أسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا تَرْضوْن يا معشر الأنصار أن تذهَبَ الناس [إلى رحالهم][2] بالشَّاء والبعير ، وترجعون برسول الله إلى رحالكم ؟ والذي نفسي بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك[3] الناس شعْباً وسلكتْ الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار . أكتب لكم بالبحرين كتابا من بعدي تكون لكم خاصة دون الناس ؟ قالوا : وما حاجتنا بعدك يا رسول الله ؟ قال : إمَّا لا فَسَتَرَوْنَ بعدي أثره ، فاصبروا حتى تلقَوا الله ورسوله ، فإن موعدكم الحوضُ ، وهو كما بين صنعاء وعمان ، وآنيته أكثر من عدد النجوم . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار[4] !! فبكوا حتى أخضلوا لحاهمْ وقالوا : رضينا برسول الله حظاً وقَسماً . وانصرفوا[5] .

مقـامة بالجعـرانة

وأقام عليه السلام بالجِعرَّانة ثلاث عشرة ليلة . وخرج ليلة الأربعاء لثنتي عشرة بقيت من ذي القعدة ، وأحرم وَلَبَّى حتى استلم الركن . وقيل : لما نظر إلى البيت قطع التلبية ، وأناخ راحلته على باب بني شيبة ، وطاف فَرَمَل[6] في الأشواط الثلاثة . ولما أكمل طوافه سعى بين الصفا والمروة على راحلته ، ثم حلق رأسه عند المروة حلَقه أبو هند عند بني بياضة ، وقيل حلقه خِراش بن أمية . ولم يَسُق هدياً . ثم عاد إلى الجعرّانة من ليلته ، فكان كبائتٍ بها .

---

(١) وِجدَة : من المَوْجِدَة وهي الغضب .

(٢) زيادة من كتب السيرة .

(٣) في (خ) « ولولا سلك » .

(٤) كذا في (ط) ؛ في (خ) ، و (الواقدي) جـ٣ ص ٩٥٨ : (وأبناء أبناء الأنصار) .

(٥) راجع (صحيح البخاري) جـ٣ ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ .

(٦) رَمَل : هرول .

مسيره إلى المدينة

وخرج يوم الخميس على سَرِف إلى مر الظهران ، واستعمل على مكة عتَّاب ابن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، وخلَّف معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري يعلمان الناس القرآن والتفقه في الدين . وقال لعتاب : أتدري على من استعملتك ؟ قال : الله ورسوله أعلم ! قال : استعملتك على أهل الله ، بلِّغ عني أربعاً : لا يصلحُ شرطان في بيع ، ولا بيعٌ وسلفُ ، ولا بيْع ما لم يضْمن ، ولا تأكل ربح ما ليس عندك[1] .

خبر الفتح بالمدينة

وكان أول من قدم المدينة بفتح حُنين رجلان من بني عبد الأشهل ، هما : الحارث بن أوْس ، ومعاذ بن أوس بن عبيد بن عامر[2] . وقدم ﷺ المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذي القعدة .

بعثة عمرو بن العاص إلى ابني الجلندي

وفي هذه السنة – وهي سنة ثمانٍ – بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعمرو ابني الجلندي بعمان مصدِّقاً ، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردها على فقرائهم ، وأخذ الجزية من المجوس ، وهم كانوا أهل البلد . وقيل : كان ذلك في سنة سبع . وفيها تزوّج ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابية ثم فارقها .

مولد إبراهيم عليه السلام

فيها ولدَتْ مارية إبراهيم ابن رسول الله ﷺ في ذي الحجة ، وفيها أقام عتاب ابن أسيد بالناس الحجّ ، وحج الناس على ما كانت عادة العرب تحجُّ ، وحج ناسٌ

---

(١) (سنن ابن ماجة) جـ٢ كتاب التجارات ، باب رقم ٢٠ في النهي عن بيع ما ليس عندك وعن ربح ما لم يضمن ، حديث رقم ٢١٨٧ ، ٢١٨٨ ، ٢١٨٩ ، ص ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، (المغازي) جـ٣ ص ٩٥٩ ، و (سنن النسائي) جـ٧ ص ٢٨٨ باب (بيع ما ليس عند البائع) .

(٢) لم أجد (معاذ بن أوس) هذا في (الإصابة) ولا في (الاستيعاب) ، وهكذا هو في (خ) .

من المشركين على مدَّتهم .

فريضة الصدقات وبعثه المصدقين

ثم كانت فريضة الصدقات وبعثه المصدِّقين لهلال المحرم سنة تسع ، فبعث رسول الله ﷺ بُريدة بن الحُصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح ابن عَديّ بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفصَى بن حارثة ابن عمرو بن عامر الأسلمي – إلى أسلم وغفار يصدِّقهم . [ويقال : بل بعث كعبَ بن مالك الأنصاري .. وبعث عبّاد بن بشْر الأشلهي إلى سُليم ومُزينة . وبعث عمرو بن العاص إلى فزارة . وبعث الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب الكلابي إلى بني كلاب ، وبعث بُسْر[1] بن سفيان الكعبي إلى بني كعب . وبعث ابن اللُّتْبيَّة الأزديَّ إلى بني ذُبيان . وبعث رجلاً من بني سعد إلى هُذيم على صدقاتهم .

خبر بسر على صدقات بني كعب

فحرج بسر[1] بن سفيان على صدقات بني كعب ، [ويقال : إنما خرج ساعياً عليهم نُعَيم بن عبد الله النَّحّام العَدويُّ] ، فجاء وقد حَلّ بنواحيهم من بني تميم : بنو عمرو بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، وهم يشربون علي غدير لهم بذات الأشظاظ ، [ويقال : على عُسفان] ، ثم أمر بجمع مواشي خُزاعة ليأخذ منها الصدقة ، فحشرت عليه خُزاعة الصدقة من كل ناحية ، فاستكثرت ذلك بنو تميم ، ومنعوا المصَدِّق وشهروا سيوفهم ، ففرَّ إلى المدينة ، وأخبر رسول الله ﷺ بذلك .

خبر خزاعة

وأما خُزاعةُ فإنها أخرجت التميميين من محالها إلى بلادهم وندب النبيُّ ﷺ الناس لحربهم ؛ فانتدب[2] عيينة بن حصن الفَزاري ، فبعثه في خمسين فارساً ليس فهم مهاجر ولا أنصاريّ . فسار إلى العرج وخرج في آثارهم ، حتى وجدهم قد عدلوا من السُّقيا يؤمون أرض بني سُلَيم ، فلما رأوا الجمع ولّوا ، وأخذ منهم أحد عشر

(١) في (خ) « بشر » .

(٢) انتدب : أسرع وبادر .

رجلا وإحدي عشر امرأة وثلاثين صبياً ، فجلبهم إلى المدينة فأمر ﷺ بهم فحبسوا في دار رَملة بنت الحارث .

وفـــد بني تميـم

وقَدِم وفد بني تميم ، وهو عشرة من رؤسائهم : عطارِدُ بن حاجب بن زرارة في سبعين ، والزِّبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن خلف[1] بن بهدلة بن عوف ابن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم البهدلي التيمي السعدي أبو عياش[2] . [وقيل أبو شذْرَة] ، وقيس بن عاصم بن سنَان بن خالد بن مِنْقَر المنقريُّ ، وقيس ابن الحارث ، ونُعيم بن سعد ، وعمرو بن الأهتم بن سِنان بن خالد بن منْقَر ، والأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مُجاشع بن دارم ، [والحُتاتُ ابن يزيد المجاشعيّ][3] ، ورباح بن الحارث بن مجاشع ، — [وكان رئيس الوفد : الأعور بن شامة العنبريّ][4] — ودخلوا المسجد قبل الظُّهر ، ورسول الله ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها ، وقد أذَّن بلالٌ والناس ينتظرون الصلاة فنادوا : يا محمد ! اخرج إلينا ! وشَهروا أصواتهم فخرج عليه السلام وقيل : إنما ناداه رجل واحدٌ : يا محمد إنّ قدحِي زَيْنٌ ، وإن شتمي شيْنٌ ! وأقام بلالٌ الصلاة ، فتعلقوا به يكلِّمونه ، فوقف معهم مليّاً ، ثم مضى فصلى بالناس الظهر : فلما انصرف إلى بيته ركع[5] ركعتين ، ثم خرج فجلس .

خطبة عطارد بن حاجب

وقَدَّموا عطارد بن حاجب خطيبهم فقال : الحمد لله الذي له الفضل علينا ، والذي جعلنا ملوكاً ، وأعطانا الأموال نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهلِ المشرق وأكثرهم مالا وأكثرهم عدداً . فمن مثلنا من الناس ؟ ألسنا برؤوس الناس وذوي[6] فضلهم ؟ فمن يفاخر . فليعدُد مثلَ ما عددنا . ولو شئنا لأكثرنا من الكلام ، ولكنا نستحي من الإكثار فيما أعطانا الله . أقول قولي هذا لأن نؤتي بقولٍ

---

(١) في (خ) « خالد » .
(٢) في (خ) « أبو هياش » .
(٣) في (خ) ما بين القوسين ما نصه « وحباب » وما أثبتناه من كتب السيرة .
(٤) زيادة من (ط) .
(٥) في (خ) « فركع » .
(٦) في (خ) « وذي » .

هو أفضل من قولنا .

جواب ثابت بن قيس

فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس : قم فأجب خطيبهم . فقام – وكان من أجهر الناس صوتاً – ومادري من ذلك بشيء ، ولا هيَّأ قبل ذلك ما يقول ، فقال : الحمد لله الذي السموات والأرض خلْقه ، قضي فيهنَّ[1] أمْرَه ووسع كلَّ شيءٍ علمه ، فلم يكن شيءٌ إلا من فضله ، ثم كان ما قدَّر أن جعلنا ملوكاً ، اصطفى لنا من خلْقِه رسولا ، أكرمهم نسباً وأحسنهم زياً ، وأصدقهم حديثاً . أنزل عليه كتابه ، وائْتَمَنَهُ على خَلْقه ، وكان خيرته من عباده ، فدعا إلى الإيمان فآمن المهاجرون من قومه وذوي رحمه[2] : أصبحُ الناس وجهاً ، وأفضلُ الناس فعالا . ثم كنا أول الناس إجابة حين[3] دعا رسول الله ، فنحن أنصار الله ورسوله ، نقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله . فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه في ذلك ، وكان قبله علينا يسيراً ، أقول قولي هذا واستغفر الله [لي ولكم و][4] للمؤمنين والمؤمنات . ثم جلس .

شعر الزبرقان بن بدر

وقالوا : يا رسول الله ائْذن لشاعرنا ، فأذن له ، فأقاموا الزِّبْرقان بن بدرٍ فقال :

نحن الكرام فلا حيٌّ يعادلنا[5] ... فينا الملوك وفينا تنْصَب البِيَعُ
وكم قَسَرْنا[6] من الأحياء كلِّهمُ ... عند النِّهابِ وفَضْل الخير يُتبَّع
ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا ... من السَّديف إذا لم يؤنس الفَزَع
[ثم ترى النَّاسَ تأتينا سَراتهم ... من كلِّ أرضٍ هُوِياً ثم تصطنع][7]
وننحر الكوم عبطاً في أرومتنا ... للنازلين إذا ما أنزلوا شَبعوا
[فلا ترانا إلى حيٍّ نفاخرهم ... إلا استقادوا ، فكاد الرأس يُقتطع

---

(١) في (خ) « فيهما » .
(٢) في (خ) « وذي رحمة » .
(٣) في (خ) « حنين » .
(٤) زيادة من (ابن كثير) وفي (خ) و (الواقدي) بدون هذه الزيادة .
(٥) في (خ) ، (الواقدي) « نحن الملوك فلا حي يقاربنا » وما أثبتناه من (تاريخ الطبري) جـ٣ ص ١١٦ .
(٦) في (خ) « قرنا » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٧٧ .
(٧) زيادة من (تاريخ الطبري) جـ٣ ص ١١٧ .

فمن يقادرنا في ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والأخبار تُسْتمع][1]
إنا أبينا ولا يأبى لنا أحدٌ[2] ... إنا كذلك عند الفخر[3] نرتفع
تلك المكارم حزناها[4] مقارعة ... إذا الكرام على أمثالها اقترعوا

شعر حسان

وقال رسول الله ﷺ : يا حسان ! أجبهم . فقال :

إنَّ الذَّوائب من فهرٍ وإخوتهم ... قد بينوا[5] سنة للناس تُتبَّعُ
يَرْضى بها كلُّ من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوَّهم ... أو حاولوا النفع في أشياعهم نَفعُوا
سجيَّةٌ تلك منهم غير محْدَثة ... إن الخلائق فاعلم شرها البدعُ
لا يرقع الناس ما أوهبت أكفّهم ... عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
ولا يضنون عن جارٍ بفضلهمُ ... ولا ينالهمُ من مطمع طَبع[6]
إن كان في الناس سباقون بعدهمُ ... فكل سبق الأدنى سبقهم تبعُ
أكرمْ بقوم رسول الله شيعتهم ... إذا تفرقتْ الأهواء والشيعُ
أعفَّةٌ ذُكرِتْ في الوحي عفتهمُ ... لا يطمعون ولا يرديهم طمعُ
كأنهم في الوغى والموت مكتنعٌ ... أسْدٌ ببيشة في أرساغها فَدَع[7]
لا فخر إن هم أصابوا من عَدوِّهم ... وإن أصيبوا فلا خُوَرٌ ولا جزُع[8]
إذا نصبْنا لحيٍّ[9] لم نَدِبَّ لهم ... كما يَدبُّ إلى الوحشيَّة الذُّرعُ

---

(١) زيادة من (تاريخ الطبرى) جـ ٣ ص ١١٧ .

(٢) في (خ) « إذا أتتنا فلا يناما أحد » .

(٣) في (خ) « الفجر » .

(٤) في (خ) « خرناها » .

(٥) في (خ) « قد شرعوا » وما أثبتناه من (ديوان حسان) ص ٢٣٨ .

(٦) في (خ) « طبعوا » وما أثبتناه من (الديوان) ص ٢٣٨ . وفي (ابن هشام وتاريخ الطبري) :
لا يبخلون على جار بفضلهمُ ... ولا يمسهم من مطمع طبع

(٧) في (خ) « فرع » .

(٨) في (خ) « لا فرح إن أصابوا في عدوهم » وما أثبتناه من (الديوان) ص ٢٣٩ ورواية (الواقدي) « لا يفخرون إذا نالوا عدوهم » جـ٣ ص ٩٧٨ .

(٩) في (خ) « وإن أصبنا » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٧٨ .

نسمو إلى الحرب نالتنا مخالبها إذا الزعانف من أظفارها خشعوا[1]
خذ منهمُ ما أتَوْا عفواً إذا غضبوا ولا يكن همُّك الأمرَ الذي منعوا[2]
فإن في حربهم فاترك عداوتهم سمّاً غريضاً عليه الصاب والسَّلَعُ
أهدَى لهم مَدحَه قلبٌ يؤازره فيما أحبَّ لسانٌ حائك صَنَعُ
فإنهم أفضل[3] الأحياء كلهمُ إن جدَّ بالباس جدُّ لقول أو شمَعوا[4]

فسُرَّ رسول الله ﷺ والمسلمون بمقام ثابت وحسَّان ، وخلا الوفد فقالوا : إن هذ الرَّجل مؤيد مصنوع له - [وفي رواية : إن هذا الرجل لمؤتَّى له] - والله لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولهو أحلم منا ! فأسلموا ، وكان الأقرع [بن حابس][5] أسلم قبل ذلك .

ما نزل من القرآن في وفد بني تميم

وفيهم نزل قول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالُكم وأنتم لا تشعرون * إن الذين يغضُّون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم * إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم** ﴾[6] .

رد أسرى بني تميم

فرد عليهم ﷺ الأسْرى والسَّبي . ويقال : سألوه أن يحسن إليهم في سبيهم ، فقال لسَمِرَة بن عمرو : هذا يحكم بيننا وبينكم ! فقالوا : عمه فينا وهو أفضل منه !

---

(١) في (خ) « من أطرافها خشع » وهي رواية الواقدي ، وما أثبتناه من (الديوان) .
(٢) في (خ) « الذي منه » والتصويب من (الديوان) .
(٣) في (خ) « فإن أفضل » وما أثبتناه من (الديوان) .
(٤) في (ط) « أو سمعوا » وصوابها « شمعوا » بالشين المعجمة وهي رواية (خ) ، (الواقدي) . ومعنى شمعوا : أي هزلوا ، وأصل الشمع الطرب واللهو .
(٥) زيادة للإيضاح من (ط) .
(٦) الآيات ٢ - ٥ من سورة الحجرات ، وفي (خ) ﴿ **فوق صوت النبي** .... ﴾ الآية .

فأبى النبي ﷺ . فحكم سمرة أن يمنّ على الشطر ويفدوا الشطر ، ففعل .

رئيس وفد بني تميم

كان رئيسهم الأعور بن بشامة العنبري ، وكانت أخته صفية سُبيت ، فعرض النبيُّ عليها نفسه فاختارت زوجها ، فردها . وقام عمرو بن الاهتم يومئذ يهجو قيس ابن عاصم ، وقد أجازهم النبيُّ ﷺ كما كان يجيز الوفود إذا قدموا عليه ، وقال : هل بقى منكم من لم نجزه ؟ فقالوا : غلامٌ في الرَّحل . فقال : أرسلوه نجزه ! فقال قيس بن عاصم : إنه غلامٌ لا شرف له ! فقال : وإن كان ، فإنه وافد وله حقٌ !! فقال عمرو[١] شعراً يريد به قيساً . وكانت جوائزهم على يد بلال رضي الله عنه : لكل واحد ثنتي عشر أوقية ونصف ، ولغلامٍ هو أصغرهم خمس أواقي .

بعثة الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق

ثم كانت بعثة الوليد بن عقبة [بن أبيُ معيط][٢] إلى بني المصطلق ليأخذ صدقاتهم ، فخرجوا يلقونه بالجُزُر والغنم فرحاً به ، فولّي راجعاً إلى المدينة ، وأخبر أنهم يلقونه بالسلاح ليحُولوا بينه وبين الصدقة . فبلغهم ذلك عنه ، فقدم وفدهم وقالوا : يا رسول ! سل هل ناطَقنا أو كلمنا ؟ فنزلت فيه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾[٣] ، فقرأها عليهم رسول الله ﷺ ، وقال : من تحبون أن أبعث إليكم ؟ قالوا : عبَّاد بن بشر ، فخرج معهم يُقرئهم القرآن ويعلمهم شرائع الإسلام ، وقد قال له : خذ صدقات أموالهم ، توقَّ كرائم أموالهم . فأقام عندهم عشراً ثم انصرف راضياً .

سرية قطبة بن عامر إلى خثعم

وكانت سرية قطبة بن عامر إلى خثعم في صفر سن تسع ، فخرج في عشرين رجلاً معهم عشرة أبعرة يتعقبوها ، [فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم ، فجعل يصيح بالحاضر ويحذرهم . فضربواعنقه ، ثم أمهلوا حتى نام الحاضر فشنُّوا عليهم الغارة ، فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعاً : وقتل قطبة

---

(١) في (خ) « عمر » . (٢) زيادة للبيان من (ط) . (٣) الآية ٦ / الحجرات .

ابن عامر مَنْ قتل ، وساقوا النعَم والشاء والنساء إلى المدينة : وجاءَ سيْلٌ أتِيٌّ[1] فحال بينهم وبينه ، فما يجدون إليه سبيلا . وكانت سهمانهم أربعة أبعرة أربعة أبعرة ، والبعير يُعدل بعشر من الغنم بعد أن أخرج الخُمُس][2] .

سرية الضحاك بن سفيان إلى بني كلاب

وكانت سرية الضحاك بن سفيان[3] بن عوف بن أبي بكر بن كلاب الكلابيّ إلى بني كلاب ، فدعاهم إلى الإسلام فأبَوْا ، فقاتلهم بمن معه وهزمهم[4] وذلك في ربيع الأوَّل .

كتاب رسول الله ﷺ إلى بني حارثة بن عمرو

وكتب ﷺ إلى بني حارثة بن عمرو بن قريظ يدعوهم إلى الإسلام مع عبد الله ابن عوْسَجة من غُرينة[5] ، مستهلَّ ربيع الأول ، فأخذوا[6] الصحيفة فغسلوها ورقعوا بها دَلْوَهم ، وأبوا أن يجيبوا ، فقال ﷺ – لما بلغه ماالهم ذلك –: ما لم ؟ أذْهَب الله عقولهم ! فصاروا أهل رِعْدة وعَجلة وكلامٍ مختلط ، وأهل سفهٍ .

وقدِم وفد بَليٍّ في ربيع الأول هذا ، فنزلوا على رُوَيْفَع [بن ثابت][7] البلويِّ .

خبر رعية السحيمي

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا عبيد الله بن موسى قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحٰق ، عن الشَّعبي : أن رسول الله ﷺ كتب إلى رعْية السُّحَيْمي بكتاب ، فأخذ الكتاب فرقع به دلوهُ . فبعث رسول الله ﷺ سرية فأخذوا أهله وماله ، وأفلت رِعْية – على فرسٍ له – عرياناً ليس عليه شيء فأتى ابنته – وكانت

---

(١) السيل الأتي الذي لا يُدرى من أين أتي !!

(٢) ما بين القوسين زيادة لتمام الخبر من (ابن سعد) جـ٢ ص ١٦٢ .

(٣) في (خ) « إلى سفيان » . (٤) في (خ) « وهربهم » .

(٥) في (خ) « بن عرينة » .

(٦) في (خ) « فأخذ » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ٩٨٢ .

(٧) زياد للإيضاح من (ط) .

متزوِّجة في بني هلال ، وكانوا أسلموا فأسلمتْ معهم ، وكانوا دعوه إلى الإسلام [فأبى][1] – وكان مجلس القوم بفناء بيتها ، فأتى البيت من وراء ظهره . فلما رأته ابنته عرياناً ألقت عليه ثوباً وقالت : مالك ؟ قال كلُّ الشرِّ ! ما تُرك لى أهل وَلا مال ! أين بعلك ؟ قالت : في الإبل ! فأتاهُ فأخبرهُ ، فقال : خذْ راحلتي برحلها ، ونزودك من اللبن : قال : لا حاجة لي فيه ، ولكن أعطني قَعودَ[2] الرّاعي وإدواة من ماءٍ[3] ، فإني أبادر محمداً لا يقسم أهلي ومالي ! فانطلق وعليه ثوب : إذا غطى به رأسه خرجت إسته ، وإذا غطى إسته خرج رأسه . فانطلق حتى دخل المدينة ليلاً ، فكان بحذاء[4] رسول الله ﷺ . فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر ، قال له : يا رسول الله ! أبسط يدك لأبايعك ! فبسط رسول الله ﷺ ، فلما ذهب رِعْية يمسح عليها ، قبضها رسول الله ﷺ ، ثم قال له رعية : يا رسول الله ! أبسط يدك ، قال : ومن أنت ؟ قال رعية السحيْميُّ ! قال : فأخذ رسول الله ﷺ بعضده فرفعه[5] ثم قال : أيها الناس ! هذا رعية السحيمي الذي كتبت إليه فأخذ كتابي فرقع بها دلوه !! أسلم ، ثم قال : يا رسول الله ! أهلي ومالي ! فقال : أما مالك فقد قسم بين المسلمين ، وأما أهلك فانظر من قدرْت عليه منهم ! قال [رعية][6] ، فخرجت فإذا ابنٌ لي قد عرف الراحلةَ ، وإذا هو قائمٌ عندها ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : هذا ابني ! فأرسلَ معى بلالا فقال : انطلق معه فسله : أبوك هو ؟ فإن قال نعم ، فادفعه إليه ، قال [رعية][7] : فأتاه بلالٌ فقال : أبوك هو ؟ قال : نعم ، فدفعه إليه . قال : فأتي بلالٌ رضي الله عنه النبي ﷺ فقال : والله ما رأيت واحداً منه مستعبِراً إلى صاحبه ! فقال رسول الله ﷺ : ذلك جفاء الأعراب !

وقال أبو عمر بن عبد البر رعية السُّحَيْميُّ ، [ويقال : الرَّبَعِي ، ويقال العُرَنيُّ وهو الصواب . يروي أنه من سحيمة عرينة] كتب إليه رسول الله ﷺ قطعة أدَمٍ ،

---

(١) في (خ) بعد قوله « دعوه إلى الإسلام » ما نصه : « فأتي ابنته » ، وما أثبتناه من (ط) .
(٢) القعود في الإبل : ما يتخذه الراعي للركوب وحمل متاعه وزاده .
(٣) الإدواة : إناء صغير من جلد يتخذ للماء .
(٤) في (خ) « بجدار » .
(٥) في (خ) « فرفعها » .
(٦) زيادة للسياق والإيضاح من (ط) .
(٧) زيادة للبيان والإيضاح من (ط) .

فرقع دَلْوَهُ بكتاب رسول الله ﷺ ، فقالت له [ابنته][1] ما أراك إلا ستصيبك قارعة ! عمدت إلى كتاب سيد العرب فرقعت به[2] دلوك ؟ [وكانت ابنته قد تزوجتْ في بني هلال وأسلمت][3] ، وبعث إليه رسول الله ﷺ خيلا . فأخذوا أهله وماله وولده [ونجا هو عرياناً][3] ، فأسلم . وقَدِمَ على النبي ﷺ فقال : أُغيرَ على أهلي ومالي وولدي ! فقال رسول الله ﷺ : أما المال فقد اقتسم ، ولو أدركته قبل أن يقسم كنت أحق به ! وأما الولد ، فاذهب معه يا بلال ، فإن عرفه[4] ولده فادفعه إليه ، فذهب معه فأراه إياه ، فقال لابنه ، تعرفه ؟ قال : نعم ! فدفعه إليه .

سرية علقمة بن مجزر إلى الشعيبة

ثم كانت سرية علقمة بن مُجزر المُدْلَجِي في ربيع الآخر - في ثلاثمائة رجل - إلى ساحل البحر بناحية مكة وقد ترايا أهل[5] الشعيبة ناساً من الحبشة في مراكب . [فانتهى علقمة وأصحابه إلى جزيرة في البحر ، وقد خاض إليهم البحر][6] ، ففروا منه ، فرجع . واستأذنه بعض جيشه في الانصراف فأذن لهم . وأَمَّر عليهم عبد الله ابن حذافة السَّهْميَّ - وكانت فيه دُعابةٌ - فأمر أصحابه أن يتواثبوا في نار[7] لهم ، فلما أرادوا ذلك قال : إنما كنت أضحك معكم ! فلما ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : من أمركم بمعصيةٍ فلا تطيعوه .

سرية علي بن أبي طالب إلى الفُلْس صنم طيء

ثم كانت سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلْس - صنم طيء - ليهدمه ، في ربيع الآخر ، في خمسين ومائة رجل من وجوه الأنصار ، على مائة بعير وخمسين فرساً ، حتى أغاروا على أحياء من العرب ، وشنوا الغارة مع الفجر على

---

(١) زيادة من (الاستيعاب) جـ٣ ص ٣٠٣ .
(٢) في (خ) « رقعت به » .
(٣) زيادة من (ط) نقلها عن (أسد الغابة) .
(٤) في (خ) « فإن عرف والده » هو فاسد المعنى .
(٥) في (خ) « يراما » وفي (ابن سعد جـ٢ ص ١٦٣ « تراياهم أهلُ جُدَّة » .
(٦) زيادة من (ط) لتمام المعنى .
(٧) في (خ) « على نار » وما أثبتناه حق السياق .

محلة آل حاتم ، فسَبَوْا حتى ملأوا أيديهمْ من السَّبي والنعم والشاء . وهدم عليٌّ رضي الله عنه الفلس صنم طيء وخرَّب ، ثم عاد . وكانت رايته سوداء ، ولواؤه أبيض ، ويحمل الراية سهل بن حنيف ، واللواء جَبَّار بن صخر السُّلمي ، ودليله حريث من بني أسد . وكان فيمن سبي سَفَّانة بنت حاتم الجواد بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امريء القيس بن أخْزَم بن أبي أخزم بن ربيعة بن نُثل بن جَرْوَل بن عمرو بن الغوث بن طيء ؛ ومن[1] أسر أسلم ، ووجد في بيت الفلس ثلاثة أسياف : رَسوبٌ والمِخْذم[2] واليماني وثلاثة أدراع . واستعمل على السبي أبا قتادة ، وعلى الماشية والرِّثَّة[3] عبد الله بن عتيك . وقسم السبي والغنائم إلا آل حاتم فإنه قدم بهم المدينة ، وبالخمس مما غنموا ، وبالأسياف الثلاثة صفيًّا لرسول الله ﷺ .

خبر سفانة بنت حاتم الطائي

فنزلت [سفّانة بنت حاتم][4] أخت عَدِي بدار رَملة بنت الحارث . وكان عديّ بن حاتم قد فرَّ — لما سمع بحركة عليّ رضي الله عنه — إلى الشأم ، فكانت أخت عدي إذا مرَّ النبيُّ ﷺ تقول : يا رسول الله ! صلى الله عليك وسلم ! هلك الوالد وغابَ الوافد فامنن علينا منَّ الله عليك ! فيسألها : من وافدك ؟ فتقول : عدي ابن حاتم ! فيقول : الفارُّ من الله ورسوله ؟! حتى يئستْ . فلما كان اليوم الرابع مرَّ[5] ، فأشار إليها عليٌّ رضي الله عنه : قومي فكلميه ؟ فكلمته فخلى عنها وَوَصلها . فأتت أخاها عدي بن حاتم — وقد لحق بالشأم — فحسنتْ له أن يأتي رسول الله ﷺ ، فقدم المدينة وأسلم ، وله في إسلامه قصةٌ .

موت النجاشي

وفي رجب سنة تسع نعي رسولُ الله ﷺ النجاشيَّ للمسلمين ، وصلى عليه بمن معه في اليوم الذي مات فيه ، على بُعد ما بين الحجاز وأرض الحبشة ، فكان ذلك علماً[6] من أعلام النبوة كبيراً[6] .

---

(١) في (خ) « وممن » .
(٢) في (خ) « والمحرم » .
(٣) الرثة : المتاع ، وهي في (خ) « والورثة » .
(٤) زيادة للإيضاح من (ط) .
(٥) في (خ) « مر يتكلم » .
(٦) في (خ) « علم » ، « كبير » .

غـزوة تبـوك

ثم كانت غزوة تبوك – وتسمي غزوة العُسْرة[١] – في غرة رجب ، وسببها أن أخبار الشأم كانت بالمدينة عند المسلمين ، لكثرة من يقدم من الأنباط بالدَّرْمك[٢] والزيت ، فذكروا أن الرُّوم قد جمعت جموعاً كثيرة[٣] بالشأم ، وأن هرقل قد رَزَق أصحابه لسنة ، وأقبلت مع لَخْمٌ وجُذام[٤] وغسَّان وعامِلة ، وزحفوا ، وقدموا مقدِّماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها ، وتخلف هرقل بحمص . ولم يكن ذلك ، إنما ذلك شيء قيل لهم فقالوه .

الخبر عن الغزو والبعثة إلى القبائل

وكان رسول الله ﷺ لا يغزو غزوة إلا ورَّي بغيرها – لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا – حتى كانت غزوة تبوك فغزاها في حرٍّ شديد . واستقبل سفراً بعيداً ، وعدداً كثيراً ، فجلى[٥] للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته ، وأخبرهم بالوجه الذي يريد . وبعث إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى عدوهم . فبعث بُرْيدة ابن الحُصيب وأمره أن يبلغ الفُرْع ، وبعث أبا رُهم الغِفاري إلى قومه ، وأبا واقدٍ اللَّيثيّ إلى قومه ، وأبا جَعْدة الضَّمْريَّ إلى قومه بالساحل ، ورافع بن مَكيث ابن جُندب بن جُنادة إلى جُهينة ، ونعيم بن مسعود إلى أشجع ، وبُدَيل بن ورقاء وعمرو بن سالم وبُسْرَ بن سفيان إلى بني كعب بن عمرو ، والعباس بن مرداس إلى بني سليم . وحضَّ على الجهاد ورغَّب فيه .

صدقات المسلمين للغزو

وأمر بالصدقة فحملت صدقاتٌ كثيرة . وأول من حمل صدقته أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، جاء بماله كله أربعة آلاف درهم ، فقال له رسول الله ﷺ . هل أبقيت شيئاً ؟ قال : الله ورسوله ! وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله ، فقال

---

(١) في (خ) « العشرة » .
(٢) الدرمك : الدقيق الأبيض الجيد الخالص .
(٣) في (خ) « كبيرة » . (٤) في (خ) « خدام » .
(٥) في (خ) « وحكى » ، وجليّ الأمر : أظهره وأبانه .

له رسول الله ﷺ هل أبقيت شيئاً ؟ قال : نعم ، نصف مالي ما جئت به . وبلغ عمر ما جاء به أبو بكر رضي الله عنه فقال : ما استبقنا إلى خيرٍ إلا سبقني إليه . وحمل العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه مالاً يقال إنه تسعون ألفاً . وحمل طلحة ابن عبيد الله مالاً . وحمل عبد الرحمن بن عوف مائتي أوقية . وحمل سعد بن عُبادة ومحمد بن مسلمة[1] مالاً . وتصدق عاصم بن عَديٍّ بتسعين وسقاً[2] تمراً ، وجهز عثمان بن عفان رضي الله عنه ثلث ذلك الجيش ، فكان من أكثرهم نفقةً ، حتى كفي ثلث ذلك الجيش مؤنتهم ، حتى إن كان ليقال : ما بقيت له حاجة !! فجاء بألف دينار ففرغها في حجر النبي ﷺ ، فجعل يقلبها ويقول ﷺ : ما ضرَّ عثمانَ ما فعل بعد هذا اليوم ! قالها مراراً .

ورغب عليه السلام أهل الغني في الخير والمعروف ، فتبادر المسلمون في ذلك ، حتى إن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين ويقول : هذا البعير بينكما تعتقبانه ؛ ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من يخرج .

صدقات النساء

وأتت النساء بكل ما قدرن عليه ، فكن يلقين - في ثوب مبسوط بين يدي النبي ﷺ - المَسَك ، والمعاضد والخلاخل ، والأقرطة ، والخواتيم ، والخدمات[3] . وكان الناس في حرٍ[4] شديدٍ ، وحين طابت الثمار ، وأُحِبَّتْ الظلال ؛ والناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص عنها . وأخذ ﷺ الناس بالجد وعسكر بثنية الوداع ، والناس كثيرٌ لا يجمعهم كتاب .

خبر المخلفين

وقال ﷺ للجدِّ بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عَديّ ابن غنم بن كعب بن سَلِمَة الأنصاري : أبا وهب ! هل لك العام تخرجَ معنا لعلك تحتقب من بنات الأصفر[5] ! قال أو تأذن لي ولا تفتنيٍّ ؟ فوالله لقد عرف قومي ما أحدٌ أشدُّ عُجباً بالنساء منيٍّ ، وإني لأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا

---

(١) في (خ) « بن سلمة » .
(٢) في (خ) « وستا » .
(٣) سبق شرح معاني هذه الألفاظ .
(٤) في (خ) « في عسر شديد » .
(٥) بنات الأصفر : بنات الروم الكاثوليك .

أصبر عنهنَّ . فقال : قد أذنت لك ! فجعل يَثبط قومه ويقول : لا تنفروا في الحرِّ . فنزل فيه قوله تعالى : **﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحرِّ قلْ نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون ﴾**[1] .

وقوله تعالى : **﴿ ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا وإن جنهم لمحيطة بالكافرين ﴾**[2] .

البكــاءون

وجاء البكاءون – وهم سبعةٌ : أبو ليلى المازنيُّ ؛ وسلمة بن صخرٍ الزُّرقيُّ ، وثعلبة بن غنمة السُّلمي ، وعُلبة بن زيد الحارثي ، والعرباض بن سارية السُّلمي ، وهرمي بن عمر المزني وسالم بن عمير . [وقيل : وإن فيهم عبد الله بن المغَفَّل ومعقل ابن يسار . وقيل : البكاءون بنو مقرِّن السَّيِّمة ، وهم من مزينة] – يستحملون رسول الله ﷺ ، وكانوا أهل حاجةٍ فقال : لا أجد ما أحملكم عليه فولَّوْا يبكون[3] فلقي اثنان منهم يامين بن عُمير بن كعب [بن عمر بن عمرو بن جحاش النضْري][4] فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا إلى رسول الله ﷺ ليَحْملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى[5] به على الخروج ، ونحن نكره أن تفوتنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ . فأعطاهما ناضحاً له[6] فارتحلاه ، وزوَّد كلَّ واحدٍ صاعين من تمر . وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين ، وحمل عثمان ابن عفان منهم ثلاثة .

النهي عن خروج أصحاب الضعف

وقال ﷺ : لا يخرجنَّ معنا إلا مُقْوٍ[7] . فخرج رجلٌ على بكر صعب[8]

---

(١) الآيتين ٨١ – ٨٢ التوبة ، وفي (خ) **﴿ ... وقالوا لا تنفروا في الحر ﴾** ، الآية .

(٢) الآية ٤٩ / التوبة ، وفي (خ) « .... ولا تَفْتِنِّي ، الآية » .

(٣) خبر البكائين في سورة التوبة ، الآية ٩٠ وما بعدها .

(٤) في (خ) « مكان ما بين القوسين « بن عمرو بن جحاش النضري » ، وما أثبتناه من (ط) .

(٥) في (خ) « تقوى » . (٦) الناضح : البعير الذي يحمل عليه الماء .

(٧) في (خ) « نقوى » ، يقال : رجلُ مقوٍ : أي : ذو دابة قوية . (٨) الصعب : الذي لا ينقاد .

فصرعه بالسويداء ، فقال الناس : الشهيدَ الشهيدَ !! فبعث رسول الله ﷺ منادياً ينادي : لا يدخل الجنة إلا مؤمن - [وإلا نفسٌ مؤمنة] - ، ولا يدخل الجنة عاصٍ .

المنافقون

وجاء ناسٌ من المنافقين يستأذنون رسول الله ﷺ من غير علةٍ فأذن لهم ، وهم بعضة وثمانون رجلا . وجاء المعذرون[1] من الأعراب فاعتذَروا وهم نفرٌ من بني غفار فيهم خُفاف بن إيماء بن رَحضَة ، اثنان وثمانون رجلاً فلم يعذرهم الله ، وجاء عبد الله بن أبيّ بن سلول بعسكره - معه حلفاؤه من اليهود والمنافقين - فضربه عل ثنية الوداع . فكان يقال : ليس عسكر ابن أبيٍّ بأقل العسكرين .

وكان رسول الله ﷺ يستخلف على العسكر أبا بكر رضي الله عنه ، فلما أجمع المسير استخلف على المدينة سِباع بن عُرْفُطة الغفاريّ ، [وقيل محمد ابن مسلمة] .

تخليف علي بن أبي طالب

وخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه علي أهله ، فقال المنافقون : ما خلفه إلا استقلالاً له ! فأخذ سلاحه ولحق رسول الله ﷺ بالجُرْف وأخبره ما قالوا ، فقال : كذبوا ! إنما خلَّفتُك لما ورائي ! فارجع فاخلفني في أهلي وأهلكَ ، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبيَّ بعدي ، فرَجَع .

الأمر بحمل النعال

وسار عليه السلام وقال : استكثروا من النعال ، فإن الرجل لا يزال راكباً مادم منعلاً .

تخلف المنافقين

فلما سار تخلف ابن أبيّ فيمن تخلف من المنافقين وقال : يغزو محمدٌ بني

---

(١) المعذرون : الذين يعتذرون ، ولا عذر لهم على الحقيقة .

الأصفر – مع جهد الحال والحر والبلد البعيد – إلى مالا قبل له به ؟! يحسب محمدٌ أن قتال بني الأصفر اللعب ؟! ونافق بمن معه ممن هو على مثل رأيه ، ثم قال : والله لكأني أنظر إلى أصحابه غداً مقرنين في الحبال .

الألــوية

فلما رَحل رسول الله ﷺ من ثَنيَّة الوَداع عقد الألوية والرايات . فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر رضي الله عنه ، ورايته العظمي إلى الزبير ، وراية الأوس إلى أسيْد بن الحُضير ، ولواء الخزرج إلى أبي دُجانة ، [ويقال : إلى الحباب بن المنذر ابن الجموح] ، وأمر كل بطنٍ من الأنصار والقبائل من العرب أن يتخذوا لواءً أو راية .

خبر العبد المملوك

فلقيه عبدٌ لامرأة من بني ضمرةَ وهو متسلح ، فقال : أقاتل معك يا رسول الله ؟ فقال : وما أنت ؟ قال ، مملوكٌ لامرأة من بني ضمرة سيئة المَلَكة[1] فقال : إرجع إلى سيِّدتك ! لا تقتلْ معي فتدخل النار !!

عدة المسلمين

وسار معه ثلاثون ألفاً ، وعشرة آلاف فرسٍ ، واثنا عشر ألف بعير . وقال أبو زُرْعة : كانوا سبعين ألفاً . وفي رواية : أربعين ألفاً .

تخلف نفر من المسلمين

وتخلف نفرٌ من المسلمين أبطأت بهم النيةُ من غير شك ولا ارتياب ، منهم : كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين[2] بن كعب بن سواد بن غنم ابن كعب بن سلمة الأنصاريُّ ، وهلال بن أمية الواقفيُّ ، وأبو خيثمة عبد الله ابن خيثمة السالميُّ ، ومرارة بن الربيع العمري ، ثم إن أبا خيثمة أدرك رسول الله ﷺ بتبوك .

(١) وفي الحديث : « لا يدخل الجنة سيء الملكة » أي الذي يسيء صحبة مماليكه وعبيده .

(٢) في (خ) « القيس » .

وكان دليله عليه السلام علقمة بن الغفواء[1] الخزاعي . وجمع – من يوم نزل ذا خشب – بين الظهر والعصر في منزله : يؤخر الظهر حتى يبرد ويعجِّل العصر، ثم يجمع بينهما . فكان ذلك فعله حتى رَجع من تبوك .

المتخلفون

ولما مضى من ثنية الوداع ، جعل يتخلف عنه قومٌ ، فيقولون : يا رسول الله ! تخلف فلانٌ ! فيقول : دعُوه ! فإن يكُ فيه خيرٌ فيُلحِقه الله بكم ، وإن يكُ غير ذلك فقد أراحكم الله منه . وخرج معه ناسٌ من المنافقين كثير ، لم يخرجوا إلا رجاء الغنيمة .

خبر أبي ذر

وأبطأ أبو ذرٍ رضي الله عنه من أجل بعيره : كان نضْواً أعجف[2] ، ثم عجز فتركه وحمل متاعه على ظهره : وسار ماشياً في حرٍ شديد وحده ، حتى لحق رسول الله ﷺ نصف النهار وقد بلغ منه العطش ، فقال له : مرحباً بأبي ذر ! يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ! ما خلفك ؟ فأخبره خبر بعيره ، فقال : إن كنت لمن أعزِّ أهلي عليَّ تخلُّفاً ! لقد غفر الله لك بكلِّ خطوة ذنباً إلى أن بلغتني .

خبر أبي رهم

وسايرهُ أبو رهم – كلثوم بن الحصين الِغفاري – ليلة فألقى عليه النُّعاس ، فزاحمتْ عليه راحلته راحلة رسول الله ﷺ – ورجله في الغَرْز – فما استيقظ إلا بقوله : حسِّ[3] ! فقال : يا رسول الله ، استغفر لي ، فقال : سر ! وجَعل يسأله عمَّن تخلَّف من بني غفارٍ ويخبره ، فقال : ما منع أَحَدَ أولئك حين تخلف أن يحمل علي بعيره رجلاً نشيطاً في سبيل لله ممَّن يخرج معنا ، فيكون له مثل أجر الخارج! إن كان لمن أعَزِّ أهلي عليَّ أن يتخلف عنِّي : المهاجرون من قريش والأنصارُ وغِفارُ وأسلم .

---

(١) في (خ) « الغفراء » . لم أجده فيمن اسمه علقمه وأثبتناه من المغازي ص ٩٩٩ .
(٢) النضو : الأعجف : الذي أهزلته الأسفار وأذهب الجوع سمنه .
(٣) كلمة تقال للتوجع .

جهد المسلمين

ومرَّ على بعيرٍ قد تركه صاحبه من الضعف ، فمرَّ به مارٌّ فَعَلَفَهُ أياماً ثم حمله وقد صَلح ، فخاصمه فيه صاحبه ، فقال رسول الله ﷺ : من أحيا خُفاً أو كُراعاً بمهلكةٍ من الأرض فهو له . وشكوا إليه ﷺ ما بظهرهم من الجهد ، فتحين رسول الله ﷺ مضيقاً سارَ الناس فيه وهو يقول : مرُّوا باسم الله ، فجعل ينفح[1] بظهورهم وهو يقول : اللهم احمل عليها في سبيلك ، فإنك تحمل على القوى والضعيف ، والرطب واليابس ، والبر والبحر ! فلما بلغوا المدينة جعلت تنازعهم أزقتها بدعوته ﷺ .

وصلى يوماً بأصحابه وعليه جُبة صوف وقد أخذ بعنان فرسه ، فبَالَ الفرس فأصاب الجبة فلم يغسله . وقال : لا بأسَ بأبوالها ولعابها وعرقها . لكّن يعارضه قوله : استنزهوا من البول ، وهو أصحُّ .

مقالة المنافقين

وكان رَهطٌ من المنافقين يسيرون ، منهم : وديعة بن ثابت أخو بني عمرو ابن عوف ، والجلاس بن سويد بـن الصامت ، ومخشّي بن حُمَيِّر من أشجع حليف بني سلمة وثعلبة بن حاطب ؛ وقال ثعلبة : تحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم ؟ والله لكأني بكم غداً مقرنين في الحبال ! وقال وديعة بن ثابت : ما لي أرى قراءنا[2] هؤلاء أرغبنا [بطونا][3] ، وأكذبنا ألسنةً ، وأجبننا عند اللقاء ؟ قال الجُلاس بن سويد – زوج أم عمير[4] –: هؤلاء سادتنا وأشرافنا وأهل الفضل منا ، والله لئن كان محمدٌ صادقاً لنحن شرٌّ من الحمير ! ورسول الله ﷺ الصادق وأنت الكاذب ! وقال مخشي بن حمير : والله لو وددت أنِّي أُقاضَى على أن يضرب كل رجلٍ منا مائة جلدة ، وأننا ننفلت من أن ينزل فينا قرآن بمقالتكم !

وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر رضي الله عنه : أدرِك القوم فإنهم قد

---

(١) في (خ) « ينفخ » ، ينفح : يدفع .

(٢) في (خ) « قرانا » .

(٣) هذه الكلمة غير بينة في (خ) وفي (الواقدي) ، « أوعينا بطونا » جـ٣ ص ١٠٣ .

(٤) عمير بن سعد الأنصاري .

اخترقوا[1] . فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ! قد قلتم كذا وكذا !! فذهب إليهم فقال لهم ، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت - ورسول الله ﷺ على ناقته ، وقد أخذ بحقبها[2] - : يا رسول الله ! إنما كنا نخوض ونلعب ! فأنزل الله فيه : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفةٍ منكم نعذب طائفةً بأنهم كانوا مجرمين** ﴾[3] .

وقال مخشي بن حُميِّر : يا رسول الله ! قعد بي اسمي واسم أبي ! فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشي ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر .

وجاء الجلاس فحلفَ ما قال من ذلك شيئاً . فأنزل الله فيه : ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهمُّوا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يَك خيراً لهم وإن يتولوا يعذِّبْهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير** ﴾[4] .

وكان للجلاس ديةٌ في الجاهلية على بعض قومه - وكان محتاجاً - فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذها له فاستغنى بها .

وادي القـرى

ومرَّ رسول الله ﷺ في وادي القرى على حديقة امرأةٍ فقال : اخرصوها فجاء خَرْصها عشرة أَوْسُق[5] فقال لها : احفظي ما خرج منها حتى نرجع إليك .

---

(١) في (خ) « احترقوا : بالحاء المهملة » والأجود بالخاء ، من الاختراق ، وهو الاختلاق الكذب ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وخرقوا له بنين وبنات بغير علم** ﴾ ، راجع هامش (ط) ، وفي (زاد المعاد) جـ٣ ص ٩٣٦ « احترقوا » وأيضاً في (تاريخ الطبري) جـ٣ ص ١٠٨ .

(٢) الحقب : حزام يشد به البعير .

(٣) الآيتان ٦٥ ، ٦٦ / التوبة ، وفي (خ) ﴿ ... **نخوض ونلعب** ﴾ ، الآية .

(٤) الآية ٧٤ / التوبة ، وفي (خ) ﴿ **ولقد قالوا كلمة الكفر** ﴾ وقوله تعالى : ﴿ **وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله** ﴾ ، الآية .

(٥) الأوسق : جمع وسق ، وهو حمل بعير .

نزول الحجر وهبوب الريح

فلما أمسى بالحجر قال : إنها ستهبُّ الليلة ريحٌ شديدةٌ ، فلا يقومنَّ منكم أحدٌ إلا مع صاحبه ، ومن كان له بعيرٌ فليوثق عقاله ، فهاجت ريحٌ شديدةٌ ولم يقم أحدٌ إلا مع صاحبه ، إلا رجلين من بني ساعدة : خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيره . فأما الذي خرج لحاجته ، فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح فطرحته بجبل طيءٍ فأخبر عليه السلام خبرهما فقال : ألم أنهكم أن يخرج رجلٌ إلا معه صاحبٌ له ؟ ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر فإن طيِّئاً قدمت به إلى المدينة .

هدية بني عريض

وأهدى له عليه السلام بنو عريضٍ اليهودي هريساً فأكلها ، وأطعمهم أربعين وسقاً ، فلم تزل جارية عليهم[1] .

خبر بئر الحجر

واستقى الناس من بئر الحجر[2] وعجنوا ، فنادى منادى النبي ﷺ : لا تشربوا من مائها ولا توضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين فاعلفوه الإبل ، فجعل الناس يهريقون ما في أسقيتهم ؛ وتحوَّلوا إلى بئر صالح عليه السلام فارتوَوْا منها . وقال يومئذٍ : لا تسألوا نبيكم الآيات ! هؤلاء قوم صالحٍ سألوا نبيهم آية ، فكانت الناقة ترد عليهم من هذا الفجّ ، تسقيهم من لبنها يوم ورِدِها ما شربت من مائهم . فعقروها ، فأوعدوا ثلاثاً ، وكان وعد الله غير مكذوبٍ ، فأخذتهم الصيحة ، وقال يومئذٍ : لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلو عليهم فيصيبكم ما أصابهم .

وجاء رجل بخاتمٍ وجده في الحجر في بيوت المعذبين ، فأعرض عنه واستتر بيده أن ينظر إليه ، وقال : ألقه ! فألقاه .

وقال لأصحابه حين حاذاهم : إن هذا وادي القرى ! فجعلوا يوضِعون فيه

---

(١) في (خ) « فلم يزل حارثة عليهم ، وفي (الواقدي) جـ٣ ص ١٠٠٦ « فهي جارية عليهم » .

(٢) الحجْر : ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام .

ركابهم حتى خرجوا منه . وأوضع ﷺ راحلته .

قلة الماء ودعاء رسول الله بالمطر

وارتحل من وادي القرى فأصبح ولا ماء معهم ، فشكوا ذلك إليه ، فاستقبل القبلة ودعا – ولا يُرى في السماء سحابٌ – فما برح يدعو حتى تألف السحاب من كل ناحية ، فما رام مقامه حتى سحب عليهم السماء بالرواء . ثم كشف الله السماء من ساعتها والأرض غُدُرٌ[1] ، فسقى الناس وارتوَوْا من آخرهم ، فكبر رسول الله ﷺ وقال : أشهد أنّي رسول الله ! فقال عبد الله بن أبي حدردٍ لأوس ابن قيظي – ، [ويقال لزيد بن اللصيت القينقاعيّ] – وكان من المنافقين : ويحك !! بعد هذا شيء ؟ فقال : سحابةٌ مارةٌ .

خبر ناقة رسول الله التي ضَلَّتْ ومقالة المنافق

وارتحل عليه السلام فأصبح في منزل ، فضلَّت ناقته القصواء ، فخرج المسلمون في طلبها ، وكان زيد بن اللصيت أحد بني قينقاع ، وكان يهودياً فأسلم فنافق ، وكان فيه خبث اليهود وغشهم ، وكان مظاهراً لأهل النفاق ، وقد نزل في رحل عمارة بن حزم ، وعمارة عند رسول الله – فقال زيدٌ : أليس محمدٌ يزعم أنه نبيٌّ وهو يخبركم بأمر السماء ، ولا يدري أين ناقته ؟ وأنِّي والله لا أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني عليها ، وهي في الوادي في شعب كذا وكذا – لشِعبٍ به[2] – حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوا بها[3] . فذهبوا ، فجاءوا وقد وجدها الحارث بن خزَمة[4] الأشهلي ، كما قال عليه السلام . فرجع عمارة بن حزم إلى رحلة فقال : العجب من شيء حدَّثناه رسول الله آنفاً عن مقالة قائل أخبره الله عنه كذا وكذا !! – للذي قال زيدٌ – فقال أخوه عمرو بن حزم ولم يحضر رسول الله ﷺ : إن زيداً هو قائل هذه المقالة قبل أن تطلع علينا ! فأقبل عمارة بن حزمٍ على زيد بن اللُّصيت يجأه[5] في عنقه ويقول : إن في رحلي لداهية[6] وما أدري !! أخرج يا عدو الله من رَحلي ! فقال زيد : لكأني لم أسلم إلا اليوم ! قد كنت شاكّاً

---

(١) في (خ) « غدراً » ، وغدُر : جمع غدير وهو مستنقع الماء يغادره السيل .

(٢) في (خ) « لشعب إليه » . (٣) في (خ) « حتى بانوا » .

(٤) في (خ) « حزمة » . (٥) وجأ : لكز ووكز . (٦) في (خ) « أراهية » .

في محمد ، وقد أصبحت وأنا فيه ذو بصيرة ، أشهد أنه رسول الله ! فقيل : إنه تاب ، وقيل : لم يزل فسلا[1] حتى مات .

نبـوءة الفتـوح

وقال ليلةً وهم يسيرون : إن الله أعطاني الكَنزين : فارس والروم ، وأمدني بالملوكِ ملوك حمير : يجاهدون في سبيل الله ، ويأكلون فَيءَ الله[2].

تأخره ﷺ عن صلاة الصبح

ولما كان بين الحِجرْ وتبوك ذهب لحاجته - وكان إذا ذهب أبعدَ - ، فتبعه المغيرة بن شعبة بماء في إدواةٍ بعد الفجر ، فأسفر الناس بصلاتهم حتى خافوا الشمس ، فقدَّموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم . فلما فرغ ﷺ من حاجته ، صبَّ عليه المغيرة من الإدواة فغسل وجهه . ثم أراد أن يغسل ذراعيه فضاق كم الجبة - وكان عليه جُبة رومية - فأخرج يديه من تحت الجبة فغسلهما ومسح خفيه .

صلاة رسول الله ﷺ بصلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه

وانتهى إلى عبد الرحمن رضي الله عنه وقد ركع بالناس ركعةً ، فسبح الناس حين رأوا رسول الله ﷺ حتى كادوا أن يفتنوا ، فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكُص وراءه ، فأشار إليه عليه السلام : أن أثبت ! فصلى رسول الله ﷺ خلف عبد الرحمن ركعةً ، فلما جلس عبدالرحمن تواثب الناس ، وقام ﷺ للركعة الباقية ثم سلم بعد فراغه منها ، وقال أحسنتم ، إنه لم يُتوفَّ[3] نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته .

---

(١) الفسْل : الرديء الذي لا مروءة له .

(٢) في (خ) « في الله » بغير همز ، ونقله محقق (ط) بغير همز أيضاً مما أدى إلى فساد المعنى ، الأمر الذي جعله يقول : « ولم أجد الخبر » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ١٠١١ .

(٣) في (خ) « ولم يتوف » .

خبر الأجير ورجل من العسكر

وأتاه[١] يومئذ يَعْلَى بنُ منْية بأجير له قد نازع رجلاً من العسكر فعضه الرجل ، فانتزع الأجير يده من في[٢] العاضِّ فانتزع ثنيته ، فلزمه المجروح وبلغ به النبي ﷺ فقال : يعمِد أَحدُكم فيعَضُّ أخاه كما يعض الفحل ! فأبطل ﷺ ما أصاب من ثنيته .

نهيه ﷺ عن الشرب من عين تبوك حتى يقدم

وقال : إنكم ستأتون غداً إن شاء الله تعال عين تبوك : وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمسَّ من مائها حتى آتي ، فسبق رجلان من المنافقين إليها - والعين تبضُّ بشيء[٣] من ماء - فسألهما عليه السلام : هل مَسَسْتُما من مائها شيئاً ؟ قالا : نعم ! فَسَبَّهُمَا وقال لهما ما شاء الله أن يقول . ثم غرفوا من العين بأيديهم قليلاً حتى اجتمع في شيء ثم غسل فيه وجهه ويديه ثم أعاده فيها ، فجاءت العين بماء كثير فاستسقى الناس . ثم قال [لمعاذ بن جبل][٤] : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياةٌ أنْ ترى ما ها هنا قد مُلِيء جناناً ! وقال يوماً في مسيره : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حرمه الله على النار .

خبر الحية التي سلمت عليه ﷺ

وعارض الناسَ في سيرهم حيةٌ ذكر من عِظَمها وخلقها شيءٌ كثير ، فأقبلت حتى واقفت رسول الله ﷺ وهو على راحلته طويلاً ، والناس ينظرون إليها ، ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة ، فأقبل الناس حتى لحقوا رسول الله ﷺ ، فقال لهم : هل تدرون من هذا[٥] ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا إلَيَّ يستمعون القرآن ، فرأى عليه من[٦] الحق - حين ألَمَّ رسول الله بِبَلَدِهِ - أن يسلم عليه ، وها هو ذا يُقْرِئُكم السلام

---

(١) في (خ) « وأياه » .

(٢) من في : من فم .

(٣) بض الماء : إذ خرج قليلاً قليلاً .

(٤) زيادة للبيان من (ط) .

(٥) في (خ) « ما هذا » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص١٠١٥ .

(٦) في (خ) « من من » مكررة .

فسَلِّموا عليه ! فقال الناس جميعاً : وعليه السلام ورحمة الله ، فقال : أجيبوا عباد الله من كانوا .

رقاده ﷺ عن صلاة الفجر

ولما كان من تبوك على ليلة ، رقد[1] ﷺ فلم يستقيظ حتى كانت الشمس قِيدَ رُمح[2] ، فقال : يا بلال ، ألم أقل لك اكلأنا الليلة[3] ؟ فقال : يا رسول الله ذهبَ بيَ النوم ، ذهب بي الذي ذهب بك ! فارتحل عليه السلام من ذلك المكان غير بعيد ثم صلى ركعتين قبل الفجر ، ثم صلى الفجر ، ثم سار يومه وليلته فأصبح بتبوك فجمع الناس ثم قال :

خطبته ﷺ بتبوك

أيها الناس ، أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنن محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عواقبها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأحسن الهدي هدي الأنبياء ؛ وأشرف القتل قتل الشهداء ، وأعمى الضلالة الضلالة بعد الهدي ، وخير الأعمال ما نفع ، وخير الهدي ما أُتُّبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى . وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة . ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا نزرا ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هُجْراً . ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب . وخير الغني غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما ألقى في القلب اليقين ، والارتياب من الكفر . والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جمر جهنم ، والسُّكْر كِنٌّ من النار . والشِّعر من إبليس ، والخمر جماع الإثم ، والنساء حِبالة إبليس ، والشباب شعبة من الجنون ، وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المال أكل مال اليتيم ، والسعيد من وُعظ بغيره ، والشقىُّ من شقى في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربع أذرع والأمر إلى آخره ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الرُّؤيا رؤيا الكذب ، وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ . وسباب المؤمن فسوق ،

---

(١) كذا في (ط) وفي (خ) ، (والواقدي) جـ٣ ص ١٠١٥ « استوقد » .

(٢) أي قدر رمح في ارتفاعها . (٣) اكلأنا : احفظنا .

وقتل المؤمن كفر ، وأكل لحمه من معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه . ومن يتألّ[1] على الله يكذّبه ، ومن يعْفُ يَعْفُ الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرَّزية يعوِّضه الله . ومن يتتبع السُّمعة يسمِّع الله به[2] . ومن يصبر يضاعف الله له ، ومن يعص الله يعذِّبْه . اللهم اغفر لي ولأمتي . اللهم اغفر لي ولأمتي ، أستغفر الله لي ولكم .

عظته ﷺ وهو يطوف بالناس

وطاف على ناقته بالناس وهو يقول : يا أيها الناس ، يد الله فوق يد المعطي ، ويد المعطِي الوسطي ويد المعطَى السفلي ، أيها الناس ، فَتَغَنُّوْا ولو بحزم الحطب. اللهم هل بلغت ! ثلاثاً . فقال له رجلٍ من بني عذرة – يقال له عَدِي –: يا رسول الله ، إن امرأتين لي اقْتَتَلَتَا ، فرميت فأصبت إحداهما في رميتي ؟ [يعني ماتت] ، فقال له : تَعْقِلُها[3] ولا ترثها .

قوله ﷺ في أهل اليمن وأهل المشرق

ونظر بتبوك نحو اليمن ، ورفع يديه يشير إلى أهلها وقال : الإيمان يمانٍ ! ونظر نحو المشرق ، وأشارُ بيده وقال : إن الجفاء وغِلظَ القلوب في الفدَّادين[4] أهل الوبَر من المشرق حيث يطلع الشيطان قرنيه .

خبر البركة في الطعام

وجلس بتبوك في نفرٍ من أصحابه هو سابعهم ، فجاء رجلٌ من بني سعد بن هذيم فسلم فقال : اجلس ، فقال : يا رسول الله ، أشهد أن لا إلّه إلا الله وأنك

---

(١) أي يحكم عليه ويحلف كأن يقول : والله ليدخلن الله فلاناً النار ، ونحوه .

(٢) سمَّع الله به ، فضحه وشهر به في أسماع الناس .

(٣) تعقلها : تدفعه ديتها .

(٤) الفدادون : أصحاب الإبل الكثيرة .

رسول الله ! فقال : أفلح وجهك ، ثم قال : يا بلال ، أطعمنا ! فبسط نطْعاً[1] ، ثم أَخْرَج من حَمِيتٍ[2] له خَرجَات من تمر معجون بسمنٍ وإقطٍ ، ثم قال عليه السلام : كلوا : فَأكلوا حتى شبعوا ، فقال الرجل : يا رسول الله : إن كنتُ لآكل هذا وحدي ! فقال : الكافر يأكل في سبعة أمعاءٍ والمؤمن يأكل في معًى واحد . ثم جاء من الغد متحيِّناً الغداء ليزداد في الإسلام يقيناً ، فإذا عشرةٌ حوله عليه السلام فقال : هات أطعمنا يا بلال ! فجعل يخرج من جراب تمراً بكفِّه قبضةً قبضةً ، فقال : أخرج ولا تخف من ذي العرْش إقتاراً ! فجاء بالجراب فنثره فحرزه الرجل مُدَّين ، فوضع ﷺ يده على التمر . ثم قال : كلوا باسم الله ! فأكل القوم وأكل الرجل – وكان صاحب تمر – حتى ما يجد [له][3] مسلكاً ، وبقي على النِّطع مثل الذي جاء به بلال ، كأنهم لم يأكلوا منه تمرةً واحدة . ثم عاد الرجل من الغد ، وعاد نفرٌ . فكانوا عشرة أو يزيدون رجلاً أو رجلين ، فقال عليه السلام : يا بلال أطعمنا ! فجاء بذلك الجراب بعينه فنثره ، ووضع ﷺ يَدَهُ عليه وقال : كلوا باسم الله ! فأكلوا حتى نهلوا[4] ، ثم رفع مثل الذي صبَّ . ففعل ذلك ثلاثة أيام .

بعثة هرقل رجلاً من غسان

وكان هرقل ملك الروم بعث رجلاً من غسان إلى النبي ﷺ ينظر إلى صفته ، وإلى علامته ، فوَعي أشياء من حاله ، وعاد إليه فذكر ذلك . فدعا هرقل الروم إلى التصديق به ، فأبوْا حتى خافهم على مُلكه ، وهو في موضعه لم يتحرك ولم يوجف[5] . وكان الذي خُبِّر النبي ﷺ – عن تعبئته أصحابه ، ودُنوِّه إلى أدنى الشام – باطلاً[6] ، لم يُردْ ذلك هرقل ولا همَّ به .

(١) النطع : مفرش من الجلد .

(٢) الحميت : زق من الجلد لا شعر عليه يكون فيه السمن ونحوه .

(٣) زيادة للسياق من (الواقدي) جـ٣ ص ١٠١٨ .

(٤) كذا في (خ) ، و (الواقدي) ، وفي (ط) « حتى شبعوا » ، يقول محقق (ط) [ونهل لا يكون إلا للشراب يشربه الرجل حتى يروي ، فهو كالشبع من الطعام] ونقول : النَّهَل من الطعام ما أكل ، راجع (ترتيب القاموس) جـ٤ ص ٤٥٣ .

(٥) في (خ) « يرجف » ، أوجف خيله : أسرع به السير .

(٦) في (خ) « باطل » .

المشورة في السَّيْرِ إلى القتال

وشاور رسول الله ﷺ في التقدم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن كنتَ أُمرت بالمسير فسر ! فقال : لو أمرت ما استشرتكم فيه . قالوا : يا رسول الله ، إن للروم جموعاً كثيرة ، وليس بها أحدٌ من أهل الإسلام ، وقد دنوْتَ منهم حيث ترى ، وقد أفزعهم دُنوُّك ، فلو رجعتَ هذه السنة حتى ترى ، أو يحدِث الله لك في ذلك أمراً .

هبوب الريح لموت المنافق

وهاجتْ ريح شديدة بتبوك فقال عليه السلام : هذا لموت منافقٍ عظيم النفاق ، فلما قدموا المدينة وجدوا منافقاً قد مات عظيم النفاق .

وأُتِيَ بجُبْنة فقالوا : هذا طعام تصنعه فارس ، وإنا نخشى أن يكون فيه مَيْتة ، فقال : ضعوا فيه السكين واذكروا اسم الله .

النهي عن إخصاء الخيل

وأهْدَى إليه ﷺ رجلٌ من قضاعة فرساً ، فأعطاهُ رَجُلاً من الأنصار وأمر أن يربطهُ حِيالهُ ، استئناساً بصهيله . فلم يَزَلْ كذلك حتىٰ قدِم عليه السلام المدينة ففقد صهيله ، فسأل عنه صاحبه فقال : خَصيتهُ يا رسول الله ! فقال : مَهْ ![1] فإن الخيْلَ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة : وقام بتبوك إلى فرسه الظَّرِب فعلَّق عليه شَعِيرةً ومسحَ ظهره[2] بردائه .

غزوة أكيدر بدومة الجندل

ثم كانت غزوةُ أُكَيْدِر بدومة الجندل ، بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد

---

(١) مه : اسم فعل أمر بمعني « أكفف » .   (٢) في (خ) « مسح بظهره » .

من تبوكَ في أربعمائة وعشرين فارساً – إلى أُكَيْدِر بن عبد الملك بدومة الجندل في رجب ، وهي على ليال من المدينة ، وكان أُكيدر من كِندةَ قد ملكهم ، وكان نصرانياً . فقال خالد : يا رسول الله : كيف لي به وهو وَسَط بلاد كَلْب ، وإنما أنا فى أناسٍ يسيرٍ ؟ فقال ستجدهُ يصيدُ البقر فتأخذهُ ! وقال : فلا تقتلهُ وأت[1] به إليّ ، فإنْ أبى فاقتلوه ! فخرج خالدٌ ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفةٍ ، وهو على سطح له من الحرّ ، ومعه امرأته – الرباب بنت أنيْف بن عامر – وقينته تغنيه وقد شرب ، فأقبلت البقر تحكُّ بقرونها باب الحصن : فأشْرفت امرأتهُ فرأت البقر فقالت : من يترك هذا ؟! قال : لا أحد !!

قال أكيدر : والله ما رأيت جاءتنا ليلا بقرٌ غير تلك الليلة ! ولقد كنتُ أضمِّر لها الخيلَ – إذا أردتُ أخذها – شهراً أو أكثر ، ثم أركب بالرجال وبالآلة .

فنزل فأمر بفرسه فسُرِج ، وأمر بخيل فأسرجتْ ، وركب معه نفرٌ من أهل بيته معه : أخوه حسان ومملوكان له . فخرجوا من حصنهم بمطاردهم[2] ، وخيل خالدٍ تنتظرهم : لا يصهلُ منها فرسٌ ولا يتحرك ، فساعة فصَل[3] أخذته الخيل . وقاتل حسّان حتى قُتل عند باب الحصن : وهرب المملوكان ومن كان معهما . واستلب خالدُ بن الوليد حسَّاناً قباءَ ديباج مخوَّصاً بذهب ، فبعث [به][4] إلى رسول الله ﷺ مع عمرو بن أميَّة الضمرِي ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجَّبون منه ، فقال عليه السلام : تعجبون من هذا ! والذي نفسي بيده ، لمناديل سعد بن مُعاذ في الجنَّة أحسن من هذا !! وأسلم حُريثُ [بن عبد الملك ، أخو][5] أكيْدِر ، على ما في يده فَسَلم له .

فتـح الحصـن

وقال خالد لأكيدر : هل لك أن أجيرك من القتل حتى آتي رسول الله على أن تفتح لي دومة ؟ قال : نعم ! فانطلق به في وثاقٍ حتى أدناه من الحصن فنادى

---

(١) في (خ) « ولا نقيله وأنت » .
(٢) المطارد : جمع مِطْرد : وهو الرمح القصير .
(٣) فصل : خرج .
(٤) زيادة للسياق من (الواقدي) جـ٣ ص ١٠٢٦ .
(٥) في (خ) « حريث أكيد » ، وهذه الزيادة للسياق من (ط) .

أهله : افتحوا باب الحصن ! فأرادوا ذلك ، فأبى عليهم مضادٌ[1] أخوه ، فقال أكيدر لخالد : تعلم والله لا يفتحون لي ما رأوْني في وثاقك ، فحلَّ عنى ، ولك اللهُ والأمانة أن أفتح لك الحصن إن أنت صالحتنى عل أهله . قال : فإني أصالحك[2] فقال أكيدر إن شئت حكَّمتك وإن شئت حكمتني . قال خالد : بل نقبل منك ما أعطيت . فصالحه على ألفى بعير . وثمانمائة رأس ، وأربعمائة درع ، وأربعمائة رمح – على أن ينطلق به وأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهما حكمه . فَخَلَّى سبيله ففتح الحصن ، ودخله خالد وأوثق مضاداً أخا أكيدر ، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلام .

الرجوع بأكيدر إلى المدينة

ثم خرج قافلا إلى المدينة ومعه أكيدر ومضادٌ ، وعلى أكيدر صليب من ذهب ، وعليه الديباج ظاهرٌ ، ومع خالد الخمس مما غنموا ، وصفيٌّ خالص لرسول الله ﷺ . وكانت السُّهمان خمس فرائض لكلّ رجلٍ معه سلاح ورماح . فلما قدم بأكيدر ، صالحه رسول الله ﷺ على الجزية . وخلى سبيله وسبيل أخيه ، وكتب لهم أماناً وختمه بظُفْره : لأنه لم يكن في يده خاتم . وأهدى [أكيدر][3] إلى رسول الله ﷺ ثوب حرير ، فأعطاه علياً فقال . شقّقْهُ خُمُراً[4] بين الفواطم[5] .

كتاب رسول الله ﷺ لأكيدر

ونسخة الكتاب بعد البسـملة : « هذا كتابٌ من محمد رسول الله لأكيدر ،

---

(١) في (ط) « مصاد » وفي (الواقدي) « مضاد » .

(٢) بعد هذه العبارة وضع محقق (ط) عبارة [أهل الحصن قال أكيدر] وقال في الهامش : « هذه الزيادة بوجبها للسياق ، ولم أجد الخبر » ونقول : « الخبر بتمامه بدون أية زيادة ، في (المغازي للواقدي) جـ٣ ص ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ » .

(٣) زيادة للبيان من (ط) .

(٤) خُمُر : جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة .

(٥) الفواطم : أراد بهن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، وفاطمة بنت أسد ، وفاطمة بنت حمزة . (النهاية) جـ٣ ص ٤٥٨ والحديث في (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١١٨٩٩ – باب لبس الحرير والذهب للنساء حديث رقم ٣٥٩٦ .

حين أجاب إلى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام . مع خالد بن الوليد في دومة الجندل وأكنافها : أن له[1] الضاحية من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ، ولكم الضامنةُ من النخل والمعينُ من المَعِمور بعد الخمس ، لا تعدل سارحتكم . ولا تعدُّ فاردتكم ، ولا يحظر عليكم النبات[2] ، ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات[3] . تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلكَ العهدُ والميثاق ، ولكم بذلك الصِّدقُ والوفاء ، شهد الله ومن حضر من المسلمين » .

عودة أكيدر

وعاد أكيدر إلى حصنه . وقيل : إنه أسلم ثم ارتد ، فقتله خالد بن الوليد في الرِّدَّة . وقيل : لما منع في خلافة أبي بكر ما كان يؤديه إلى رسول الله ، أخرج من جزيرة العرب في دومة ، فلحق بالجزيرة[4] ، وابتنى بها - [قرب عين التمر] - بناءً سمّاه دومة .

قدوم يوحنا بن رؤبة وأهل أيلة

وخاف أهل أيلة[5] وتيماء ، فقدم يوحنا بن رؤبة - ومعه أهل جرباء ، وأذْرح - ، وعليه صليبٌ من ذهب ، وقد عقد ناصيته . فلما رأى النبيَّ عليه

---

(١) في (خ) ، وفي (الأموال) ، وفي (مكاتيب الرسول) « ولنا » وما أثبتناه من (ط) والضمير في قوله « له » أي لخالد بن الوليد ، وبذلك يستقيم المعنى ، وانظر أيضاً (معجم البلدان) جـ٢ ص ٤٨٨ .
معاني المفردات :الضاحي : البارز . الضحل : الماء القليل . البور : الأرض التي لم تستخرج . المعامي : الأرض المجهولة . الأغفال : التي لا آثار فيها . الحلقة : الدروع . الحافر : الخيل والبراذين والبغال والحمير . الحصن : دومة الجندل . الضامنة : النخل الذي معهم في الحصن . المعين : الظاهر من الماء الدائم . لا تعدل سارحتكم : أي لا يصدقها المصدّق إلا في مراعيها . لا تعد فاردتكم : أي لا تضم الفاردة إلى غيرها ثم يصدق الجميع فيجمع بين متفرق الصدقة . والسارحة : الماشية التي تسرح في المراعي . والفاردة : الزائدة على فريضة الصدقات .

(٢) وفي (خ) « الثياب » ، وما أثبتناه من كتب السيرة .

(٣) في (خ) « الثياب » - والثبات : النخل القديم « هامش (ط) » .

(٤) الجزيرة : هي جزيرة أقور ، بين دجلة والفرات ، كذا في هامش (ط) ، وفي (معجم البلدان) جـ٢ ص ٤٨٨ . « ولحق بالحيرة » وابتنى قرب عين التمر بناءً وسماه دومة » .

(٥) في (خ) « واثلة » .

السلام ، كفَّر[1] وأومأ برأسه . فأومأ إليه : [أن][2] ارفع رأسك ! وكساه بُرْداً ، وأنزله عند بلال . فصالحهم عليه السلام ، وقطع عليهم الجزية ، فوضع على أهل أيلة ثلاثمائة دينارٍ ، وكانوا ثلاثمائة رجل . وكتب لهم بعد البسملة :

كتابه ﷺ لأهل أيلة ويوحنا بن رؤبة

« هذه[3] أمَنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبة وأهل أيلة : سفنهم وسيَّارتهم[4] في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي[5] ، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن[6] أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيبٌ لمن أخذه من الناس . وإنه لا يحلّ أن يمنعوا ماءً يردونه ، ولا طريقاً يريدونه ، من برٍّ أو بحرٍ . هذا كتاب جُهَيْم بن الصَّلت ، وشُرَحْبيل بن حسنَة ، بإذن رسول الله » .

وقال الدولابيُّ : أهدى أهل أيلة إلى النبي ﷺ القلقاس فأكله وأعجبه ، وقال : ما هذا ؟ فقالوا : شحْمة الأرض فقال : إن شحمة الأرض لطيّبةٌ !

كتابه ﷺ إلى أهل جرباء

وكتب لأهل جرباء :

« هذا كتابٌ من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء [وأذْرُح][7] : أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينارٍ في كل رجبٍ وافية طيبة ، والله كفيل [عليهم][8] » .

كتابه ﷺ إلى أهل أذرح

ونسخة كتاب أذرح[9] بعد البسملة :

---

(١) كفّر : طأطأ رأسه في خضوع وذلة .

(٢) زيادة للسياق . (٣) في (خ) « هذا » .

(٤) في (خ) « وسارتهم » . (٥) في (خ) « رسول الله » . (٦) في (خ) « ومن » .

(٧) زيادة من كتب السيرة . (٨) زيادة من (ابن سعد) .

(٩) في (خ) « أدرج » .

« من محمد النبي [رسول الله][1] لأهل أذْرُح : أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينارٍ في كل رجبٍ وافيةً طيبةً ، والله كفيل عليهم بالنُّصح والإحسان للمسلمين ، ومن لجأ [إليهم][2] من المسلمين من المخافة ، والتعزير إذا خشوا على المسلمين وهم[3] آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه »[4] .

كتابه ﷺ إلى أهل مقنا

وكتب لأهل مَقْنا : أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم رُبْعَ غزوهم وربع ثمارهم .

وكان عبيد بن ياسر بن نمير[5] . ورجل من جُذَام قد قدما بتبوك وأسلما ، فأعطاهما ربع مقنا مما يخرج من البحر ومن الثمر من نخلها . وربع الغزل[6] وأعطى عُبَيْد بن ياسر مائة ضفيرة [يعني حلة][7] لأنه كان فارساً ، والجذاميُّ راجلا ، ثم قدما مقنا وبها يهود . فكانت تقومُ على فرسه ، وأعطاها ستين ضفيرة من ضفائر فرسه وأهدي عبيْد للنبي ﷺ فرساً عتيقاً يقال له مراوِح ، وقال : إنه سابق ! فأجرى عليه السلام الخيلَ بتبوك فسبق الفرس ، ثم أعطاه المقداد بن عمرو .

تحريم النهبة

ومر عليه السلام بتبوك لحاجته ، فرأي أناساً مجتعين على بعير قد نَحَرهُ رافع ابن مكيثٍ الجهني ، وأخذ منه حاجته ، وَخَلَّي بين الناس وبينه ، فأمر أن يردَّ رافعٌ ما أخذ الناس ثم قال : هذه نهُبة لا تحلُّ ! قيل : يا رسول الله ! أن صاحبه أذن في أخده ! فقال وإن أذن في أخذه .

---

(١) كذا في (خ) وليس في كتب السيرة .

(٢) زيادة من (ابن سعد) . (٣) في (خ) « فهم » .

(٤) قوله « وهم آمنون حتى يحدث محمد إليهم قبل خروجه ، فكأنه جعل الخيار لرسول الله ﷺ في نقض العهد أو تغيير بعض شرائطه إلى أن يخرج من تبوك لعدم الأمن من مكر اليهود وغوائلهم . (مكاتيب الرسول) ص ٢٩٦ .

(٥) في الإصابة : (عبيد بن يسر) .

(٦) في (خ) « المغزل » . (٧) كذا في (خ) .

أفضل الصدقة

وقال له رجل : أيُّ الصَّدقة أفضل ؟ قال : ظِلُّ خبَاء في سبيل الله ، أو خِدْمة خادم في سبيل الله ، أو طروقة فَحْلٍ[1] في سبيل الله .

وقال بتبوك : اقطعوا قلائد الإبل من الأوتار . قيل : يا رسول الله ! فالخيل ؟ قال : لا تقلدوها بالأوتار[2] .

الحرس بتبوك

وكان قد استعمل على حرسه بتبوك عبَّاد بن بشر . وكان يطوف في أصحابه بالعسكر مدَّة إقامته عليه السلام . فسمع صوت تكبير من ورائهم في ليلة ، فإذا هو سِلْكان بن سلامة خرج في عشرة على خيولهم يحرسون الحرسَ . فقال ﷺ : رحم الله حَرَس الحرس في سبيل الله ، فلكم قيراط من الأجر على مَنْ حرستم من الناس جميعاً أو دابةٍ .

وفد بني سعد هذيم

وقدم من بني سعد هذُيم قوم فقالوا : يا رسول الله ! إنا قدِمْنا عليك وتركنا أهلنا على بئر لنا قليلٌ ماؤها وهذا القيظ ، ونحن نخاف إنْ تفرّقنا أنْ نقتطع ، لأن الإسلام لم يفش حولنا ، فادع الله لنا في مائنا ، فإنا إن روينا به فلا قومَ أعزَ منَّا ، لا يقربنا أحدٌ مخالف لديننا . فقال : ابغوني حُصَيَّات ، فدفع إليه ثلاث حصيات فعركهنَّ بيده ، ثم قال : اذهبوا بهذه الحصيّات إلى بئركم فاطرحوا واحدة واحدة وسمُّوا الله . فانصرفوا ، ففعلوا ذلك فجاشت بئرهم بالرواء[3] ، ونفوْا[4] من قاربهم من المشركين ووطئوهم . فما انصرف رسول الله ﷺ من تبوك حتى أوطأوا من حولهم غلبةً . ودانوا بالإسلام .

---

(١) طروقة فحل : هي الناقة التي بلغت من السن أن يضربها الفحل للنتاج .

(٢) كذا في (خ) ورواية (مسند أحمد) ج٤ ٣٤٤ « ولا تقلدوا الأوتار » بغير باء التعدية .

(٣) الرواء : الكثير .

(٤) في (خ) « ولعوا » .

الصيد في تبوك

واستأذنه رافع بن خديج في الصيد فقال ﷺ : إن ذَهبْت فاذهبْ في عدة من أصحابك ، وكونوا على خيل ، فإنكم متفرقون من العسكر . فانطلق في عشرة من الأنصار فيهم أبو قتادة – وكان صاحب طرد بالرُّمح ، وكان رافع رامياً – وأتوا بخمسة أحمرة وظباءٍ كثيرةٍ . فأمر عليه السلام رافعاً فجعل يعطى القبيلة بأسْرِها الحمار والظبي حتى فرَّق ذلك ، وصار لرسول الله ظبي واحد ، فطبخه ، ودعا أضيافه فأكلوا .

آية الطعام يوم تبوك

وكان عرباض بن سارية يلزم باب رسول الله ﷺ في الحَضَر والسَفَر ، فرجع ليلة من حاجته بتبوك – وقد تعشَّى عليه السلام ومن معه من أضيافه ، وهو يريد أن يدخل قبَّته على أمِّ سلمة – فلما رأى العِرباض سأله عن غيبته فأخبره . ثم جاءَ جمال بن سراقة وعبد الله بن مغفَّل المزني – وهم ثلاثتُهم جياع – ، فطلب عليه السلام في بيته شيئاً يأكله فلم يجده ، فنادى بلالا : هل من عشاء لهؤلاء النفر ؟ فقال : لا ، والذي بعثك بالحق ، لقد نفضنا جُرُبنا وحُمُتَنا[1] ! قال : أنظر ، عسى أن تجد شيئاً ! فأخذ الجربَ ينفضها جراباً جراباً ، فتقع التمرة والتمرتان حتى اجتمع سبع تمرات ، فوضعها عليه السلام في صحفة وسمي الله ، ثم قال : كلوا باسم الله ! فأكلوا ، وأحصى عرباض أربعاً وخمسين تمرة أكلها يعدها وَنَواها في يده الأخرى ، وأكل كلُّ واحد من الآخرين خمسين تمرة ، ورفعوا أيديهم ، فإذا التمرات السبع[2] كما هي ، فقال : يا بلال ، أرفعها في جرابك ، فإنه لا يأكل منها أحدٌ حتي نَهِل شبعا ! فبات الثلاثة حول قبة رسول الله ﷺ فقام يتهجَّد على عادته ، فلما صلى بالناس الصّبح جلس بفناء قبته وحوله عشرة من الفقراء ، فقال : هل لكم في الغداء ؟ فقال عرباضُ في نفسه : أي غداءٍ ؟ فدعا بلال بالتمر فوضع يده عليه في الصَّحفة ثم قال : كلوا باسم الله ! فأكلوا حتى شبعوا ، وإذا التمرات كما هي ، فقال عليه السلام لولا أني أستحي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرِدَ

(١) الجرُب والحمت : أسماء أوعية من الجلد .

(٢) في (خ) « فإذا السبع الثمرات » .

المدينة من آخرنا ! وأخذ التمرات فدفعها إلى غليِّم ، فولّي الغلام يلوكهنّ .

موت ذي البجادين

ومات بتبوك عبد الله [بن عبد نهم المزني][1] ذو البجادين[2] ، فنزل ﷺ قبره عشاءً وهيأه لشقِّه ، وقد دَلّاهُ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . ثم قال : اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه ، فقال عبد الله بن مسعود : ياليتني كنت صاحب هذا اللحد .

مـدة الإقامة بتبوك

وأقام عليه السلام بتبوك عشرين ليلة – وقيل بضع عشر ليلة – يصلى ركعتين .

العسرة والجوع وآية النبوة

فلما أجمع المسيرَ أرمل الناس[3] إرمالا شديداً ، فشخص على ذلك ، حتى استأذنوه أن ينحروا ركابهم فأذن لهم . فلقيهم عمر رضي الله عنه وهم على نحرها ، فأمرهم أن يمسكوا ، ودخل على رسول الله ﷺ فقال : أذِنْتَ للناس في حمولتهم يأكلونها[4] ؟ فقال : شَكَوْا إلَّي ما بلغ منهم من الجوع فأَذَنْتُ لهم ، تنحر الرفقة البعير والبعيرين ؛ ويتعاقبون فيما فضل من ظهرٍ ، هم قافلون إلى أهليهم ! فقال : يا رسول الله ! لا تفعل ، فإن يك في الناس فضل من ظهرهم يكنْ[5] خيراً ، ولكن ادع بفضل أزوادهم ، ثم اجمعها فادع الله فيها بالبركة – كما فعلت في منصرفنا من الحديبية حيث أرملنا – ، فإن الله مستجيب لك . فنادى مناديه : من كان عنده فضل زادٍ فليأت به . وأمر بالأنطاع فبسطتْ ، فجعل الرجُل يأتي بالمدِّ الدقيق والسويق أو التمر ، أو القبضة من الدقيق والسويق والتمر[6] ، والكسر ، فيوضع كلُّ صنفٍ على حَدةٍ ، وكلُّ ذلك قليلٌ . فكان جميعُ ما جاءوا به من الدقيق والسويق

---

(١) زيادة للإيضاح من (ط) .

(٢) لقب عبد الله بن نهم .

(٣) أرمل الناس : نفد زادهم .

(٤) الحمولة من الإبل . التي تحمل الأثقال .

(٥) في (خ) « يكون » .

(٦) في (خ) « والسمن » وما أثبتناه من (ط) .

والتمر . ثلاثة أفرُقٍ حَزْراً[١] ثم توضّأ وصلى ركعتين ودعا الله ، ونادى مناديه هلمُّوا[٢] إلى الطعام خذوا منه حاجتكم ! فأقبل الناسُ فجعل كلُّ من جاء بوعاءٍ ملأه ، فقال بعضُهم : لقد طرحتُ يومئذٍ كسرةً من خبز وقبضة من تمرٍ ، ولقد رأيت الأنطاع تفيضُ ، وجئت بجرابين فملأت أحدهما سويقاً والآخر خبزاً ، وأخذتُ في ثوبي دقيقاً ما كفانا إلى المدينة . فجعل الناس يتزودون حتى نهلوا من آخرهم ، حتى كان آخر ذلك أن أُخِذَت الأنطاع ونثر ما عليها ، فجعل رسول الله ﷺ يقول وهو واقفٌ : أشهد أن لا إله إلا الله وأني عبده ورسوله ، وأشهد أنه لا يقولها أحدٌ من حقيقة قلبه إلا وقاه الله حرَّ النار .

خبر النهي عن الماء وخلاف المنافقين

وأقبل قافلا حتى كان بين تبوك وواد يقال له وادي الناقة[٣] — هو وادي المشقِّق[٤] ، وكان فيه وشَل[٥] يخرج منه في أسفله قدر ما يروي الراكبين والثلاثة — فقال : من سبقنا إلى ذلك الرمْل[٦] فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتي . فسبق إليه أربعة من المنافقين : معتب بن قُشيْر والحارث بن يزيد الطائيُّ حليف بني عمرو بن عوف[٧] ، ووديعة بن ثابت ، وزيْد بن اللصيت ؛ فقال عليه السلام : ألم أنهكم ؟! ولعنهم ودعا عليهم ثم نزل فوضع يده في الوشَل ، ثم مسحه بإصبعه حتى اجتمع منه في كفِّه ماءٌ قليل ، ثم نضحه به ، ثم مسحه بيده ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق الماءُ[٨] . قال معاذ بن جبل : والذي نفسي بيده ، لقد سمعت له من شدة انخراقه مثْلَ الصواعق ! فشرب الناس ما شاؤا ، وسقوْا ما شاؤا ؛ ثم

---

(١) في (خ) « أفراق » والفرَق : ستة عشر رطلا .

(٢) كذا في (خ) ، والأولى : « هلّم » ، راجع (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزآبادي جـ٥ ص ٤٣١ .

(٣) يقول محقق (ط) [لم أجد من سمي هذا الوادي « وادي الناقة » في غير هذا الكتاب] . ونقول : راجـع الخبر بتمامه في (المغازي) [جـ٣ ص ١٠٣٩] .

(٤) في (خ) « القنق » .

(٥) الوَشَل : الجبل أو الصخرة يقطر منه الماء قليلا .

(٦) رواية (الواقدي) ص ١٠٣٩ « إلى ذلك الوشل » .

(٧) يقول محقق (ط) : [لم أجد ذكر الحارث بن يزيد هذا] ونقول : [أنظر المرجع السابق] .

(٨) انخرق الماء : اتسع واندفق .

قال عليه السلام : لئن بقيتم - أو من بقى منكم - لتسْمعنَّ بهذا الوادي وهو أخصب مِمَّا[١] بين يديه وما خلفه ، فقال سَلمة بن سلامة بن وقَش لوديعة بن ثابت : ويلك[٢] ! أَبعد ما ترى شيءٌ[٣] ؟ أما تعتبر ! فقال : قد كان يفعل مثل هذا قبل هذا .

خبر أبي قتادة

ثم سار عليه السلام . وعن أبي قتادة قال : بينما نحن في الجيش نسير مع رسول الله ﷺ ليلا - وهو قافل وأنا معه - إذ خَفقَ خفقةً[٤] وهو على راحلته فمال على شِقِّه ، فَدَنوت منه فدعمته[٥] فانتبه ، فقال : من هذا ؟ قلت : أبو قتادة يا رسول الله ، خِفْتُ أن تسقط فدعمتك ، فقال : حفظك الله كما حفِظتَ رسوله ، ثم سار غير كبير ثم فعل مثلها ، فأدعمه فانتبه ، فقال : يا أبا قتادة ، هل لك في التعريس[٦] ؟ فقلت : ما شئت يا رسول الله .

التعريس ، والنوم عن الصلاة

فقال : أنظر من خلفك ؟ فنظرت فإذا رجلان أو ثلاثة ، فقال : ادعهم ، فقلت ، أجيبوا رسول الله ! فجاءوا فَعَرَّسْنَا ، ونحن خمسةٌ برسول الله ﷺ « ومعي إداوة فيها ماءٌ : فنمنا فما انتبهنا إلا بحرِّ الشمس ، فقلت : إنا لله ! فاتنا الصبح ! فقال رسول الله ﷺ . لنغيظن الشيطانَ كما غاظنا ! فتوضأ من ماء الإداوة ففضل فضلةٌ ، فقال : يا أبا قتادة ، احتفِظْ بما في الإداوة والرِّكوة[٧] فإن لهما شأناً ، ثم صلى بنا الفجْر بعد طلوع الشمس ، فقرأ بالمائدة .

---

(١) في (خ) « مما » وهي رواية (الواقدي) .

(٢) في (خ) « وتلك » .

(٣) في (خ) « شيئاً » .

(٤) خفق خفقة : نام نومة خفيفة فحرك رأسه من مسّ النوم .

(٥) دعمه : أسنده .

(٦) التعريس : الاستراحة في السفر مع النوم القليل .

(٧) الركوة : إناء صغير من جلد .

ظمأ الجيش بتبوك

فلما انصرف من الصلاة قال : أما إنهم لو أطاعوا أبا بكرٍ وعمر رشدوا . وذلك أنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبَوْا ذلك عليهما[١] ، فنزلوا على غير ماءٍ بفلاةٍ[٢] من الأرض . فركب رسول الله ﷺ ، فلحق الجيش عند زوال الشمس – ونحن معه – ، وقد كادت تقطع أعناق الرجال والخيل والركاب عطشاً .

آيات النبوة في الماء بتبوك

فدعا بالرِّكوة فأفرغ ما في الإداوة فيها ، فوضع أصابعه عليها فنبع الماء من بين أصابعه ، وأقبل الناس فاستَقَوْا ، وفاض الماء حتى تروَّوا وأرووْا خليهم وركابهم ، وإن كان في العسكر إثنا عشر ألف بعير – ويقال خمسة عشر ألفل بعير – والناس ثلاثون ألفاً ، والخيل عشرة آلاف فرسٍ : وذلك قول النبي ﷺ لأبي قتادة احتفظ بالركوة والإداوة .

وكان في تبوك أربعة أشياءٍ[٣] : فبينا رسول الله ﷺ يسير منحدراً إلى المدينة – وهو في قيظ شديد – عَطِشَ العسكر بعد المرَّتين الأوليين عطشاً شديداً ، حتى لا يوجد للشَّفة ماء قليلٌ ولا كثيرٌ ، فشكوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأرسل أسيد بن حضير – في يوم صائف وهو متلثمٌ – فقال : عسى أن تجد لنا ماء ! فخرجٍ أسيد – وهو فيما بين الحجْر وتبوك – فجعل يضرب في كل وجهٍ ، فيجد راوية من ماء مع امرأة من بلي ، فكلَّمها وخبرَّها خبر رسول الله ﷺ ، فقالت : هذا الماء ، فانطلق به ، فدعا فيه ﷺ بالبركة ، ثم قال : هَلُمُّوا[٤] أسقِيَتكم ! فلم يبق معهم سقاءٌ إلا ملأوه ، ثم دعا بركابهم وخيولهم فسقَوْها حتى نَهلتْ . ويقال إنه ﷺ أمر بما[٥] جاء به أُسَيْد فصبَّه[٦] في قَعْبٍ عظيم من عساسٍ[٧] أهل البادية ، فأدخل فيه يديه وغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم صلى ركعتين ، ثم رفع يديه مداً ،

(١) في (خ) « عليل عليهما » .
(٢) في (خ) « بقلادة » ، والفلاة : الأرض الواسعة التي لا ماء فيها ولا أنيس .
(٣) في (خ) « أشياء » وما أثبتناه من (ط) .
(٤) كذا في (خ) « والأوْلى « هلم » ، فبها نزل القرآن .
(٥) في (خ) « بماء » . (٦) في (خ) « وصبه » .
(٧) العساس : جمع عُسي : وهو قدح ضخم .

ثم انصرف وإن القعْب ليفور فقال للناس[1] زوِّدوا ، فاتسع الماء وانبسط للنَّاس ، حتى يَصفَّ عليه المائة والمائتان ، فأرْوَوْا وإن القعب ليجيش بالرواء . ثم راح مبرداً متروياً[2] من الماء .

كيد المنافقين بإلقاء رسول لله ﷺ من الثنية

ولما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق مكر به أناسٌ من المنافقين ، وائتمروا أن يطرحوه من عقبة ، فلما بلغ تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه فأخبر خَبَرهم ، فقال للناس[1] : اسلكوا بطن الوادي فإنه أسهل لكم وأوسع ، فسلك الناس بطن الوادي . وسلك ﷺ العقبة ، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها ، وأمر حذيفة بن اليمان يسوق خلفه ، فبينا رسول الله ﷺ يسير في العقبة ، إذ سمع حِسَّ القوم قد غشوه فغضب وأمر حذيفة أن يردَّهم ؛ فرجع إليهم فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحْجَن في يده ، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس ، وأتي حذيفة فَسارَ به . فلما خرج من العقبة ونزل الناس قال : يا حذيفة ، هل عرفت أحداً من الركب الذين رددتهم؟ قال : يا رسول الله ، عرفت راحلة فلان وفلان ، وكان القوم متلثمين فلم أعرفهم من أجل ظلمة الليل .

إلتقاط ما سقط من المتاع

وكانوا قد أنفروا برسول الله ﷺ فسقط بعض متاع رحله ، فكان[3] حمزة ابن عمرو الأسلميّ يقول : فنور لي في أصابعي الخمسَ[4] ، فأضاءت حتى كنّا نجمع ما سقط ، السَّوطَ والحبلَ وأشباهما ، حتى ما بقي من المتاع شيءٌ إلا جمعناه . وكان [حمزة بن عمرو الأسلمي][5] قد لحق برسول الله ﷺ بالعقبة .

أمر المنافقين

فلما أصبح [رسول الله ﷺ][3] قال له أسيد بن الحضير : يا رسول الله ، ما منعك البارحة من سلوك الوادي ، فقد كان أسهل ؟ فقال : يا أبا يحي ! أتدرى

---

(١) في (خ) « فقال الناس » .

(٢) من الإبراد والرّي .

(٣) في (خ) « وكان » .

(٤) في (خ) « الخمسة » .

(٥) زيادة للبيان من (ط) .

ما أراد البارحة المنافقون وما همُّوا به ؟ قالوا : نتبعه في العقبة ، فإذا أظلم الليل عليه قطعوا أنساع[1] راحلتي ونخسوها حتى يطرحوني عن راحلتي ؟

مشورة أسيد بن الحضير في قتل المنافقين

فقال أسيد : يا رسول الله ، فقد اجتمع الناسُ ونزلوا ، فَمُرْ كلَّ بطن أن يقتلَ الرجل الذي همّ بهذا ، فيكون الرجل الذي يقتله من عشيرته ، وإن أحبَبْت فنبّئني بهم ، فوالذي بعثك بالحق لا تبرحُ[2] حتى آتيك برءُوسهم ، وإن كانوا في النَّبيتِ[3] كفيتهم ، وأمرتَ سيد الخزرج فكفاك من ناحيته ، فإن مثل هؤلاء لا يتركون يا رسول الله ! حتى متى نداهنم ، وقد صاروا اليوم في القلة والذلة وضَرب الإسلام بجرانه ؟! فما تستبقي من هؤلاء ؟ قال : يا أسيد إني أكرهُ أن يقول الناسُ إن محمداً - لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين - وضع يده في قتل أصحابه ! فقال : يا رسول الله ، وهؤلاء ليسوا بأصحاب ! قال : أوَليس يُظهرون شهادة ألا إله إلا الله ؟ قال : بلى ، ولا شهادة لهم ! قال : أوليس يظهرون أني رسول الله ؟ قال بلى ، ولا شهادة لهم ! قال : فقد نُهيتُ عن قتل أولئك .

عدة أهل العقبة أصحابِ الكيد

وكان أهل العقبة الذين أرادوا ما أرادوا - ثلاثلا عشر رجلاً ، قد سَمَّاهم رسول الله ﷺ لحذيفة وعمَّارِ . وقيل : أربعة عشر ، وقيل : خمسة عشر ، وقيل : إثنى عشر وهو الثَّبت .

وقال ابنُ قتيْبَة[4] إن الذين همُّوا بالنبي ﷺ عبد الله بن أُبي [ابن سلول]، وسعد بن أبي سَرْح : [وهو أبو الذي كان يكتُبُ لرسول الله ﷺ وكان « غفور

---

(١) الأنساع : قال في (النهاية) جمع نسعة ، وهي سير مضفور يجعل زماماً للبعير وغيره .

(٢) في (خ) « وإن أجبت والذي بعثك بالحق فنبئني بهم فلا تبرح » وهي رواية (الواقدي) وما أثبتناه من (ط) .

(٣) النبيت : لقب عمرو بن مالك جد الأوس .

(٤) راجع كتاب (المعارف) لابن قتيبة بتحقيق الدكتور ثروت عكاشة . طبعة دار المعارف بمصر ص ٣٤٣ باب [أسماء المنافقين الذين أرادوا أن يلقوا رسول الله ﷺ من الثّنية في غزوة تبوك] ، وما بين الأقواس زيادات منه .

رحيم » ، و « عزيز حكيم »] ، وأبو حاضر الأعرابيُّ ، والجُلاس بن سويد [ابن الصامت] ، ومُجَمِّع بن جارية[1] ، ومُلَيْح التَّيمِي : [وهو] الذي سرق طيب الكعبة وارتد [عن الإسلام] وانطلق فلا يدري أين ذهب ، وحُصَيْن بن نمير : [وهو الذي أغار على تمر الصدقة فسرقه] ، وطُعيمة بن أبيرق ، ومُرَّة بن ربيع ، [وكان أبو عامرٍ رأسهم ، وله بنَوْا مسجد الضرار ، وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة][2] . واعترض عليه بأن ابن أبي لم يشهد تبوك ، وأن أبا عامر فرَّ عن النبي ﷺ قبل هذا .

أصحاب مسجد الضرار

وأقبل ﷺ حتى نزل بذي أوان : - بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار -، وقد كان جاءه أصحاب مسجد الضرار[3] ، وهم خمسةٌ : مُعَتِّب بن قشير ، وثعلبة ابن حاطب ، وخذام[4] بن خالد ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، وعبد الله بن نَبْتَل ابن الحارث ، فقالوا : يا رسول الله ، إنَّا رُسل مَنْ خلفنا من أصحابنا ، إنا قد بنينا مسجداً لِذي القِلة والحاجة والليلة المطيرة ، والليلة الشاتية ، ونحن نحب أن تأتينا فتصلى فيه ! وكان يتجهز إلى تبوك ، فقال : إني على جناح سَفرٍ وحالِ شغل - [أو كما قال ﷺ][5] ، لو قدِمْنا - إن شاء الله - أتيناكم فصلينا بِكُمْ فيه .

الوحي بخبر المسجد وإرصاده لأبي عامر الفاسق

فلما نزل بذي أوان أتاه[6] خبر المسجد[7] وخبر أهله من السماء ، وكانوا إنما بنوه [يريدون ببنائه السُّوآى ، ضراراً لمسجد رسول الله ﷺ ، وكفراً بالله ، وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لأبي عامر الفاسق][8] ، قالوا بينهم : يأتينا أبو عامر فيتحدث عندنا فيه ، فإنَّه يقول : لا أستطيع أن آتي مسجد بني عمرو بن عوف ،

---

(١) في (خ) « محمد بن جارية » ، وفي (ابن قتيبة) « مجمِّع بن حارثة » .
(٢) في (خ) « مكان ما بين القوسين « وأبو عامر » .
(٣) ويسمى أيضاً مسجد الشقاق .
(٤) في (خ) « خدام » .
(٥) زيادة من كتب السيرة .
(٦) في (خ) « أتاه أتاه » مكررة .
(٧) في (خ) « أتاه خبره » وما أثبتناه من (ط) أبين للسياق .
(٨) زيادة للسياق من (تفسير الطبري) عند الآية ١٠٧ / التوبة .

إنما أصحابُ محمد يلحظوننا بأبصارهم . يقول الله تعالى : ﴿ **وإرصاداً لمن حاربَ اللهَ ورسوله** ﴾ يعني أبا عامرٍ .

هدم المسجد وتحريقه

فدعا رسول الله ﷺ عاصم بن عَدِيٍّ العجلانيّ ، ومالك بن الدُّخْشُم السَّالمّي ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه ثم حرِّقَاه فخرجا سريعين – على أقدامهما – حتى أتيا مسجد بني سالم [بن عوف ، وهم رهط مالك ابن الدخشم][1] ، فقال مالك لعاصم : انظرني[2] حتى أخرج[3] إليك بنار من أهلي فدخل إلى[4] أهله فأخذ سَعفاً من النخيل وأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يعدوان حتى انتهيا إليهم بين المغرب والعشاء وهم فيه ، وإمامهم مُجَمِّع بن جارية ، فأحرقاه ، – وثبت من بينهم زيدُ بن جارية بن عامرٍ حتى احترقت أَلْيَتُه[5] – ، وهدماه حتى وضعاه بالأرض .

هجران أرض المسجد وشؤم أخشابه

فلما قدم ﷺ المدينة عرض على عاصم بن عدي المسجد يتخذه داراً ، فقال : ما كنت لأتخذ مسجداً قد نزل فيه ما نزل دارا ! فأعطاهُ ثابتَ بن أقرم[6] وأخذ أبو لبابة بن عبد المنذر خَشباً من مسجد الضِّرار – كان قد أعانهم به ، وكان غير مغموصٍ عليه في النِّفاق – فبني به منزلاً له ، فلمْ يولدْ له في ذلك البيت مولودٌ ، ولم يقف فيه حمامٌ ، ولم تحضُن فيه دجاجةٌ قط .

عدة من بني مسجد الضرار

وكان الذين بَنوا مسجد الضرار إثنى عشر[7] رجلاً : جاريةُ بن عامر بن

---

(١) زيادة من ابن هشام . (٢) أَنْظِرْني : انتظرني .

(٣) في (خ) « حتى أخرج حتى أخرج » مكررة .

(٤) في (خ) « فدخل على أهله » و « إلى أهله » حق المعنى .

(٥) الألية : العجيزة .

(٦) في (خ) « أقدم » . (٧) في (خ) « إثنا عشرة » .

مُجَمِّع[١] بن العَطاف – وهو حمار الدار – ، وابناه[٢] مجمِّع بن جارية ، [ويزيد ابن جارية][٣] ، ووديعة بن ثابت ، وعبد الله بن نبتل[٤] ونجاد بن عثمان ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، ومعتّب بن قُشَيْر ، وعباد بن حنيف وثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد ، وخزام بن خالد من بني أحد بني مرو بن عوف ، بني أميَّة بن زيد ، وخزام[٥] بن خالد من بني عبيد بن زيدٍأحد بني عمرو بن عوف ، [ويَخْرُجُ من بني ضُبَيْهة][٦] .

من خبر المنافقين أصحاب المسجد

وقال رسول الله ﷺ : زِمَام خير من خزام ، وسَوطٌ خير من نجاد : وكان عبد الله بن نبتل يستمع حديث رسول الله ﷺ ثم يأتي به المنافقين ، فقال جبريل : يا محمد ! إن رجلا من المنافقين يأتيك فيستمع حديثَك ، ثم يذهب به إلى المنافقين ، فقال : أيهم[٧] هو ؟ قال : الرجل الأسود ذو الشعر الكثير ، الأحمر العينين ، كأنهما قِدِران منْ صفرٍ ، كبِده كبد حِمارٍ وينظر بعين شيطان .

ما نزل فيهم من القرآن

وفيهم نزل قوله تعالى : **﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفُنَّ إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون * لا تقم فيه أبداً ، لمسجدٌ أسِّسَ على التقوى من أوَّلِ يوم أحَقُّ أن تقومَ فيه فيه رجالٌ يحبُّون أن يتطهروا والله يحب المُطَّهِّرين ﴾**[٨] .

وأرادوا ببينائه : أنهم كان يجتمعون في المسجد فيتناجون فيما بينهم ، ويلتفت

---

(١) في (خ) « جارية بن عمرو بن العطاف » وما أثبتناه هو ما اتفقت عليه كتب التراجم والسير .
(٢) في (خ) « وابنه » ، والمثنى أولى .
(٣) زيادة من (ابن هشام) جـ٤ .
(٤) في (ابن هشام) جـ٤ « ونبتل بن الحارث من ضبيعة » ولم يذكر « عبد الله بن نبتل » .
(٥) في (خ) « خدام » .
(٦) زيادة من (ابن هشام) جـ٤ ، وبها تم عدة من بنى مسجد الضرار .
(٧) في (خ) « إنهم » .
(٨) الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨ / التوبة وفي (خ) **﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً ﴾** ، إلى قوله تعالى : **﴿ والله يحب المطهرين ﴾** .

بعضهم إلى بعض ، فيلحظهم المسلمون بأبصارهم ، فشق ذلك عليهم ، وأرادوا مسجداً يكونون فيه لا يغشاهم فيه إلا من يريدون ممن هو على قبل رأيهم . وكان أبو عامرٍ يقول : لا أقدر أن أدخلَ مَربَدكم هذا[1] ! وذلك أنَّ أصحاب محمدٍ يلحظوني وينالون مني ما أكرَه . فقالوا : نحن نبني مسجداً تتحدَّث فيه عندنا .

المتخلفون عن تبوك

[وقد كان تخلف عن رسول الله ﷺ رهطٌ من المنافقين ، وتخلف أولئك الرَّهط الثلاثة المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك الأنصاريّ السَّلميّ ، ومرارة بن الربيع العَمْري ، وهلال بن أميَّة الواقفيُّ فقال رسول الله ﷺ : لا تكلمنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة ! فاعتزل المسملون كلام أولئك النَّفَر الثلاثة][2] . وأجمع كعب بن مالك أن يصْدق رسول الله ﷺ .

مقدمة إلى المدينة ودعاؤه ﷺ

فقدم ﷺ المدينة في رمضان ، فقال : الحمد لله على ما رزقنا في سَفَرِنا هذا من أجر وحسبَة ومن بَعْدِنا شركاؤنا فيه . فقالت عائشة رضي الله عنها . أصابكم العُسْر[3] وشِدَّة السَّفر ، ومن بعدكم شركاؤكم فيه ؟ فقال : إن بالمدينة لأقواماً ما سِرنا من مسير ، ولا هبطنا وادياً إلا كانوا معنا ، حبَسَهم المرض ، أوليس الله يقول في كتابه ﴿ **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** ﴾[4] ؟ فحن غزاتهم وهم قَعَدتنا[5] ، والذي نفسي بيده ، لدعاؤهم أنفذ في عدونا من سلاحنا !! .

دخول المسجد والنهي عن كلام المتخلفين

ولما قدِم بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فجاء المخلفون

---

(١) المربد : فناء وراء البيت ، ربما حبست فيه الغنم فبناه رسول الله ﷺ مسجداً ، ولكن عدو الله الفاسق كان يسمى المسجد باسم ما كان عليه أولا .

(٢) ما بين القوسين ساقط في (خ) وأثبتناه من (ابن هشام) ج٤ ص ١٢٩ .

(٣) في (خ) « أصابكم السفر » وهي رواية (الواقدي) عن عائشة . أنظر (المغازي) ج٣ ص ١٠٥٦ ، وما أثبتناه من (ط) .

(٤) من الآية ١٢٢ / التوبة .

(٥) القعدة : جمع قاعد ، وهو الذي قعد عن الغزو .

فجعلوا يعتذرون إليه ويحلفون له ، – وكانوا بضعة وثمانين رجلا – ، فقبلَ منهم علانيتهم وأيمانهم . وقيل : بل خرج[1] عامّة المنافقين إليه بذي أوانٍ ، فقال : لا تكلموا أحداً ممن تخلف عنا ، ولا تجالسوه حتى آذن لكم ، فلم يكلموهم .

المعذرون وقبول أعذارهم

فلما قدم المدينة جاءه المعذرون يحلفون له ، فأعرض عنهم وأعرض المؤمنون ، حتى إن الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وعمه ، فجلعوا يأتون النبي ﷺ ويعتذرون بالحمّي والأسقام ، فيرحمهم ويقبل علانيتهم وأيمانهم ، وحلفوا فصدَّقهم واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله .

خبر كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا

وجاء كعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد ، فلما سلم عليه تَبسَّمَ تبسمَ المغضب ثم قال : تعالَ ! فجاء حتى جلس بين يديه ، فقال : ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعْتَ ظهرك[2] ؟ فقال : بلى يا رسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنّي سأخرج من سخطهِ بعذر ، لقد أعطيت جدلا ، ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كاذباً لترضي عني ، ليوشكنَّ الله أن يسخط عليَّ ، ولئن حدثتك اليوم حديثاً صادقاً تجد علي[3] فيه ، إني لأرجو عقبَى الله فيه . لا والله ما كان لي عذرٌ ! والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ! فقال عليه السلام : أمَّا أنت فقد صدقت ! فقُم حتى يقضىَ الله فيك .

فقام ومعه رجال من بني سلمة ، فقالوا له : والله ما علمناك كنت أذنبتَ ذنباً قبل هذا ! ولقد عجزت ألا تكونَ اعتذرتَ بما اعتذرَ به المخلفون ، قد كان كافيكَ ذنبك استغفار رسول الله لك . حتى كاد أن يرجع فيكذِّب نفسه ، فلقيه معاذ بن جبلَ وأبو قتادة[4]، فقالا لي: لا تطع أصحابَك وأقم على الصدق ، فإن الله سيجعل لك فرجاً ومخرجاً إن شاء الله تعالى ، فأما هؤلاء المعذرون ، فإن كانوا صادقين

---

(١) في (خ) « بلخرج » .
(٢) الظهر : الركاب التي تحمل الأثقال .
(٣) تجد علي : تغضب علي .
(٤) في (خ) « وأبا قتادة » .

فسيرى الله ذلك ويعلم نبيه ، وإن كانوا غير ذلك يذمهم أقبح الذم ويكذِّب حديثهم فقال لهم : هل أتى هذا (أحدٌ)[1] غيري ؟ قالا : نعم ! رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ! قال : من هما ؟ قالا : مرارة بن ربيع العمري وهلال بن أمية الواقفيُّ .

النهي عن كلام الثلاثة وتمام أخبارهم

ونهي رسول الله ﷺ عن كلام الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبهم الناس وتغيّروا لهم ، حتى تنكرّت لهم أنفسهم ، فلبثوا على ذلك خمسين ليلة . وقد قعد مرارة وهلالٌ في بيوتهما ؛ وكان كعب يخرجُ فيشهد الصلوات مع المسلمين ويطوف بالأسواق فلا يُكلِّمه أحد . ويأتي رسول الله ﷺ – وهو في مجلسه بعد الصلوات – فيسلم عليه ويصلي قريباً منه يُسارِقُه النظر وهو معرض عنه .

وتسَوَّر يوماً جدار حائط أبي قَتَادة – وهو ابن عمه وأحبُّ الناس إليه – فسلم عليه فلم يردَّ عليه السلام ، فقال : يا أبا قتادة ! أَنْشُدُك الله ! هل تعلمني أحبُّ الله ورسوله ؟ فسكت ، وكرر ذلك فقال في الثالثة : الله ورسوله أعلم ! ففاضت عيناه وانصرف : فلما مضت أربعون ليلة بعث إليه رسول الله ﷺ – وإلى هلال ابن أمية ومُرارة بن ربيع – مع خزيمة بن ثابتٍ يأمرهم أن يعتزلوا نساءهم ؛ فقال كعبٌ لأمرأته : ألحقي بأهْلِك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ما هو قاض !!

هلال بن أمية

وبكي هلال بن أمية وامتنع عن الطعام وواصل اليومين والثلاثة ما يذوق طعاماً ، إلا أن يشرب الشَّربة من الماء أو الضَّيَّح[2] من اللبن ، ويصلي الليل ولم يخرج من بيته لأن أحداً لا يكلمه ، حتى إن الولدان يهجرونه لطاعة رسول الله ﷺ . وجاءت امرأته فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخٌ كبيرٌ ضائعٌ لا خادم له ، وأنا أَرْفقُ به من غيري ، فإن رأيتَ أن تدعني أخدُمُه فعلتُ ! قال :

---

(١) زيادة من (ابن هشام) جـ٤ .

(٢) في (خ) « النصيح » ، والضيح : اللبن يصب عليه الماء حتى برق .

نعم ، ولكن لا تدعيه يصل إليك ، فقالت : يا رسول الله ، ما به من حركة إليّ ! والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . وإن لحيته لتقطر دموعاً الليل والنهار ولقد ظهر البياض على عينيه حتى تخوَّفتُ أن يذهب بصره .

التوبة على الثلاثة وما نزل من القرآن

فلما كملت خمسون ليلة – وهم كما قال الله تعالي : ﴿ **حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحُبت وضاقت عليهم أنفسهم** ﴾ – أنزل الله توبتهم بقوله تعالى : ﴿ **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العُسْرة من بعد ما كاد يزيغ قلوبُ فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم * وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم * يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[1] .

فَأُعلم رسول الله ﷺ بذلك عند الصُّبح . فخرج أبو بكر رضي الله عنه فأوفي على سَلْع[2] فصاح : قد تاب الله على كعب بن مالك ! يبشره . فأتاه حمزة بن عمرو فبشره ، فنزع ثوبيه وكساهما إياه ، ولا يملك غيرهما ، واستعار ثوبين من أبي قتادة فلبسهما ، ثم انطلق إلى رسول الله والناس يهنئونه ، وخرج أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل إلى هلالٍ يبشرهُ فلما أخبره سجد ولقيه الناسُ يهنئونه ، فما استطاع المشْي – لما أصابه من الضعف والحزن والبكاء – حتى ركب حماراً . وبشَّر مرارة بن ربيع بن سلكان بن سلامة بن وقْش ، فأقبل حتى توافدوا عند النبي ﷺ .

إنخلاع كعب من ماله

فقام طلحةُ بن عبيد الله يتلقى كعب بن مالك . فلّما سلَّم على رسول الله ﷺ قال له – ووجهه يبرق من السرور – : أبشر بخير يومٍ مر عليك منذ ولدتك أمُّك ! فقال : أمن عندك يا رسول الله أو من عند الله ؟ قال : من عند الله ، وتلا

(١) الآيات ١١٧ – ١١٩ / التوبة ، وفي (خ) « الأنصار » الآيات .

(٢) سلع : جبل بسوق المدينة .

عليه الآيات[١] فقال كعب : يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة ! فقال : أمسك عليك [بعض][٢] مالك فهو خير لك . قال : فالثلثان ؟ قال : لا ، قال : فالنصف[٣] ؟ قال : لا ، قال : فالثلث[٤] ؟ قال : نعم .

ما نزل في المعذرين الكاذبين

ونزل في الذين كذبوا قوله تعالى : ﴿ **سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رِجْسٌ ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون * يحلفون لكم لترضوْا عنهم فإن تَرْضَوْا عنهم فَإِنَّ الله لا يرضي عن القوم الفاسقين** ﴾[٥] .

توهم المسلمين انقطاع الجهاد

وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون . قد انقطع الجهاد ! فجعل أهل القوى منهم يشتريها لفضل قوَّته ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فنهاهم عن ذلك وقال : لا تزال[٦] عصابة من أمتي ظاهرين يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجَّال .

ما نزل من القرآن في تبوك

وأنزل الله في غزوة تبوك : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثَّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياةالدنيا في الآخرة إلا قليل** ﴾[٧] : الآيات من سورة « براءة »[٨] . وكشفت « براءة » منهم ما كان مستوراً ، وأبدت أضغانهم ونفاق من نافق منهم .

---

(١) أي الآيات ١١٧ - ١١٩ / التوبة .

(٢) زيادة لابد منها من (ابن هشام) جـ٤ .

(٣) في (خ) « بالنصف » .

(٤) في (خ) « بالثلث » .

(٥) الآيتان ٩٥ - ٩٦ / التوبة ، وفي (خ) .

(٦) في (خ) « لا تزل » .

(٧) الآية ٣٨ / التوبة ، وفي (خ) إلى قوله تعالى : ﴿ **إلى الأرض** ﴾ .

(٨) براءة : اسم من أسماء سورة التوبة ، وأكثرها نزل في تبوك .

وفد ثقيف وإسلام عروة بن معتب

وفي شهر رمضان هذا قدم وفد ثقيف .

وكان عروة بن مسعود بن معتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد ابن عوف بن ثقيف الثَّقفي - حين حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف - بجَرش ، ثم رجع بعد منصرف رسول الله ﷺ ، فقذف الله في قلبه الإسلام . فقدم المدينة بعد رجوع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من الحج ، فيما ذكر عروة بن الزبير وموسى بن عقبة وقيل : بل لحق رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة فأسلم ، وهو قول ابن إسحٰق .

دعاؤه ثقيف

ثم إنه[1] أراد أن يرجع إلى ثقيف فيدعوهم إلى الإسلام ، فقال له عليه السلام ، إنهم إذا قاتلوك،قال : لأنا أحبُّ إليهم من أبكار أولادهم ! ثم استأذنه الثانية ، ثم الثالثة ، فقال : إن شئت فاخرج][2] ، وعاد إلى الطائف عِشاءَ ، فدخل منزله ولم يأت الرَّبة[3] ، فأنكر قومه ذلك ، وأتوْه منزله ، فدعاهم إلى الإسلام فاتهموه وآذوْه ، وخرجوا يأتمرون ما يصنعون به . حتى إذا طلع الفجر أوْفي على غُرفةٍ فأذّن بالصلاة ، فرماه وهب بن جابر - ويقال : أوس بن عوف من بني مالك - فأصاب أكحلهُ فلم يَرفأ دمه ، ومات ، فلما بلغ رسول الله ﷺ قتْله قال : مَثلُ عروة مَثلُ صاحب ياسين[4] ، دعا قومه إلى الله تعالى فقتلوه ! ولحق ابنه أبو مُليْح وابن أخيه قاربُ بن الأسود برسول الله ﷺ فأسلما ، ونزلا على المغيرة بن شعبة .

مشورة ثقيف عمرو بن أمية

وكان عمرو بن أمية - أحد بني عِلاجٍ - من أدهى العرب ، وكان مهاجراً

---

(١) في (خ) « وإنه » .

(٢) ما بين القوسين زيادة من كتب السيرة .

(٣) الربة : صخرة تعبدها ثقيف بالطائف .

(٤) هو الذي يقول الله فيه ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين ﴾ ، الآيات من ٢٠ - ٣٠ سورة يس .

لعبد ياليل بن عمرو ، فمشى إليه ظهراً حتى دخل داره . [ثم أرسل إليه : إن عمرو ابن أمية يقول لك : أخرج إليّ ! فقال عبدُ ياليل للرسول : ويلك ! أعمروٌ أرسلك إليّ ! قال : نعم ، وها هو ذا واقفاً في دارك ! فقال : إن هذا شيء ما كنت أظنّه ، لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك !][1] فخرج إليه ، فدعاه إلى الدخول في الإسلام ، [وقال له : إنه قد نزل بنا أمرٌ ليست معه هجرة ! إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد أسلمتُ العربُ كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا في أمركم !][1] فقال [عبد ياليل][1] : والله قد رأيتُ ما رأيتَ ، فائتمرتْ ثقيف فيمن يرسلونه إلى النبي ﷺ .

وفد ثقيف والأحلاف

حتى أجمعوا على أن يبعثوا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ورجلين [معه][2] من الأحلاف ، وثلاثة من بني مالك ، فبعثوا عبد ياليل [ومعه] الحكم بن عمرو ابن وهب بن معتِّب ، وشُرَحْبيل بن غيلان بن سلمة – وهما من الأحلاف رهط عروة بن مسعود – ؛ وبعثوا من بني مالك : عثمان بن أبي العاص بن بِشْر بن عبْد ابن دُهمان أخا بني يسار ، وأوس بن عوف ، ونمير بن خَرَشة بن ربيعة ، ستة نفر ، ويقال إن الوفد قد كانوا بضعة عشر رجلا فيهم : سفيان بن عبد الله ، والحكم ابن عمرو بن وهب .

مقدم الوفد إلى المدينة

فخرجوا – ورأسهم عبد ياليل – حتى قاربوا المدينة فإذا المغيرة بن شعبة يرعي في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ – وكانت رعيتها نوَباً على أصحابه – فسلّم عليهم وترك الرِّكاب عندهم ، وخرج يشتدُّ يبشر النبي ﷺ بقدومهم ، فبشره ثم عاد إليهم . فأتَوْا إلى المسجد فقال الناس : يا رسول الله ! يدخلون المسجد وهم مشركون ! فقال : إن الأرض لا ينجسها شيء .

---

(١) زيادات من (ابن سعد) ، و (ابن هشام) .

(٢) زيادة للسياق من (ط) .

ضيافة الوفد

ثم أنزل المغيرة في داره ، وأمر لهم عليه السلام بخيماتٍ ثلاث من حرير فضُربن في المسجد . فكانوا يستمعون القراءة بالليل وتهجُّد الصحابة ؛ وينظرون صفوفهم في الصلوات المكتوبات ، ويرجعون إلى منزل المغيرة فيطعمون ويتوضأون . وكان رسول الله ﷺ يجري لهم الضيافة في دار المغيرة فكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من رسول الله ﷺ حتى يأكل منه خالد بن سعيد بن العاص ، فإنه كان يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى أسلموا .

بعض اعتراضهم

وكانوا يسمعون خطبة رسول الله ﷺ ولا يسمعونه يذكر نفسه فقالوا : يأمرنا نشهد أنه رسول الله ، ولا يشهد به في خطبته ! فلما بلغ رسول الله ﷺ قولهم قال : أنا أول من شهد أنّي رسول الله ، ثم قام فخطب ، وشهد أنه رسول الله في خطبته .

إسلام عثمان بن أبي العاص

فمكثوا أياماً يغدون على النبي ﷺ ، ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم – وكان أصغرهم – فكانوا إذا رجعوا وناموا بالهاجرة ، خرج فعمد إلى النبي ﷺ فسأله عن الدين ، فاستقرأه القرآن وأسلم سراً وفَقه وقرأ من القرآن سوراً .

جدال الوفد في الزنا والربا والخمر

هذا ورسول الله ﷺ يدعو الوفد إلى الإسلام ، فقال له عبد ياليل : هل أنت مقاضينا[1] حتى نرجع إلى قومنا ، فقال إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم ، وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم . فقال عَبْد ياليل : أرأيت الزنا ! فإنا قومٌ عزَّاب[2] لابد لنا منه ، ولا يصبر أحدنا على العزبة[3] ! قال : هو مما حرَّم الله ؛ قال :

(١) قاضي مقاضاة : جعل بينه وبينه قضاءً محكماً .

(٢) في (خ) « عذاب » .

(٣) في (خ) « العدبة » ، والعزبة والعزوبة بمعنى .

أرأيت الربا ! قال : الربا حرام ! قال فإن أموالنا كلها ربا ! قال : لكم رؤوس أموالكم ، قال : أفرأيت الخمر ! فإنها عصير أعنابنا ولابد لنا منها ! قال : فإن الله حرَّمها . فخلا بعضهم ببعض ، وقال عبد ياليل : ويحكم ! نرجع إلى قومنا بتحريم هذه الخصال !! لا تصبر ثقيفٌ عن الخمر ولا عن الزنا أبداً .

كتاب الصلح

ومشى خالد بن سعيد بن العاص بينهم وبين النبي ﷺ حتى كتبوا الكتاب – وكتبه خالد – وأسلموا ، وتعلموا فرائض الإسلام وشرائعه ، وصاموا بقية شهر رمضان . فأمَّر عليهم رسول الله ﷺ عثمان بن أبي العاص ، وهو أصغرهم ، وقال له : اتخذْ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً : وخرجوا إلى الطائف .

هدم رَبَّة ثقيف

وسار في إثرهم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة لهدم الربة صنمهم ، فدخل القوم الطائف ، وكانت لهم مع قومهم أنباءٌ حتى أسلموا . ودخل المغيرة في بضعة عشر رجلا فهدموا الرَّبَّة ، وانتزع كسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة . فأعطى رسول الله ﷺ ممّا وجد فيه أبا مُليح بن عروة ، وقارِب بن الأسود ، وناساً : وجعل في سبيل الله وفي السِّلاح منها .

ثم كتب لثقيف بعد البسملة :

كتابه ﷺ لثقيف

« من محمد النبي رسول الله[1] ، [هذا كتابٌ من النبي رسول الله][2] ، إلى المؤمنين : إن عِضَاهَ وَج وصيده لا يُعضَدُ[3] ، ومن وجدَ يفعل [شيئاً][4] من ذلك يجلد وتنزع ثيابُه ، فإن تعدى [ذلك][4] فإنه يوخذُ فيبلغ [به][4] النبيُّ محمد ، وإن[5] هذا أمرُ النبي محمد رسول الله . وكتب خالدُ بن سعيد بأمر النبيِّ

(١) في (خ) « ورسول الله » ، وما أثبتناه نص (ابن هشام) ج٤ .

(٢) هذا الكتاب ، أعاد المؤلف صياغته من روايات مختلفة وكلها صحيحة إلا أنه نسي التنبيه على اختلاف الرواية .

(٣) في (خ) « عضاة » .

(٤) زيادات من (ابن هشام) ج٤ .

(٥) في (خ) « فإن » وهذا نص (ابن هشام) ج٤ .

محمد بن عبد الله ، فلا يتعدهُ أحدٌ فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله .

حِمىَ وج

ونهي ﷺ عن قطع عِضاهِ[1] وجٍّ وعن صيده ، فكان الرجل يؤخذ بفعل ذلك ، فَتُنْزَعُ ثيابه . واستعمل على حِمى وجٍّ سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه .

إسلام كعب بن زهير

وفي هذه السنة كان إسلام كعب بن زهيرٍ بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزنيِّ من ، مزينة بن أدٍّ بن طابخة بن إلياس بن مضر : وذلك أنه خرج هو وأخوه بجير إلى أبرق العراق ، فتركه بجيرٌ في غنمه وقدم المدينة فأسلم ، فقال كعبٌ شِعْراً غضِب منه رسول الله ﷺ وأهدَر دمه . فكتب إليه بجير بعد عودة رسول الله ﷺ من الطائف ، وقال له : النَّجاءُ النَّجاءُ !! وما أراك أن تفلِتَ ، ثم كتب إليه يدعوه إلى الإسلام فأسلم ، وقدم على رسول الله ﷺ المدينة وأنشده :

« بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » ... القصيد

خبره وخبر البردة

فكساه بُردة كانت عليه . وقيل : أمر ﷺ بقتله لأنه كان يُشَبِّبُ بامِّ هانيءٍ بنت أبي طالب ، وذكر يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة منصرفاً عن الطائف كتب بجير بن زهير إلى أخيه كعب ، فذكر الحديث . وقيل : إن رسول الله ﷺ رأي زهيراً وله مائة سنة فقال : اللهم أعذني من شيطانه ! فما لاك بيتاً حتى مات . وقال ابن قتيبة[2] : أعطي رسول الله ﷺ كعب بن زهير راحلة وبرداً ، فباع البرد من معاوية[3] بعشرين ألفاً ، فهو عند الخلفاء إلى اليوم .

---

(١) في (خ) « عضاة » .
(٢) في كتاب (الشعر والشعراء) جـ١ ص ١٦٢ طبعة ثالثة بتحقيق أحمد محمد شاكر سنة ١٩٧٧ .
(٣) في (خ) « معونة » .

الوفـود

ولما أسلمت ثقيف ضربتْ إليه وفود العرب من كل وجه لمعرفتهم أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله أفواجاً .

وِفد بني أسـد :

فقدم وفد بني أسدٍ وقالوا : أتيناك قبل أن ترسل إلينا !! فأنزل الله : ﴿ **يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمنُّ عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين** ﴾[1] :

كتب ملوك حمير :

وقدمت كتب [ملوك][2] حمير [ورسوله إليه بإسلامهم][3] : الحارث بن عبد كلال [ونعيم بن عبد كلال][2] ، والنعمان قيل ذي رُعَيْن ، [ومعافر][3] وهمْدان ، أقرُّوا بالإِسلام .

وفـد بهـراء :

وقدم وفد بهراء ، فنزلوا على المقداد بن عمرو [البهرانيّ][4] .

وفود أخر :

وقدم وفد بني البكاء ، ووفد فزارة وفيهم خارجة بن حصين ، ووفد ثعلبة ، ووفد سعد بن بكر ووافدهم ضمام بن ثعلبة ، ووفد الداريين من لخمٍ وهم

---

(١) آية ١٧ / الحجرات ، وفي (خ) ، ﴿ **أن أسلموا** ﴾ ، الآية .

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) زيادة من ابن هشام ، وفي (خ) « وقدمت كتب حمير مع الحارث بن عبد كلال » وهذا خطأ ، فإن كلا من الحارث والنعمان لم يفدا على رسول الله ﷺ بل هو الذي كتب إليهما ، وهذا هو نص كتابه ﷺ إليهما « بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قيل ذي رعين ، وهمدان ومعافر ؛ أما بعد ذلكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم وخبر ما قبلتم وأنبأنا بإسلامكم ، وقتلكم المشركين ، وإن الله قد هداكم بهدايته إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من المغانم خمس الله وسهم نبيه وصفيه .
(راجع مكاتيب الرسول) ص ١٨٧ . (وتاريخ الطبري) جـ٣ ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٤) زيادة للإيضاح من (ط) .

عشرة[1] .

موت عبد الله بن أبيّ

ومرض عبد الله بن أبيّ في ليالٍ من شوَّال ، ومات في ذي القعدة وكان مرضه عشرين يوماً ، كان رسول الله ﷺ يعوده فيها ، فلما دخل عليه وهو يجود بنفسه قال له : نهيتك عن حبِّ يهود ! فقال : قد أبغضهم أسعد بن زرارة ، فما نَفَعه ؟ : ثم قال : يا رسول الله ، ليس بحين عتاب ، هو الموت ! فإن مت فاحضر غُسْلي ، وأعطني قميصك أكفن فيه فأعطاه قميصه الأعلى – وكان عليه قميصان – ، فقال : الذي يلي جلدك ! فنزع قميصه الذي يلِي جلده فأعطاه ثم قال صلِّ عليَّ واستغفرلي .

حضور رسول الله ﷺ

ويروي أن النبي ﷺ جاء بعد موته إلى قبره ، فأمر به فأخرِجَ ، فكشف عن وجهه ، ونفَثَ عليه من ريقه وأسنده إلى ركبتيه ، وألبسه قميصه الذي يلي جلدَه : قال الواقدي[2] : والأول أثبت أنه حضر غسله وكفَّنه .

الصلاة عليه واعتراض عمر في ذلك

ثم حُمل إلى موضع الجنائز ، فتقدم ﷺ ليصلي عليه ، فلما قام وَثَبَ إليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، تصلي على ابن أبي ؟ فإنه قال يوم كذا وكذا[3] ، ويوم كذا وكذا ، فعَدَّ عليه قوله : فتبسم وقال : أخِّر عني يا عمر ، فإني خُيرت فاخترت ، [وقد قيل لي : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرَّة فلن يغفر الله لهم** ﴾[4]] ولو[5] أعلم أني إن زدت[6] على السبعين غفر له زدت عليه !! فصلى عليه وأطال الوقوف .

(١) في (خ) « ووفد الدواس من لخم وهم عشيرة » وما أثبتناه من (الطبري) جـ٣ ص ١٢٢ .
(٢) (المغازي) جـ٣ ص ١٠٥٧ .
(٣) في (خ) « يوم كذا وكذا » وما أثبتناه من (الواقدي) .
(٤) من الآية ٨٠ / التوبة ، وما بين القوسين زيادة للسياق من (ابن هشام) جـ٤ .
(٥) في (ط) « فلو أعلم » وما أثبتناه من (خ) و (الواقدي) .
(٦) في (ط) « إن زدت » وفي (خ) و (الواقدي) « إذا زدت » .

ما نزل من القرآن في المنافقين

ونزل قوله تعالى : ﴿ **ولا تصلِّ على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون * ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * وإذا أنزلت سورةٌ أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** ﴾[١] فعرف عليه السلام في هذه الآية المنافقين فكان من مات منهم لم يُصَلِّ عليه .

دفن عبد الله واجتماع المنافقين

ثم حُمل ابن أبيّ إلى قبره ، وقد غلب عليه المنافقون كسعد بن حنيف ، وزيد ابن الصليت وسلامة[٢] بن الحمام[٣] ونعمان بن أبي عامر[٤] ، ورافع ابن حرملة[٥] ، ومالك بن أبي نوفل[٦] ، وداعس ، وسويد ، وهؤلاء أخابث المنافقين . وهم الذين كانوا يمرِّضونه ، وكان يقول : لا يليني غيرهم ، ويقول لهم : أنتم والله أحب إليّ من الماء على الظمأ ! ويقولون : ليت إنا نفديك بالأنفس والأموال والأولاد ! فلما وقعوا على حفرته – ورسول الله ﷺ واقف يلحظهم – ازدحموا على النزول في حفرته ، وارتفعت الأصوات ، حتى أصيب أنف داعسٍ وسال الدم ، وكان يريد أن ينزل فنحّي ، وجعل عبادة بن الصامت رضي الله عنه يَذُبهم ويقول : اخفضوا أصواتكم عند رسول الله ، ونزل حفرته رجال من قومه أهلُ فضل وإسلام ، وهم : ابنه [عبد الله][٧] وسعد بن عُبادة ، وعبادة بن الصامت ، وأوس ابن خوْليّ حتى بَنوْا عليه . ودلاه عليهم[٨] الصحابة وأكابر الأوس والخزرج ، وهم قيام مع النبي ﷺ ودلاه عليه السلام بيديه إليهم ؛ ثم قام على القبر حتى دُفِن ،

---

(١) الآيات ٨٤ – ٨٧ / التوبة ، وفي (خ) « على قبره الآيتان » .

(٢) يقول محقق (ط) « ولم أجد له خبراً ولا ذكراً » ، ونقول : « الخبر بتمامه في (المغازي للواقدي) جـ٣ ص ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ومنه صوبنا بعض الأسماء والأنساب » .

(٣) في (ط) « سلالة » .

(٤) في (ط) « ونعمان بن أوفي بن عمرو » .

(٥) في (ط) « حريملة » .

(٦) في (ط) « قوقل » .

(٧) زيادة من (ط) .

(٨) في (خ) « عليه » وما أثبتناه من (ط) .

وعزّى ابنه وانصرف . وحثا المنافقون عليه تُراب قبره وهم يقولون : يا ليت أنا فديناك بالأنفس وكنا قبلك ، وحَثَوْا على رؤوسهم التُّراب .

ابنتـه وحـزنها

ولم تتخلف امرأة من الأوس والخزرج حتى أتت ابنته جميلة بنت عبد الله ابن أبي ، وهي تقول : واجبلاه ! واركناه ! واأبتاه ! وما ينهاها أحد ولا يعيب عليها .

حج أبي بكر الصديق رضي الله عنه

ثم كانت حجة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة تسعٍ[١] . وكان رسول الله ﷺ – قبل أن ينزل عليه سورة براءة – قد عاهد ناساً من المشركين عهداً ، فلبث بعد مرجعه من تبوك أربعة أشهر وحضر الحجُّ ، فكره أن يخرج ذلك العام حتى ينبذ[٢] إلى كلِّ من عهد إليه من المشركين عهده .

حـج المشـركين

وكانوا يحجون مع المسلمون ، فإذا قال المسلمون « لبيك لا شريك لك » ، عارضهم المشركون بقولهم [لبيك][٣] « لا شريك لك ، إلا شريكٌ هو لك ، تملِكه وما ملك » ، عاليةً أصواتهم ليغلّطوهم بذلك ، ويطوف رجال منهم عُراة ، ليس على أحد منهم ثوب ، يعظمون بذلك الحرْمَة[٤] ، ويقول أحدهم : أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس عليّ شيءٌ من الدنيا خالطة الظلم .

الخروج إلى الحج

فَكَرِهَ رسول الله ﷺ أن يحج ذلك العام ، فاستعمل أبا بكر على الحج ، [وكتب له بنفس الحج ، لأنه اشتكى أنه لا علم له بالقضاء][٥] . فخرج في

---

(١) في (خ) « سنة سبع » وهو خطأ .
(٢) نبذ العهد : نقضه .
(٣) زيادة للسياق من (ط) .
(٤) حرمة البيت الحرام .
(٥) كذا في (خ) ، وليس لهذه العبارة أو لمعناها نظير في كتب السيرة .

ثلاثمائة رجُلٍ. وبعث معه بعشرين بَدَنةً قلدها النعال وأشعرها بيده في الجانب الأيمن ، واستعمل عليها ناجية بن جُنْدُب الأسلمي ، وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات . وحج عامئذٍ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فأهدى بُدْناً . وأهلّ أبو بكر رضي الله عنه من ذي الحليْفةِ ، وسار حتى [إذا][1] كان بالعرج في السّحر سمع رغاء القصواء ، فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليها فقال : قد استعملك رسول الله ﷺ على الحج ؟ قال : لا ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس : فانبذ إلى كل ذي عهدٍ عهده . وقيل أدركه عليٌّ رضي الله عنهما بضجنان .

صفة الحج

وكان رسول لله ﷺ عهد إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يخالف المشركين : فيقف يوم عرفة بعرفة ولا يقف بجمع ، ولا يدفع من عرفة حتى تغرُب الشمس ، ويدفع من جمع قبل طلوع الشمس فخرج حتى أتى مكة وهو مُفرِد بالحجِّ ، فخطب قبل التروية بيوم بعد الظهر ، وطاف يوم التروية – حين زاغت الشمس – بالبيت سبعاً ، ثم ركب راحلته من باب بني شيبة ! وصلى الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، والصبح بمنى ، ولم يركب حتى طلعت الشمسُ على ثبيرٍ ، فانتهى إلى نمرة ، فنزل في قبة من شَعر فقال فيها وركب راحلته لما زاغت الشمس فخطب ببطن عرفة ، ثم أناخ فصلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين ، ثم ركب راحلته فوقف بالهضاب من عرفة ، فلما أفطر الصائم دفع يسير العَنَق[2] حتى نزل بجمعٍ – قريبا من النار التي على قزح[3] فلما طلع الفجر صلى الفجر ثم وقف ، فلما أسفر دفع . وجعل يقول في وقوفه : يا أيها الناس . أسفِروا[4] ، ثم دفع قبل الشمس . وكان يسير العَنَق[2] حتى انتهى إلى محَسرٍ فأوضع راحلته ، فلما جاز وادي مُحَسِّر عاد إلى مسيره الأول حتى رمي الجمرة راكباً بسبع حُصَيَّاتٍ ، ثم رجع إلى المنحر فنحر ثم حلق .

---

(١) زيادة للبيان من (ط) .
(٢) العنق : ضرب من السير سريع .
(٣) قزح : هو القرن الذي يقف الإمام عنده بالمزدلفة .
(٤) أسفر بالفجر : أطال الصلاة حتى يتبين الفجر .

قراءة براءة

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه – يوم النحر عند الجمرة – براءة ، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده ، وقال : إن رسول الله ﷺ يقول : لا يحج بعد هذا العام مُشْركٌ ، ولا يطوف بالبيت عُريان .

خطبة أبي بكر

وخطب أبو بكر رضي الله عنه يوم النحر بعد الظهر على راحلته ، وقام برمي الجمار ماشياً : ذاهباً وجائياً : فلما رمي يوم الصدر[1] وجاوز العقبة ، ركب . ويقال : رمي يومئذٍ راكباً ، وصلّى بالأبطح الظهر والعصر ، وصلى بمكة المغرب والعشاء ، ثم خرج من ليلته قافلا إلى المدينة .

سيرة النبي ﷺ قبل براءة

[وكانت سيرة النبي ﷺ][2] – قبل نزول براءة –: أن يقاتل من قاتله ، ومن كفّ يده كف عنه ؛ فنسخت براءة ذلك .

وكان العرب إذا تحالف سيدهم أو رئيسهم مع آخر لم ينقُض ذلك إلا الذي يحالفُ أو أقربُ الناس قرابة به . وكان عليّ رضي الله عنه هو الذي عاهد المشركين ، فلذلك بعثه رسول الله ﷺ ببراءة .

ولما رجع المشركون من حجهم لام بعضهم بعضاً وقالوا : ما تصنعون وقد أسلمت قريش ؟! فأسلموا .

وفود غسان وغامد ونجران

ثم كانت سنة عشر . وفيها كان وفد غسّان[3] ووفد غامد في شهر رمضان .

وقدم وفد نجْران : وكان رسول الله ﷺ أرسل خالد بن الوليد إلى بني الحارث ابن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاثاً ، فإن أجابوا أقام فيهم

---

(١) يوم الصدر : اليوم الرابع من أيام النحر .

(٢) هذه العبارة مكررة في (خ) .

(٣) في (خ) « غبشان » والتصويب من (الطبري) جـ٣ ص ١٢٧ .

وعلمهم شرائع الإسلام ، وإن أبوْا قاتلهم ، فخرج إليهم في ربيع الأول سنة عشر ، ودعاهم فأجابوا وأسلموا ، وأقام فيهم ، وكتب إلى رسول الله ﷺ يعلمه إسلامهم ، ثم عاد ومعه وفدهم ، فيهم : قيس بن الحصين بن زيد بن شداد ويقال له ابن ذي الغصَّة[1] ، ويزيد بن عبد المدان ، في آخرين ؛ ثم عادوا في بقيَّة شوال أو في ذي القعدة ، وأمّر عليهم قيس بن الحُصَيْن .

إسلامهم وكتاب النبي لهم

وخرج إليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ويأخذ صدقاتهم . وكتب له رسول الله ﷺ كتاباً ليحملهم على ما فيه ، وبين فيه الأحكام والزكوات ومقادير الديات ويقال : كان ذلك في شهر ربيع الآخر ، وقيل في جمادي الأولى . فتوفي رسولُ الله ﷺ وعمرو بن حزْم على نجْران .

المباهلة

وأرسل نصارى نجران العاقب والسيِّد في نفرٍ ، فأرادوا مباهلة[2] رسول الله ﷺ ، فخرج ومعه فاطمة وعليٌّ والحسن والحسين عليهم السلام ، فلما رأوهُم قالوا : هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها !! ولم يباهلوا ، وصالحوه على ألفي حُلةٍ : ثمن كل حلة أربعون درهماً ، وجعل لهم عليه السلام ذمّة الله وعهده على ألا يفتنوا عن دينهم ، ولا يعْشروا[3] ولا يحشروا[4] ، ولا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا [به][5] .

سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن

ثم كانت سرية علي رضي الله عنه في رمضان : بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن [حين][6] تتام أصحابه ، وعقد له لواءً : أخذ عمامة فلفها مثنية مربعة وجعلها

---

(١) في (خ) القصة .
(٢) أنظر آية المباهلة ، وهي الآية رقم ١٦ / آل عمران ، وأسباب النزول للواحدي ص ٧٤ .
(٣) في (خ) « يعاشروا » ، ومعنى لا يعشروا : لا يؤخذ عشر أموالهم في التجارات .
(٤) لا يحشروا : لا يندبون إلى المغازي .
(٥) زيادة من (ط) عن (فتوح البلدان) ص ٧١ .
(٦) زيادة للسياق من (ط) .

في رأس الرُّمح ، ثم دفعها إليه وقال : هاك هذا اللواء ! وعممه عمامةً ثلاثة أكوار ، وجعل ذراعها بين يديه وشِبْراً من ورائه ، ثم قال : هكذا العمَّة[1] !

وصية رسول الله ﷺ له

وقال له : إمض ولا تلتفت ! فقال علي : يا رسول الله ، كيف أصنع ؟ قال : إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك . فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منك قتيلا ، فإن قتلوا منك قتيلا فلا تقاتلهم ، تلوَّمُهم[2] حتى تريهم أناة . ثم تقول لهم : هل لكم أن تقولوا لا إله إلا الله ؟ فإن قالوا : نعم ، فقل هل لكم إلى أن تصلوا ؟ فإن قالوا : نعم ، فقل لهم : هل لكم إلى أن تخرجوا من أموالكم صدقة تردُّونها على فقرائكم ؟ فإن قالوا : نعم ، فلا تبغ منهم غير ذلك ، والله لأن يهدِيَ الله على يديْك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعْت عليه الشمس أو غَرَبَتْ .

الغنـــائم

فخرج في ثلاثمائة فارس حتى انتهى إلى أرض مذحج ففرَّق[3] أصحابه ، فأتوا بنهب وغنائم ونساء وأطفال ونعمٍ وشاءٍ وغير ذلك ؛ فكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد ، فجعل على الغنائم بريدة بن الحُصيب ثم لقى جمعاً فدعاهم إلى الإسلام ، فأبوْا ورموْا بالنَّبل والحجارة ساعة ؛ فصفَّ أصحابه ، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنانٍ السُّلمي ، وحمل عليه بمن معه ، قتل منهم عشرين رجلا ، فانهزموا فلم يتبعهم ، ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا . وبايعه نفرٌ من رؤوسائهم على الإسلام وقالوا : نحن على من وراءنا ، وهذه صدقاتنا فخد منها حق الله .

قسمة الغنائم إلا الخمس

وجمع على الغنائم وجزأها خمسة أجزاء . وأقرع عليها ، وكتب في سهم منها ، فخرج أوَّل السهام سهم الخمس ، ولم ينفل منه أحداً من الناس شيئاً .

وكان من قبله من الأمراء يعطون أصحابهم – الحاضِرَ دون غيرهم – من

(١) العمة : هيئة الاعتمام ، والعمامة : ما يعتمم به .

(٢) تلومهم : انتظرهم .

(٣) في (خ) « فعرق » .

الخمس ، ثم يخبرَ بذلك رسول الله ﷺ فلا يردّه عليهم ، فطلبوا ذلك من علي فأبى وقال : الخمس أحمله إلى رسول الله ﷺ يرى فيه رأيه ، وهذا رسول الله ﷺ يوافي المَوْسِم ، ونلقاه به فيصنع ما أراه الله فانصرف راجعاً ، وحمل الخمس ، وساق معه ما كان ساق . وكان في الخمس ثيابٌ من ثياب اليمن أحمال معكومةٌ ، ونعمٌ مما غنموا ، ونعمٌ مِن صدقة أموالهم .

ثم تعجل ، وجعل أبا رافع على أصحابه وعلى الخُمس ، وكان عليٌّ ينهاهم عن ركوب إبل الصدقة . فسأل القومُ أبا رافع أن يكسوهم ثياباً يحرمون فيها ، فكساهم ثوبين .

خبر أبي رافع في الإعطاء من الخمس

فلما خرج عليٌّ يتلقاهم - وهم داخلون مكة ليقْدَم بهِمَ - رأى عليهم الثياب فعرفها ، فقال لأبي رافع : ما هذا ! فأخبره ، فقال : قد رأيتَ إبائي عليهم ذلك ، ثم أعطيتهم وقد أمرتك أن تحتفظ بما خلفتُ فتعطيهم ؟! وجرّد بعضهم من ثوبيه . فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوْه ، فدعاه[1] وقال . ما لأصحابك يشكونك ؟ فقال : ما أشكيتهم : قسمتُ عليهم ما غنموا . وحبست الخمس حتى نقدم عليك وترى رأيك فيه ، وقد كانت الأمراء يفعلون أموراً : ينفلون من أرادوا من الخمس ، فأردت أن أحمله إليك لترى فيه رأيك ! فسكت عليه السلام .

قدوم علي في الحج

وكان عليٌّ رضي الله عنه قد كتب إلى رسول الله ﷺ لما ظهر علي عدوّه - مع عبد الله بن عمرو بن عوف المزنيّ - بما كان من لقاء القوم وإسلامهم ، فأمر أن يوافيه في الموسم - ، فعاد إليه عبد الله .

وقدم عليٌّ من اليمن فوجد فاطمة عليها السلام ممن حَلَّ ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت ، فأنكر ذلك عليها فقالت : أمرني بهذا أبي ، فذهب إلى رسول الله ﷺ محرِّشا عليها[2] ، مستفتياً في الذي ذكرتْ ، وأخبره ، فقال : صدقَتْ ! ماذا قلتَ

---

(١) في (خ) « فدعاهم » .

(٢) التحريش : الإغراء والتهييج بذكر ما يوجب العتاب .

حين فرضتَ الحج ؟ قال : قلتُ اللهم إني أهلُّ بما أهلَّ به رسولك ! قال : فإن معي فلا تحلَّ ، وكان الهدْيُ الذي جاء به عليّ رضي الله عنه والذي ساقه النبيُّ ﷺ بالمدينة مائة بدنة ، فأشرك علياً في هديه[1] .

وفـد الأزد

فيها قدم[2] وفدُ الأزد ، ورأسُهم صُرَد بن عبد الله في بضعة عشر رجلا فأسلم ، وأمَّره رسولُ الله ﷺ على من أسلم من قومه ، وأمَره أن يجاهد المشركين فسار إلى مدينة جُرَش ، فحصر خشعَم نحو شهر ، ثم رجع كأنه منهزم ، فخرجوا إليه ، فعطف عليهم فقتلهم أشد قتْلٍ . وكان أَهْلُ جُرش قد بعثوا رجلين إلى رسول الله ﷺ ينظران حاله ، فأخبرهما بما كان من أمرِ صُرَد بن عبد الله ، فرجعا ، فوجدا أصحابهما قد أصيبوا في تلك الساعة من ذلك اليوم الذي ذكر ﷺ فيها حالهم . فقدم ، وفد جُرَش فأسلموا ، وحمي لهم النبي ﷺ حوْلَ القرية للفرس والراحلة والمثيرة . والمثيرة : بقرةُ الحرْثِ[3] [لأنها تثير الأرض][4] .

وفـد مـراد

وقدِم وفد مراد مع فرْوَة بن مسيك بن الحارث بن سلمة بن الحارث بن كريب النطيفي ثم المُراوِيءُ[5] مفارقاً لملوك كندَةَ ؛ فاستعمله رسول الله ﷺ على مُرادٍ وزُبيدة ومَذْحَجٍ كلِّها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدَقة . وقيل : كان إســلام فروة سنة تسعٍ .

وفد فروة الجذامي

وقدم وفد فروة بن عمرو بن النَّافرة الجذاميَ ، عامل الروم على فلسطين وما حولها وعلى من يليه من العرب ، وكان موضعه بميعان من أرض فلسطين ، وكتب بإسلامه وأهدى إلى رسول الله ﷺ بغلةً بيضاء ، فطلبه الروم وحبسوه ثم قتلوه .

---

(١) في (خ) « هدية » .

(٢) في (خ) « تقدم » .

(٣) في (خ) « والمثرة بقر الحارث » .

(٤) زيادة للبيان من (ط) .

(٥) راجع (عيون الأثر) جـ٢ ص ٢٣٩ .

وفـد زبيـد

وقدم وفد زبيد مع عمرو[1] بن معديكرب بن عبد الله بن عمر عصْم[2] ابن عمرو بن زُبيْد ، ثم عاد . وقيل : كان إسلامه سنة تسع .

وفد عبد القيس

وقدم وفد عبد القيس ، وفيهم الجارود بن عمرو بن حنش[3] بن يعلي ، وكان نصرانياً فأسلم ، وأسلم من معه .

وفد بني حنيفة

وقدم وفد بني حنيفة ، وفيهم مسيلمة الكذّاب بن ثمامة بن كبير بن حُبيب ابن الحارث بن عبد الحارث بن عَدِي ، فنزل دار ابنة الحارث الأنصاريّة ، وعاد إلى اليمامة فتنبأ وادعى أنه شريكُ رسول الله ﷺ في النبوة ، فاتبعه بنو حنيفة .

وفـد كنـده

وقدم وفد كِنْدة – وهم ستون راكباً – مع الأشْعث بن قيس بن معديكرب ابن معاوية بن جبلة[4] بن عدِيّ بن ربيعة بن معاوية [الأكرمين][5] بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مُرَتِّع [واسمه عمرو][5] ابن معاوية بن ثوْر بن عُفْير [وثوْر بن عُفيْر هو كندة ، لأنه كَنَد أباه النعمة][6] ابن عدي بن مرَّة بن أرَد بن زيْدٍ الكندي ، فقال . نحن بنو آكل المُرار . وأنت يا محمد ابن آكل المرار ! فقال النبي ﷺ : نحن بنو النضْر بن كنانة ، لا نقفوا أمَّنا ولا ننتفي من أبينا[7] .

وفد محارب

وقدم وفد مُحارب ؛ ووفد الرَّهاويين – وهم بطن من مَذحجٍ – ينسبون إلى

(١) في (خ) « عمر » .
(٢) في (خ) « حطم » .
(٣) في (خ) « خنش » .
(٤) في (خ) « حبله » .
(٥) زيادة من (ط) عن (أسد الغابة) .
(٦) زياد من (ط) عن (أسد الغابة) .
(٧) في (خ) « لايقفوا أمنا ، ولا نتبه من أبينا » .

رَهاء [بفتح الراء] بن منبِّه بن حرب بن عُلةَ بن خالد بن مالك بن أُدَد بن زيد ابن يشْجُب بنُ عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشْجُب بن يعرب بن قحطان :

وفد عبس والصَّدف وخولان وبني عامر بن صعصعة

ووفد عبسٍ ، ووفد الصدف ، ووفد خولان ، وكانوا عشرة ، ووفد بني عامر ابن صعصعة ، فيهم عامر بن الطفيل ، وأَرْبَد بن قيس ، وجبَّار بن سلمى بن مالك ابن جعفر ، فأراد عامر الغَدْر برسول الله[1] ﷺ فقال له قومه . إن الناس قد أسلموا فأسلم ! فقال : لا أتبع عَقِيبَ هذا الفتى ! ثم قال لأَرْبَد : إذا قدِمْنا عليه فإني شاغله عنك فاعْلُهُ بالسيف من خلفه ، فلما قدِموا جعل عامر يكلم رسول الله ﷺ [يقول : يا محمد خالَّني ! قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحْده . قال : يا محمد ! خالني ! وجعل يكلم رسول الله ﷺ ، وينتظر من أَرْبَدَ ما كان من أمره به ، فجعل أربد لا يحيرُ شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربدُ ، قال : يا محمد ! خالَّني ! قال : لا ، حتى تُؤمن بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله][2] لأملأنها عليك خيلا ورجْلا ! فلمَّا وَلَّي قال ﷺ : اللهم أكفني عامراً ! فلما خرجوا قال عامرٌ لأربد . لم لا قتلته ؟ قال : كلما همْمت بقتْله دخلت بيني وبينه حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟ فأرسل الله في طريقهم على عامر الطاعون ، فقتله وهو في بيت امرأة سَلوليّةٍ حتى مات ؛ وأرسل الله على أَرْبَد صاعقةً فأحرقته .

وفد طيء

وقدم وفد طيء : فيهم زيْدُ الخَيْل بن مُهلهل بنِ زيد بن مُنهَب الطائيُ فأسلم ؛ وسماه رسول الله ﷺ زيد الخيْر ، وقال : ما وُصِفَ لي أحدٌ في الجاهلية فرأيتُه في الإسلام إلا رأيتُه دون الصِّفة غيرَك . وأقطع له أرضين في ناحيته ؛ وأسلم قومُه .

كتاب مسيلمة الكذاب إلى رسول الله ﷺ

وكتب مسيلمة الكذابُ إلى رسول الله ﷺ : « من مسيلمة رسول الله إلى

---

(١) في (خ) « يا رسول الله » .

(٢) زيادة للسياق من (ط) .

محمدٍ رسول الله ، أما بعد ، فإني قد أشرِكتُ معك في الأمر ، وإن لنا نصفَ الأرض ولقُريشٍ نصفُها ، ولكن قريشاً قومٌ يعتدون » .

كتاب رسول الله ﷺ إليه

فكتب إليه رسول الله ﷺ بعد البسملة : « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، أما بعد ، فالسلام على من اتبع الهدى ، أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

وقدِمَ بكتاب مسيْلمة رجلان ، فسألهما رسول الله ﷺ عنه فصدَّقاه ، فقال أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقتل لقتلتكما . وقيل: إن دعوى مسيلمة ، والأسود العنسيّ ، وطليحةَ النبوَّةَ ، إنما كانت بعد حجة الوداع . وكان ﷺ إذا قدِمَ الوفودُ لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك .

البعثة على الصدقات

وفيها بعث رسول الله ﷺ أمراءه إلى الصدقات ، فبعث المهاجر بن أبي أميّة ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي إلى صنعاء ؛ وبعث زياد بن لبيد ابن ثعلبة بن سنان بن عامر بن أمية بن بياضة الأنصاريَّ البياضيَّ إلى حضرْموْت ؛ وبعث عدِيَّ بن حاتم بن عبد الله[1] بن سعد بن حشْرج بن امريء القيس ابن عدي (ابن أخْزَم بن أبي أخزَم)[2] بن ربيعة بن جرول بن نُعَل بن عمرو ابن الغوّث بن طيء بن أدَدَ بن زيد بن كهْلان الطائيَّ على صدقة طيءٍ وأسَد ؛ وبعث مالك بن نويرة على صدقات حنظلة ؛ وجعل الزِّبرقان بن بدر بن امريء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيدٍ مناة بن تميم التميميَّ ، وقيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيْد بن الحارث (وهو مقاعس) ابن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم المنقريّ التميميَّ على صدقات سعد ابن زيد مناة ؛ وبعث العلاء بن الحضْرميّ إلى البحرين .

---

(١) في (خ) « بن عبد الله بن الله » مكررة .
(٢) زيادة من نسبه من (ط) عن (أسد الغابة) .

بعثة علي رضي الله عنه إلى نجران

وبعث عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى نجران على صدقاتهم ، فقدم على رسول الله ﷺ في حجِّه ، وأحرم كإحرامه ، وذكر بعضهم أن علياً رضي الله عنه سار في هذه السنة إلى اليمن – بعد توَجُّه خالد بن الوليد إليها – فقرأ على أهل اليمن كتابَ رسول الله ﷺ فأسلمت كلها في يوم واحد فكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ فقال : السلام على همدان ، وكرر ذلك ثلاثاً ؛ ثم تتابع[1] أهل اليمن على الإسلام ، فلما كتب ذلك عليٌّ سَجد ﷺ شكراً لله تعالى . وأنه بعثه ﷺ إلى نجران ليجمع صدقاتهم وجزيتهم ، فلقيه عليه السلام بمكة في حجَّة الوداع ولم يذكر الواقديُّ في مغازيه بعثة عليٍّ رضي الله عنه سوى إلى اليمن كما تقدم – في رمضان .

حجة الوداع

ثم كانت حجة الوداع ، ويقال حجَّة الإسلام ، وحجَّة البلاغ ، وحجَّة التمام ، وقد أجمع ﷺ الخروج في ذي القعَدة سنة عشر من مُهاجَره[2] ، وقد أسلمتْ جزيرةُ العرب ومن شاء الله من أهل اليمن – فصلى الظهر بذي الحليفة ، وأذَّن في الناس بالحجِّ ، فقدم المدينة بشرٌ كثيرٌ يريدون أن يأتمُّوا برسول الله ﷺ ويعملوا بعمله[3] .

المسير وصفه إحرامه ﷺ

وسار من المدينة – متدَهِّناً[4] ومترجِّلا[5] [متجرداً في ثوبين صُحاريَّين : إزارٍ ورداءٍ ، وذلك][6] يوم السبت لخمسٍ بقين من ذي القعدة – ، ومعه أزواجه ، وأهلُ بيته ، وعامةُ المهاجرين والأنصار ومن شاء من قبائل العرب وأفناء[7] الناس .

وقال ابن حزم : الصحيح أنه خرج لستٍّ بقين (من ذي القعدة) ، فصلى

---

(1) في (خ) « تبايع » .

(2) في (خ) « مهاجرة » .

(3) في (خ) « ويعملون بعمله » .

(4) متدهنا : بالطيب والزيت .

(5) مترجلا : مسرحاً شعره وممشطه .

(6) ما بين القوسين زيادة من (ابن سعد) ج٢.

(7) الأفناء : الأخلاط .

الظهر بذي الحُليفة ركعتين، وأحرم عند صلاة الظهر من يومه ذلك . ويقال : انتهى إلى ذي الحُليْفة عند الظهر فبات لأن تجتمع إليه أصحابه والهدْي ، حتى أحرم عند الظهر من الغد في ثوبين صحاريين . إزارٍ ورداءٍ أبدلها بالتنعيم بثوبين من جنسهما .

وقيل صلى الظهر يوم الخميس لستٍّ بقين من ذي القعدة ، ثم خرج فصلى العصر بذي الحُليفْة ؛ واجتمع إليه نساؤه وحجَّ بهنَّ جميعاً في الهوادج .

فلما انتهى إليه اجتماع أصحابه والهدْيِ ، دخل مسجد ذي الحُليفْة بعد أن صلى الظهر فصلى ركعتين ، ثم خرج فدعا بالهَدْي فأشعره[1] في الجانب الأيمن بيده ، ووجَّهه إلى القبلة ، وقلدهُ نعْلين نعْلين[2] ثم ركب ناقته ، فلما استوى بالبيداء أحرم . وقيل : أَشْعَر هدْيهُ وقلدهُ قبل أن يحْرم . والقول - أنه لم يبتْ - أثبت .

الهـــدي

وساق مائة بدنةٍ ، ويقال : إنه أمر أن يشعر ما فضل من البدْن ناجية بن جندب واستعمله على الهدي وكان مع ناجية بن جندب فتيانٌ من أسلم ، وكانوا يسوقونها سوْقاً ، يتبعون بها الرَّعي ، وعليها الجِلالُ[3] ، فقال ناجيةُ بن جندب : يا رسول الله ، أرأيتَ ما عطبَ[4] منها كيف أصنعُ به ؟ قال تنحره ، وتلقي قلائده في دمه . ثم تضرب به صفحته اليمني[5] ، ثم لا تأكل منه ولا أحدٌ من أهل رفقتك .

وأمر من كان معه هديٌ أن يهلَّ كما أهلَّ ، وسار ، وبين يديه وخلفه وعن يمينه وعن شماله أممٌ لا يحصونَ كثرة : كلهم قد قدموا ليأتموا[6] به ﷺ .

ويقال : كان معه تسعون ألفاً ، ويقال : مائة وأربعة عشر ألفاً ، ويقال : أكثر من ذلك .

ومرَّ ﷺ برجل يسوق بدنةً ، فقال : اركبها ، ويلك ! قال : إنها بدنةٌ ؟ قال : اركبها ! وكان يأمر المشاةَ أن يركبوا على بدنه .

---

(١) أشعر البدنة : أعلمها بشق جلدها ليعرف أنها هدي .

(٢) قلد البدنة : علق في عنقها قلادة من نعل ونحوه ليعلم أنها هدي .

(٣) الجلال : جمع جل ، وهو ما تلبسه البدن لتصان به .

(٤) عطب البعير : اعْتَرتْهُ آفة تمنعه من السير .

(٥) الصفحة : الجانب .

(٦) في (خ) « ليابوا » .

إحــرام عائشـة

وطَّيبتهُ عائشة رضي الله عنها لإحرامه بيدها ، وأحرمت وتطيبت ؛ فلما كانوا بالقاحة[١] سالَ من الصفرة على وجهها[٢] ، فقال : ما أحسن لونك الآن يا شقيراء[٣] .

الصــلاة

وكان يصلى بين مكة والمدينة ركعتين أمثالا لا يخاف إلا الله . فلما قدم مكة صلى بهم ركعتين ثم سلم وقال : أتمُّوا صلاتكم يا أهل مكة فإنَّا سفرٌ .

الإهلال بالعمرة والحج

وقد اختلف فيما أهلَّ به : فعن أبي طلحة ، أنه قرن مع حجَّته عُمرةً . وعن حفصة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، تأمر الناس أن يحلوا ولم تحلَّ أنت من عمرتك ؟ فقال : إني لبَّدتُ رأسي ، وقلدت هدي ، فلا أحِلُّ حتى أنحر هديي . وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : أهلَّ رسول الله ﷺ بالعمرة وساق الهدي . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أفرد رسول الله ﷺ الحجّ : وقد صحَّ أنه أتاهُ آت من ربِّه في وادي العقيق ، يأمره عن ربِّه أن يقول في حجته : هذه حجَّة في عمرة ، ومعنى هذا أنَّ الله أمره بأن يقرن الحج مع العمرة . فأصبح فأخبر الناس بذلك ، وطافَ على نسائه بغسل واحد ، ثم اغتسل وصلى عند المسجد ركعتين ، وأهل بحجة وعمرة معاً روي ذلك عنه ستة عشر صحابياً ، وعنهم ستة عشر تابعياً .

منـازل السـير

وأصبح ﷺ يوم الأحد بيلَمْلَم ، ثم راح فتعشّى بشرف السِّيالة[٤] وصلى

---

(١) القاحة أو الفاجة : مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل (معجم البدان) جـ٤ ص ٢٩٠ .

(٢) يريد صفر الطيب لما فيه من الزعفران .

(٣) في (خ) « شقير » ونص (ابن سعد) : « إن لونك الآن يا شقراء لحسن » .

(٤) شرف السيالة : موضع بين ملل والروحاء . (معجم البلدان) جـ٣ ص ٣٣٦ .

المغرب والعشاء ، ثم صلى الصُّبح بعرق الظبية ، بين الرَّوحاء والسيالة ، وهو دون الروحاء ثم نزل الروحاء فإذا بحمار عقير فقال : دعوه حتى يأتي صاحبه . فأهداه له ﷺ ، فأمر به أبا بكر رضي الله عنه فقسمه بين الصحابة . وقال : صيد البرَّ لكم حلال إلا ما صدتم أو صيد لكم . ثم راح من الرَّوحاء فصلى العصر بالمنصرَف ، وصلى المغربَ والعشاء بالمتعشى وتعشى به ، وصلى الصبح بالأثاية ، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرْجِ .

خبر غلام أبي بكر الذي أضل بعيره

وكان أبو بكر رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ بالمدينة : إن عندي بعيراً نحمل عليه زادنا ، فقال : فذاكَ إذاً ! فكانت زاملةُ[1] رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه واحدة . وأمر ﷺ بزادٍ ، دقيق وسويقٍ ، فجعل على بعير أبي بكر رضي الله عنه . فكان غلامه يركب عليه عقبةً[2] ، فلما كان بالأثاية عرَّسَ الغلامُ وأناخ بعيره ، فغلبته عيناهُ فقام البعيرُ يجر خطامه آخذاً في الشِّعْب ، وقام الغلام فلزم الطريق – يظن أنه سلكها – وهو ينشده ، فلا يسمع له بذكرٍ . ونزل رسول الله ﷺ في أبيات بالعرْجِ ، فجاء الغلام ، فقال أبو بكر رضي الله عنه أين بعيرك ؟ قال : ضلَّ مني ! قال : ويحك ! لو لم يكن إلا أنا لهان الأمر[3] ، ولكنْ رسول الله وأهله ! فلم ينشَبْ[4] أن طلع به صفوان بن المعطل وكان على ساقة[5] الناس – فأناخَه ، وقال لأبي بكر رضي الله عنه : انظر هل تفقد شيئاً من متاعك ؟ فنظر فقال ما نفقد شيئاً إلا قعباً كنا نشرب به ! فقال الغلام : هذا القعب معي ! فقال أبو بكر رضي الله عنه أدى الله عنك الأمانة ! .

رواية أخرى في خبر غلام أبي بكر

وروي أنه عليه السلام لما نزل بالعَرْجِ جَلَس وأبو بكر إلى جَنْبه ، وعائشة إلى جنبه الآخر وأسماء بجنب أبي بكر رضوان الله عليهم ، وأقبل الغلام فقال له

---

(١) الزاملة : البعير الذي حمل عليه الزاد والمتاع .

(٢) العقبة : مقدار فرسخين .

(٣) في (خ) « لهان عن الأمر » .

(٤) لم ينشب : ونشبه الأمر ، لزمه (ترتيب القاموس) ج٤ ص ٣٧٠ .

(٥) الساقة : المؤخرة .

أبو بكر : أين بعيرك ؟ قال : أضلني ! فقام إليه فضربه ويقول : بعيرٌ واحد يضل عنك ؟! فجعل ﷺ يتبسَّم ويقول : ألا ترون هذا المحرم وما يصنع ؟! ولم ينهه .

طعام آل نضلة لرسول الله ﷺ

وخُبِّر آل نضلة الأسلميون أن زاملة رسول الله ﷺ ضلت ، فحملوا حفنة من حَيْس[1] ، فأقبلوا بها حتي وضعوها بين يديه ، فقال : هلمَّ يا أبا بكر ! فقد جاءك الله بغداء طيب ! وجعل أبو بكر رضي الله عنه يغتاظ على الغلام ، فقال النبي ﷺ : هوِّن عليك ! فإن الأمر ليس إليك ولا إلينا معك ! فقد كان الغلام حريصاً على ألا يضلَّ بعيره . وهذا خَلَفٌ مما كان معه . فأكل رسول الله ﷺ وأهله وأبو بكر ، وكلّ من كان يأكل مع رسول الله ﷺ ، حتى شبعوا .

مجيء البعير ، وبعير سعد بن عبادة

ويجيء[2] سعد بن عبادة رضي الله عنه وابنه قيس بن سعدٍ بزاملة حتى يجدان رسول الله ﷺ واقفاً قد أتى الله بزاملته ، فقال سعدٌ : يا رسول الله ! بلغنا أن زاملتك أضلت الغلام ، وهذه زاملة مكانها . فقال : قد جاء الله بزاملتنا ، فارجعا بزاملتكما بارك الله عليكما ! أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا المدينة ؟ فقال سعد : يا رسول الله ! المنَّة لله ولرسوله ، والله يا رسول الله ، للذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا من الذي تدع ؟! قال صدقتم يا أبا ثابت ! أبشر فقد أفلحتَ إن الأخلاف[3] بيد الله ، فمن شاء أن يمنحه خلفاً صالحاً منحه ، ولقد منحك الله خلفاً صالحاً ، فقال سعد : الحمد لله ، هو فعل ذلك .

سيادة بيت سعد بن عبادة

قال ثابت بن قيس بن شمَّاسٍ : يا رسول الله : إن أهل بيت سعدٍ في الجاهلية سادتنا ، والمطعمون في المَحْل منَّا[4] ، فقال رسول الله ﷺ : الناس معادن :

---

(1) الحيس : الخلط ، وتمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه وربما جعل في سويق . (ترتيب القاموس) جـ١ ص ٧٤٩ .

(2) في (خ) « وجاء » ، والفعل المضارع أنسب لسياق العبارة .

(3) الأخلاف : جمع خلف ، وهو العوض . (4) المحل : الشدة .

خيارهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا ، لهم ما أسلموا عليه[١] .

احتجام رسول الله ﷺ ومسيره

واحتجم ﷺ بلَحْى جمل[٢] - وهو محْرِمٌ - في وسط رأسه ونزل السقيا يوم الأربعاء وأصبح بالأبواء ، فأهْدَى له الصَّعْب بن جثامة بن قيس الليثي عجز حمار يقطرُ دماً ، فرده وقال ، أنا محرم . وأكل بالجُحَفة ثم راح منها ، وكان يوم السبت بقديد .

خبر المرأة وصغيرها

ومرَّ يومئذ بامرأة في محفتها[٣] ، ومعه ابنٌ لها صغيرٌ ، فأخذت بعضده فقالت : يا رسول الله ، ألهذا حج ؟ قال : نعم ، ولك أجرٌ !!

وكان يوم الأحد بعسفان . ثم راح . فلما كان بالغميم اعترض المشاة ، فصفُّوا صفوفاً فشكوا إليه المشيَ ، فقال استعينوا بالنَّسَلان[٤] ، ففعلوا ، فوجدوا لذلك

---

(١) في (خ) « له ما أسلم عليه » ، يقول محقق (ط) وكما أحفظه أثبته ، ولم أوفق للوقوف على مرجعه الآن » ونقول : « ذكره (السخاوي) في (المقاصد الحسنة) ص ٤٤١ حرف النون ، حديث رقم ١٢٣٨ وقال : « حديث الناس معادن كمعادن الذهب والفضة . العسكري من حديث قيس بن الربيع عن أبي حصين عثمان بن عاصم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة به مرفوعاً ، ولأبي هريرة في المرفوع حديث آخر لفظه : الناس معادن في الخير والشر خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، أخرجه الطيالسي وابن منيع والحارث وغيرهم كالبيهقي من حديث ابن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة وأصله في الصحيح . وللديلمي عن ابن عباس مرفوعاً : الناس معادن والعرق دساس » .
وانظر أيضاً : (كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) جـ١ ص ٤١٤ حديث رقم ٢٧٩٣ .

(٢) لحي جمل : هي عقب الجحفة على سبعة أميال من السقيا .
راجع (سنن ابن ماجه) جـ١ ص ١٦٥ حديث رقم ٤٩٠ وفيه « .... فقال جعفر بن عمرو بن أمية أشهد على أبي أنه شهد على رسول الله ﷺ أنه أكل طعاماً مما غيرت النار ، ثم صلى ولم يتوضأ » .
« وقال علي بن عبد الله بن عباس : وأنا أشهد على أبي بمثل ذلك » .

(٣) المحفة : كالهودج إلا أنها لا تقبب .

(٤) النسلان : مشى سريع دون العدو .

راحة . وكان يوم الاثنين بمر الظهران ، فلم يبرح حتى أمْسَى ، وغربت الشمس بسَرِف ، فلم يصلِّ المغرب حتى دخل مكة . وكان الناس لا يذكرون إلا الحجَّ ، فلما كانوا بَسرِف أمر عليه السلام النَّاس أن يحلوُّا بعمرة إلا من ساقَ الهدْيَ .

دخول مكة وعمل رسول الله ﷺ وقوله

ولما انتهى إلى الثنيتين بات بينهما - بين كداء وكدي - ثم أصبح فاغتسل ، ودخلها نهار الاثنين الرابع من ذي الحجَّة . وذكر الواقدي : أنه دخل مكة يوم الثلاثاء من كدَاء على راحلته القصواء إلى الأبطح ، فدخل مكة من أعلاها حتى انتهى إلى باب بني شيبة ، فلما رأى البيتَ رفع يديه ، فوقع زمام راحلته فأخذه بشماله ، ثم قال حين رأى البيت اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً ، ولما دخل المسجد بدأ بالطواف قبل الصلاة . قال طاوس : وطاف راكباً على راحلته . فما انتهى إلى الركن استلمه وهو مضطبع بردائه ، وقال : بسم الله والله أكبر . ثم رمل ثلاثة[1] من الحجر إلى الحجر . وكان يأمر من استلم الركن أن يقول : باسم الله والله أكبر ، إيماناً بالله ، وتصديقاً بما جاء به محمد ﷺ وقال فيما بين الركن اليمانيِّ والأسْود : ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ . ولم يستلم من الأركان إلا اليماني والأسود . ومشى أربعة[2] ثم انتهى خلف المقام فصلى ركعتين ، يقرأ فيهما : ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ ، و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ ، ثم عاد إلى الركن فاستلمه .

نهي عمر عن مزاحمة الطائف

وقال لعمر رضي الله عنه : إنك رجلٌ قوي ، إن وجدت الركن خالياً فاستلمه ، وإلا فلا تزاحمْ عليه فتؤذي [الناس ممن يستلم الركن][3] . وقال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : كيف صنعت بالركن يا أبا محمد[4] ؟ فقالت : استلمت وتركتُ ، فقال : أصبت .

---

(١) رمل : أسرع في مشيته .

(٢) رمل ثلاثة ، ومشى أربعة ، تلك أشواط الطواف السبعة .

(٣) زيادة للبيان .

(٤) في (خ) « يا محمد » .

صفة سعيه بين الصفا والمروة

ثم خرج إلى الصفا من باب بني مخزوم ، وقال : أبدأ بما بدأ الله به . وسعى على راحلته ، لأنه قدِم وهو شاك وقيل : سعى على بغلته ، والمعروف على راحلته . فصعد على الصَّفا فكبَّر سبْع تكبيرات وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، صدق الله وعده ، ونصره عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ثم دعا بين ذلك . ونزل إلى المروة ، فلما انصبت قدماه في الوادي رمل . وقال في المشي . أيها الناس ! إن الله كتب عليكم السعى فاسعوا ؛ وسعى حتى انكشف إزاره عن فخذه . وقال في الوادي : ربِّ اغفر وارحم ، ثم أنت الأعزّ الأكرم ، فلما انتهى إلى المروة فعل عليها مثل ما فعل على الصفا ، فبدأ بالصفا وختم بالمروة .

فسخ حج من لم يسق الهدي إلى عمره

وأمر من لم يسق الهدي أن يفسخ حجه إلى عمرة ، ويتحلل حلا تاماً ، ثم يهلُّ بالحجِّ[1] وقتَ خروجه إلى منى ، وقال : لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ ما سُقت الهدْيَ ولجعلتها عمُرة . وقدِم عليٌّ من اليمن ، فقال له : بم أهْلَلْتَ ؟ قال : بإهلال كإهلال النبيِّ ﷺ . فقال : إني سُقْت الهدْيَ وقرنتُ[2] . هكذا روي أبو داود بسند صحيح[3] .

نزول رسول الله ﷺ بالأبطح

وكان قد اضطرب[4] بالأبطح ، فقالت أم هانيءٍ : يا رسول الله ، ألا ننزلُ في بيوت مكة ؟ فأبي ، ولم ينزل بالأبطح حتى خرج يوم التروية[5] ، ثم رجع من

(١) الإهلال لغة : أن يرفع المعتمر بالبيت الحرام صوته بالتلبية ؛ ثم قالوا : أهل المحرم بحجة أو بعمرة : أحرم بها .

(٢) القران بين الحج والعمرة : ان يجمع بينهما بنية واحدة وتلبية واحدة ، وإحرام واحد ، وطواف واحد ، وسعي واحد ، فيقول : « لبيك بحجة وعمرة » وذلك الفعل هو القران : أي الجمع بين الحج والعمرة .

(٣) (سنن أبي داود) جـ٢ ص ٣٩٩ حديث رقم ١٨٠٧ ، ١٨٠٨ [باب ٢٥ الرجل يهل بالحج ثم يجعلها عمرة] .

(٤) اضطرب بناء أو خيمة : إذا أقامه على أوتاد مضروبة في الأرض .

(٥) يوم التروية . اليوم الثامن من ذي الحجة .

منى فنزل بالأبطح حتى خرج إلى المدينة . ولم يدخل بيتاً ولم يُظِله .

دخوله الكعبة وصلاته بها

ودخل الكعبة بعد ما خلع نعليه ، فلما انتهي إلى بابها خلع نعْليْه . ودخل معه عثمان بن أبي طلحة ، وبلالٌ وأسامة بن زيد رضي الله عنهم ، فأغلقوا عليهم الباب طويلا ثم فتحوه ، وصلى فيه ركعتين بين الأسطوانتين المقدَّمتين ، وكان البيت على ستة أعمدةٍ . وقيل : بل كبرَّ في نواحيه ولم يُصلِّ . وروي أنه دخل على عائشة رضي الله عنها حزيناً ، فقالت : مالك يا رسول الله ؟ قال : فعلتُ اليوم أمر ليتني لم أكُ فعلته ! دخلتُ البيت ، فعسى الرجلُ من أمتي لا يقدِرُ أن يدخله ، فتكون في نفسه حزازةٌ[1] ، وإنما أمِرنا بالطواف ولم نؤمر بالدخول . وكسَا البيتَ الحِبَرات[2] : وكانت الكعبة يومئذ ثمانية عشر ذراعاً .

مـدة إقامته بمكة

وأقام بمكة يوم الثلاثاء والأربعاء والخميس ، وكان يوم التروية يوم الجـمُعة ، فخطب قبل الترْوية بيوم بعد الظهر بمكة . وقام يوم الترْوية بين الرُّكن والمقام ، فوعظ الناس وقال : من استطاع أن يصلى الظهر بمنى فليفعل . فصلى في حجّته هذه صلاة أربعة أيام - وهو مقيم بمكة - حتى خرج إلى منى ، وهو في كل ذلك يقصر[3] ولم تكن إقامته هذه إقامةً ، لأنها ليست له بدار إقامة ، [وأنه لم يَنْو ﷺ أن][4] يتخذها دار إقامة ولا وَطن ، وإنما كان مقامه بمكة إلى يوم التروية كمقام المسافر في حاجة يقضيها في سَفَره منصرفاً إلى أهله ، فهو مقام من لا نيَّة له في الإقامة . فلم ينو ﷺ جعلها مقامه . بل نوى الخروج منها إلى منًى يوم التروية عاملاً في حجه حتى ينقضَى وينصرف إلى المدينة .

---

(١) الحزازة : جمع القلب من غيظ ونحوه . (ترتيب القاموس) جـ١ ص ٦٣٢ وفي (الواقدي) جـ٣ ص ١١٠٠ « حرارة » وما أثبتناه من (ابن سعد) .

(٢) الحبرات : جمع حبرة .

(٣) يقصر أي في صلاته ، فيصلي الصلاة الرباعية ركعتين ركعتين .

(٤) ما بين القوسين بياض في (خ) وما أثبتناه من (ط) .

مسيره إلى منى

وركب حين زاغت الشمس في يوم التروية بعد أن طاف بالبيت أسبوعاً فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح بمنًى ، وكان بلالٌ إلى جانب رسول الله ﷺ في مسيره إلى مِنًى ، وبيده عودٌ عليه (ثوبا وشيءٍ)[1] . يظله من الشمس . وقالت له عائشة : يا رسول الله ، ألا نَبْني لك كنيفاً[2] ؟ فأبى ، وقال : منى منزلُ من سبق ! وقيل : بني بمنى ليلة الجمعة التاسع من ذي الحجة .

مسيره إلى عرفة

ثم أصبح فسار إلى عرفة . ولم يركب من منى حتى رأى الشمس قد طلعتْ فركب إلى عرفة ، ونزل بنَمِرة ، وقد ضُرب له بها قبةٌ من شعرٍ . ويقال: إنما قال[3] إلى فَيء صخرة ، وميمونة رضي الله عنها تتبعُ ظِلها حتى راح عنها ، وأزواجه في قِباب – أو في قبَّة – خَزٌّ له فلما كان حين زاغت الشمس أمر براحلته القصواء فرُحِلَتْ برحل رثٍّ وقطيفة لا تَسْوى أربعة دراهم ، فلما توجّه قال : اللهم حجَّةً لا رياءَ فيها ولا سُمْعة ! ثم أتى بطن الوادي – بطن عرفة[4] – ، وكانت قريشٌ لا تشكُّ أنه لا يتجاوزُ المزدلفة يقفُ بها ، فقال نوفل بن معاوية الدُيليّ – وهو يسير إلى جنبه – : يا رسول الله ! ظن قومك أنك تقف بجمْع ! فقال : لقد كنتُ أقفُ بعرفة قبل النبوة خلافاً لهم ، وكانت قريشٌ كلها تقفُ بجمْعٍ[5] ، إلا أن شيبة بن ربيعة من بينهم فإنه كان يقف بعرفة .

صلاته بعرفة وخطبته ﷺ

وخطب ﷺ – حين زاغت الشمس – ببطن عرفة على ناقته ، فلما كان آخر خطبته أذّن بلال ، وسكتَ ﷺ من كلامه .

فلما فرغ بلالٌ من أذانه تكلم بكلمات ، وأناخ راحلته ، وأقام بلالٌ ، فصلَّى –

(١) في (خ) « عليه شيء يظله » وما أثبتناه من (ابن سعد) جـ٣ ص ١٧٧ .
(٢) الكنيف : كل ما ستر من بناء أو حظيرة من الخشب يستظل بها من حر الشمس .
(٣) قال : من القيلولة وهي نوم الظهيرة . والفيء : ما كان شمساً فزال عنه ونسخه الظل .
(٤) بطن عرفة : وادي بحذاء عرفات . (٥) جمع : هو مزدلفة .

عليه السلام – الظهر ، ثم أقام فصلّى العصر : جمع بينهما بأذان وإقامتيْن ثم ركب وهو يشير بيده إلى الناس : ارتفعوا إلى عرفة ، وكان من خطبته بعرفة قبل الصلاتين .

خطبة عرفة

أيها الناس : إني والله ما أدري لعلي لا ألقاكم بمكاني هذا ، بعد يومكم هذا ، رحم الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ، فَرُبَّ حامل فِقْهٍ لا فقه له ، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ! واعلموا أن أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحُرْمةِ يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . واعلموا أن الصدور لا تُغلّ على ثلاث[١] : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أهل الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم[٢] . ألا إن كلَّ شيءٍ منْ أمر الجاهليَّة تحتَ قدميَّ موضوعٌ ، وأول دماءِ الجاهلية أضعُ دمَ إياس بن ربيعة بن الحارث [بن عبد المطلب][٣] – [كان مسترضعاً في بني سعد [بن بكر][٣] فقتلته[٤] هذيل] – ، وربا الجاهلية موضوع[٥] كله وأولُ رباً أضعه ربا عبَّاس بن عبد المطلب : اتقوا الله في النساء ، إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله ، وإنَّ لكم عليهنَّ أنْ لا يوطئْنَ فُرُشكنَّ أحداً تكرهونه ، [وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة][٦] . فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ، [فإن انتهين][٦] ، فلهن[٧] عليكم رزقهن وكسوتهنَّ بالمعروف . وقد تركتُ فيكم مالن تَضِلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله وأنتم مسؤولون عنّي ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغتّ وأديتَ ونصحت ! ثم قال بإصْبعِه السبَّابة يشير إلى السماء يرفعها ويكبُّها ثلاثاً : اللهم اشهدْ .

المبلغ عنه بعرفة

وكان الذي يبلِّغ عنه بعرفة[٨] ربيعةُ بن أميَّة بن خلف لكثرةِ الناسِ ، فإنه

---

(١) من الإغلال وهو الخيانة ، أو من الغل وهو الحقد .
(٢) أي تمنعهم وتحفظهم .
(٣) زيادات للبيان من (ط) .
(٤) في (خ) « نقتله » .
(٥) في (خ) « موضع » .
(٦) زيادات من كتب السيرة .
(٧) في (خ) « ولهن » .
(٨) في (خ) « عرفة » .

شهد الخطبة نحوٌ من أربعين ألفاً .

ذكر المناسك

ووقف بالهضاب من عرفة وقال : كل عرفة موقف إلا بطن عُرنة ، وكل مزدلفة موقفٌ إلا[1] بطن مُحَسِّر ، وكل منًى مَنْحَرٌ إلا خلف العقبة .

وبعث إلى من هو بأقصى عرفة فقال : إلزموا مشاعركم ، فإنكم على إرثٍ من إرثِ إبراهيم عليه السلام .

دعاؤه ﷺ بعرفة

ومدَّ يديه – وهو واقفٌ بعرفة – ثم أقبل براحتيه على وجهه وقال : إن أفضل دعائي ودعاء من كان قبلي من الأنبياء : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كلِّ شيء قدير .

الاختلاف في صيامه بعرفة

واختلفوا في صيامه ﷺ يومئذٍ : فقالت أم الفضْل[2] أنا أعلم لكم عِلم ذلك ، فأرسلت إليه بعُسٍ من لبن[3] ، فشربَ وهو يخطب .

ما نزل من القرآن بعرفة

ووقف على راحلته حتى غربت الشمسُ يدْعو ! ونزل عليه وهو واقف بعرفة ، **﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسلام ديناً فمن اضطرَّ في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفورٌ رحيم ﴾**[4] .

النفْر من عرفة

وكان أهل الجاهلية يدفعون[5] من عرفة إذا كانت الشمس على رؤوس الجبال

---

(١) في (خ) « إلي » .
(٢) أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ .
(٣) العس : قدح يسع ثمانية أرطال .
(٤) من الآية ٣ / المائدة ، وفي (خ) ﴿ دينكم ﴾ ، الآية .
(٥) يدفعون : ينطلقون .

كهيئة العمائم على رؤوس الرجال ، وظنت قريش أنه عليه السلام يدفع كذلك ، فأخر دفعه حتى غربت الشمسُ . ثم سار عشيَّةً ، وأرْدَف أسامة بن زيد[1] من عرفة إلى مزدلفة .

الإفاضــة

وذكر الزُّبير بن بكار ، أن رسول الله ﷺ أفاض[2] . عن يمينه أبو سفيان ابن حرب ، وعن يساره الحارث بن هشام ! وبين يديه يزيدُ ومعاويةُ ابنا أبي سفْيان على فرسيْن ، فكان يسير العَنَق[3] ، فإذا وجد فجْوة نصَّ[4] وقال : أيها الناسُ ، على رِسْلكم[5] ، عليكم بالسكينة ، ليكُفّ قويكم عن ضعيفكم .

النزول إلى المزدلفة

ومال إلى الشِّعب – وهو شعب الأذاخر ، عن يسار الطريق بين المأزمين[6] – فبال ، ولم يصلِّ حتى نزل قريباً من الدار التي على قزح ، وصلى المغرب والعشاء بالمزدلفة [بأذان واحد لهما وبإقامتين ، لكل صلاة منهما إقامة][7] ، ولم يسبِّحْ بينهما ، ولا إثر واحدة منهما . فلما كان في السَّحر أذِنَ – لمن استأذن من أهل الضعف من الذرية والنساء – في التقدم من جمْع قبل حَطْمة الناس[8] ، وحبس نساءه حتى دفعن بدفعه[9] حين أصبح . فرمي[10] الذين تقدَّموا الجمرة قبل الفجْر أو مع الفجر .

الدفع من مزدلفة

ولما برق الفجر ، صلى عليه السلام الصبح ، ثم ركب راحلته ووقف على قُزَح .

---

(١) أردفه : أركبه خلفه .

(٢) الإفاضة في الحج : اندفاع الناس بكثرة إلى منى منتشرين متفرقين بعد اجتماعهم في عرفة .

(٣) العنق : السير الهادي .

(٤) النص : السير السريع ، والفجوة : الفسحة بين جماعة الناس .

(٥) الرِّسْل : اليسر وعدم العجلة .

(٦) المأزمان : بين المشعر الحرام وعرفة وبه المسجد الذي يجمع فيه الحجيج بين صلاتي الظهر والعصر .

(٧) في (خ) « مكان ما بين القوسين « بإقامة إقامة » .

(٨) الحطمة : زحمة الناس . (٩) في (خ) « بدفعة » . (١٠) في (خ) « فرأى » .

وكان أهل الجاهلية لا يدفعون من جَمْع حتى تطلع الشمسُ على ثبير ، يقولون : « أشرق ثبيرُ ، كيما نغير » فقال رسول الله ﷺ : إن قريشاً خالفت عهد إبراهيم . فدفع قبل طلوع الشمس .

موقفه بمنى

وأردف الفضلَ بن العبَّاس من مزْدلفة إلى مِنًى . وقال : هذا الموقفُ ، وكل المزدلفة موقفٌ .

جمع الجمرات من مزدلفة

وحمل حَصى العقبة من المزدلفة ، وأوضع في وادي مُحَسِّر ولم يقطع التلبية حتى رمي الجمرة ، ورمي جمرة العقبة يوم النحر على ناقته[1] ، ولا ضرْبَ ولا طرْدَ ، ولا إليك إليك[2] .

نحر الهدي وتفريقه والأكل منه

ولما انتهى إلى المنحر[3] قال : هذا المنحر ، وكل مِنًى منحر ، وكلُّ فجاج مكة طريق ومنحرٌ ، ثم نحر بيده ثلاثاً وستين بدنة بالحربة ، ثم أعطى رجلا فنحر ما بقي ، ثم أمر من كلِّ بدنة نحرها ببضعة[4] فجعل في قدر فطبخه ، فأكل من لحمها وحسا من مَرَقِها . وأمر علياً رضي الله عنه أن يتصدق بجلال البدن وجلودها ولحومها ، ولا يعطي منها في جَزرها شيئاً .

التحليق

ولما فرغ من نحر الهدي دعا الحلاق ، وحضر المسلمون يطلبون شعره ، فناول[5] الحلاق شقَّ رأسه الأيمن ، ثم أعطاه أبا طلحة الأنصاري [ثم ناوله الشِّق الأيسر فحلقه . فأعطاه أبا طلحة ، فقال اقسم بين الناس][6] .

(١) في (خ) « باقية » .

(٢) إليك إليك : تنبيه يراد به الزجر ، والمعنى أن الحج سمته الهدوء والرفق .

(٣) في (خ) « النحر » .

(٤) البضعة : القطعة من اللحم .

(٥) في (خ) « أعطى الحلاق » ، وما أثبتناه من (ط) . وهي رواية الواقدي .

(٦) ما بين القوسين تتمة من (ط) عن السيرة الحلبية .

ناصية رسول الله ﷺ لخالد بن الوليد ، وحديث أبي بكر في أمر خالد

وكلمه خالد بن الوليد في ناصيته حين حلق ، فدفعها إليه ، فكان يجعلها في مقدَّم قلنسوته[١] . فلا يلقى جمعاً إلا فضَّهُ .. وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول : كنت انظر إلى خالد بن الوليد وما نلقى منه في أحد ، وفي الخندق ، وفي الحديبية ، وفي كل موطن لاقانا ، ثم نظرت إليه يوم النحر يقدِّم إلى رسول الله ﷺ بَدنة وهي تعتب في العقل[٢] ، ثم نظرتُ إليه ورسول الله ﷺ يحلق رأسه وهو يقول : يا رسول الله ! ناصيتك ! لا تؤثر عليَّ بها أحداً[٣] ! فِداك أبي وأمِّي ! فأنظر إليه أخذ ناصية رسول الله ﷺ فكان يضعها على عينيه وفيه .

تفريق شعره ﷺ بين الناس

وفرق ﷺ شعره في النَّاس . ولما حلق رأسه ، أخذ من شاربه وعارضيه ، وقلم أظافره ، وأمر بشعره وأظفاره أن يدفنا .

المحلقون والمقصرون

وقصَّر قومٌ وحلَّق آخرون فقال ﷺ : رحم الله المحلقين ! ثلاثاً ، كلَّ ذلك يقال : والمقصرين يا رسول الله ! فقال : والمقصرين في الرابعة .

وأصاب الطيب بعد أن حلق ، ولبس القميص . وجلس الناس ، فما سئل يومئذ عن شيء قدِّم أو أخر[٤] إلا قال : افعله ولا حرج .

النهي عن الصيام أيام منى

وبعث عبد الله بن حذافة السهمي – وقيل كعب بن مالك – ينادي في الناس بمنًى : إن رسول الله قال : إنها أيام أكل وشرب وذكر الله . فانتهى المسلمون عن صيامهم ؛ إلا مُحْصَرٌ[٥] أو متمتع بالعمرة إلى الحج . فإن الرخصة من رسول الله ﷺ أن يصوموا أيام مِنًى .

---

(١) وفي (الواقدي) « كان يضعها على عينيه وفيه » .

(٢) أي تمشي على ثلاث .

(٣) في (خ) « أحد » .

(٤) أي مناسك الحج على مراتبها .

(٥) من الإحصار وهو الحبس .

الإفاضة يوم النحر إلى مكة

وأفاض ﷺ يوم النحر وأردف معاوية بن أبي سفيان من منًى إلى مكة واختلف أين صلى الظهر يومئذ ؟ ويقال أفاض من نسائه مساء يوم النحر ؛ وأمر أصحابه فأفاضوا بالنهار .

الشرب من زمزم

وأتى زمزم فأمر بدلو فنُزع ؛ فشرب منه وصبَّ على رأسه وقال : لولا أن تغلبوا عليها يا ولد عبد المطلب لنزعتُ منها . ويقال : إنه نزع دلواً لنفسه .

رمي الجمرات

وكان يرمي الجمار حين تزيغ الشمس قبل الصلاة ماشياً – ذاهباً وراجعاً – في اليومين ، ورمي يوم الصدر حين زاغت الشمس قبل الصلاة ، وكان إذا رمي الجمرتين علاهما ، ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي وكان يقف عند الجمرة الأولى أكثر مما يقف عند الثانية ، ولا يقف عند الثالثة ، فإذا رماها انصرف . وكان إذا رمي الجمرتين وقف عندهما ورفع يديه ، ولا يفعل ذلك في رمي العقَبَة ، فإذا رماها انصرف .

النهي عن المبيت بسوى منى

ونهى أن يبيت أحدٌ ليالى منًى بسوى منًى ، ورخص للرعاء أن يبعدوا عن منًى . ومن جاء منهم فرمي بالليل . رخص له في ذلك . وقال ارموا بمثل حصى الحَذْف . وكان أزواجه يرمين مع الليل .

عدة الخطب في حجة الوداع

وخطب في حجته ثلاثَ خطبٍ : الأولى قبل التروية بيوم بعد الظهر بمكة ، والثانية يوم عرفة بعرفة حين زاغت الشمسُ على راحلته قبل الصلاة ، والثالثة يوم النحر بمنًى بعد الظهر على راحلته القصْواء ، وقيل : بل خطب الثانية ثاني يوم النّحر .

وقال المحبُّ الطبري : دلت الأحاديثُ على أنَّ الخطَبَ في الحج خمسٌ ؛ خطبة

يوم السابع من ذي الحجَّة وخطبة يوم عَرَفة ، وخطبة يوم النحْر ، وخطبة القَرِّ[1] وخطبةُ يوم النفْرِ الأول[2] ، قال الواقدي : فقال – يعنى في خطبة يوم النَّحْرِ بمنًى – :

خطبة يوم النحر بمنى

أيها الناس ، اسمعوا من قوْلي واعقلوه ، فإني لا أدري : لعلي لا ألقاكم بعدَ عامي هذا ! أيها الناس ! أيُّ شهرٍ هذا ؟ فسكتوا ، فقال : هذا شهر حرام ، وأي بلدٍ هذا ؟ فسكتوا ، فقال : بلدٌ حرام ، وأي[3] يوم هذا ؟ فسكتوا ، قال : يوم حرامٌ ، ثم قال : إن الله قد حرَّم دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرمة شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، في يومكم هذا إلى أن تلقوْا ربكم ، ألا هل بلغتُ ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد ، ثم قال : إنكم سوف تلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا هل بلغت ؟ قال الناس : نعم ، قال : اللهم اشهد ، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدِّها إلى من ائتمنه عليها ، ألا وإنَّ كلَّ رباً في الجاهليَّة موضوع ، وإن كل دمٍ في الجاهلية موضوعٌ ، [ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تُظلمون ، قضى الله أنه ربا ، وإن ربا عبَّاس بن عبد المطلب موضوع كله][4] وأوَّلُ دمائكم أضعُ دمُ إياس بن ربيعة بن الحارث – [كان مسترضعاً في بني سعد بن ليث فقتلته هذيل] – ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : اللهم اشهد ، فليبلغ الشاهد الغائب ؛ ألا إن كل مسلم محرم على كل مسلم ، ولا يحل مال امريءٍ مسلم إلا ما أعطي عن طيب نفسٍ .

---

(١) يوم القـــر : الغد من يوم النحر .

(٢) أيام الحـــج : اليوم السادس من ذي الحجة : يوم الزينة .
اليوم السابع من ذي الحجة : يوم التروية .
اليوم الثامن من ذي الحجة : يوم منى .
اليوم التاسع من ذي الحجة : يوم عرفة .
اليوم العاشر من ذي الحجة : يوم الأضحى يوم الحج الأكبر .
أيام التشريق : اليوم الحادي عشر من ذي الحجة يوم القر .
اليوم الثاني عشر من ذي الحجة يوم النفر الأول .
اليوم الثالث عشر من ذي الحجة يوم النفر الآخر .

(٣) في (خ) « أي » بغير واو قبلها ، وهي رواية الواقدي .

(٤) ما بين القوسين تمام الخطبة من (ابن هشام) ج٤ ص ١٨٥ .

فقال عمرو بن يثربي : يا رسول الله ، أرأيتَ إن لقيت غنم ابن عمِّي ، أجتزر[1] منها شاةً ؟ فقال : إن لقيتها [نعجةً][2] تحمل شفرة [وأزناداً][2] بَخبْتِ الجميش[3] فلا تهجها !

ثم قال أيها الناس : ﴿ **إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذي كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدَّة ما حرَّم الله فيحلُّوا ما حرم الله** ﴾[4] ، [ويحرموا ما أحلَّ الله][5] ، ألا وإن الزَّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، إن عدة الشهور عند الله اثنا[6] عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية : ذو القعدة وذو الحجَّة ، والمحرَّم ، ورجب الذي يدعَى شهر مُضَر : الذي جاء بين جمادي الآخرة وشعبان ، والشهر تسعة وعشرون وثلاثون « ألا هل بلَّغت ؟ فقال الناس : نعم ، فقال : اللهم اشهد » .

ثم قال : أيها الناس ، إن للنساء عليكم حقاً وإن لكم عليهن حقاً : فعليهن ألا يوطئن فُرشكم أحداً ولا يدخلن بيوتكم أحداً تكرهونه إلا بإذنكم ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع[7] ، وأن تضربوهن ضرباً غير مبرِّح ، فإن انتهين وأطعنكم فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وإنما النساء عندكم عوان[8] ، لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً ، ألا هل بلغت ؟ قال الناس : نعم ، قال : اللهم اشهد .

أيها الناس ، إن الشيطان قد يئس أن يُعبد بأرضكم هذه ، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه [من أعمالكم][9] . إن كلَّ مسلم أخو المسلم ، وإنما المسلمون إخوةٌ ، ولا يحل لامريء مسلم دمَ أخيه ولا ماله إلا بطيب

---

(١) في (خ) « أجزر » ، وما أثبتناه من (مسند أحمد) جـ٥ ص ١١٣ .
(٢) زيادات من كتب السيرة .
(٣) علم الصحراء بين مكة والمدينة (معجم البلدان) جـ٢ ص ٣٤٣ .
(٤) من الآية ٣٧ / التوبة ، وفي (خ) إلى قوله تعالى ﴿ **ليواطئوا عدة ما حرم الله** ﴾ .
(٥) زيادة من (ابن هشام) جـ٤ .
(٦) في (خ) « اثنى عشر » .
(٧) في (خ) « بالمضاجع » .
(٨) العواني : جمع « عانية » وهي الأسيرة .
(٩) زيادة من (ابن هشام) جـ٤ ، كان مكانها في (خ) « فقد رضي به » .

نفس منه ، وإنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم ، وحسابهم على الله ؛ ولا تظلموا أنفسكم ، ولا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . إني قد تركت فيكم ما لا تضلون به : كتاب الله . ألا هل بلغت ؟ قال الناس : نعم ، قال : اللهم اشهد .

يوم الصــدر

ثم انصرف إلى منزله ، وصلى الظهر والعصر يوم الصدر بالأبطح . قالت عائشة رضي الله عنها : إنما نزل رسول الله ﷺ بالمحصب لأنه كان أسمح[1] لخروجه .

خبر صفية وعائشة

وذكر صفية بنت حُيَيٍّ رضي الله عنها ، فقيل له : حاضت ! فقال : أحابستنا هي ؟ فقيل : يا رسول الله ، إنها قد أفاضت ، قال : فلا إذن ، فلما جاءت عائشة رضي الله عنها من التنعيم وقضت عمرتها ، أمر بالرحيل . ومرَّ بالبيت فطاف به قبل الصبح .

الرجوع إلى المدينة ومدة إقامة المهاجر بمكة

ثم انصرف راجعاً إلى المدينة . وقال إنما هي ثلاث يقيم بها[2] المهاجر بعد الصدر . وسأل سائل أن يقيم بمكة ، فلم يرخص له أن يقيم إلا ثلاثة أيام ، وقال : إنها ليست بدار مكث ولا إقامة .

عيادة سعد بن أبي وقاص

وجاء سعد بن أبي وقاص بعد حجه يعوده من وجع أصابه . فقال : يا رسول الله ، قد بُلغ بي ما ترى من الوجع[3] ، وأنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة لي ، فأتصدق بثلث[4] مالي ؟ قال : لا ! قال : فالشطر ؟ قال : لا !] قال :

---

(١) أسمح لخروجه : أسهل لخروجه من مكة إلى المدينة .

(٢) أي بمكة .

(٣) بلغ به : أي بلغ به المرض كل مبلغ .

(٤) في (خ) « بثلث » .

فالثلث ؟][1] قال الثلث ، والثلث كثير ، إنك إن تترك[2] ورثتك أغنياء خير[3] من أن تتركهم عالة يتكففون [الناس][4] ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها ، حتى ما تجعل في امرأتك ! فقال : يا رسول الله ، أَخَلف بعد أصحابي ؟ فقال : إنك إن تخلفْ فتعملْ صالحاً تزدد خيراً ورفعة ، ولعلك إن تخلف ينتفعْ بك أقوامٌ ويُضر بك آخرون . اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم .

موت سعد بن خولة بمكة

لكن البائس سعدُ بن خَوْلة ! يرثي له أنْ مات بمكة ، [وذلك أن رسول الله ﷺ كان يكرهُ لمن هاجر أن يرجع إليها ، أو يقيم بها أكثر من انقضاء نسكه][5] .

وخلَّف علي سعد بن أبي وقاصٍ رجُلا ، وقال : إنْ مات سعدٌ بمكة فلا تدْفِنْه بها يكره [ﷺ][6] أن يموت الرجُل في الأرض التي هاجَرَ منها .

وداع البيت الحرام

ولما ودَّع ﷺ البيتَ وكان في الشَّوط السَّابع ، خلَّف البيتَ رسول الله ﷺ من باب الحزْوَرَة[7] .

وكان إذا قفل من حجٍّ أو عُمرة أو غزوة ، فأوفى على ثنية أو فَدْفد كبرَّ ثلاثاً ثم قال . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحْيي ويُميتُ وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قديرٌ . آيبون تائبون ساجدون عابدون ، لرِّبنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصره عبده ، وهزم الأحزاب وحده[8] ، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السَّفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في

---

(١) زيادة من (ابن سعد) .
(٢) في (خ) « إنك أنت تترك » .
(٣) في (خ) « خيراً » .
(٤) زيادة من (ابن سعد) .
(٥) زيادة لتمام الخبر من (ابن سعد) .
(٦) زيادة للبيان .
(٧) كذا في (ط) ، وفي (خ) « خلف البيت » بمعنى الباب وهو كلام مضطرب ، وفي (عيون الأثر) جـ٢ ص ٢٨٠ « ثم خرج من كدى أسفل مكة من الثنية السفلى » .
(٨) في (خ) « بعده » .

الأهل والمال ، اللهم بلّغنا بلاغاً صالحاً يبلغ إلى خيرٍ ، مغفرة منك ورضواناً .

النزول بالمعرس والنهي عن طروق النساء ليلا

ولما نزل بالمعرَّس[1] ، نهى أن يطرقوا النساء ليلا ، فطرق رجلان أهليهما ، فكلاهما وجد ما يكره .

وأناخ بالبطْحاء ، وكان إذا خرج إلى الحج سلك على الشجرة[2] ، وإذا رجع من مكة دخل المدينة من معرَّس الأبطح ، فكان في معرَّسه في بطن الوادي ، وكان فيه عامة الليل ؛ فقيل له : إنك ببطْحاءَ مباركة .

إسلام جرير بن عبد الله البجلي

وفي هذه السنة – وهي العاشرة – قدم جريرُ بن عبد الله جابر – وهو الشُّليل[3] – بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشَم بن عويف[4] بن خَزيمة[5] ابن حرب بن علي[6] بن مالك بن سعد بن نذير[7] بن نَسْر[8] – وهو مالك – ابن عبقر بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث البَجَليّ[9] – مسلماً في شهر رمضان .

إسلام فيروز وباذان بن منبه ، ووفد النخع

وفيها أسلم فيروز من الأبناء[10] ، وباذان ، ووهب بن منبِّه ، باليمن . وللنصف من محرم سنة إحدى عشرة ، قدِم وفدُ النَّخَع – وهم مائتا رجل ، فنزلوا دار رمْلة بنت الحارث بن عداء ، وكان نصرانياً .

---

(١) المعرس : هو مسجد ذي الحليفة .

(٢) هي الشجرة التي ولدت عندها أسماء بنت محمد بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) .

(٣) في (خ) « جابر بن السليل » . (٤) في الإصابة « عوف » .

(٥) في (خ) « خزيمة » . (٦) في (خ) « عدي » . (٧) في (خ) « زيد »

(٨) في (خ) « تس » .

(٩) البجلي : نسبة إلى « بجيلة » وهي أم ولد أنمار بن إراش وإليها ينسبون .

(١٠) الأبناء : هم قوم من أبناء فارس باليمن .

بعث أسامة بن زيد إلى أُبْنَي « غزو الروم »

ثم كان بعثُ أسامة بن زيد إلى أهل أُبْنَي[1] بالشَّرارةِ[2] ناحية بالبلقاء ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ أقام – بعد حجته – بالمدينة بقيَّة ذي الحجة والمحرَّم ، ومازال يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم ، ووجد عليهم وجداً شديداً . فلما كان يوم الاثنين – لأربع بقين من صفر سنة إحدي عشر [من مهاجر رسول الله ﷺ][3] ، أمر رسول الله ﷺ بالتَّهيوءِ لغزو الرُّوم ، وأمرهم بالجِدِّ .

أمر أسامة بالغزو وتأميره

ثم دعا من الغد – يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر – أسامة بن زيد فقال : يا أسامة ، سِرْ على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيلَ ، فقد وليتك هذا الجيش ، فَأَغِرْ صباحاً على أهل أُبْنَي[1] وحرِّق عليهم ! وأسرع السَّيرَ تسْبق الخبر ، فإن أظفرك الله فأقلل اللبْثَ[4] فيهم وخذ معك الأدِلاء ، وقدِّم العيون أمامك والطلائع .

ابتداء مرض رسول الله ﷺ ووصيته لأسامة

فلما كان يوم الأربعاء – لليلتين بقيتا من صفر – ابتدأ مرض رسول الله ﷺ فصُدِّع[5] وحمَّ . وَعقَد يوم الخميس لأسامة لواءً بيده . وقال : يا أسامة ! أغز باسم الله في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله[6] . أغزوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ، ولا تَمَنَّوْا لقاء العَدُو ، فإنكم لا تدرون لعلكم تُبْتَلون بهم ، ولكن قولوا : اللهم اكفناهم : واكففْ بأسهم عنَّا ؛ فإن لقوكم قد أجلبوا وصيحوا فعليكم بالسكينة والصَّمت ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، وقولوا اللهم إنا عبادُك ، نواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تغلبهم أنت ! واعلموا أن الجنة تحت البارقة[7] .

---

(١) في (خ) « أبناء » .
(٢) في (خ) « بالشراة » .
(٣) زيادة من (ابن سعد) جـ٢ .
(٤) في (خ) « الليث » .
(٥) صدع : (بالبناء للمجهول والتشديد) أصابه الصداع ، وهو وجع الرأس .
(٦) في (ابن سعد) « فقاتل من كفر بالله » .
(٧) البارقة : السيوف .

خروج أسامة وجيشه

فخرج أسامةُ فدفع لواءه إلى بريدة بن الحُصَيب ، فخرج به إلى بيت أسامة ، وعسكر بالجُرْف ، وخرج الناس ولم يبق أحدٌ من المهاجرين الأولين [والأنصار][1] إلا انتدب[2] في تلك الغزوة ، كعمر بن الخطاب[3] ، وأبي عبيدة ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي الأعور سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل رضي الله عنهم ، في رجال آخرين ، ومن الأنصار عدةٌ مثل ، قتادة بن النعمان ، وسلمة بن أسلم ابن جَرِيش .

طعن رجال من المهاجرين في تأمير أسامة

فقال رجال من المهاجرين – وكان أشدُّهم في ذلك قولا عياش بن أبي ربيعة –: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوَّلين ؟! فكثرت القالة ، وسمع عمر رضي الله عنه بعض ذلك فردَّه على من تكلم ، وأخبر رسول الله ﷺ به فغضب غضباً شديداً ! وخرج وقد عصب على رأسه عصابةً وعليه قطيفةٌ ، ثم صَعَدَ المِنْبَرَ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

خطبة رسول الله ﷺ في أمر أسامة رضي الله عنه

أما بعد أيها الناس ، ما مقالةٌ بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟! والله لئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ! وأيم الله . إن كان للإمارة لخليقاً وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة ، وإن كان لمِن أحب الناس إلَّي ، وإنهما لمخيلان[4] لكل خير ، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم .

توديع الغزاة

ثم نزل فدخل بيته ، وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول . وجاء

---

(١) زيادة من (ابن سعد) .

(٢) انتدب : أسرع في النهوض إليها .

(٣) ذكر (ابن سعد) « أبا بكر الصديق » قبل « عمر بن الخطاب » .

(٤) كذا في (ط) ، و (الواقدي) ، وفي (خ) « لمجبلان » .

المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودّعون رسول الله ﷺ فيهم عمر رضي الله عنه .

الأمر بإنفاذ بعث أسامة

فقال : أنفذوا بعث أسامة . ودخلت أم أيمن رضي الله عنها فقالت يا رسول الله لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتماثَل ، فإن أسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه ، فقال أنفذوا بعث أسامة .

دخول أسامة على رسول الله ﷺ ودعاؤه له

فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد ، ونزل أسامة يوم الأحد – ورسول الله ﷺ ثقيل مغمور[1] ، وهو اليوم الذي لُدُّوه فيه[2] ،– فدخل عليه وعيناه تهملان[3] – وعنده العباس ، والنساء حوله – فطأطأ عليه أسامة فقبله ، وهو [ﷺ][4] لا يتكلم ، إلا أنه يرفع يده إلى السماء ثم يصبُّها على أسامة ، كأنه يدعو له . فرجع أسامة إلى معسكره . وغدا منه يوم الاثنين ، فأصبح رسول الله ﷺ مفيقاً ، وجاءه أسامة ، فقال : اغد على بركة الله ، فودعه أسامة ورسول الله ﷺ مفيقٌ .

خروج أبي بكر إلى السنح

ودخل أبو بكر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، أصبحتَ مفيقاً بحمد الله واليوم يوم ابنة خارجة[5] فأذنْ [لي][6] فَأَذِنَ له ، فذهب إلى السُّنح[7].

خروج الجيش

وركب أسامة إلى معسكره، وصاح في أصحابه: اللحوق بالعسكر، فانتهى إلى

---

(١) مغمور : مغمى عليه .

(٢) لدوه : أعطوه الدواء ، واللدود : ما يصب بالُسعُط من الدواء في أحد شقي الفم (ترتيب القاموس) جـ٤ ص ١٣٥ .

(٣) تسيل دمعهما .

(٤) زيادة .

(٥) في (خ) « ابنه خارجه » ، وهي زوج أبي بكر الصديق والدة أم كلثوم بنت أبي بكر .

(٦) زيادة للسياق .

(٧) السنح : إحدى محال المدينة من أطرافها وكان بها منزل أبي بكر .

معسكره فنزل ، وأمر الناس بالرحيل وقد مَتَعَ النهار .

إبلاغ خبر وفاة رسول الله ﷺ لجيش أسامة

فبينا هو يريد أن يركب من الجرف ، أتاهُ رسول أمِّه - أم أيمن - يخبره أن رسول الله ﷺ يموت فأقبل إلى المدينة معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما ، فانتهو إلى رسول الله ﷺ وهو يموت : فتوفي ﷺ حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول .

يـوم وفاتـه ﷺ

وقال السهيليُّ : لا يصلح أن تكون وفاته يوم الاثنين إلا في ثاني الشهر ، أو ثالث عشره ، أو رابع عشره ، (أو خامس عشره)[1] . وذكر الكلبي وأبو مخنفٍ أنه توفي في الثاني من ربيع[2] . وقد صححه ابن حزم وغيره . وقال الخوارزمي : توفي أول ربيع .

رجوع الغزاة إلى المدينة

ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف إلى المدينة ، ودخل بُريدةُ ابن الحُصَيْب باللواء فغرزه معقوداً عند باب رسول الله ﷺ ، فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه أمر بُرَيْدَةَ أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ، وألا يحمله أبداً حتى يغْزُوَهم أسامة .

أمر أبي بكر بتوجيه الغزو

وقال [أبو بكر] لأسامة : أنفذْ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله ﷺ وأخذ الناس بالخروج فعسكروا في موضعهم الأول ، وخرج بريدة باللواء ، ومشى أبو بكر رضي الله عنه إلى أسامة في بيته فكلمه في أن يترك عمر رضي الله عنه ، ففعل وخَرَج فنادى مناديه : عزمة منى ألَّا يتخلف عن أسامة من بَعْثِهِ أحدٌ ممن انتدب معه في حياة رسول الله ﷺ ، فإني لن أوتَي بأحدٍ بَطَّأَ عن الخروج إلا

---

(١) زيادة من (الروض الأنف) .

(٢) في (خ) « في ثامن ربيع » وما أثبتناه من (الروض الأنف) .

ألحقته به ماشياً . فلم يتخلَّف عن البعث أحدٌ .

تشييع أبي بكر أسامة

ثم خرج أبو بكر رضي الله عنه يشيِّعُ أسامة فركب من الجُرْف لهلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وسار أبو بكر رضي الله عنه إلى جنبه ساعة وقال : أستودع الله دينك وخواتيم عملك ، إني سمعتُ رسول الله [ﷺ][1] يوصيك ، فأنفذ لأمر رسول الله ، فأني لستُ آمرك ولا أنهاك عنه ، إنما أنا منفذ لأمرٍ أَمَرَ به رسول الله [ﷺ][1] .

غزو أسامة

فحرج سريعاً فوطيء بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام - جهينة وغيرها من قضاعة - حتى نزل وادي القرى ، فقدَّم عينا له من بني عذرة يدعى حُريثاً ، فانتهى إلى أبنى[2] ، ثم عادَ فلقى أسامة على ليلتين من أبني فأخبره أن الناس غارون ولا جموع لهم ، وحثَّهُ على سرعة السَّير قبل اجتماعهم ، فسار إلى أبني وعبأ أصحابه ، ثم دفع عليهم الغَارَة فقتل وسَبى ، وحرَّق بالنار منازلهم وحَرْثهم ونخلهم ، ورحل مساءً حتى قدِم المدينة ، وقد غاب خمسة وثلاثين يوماً وقيل : قَدِم لشهرين وأيامٍ .

خبر وفاة رسول الله ﷺ ونعيه إلى نفسه

وكان من خبر وفاة رسول الله ﷺ أن الله تعالى أنذره بموته حين أنزل عليه : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾[3] ، فقال نُعِيتْ إلى نفسي ! فحج حجَّة الوداع .

عرض القرآن في رمضان

وكان جبريل ينزل عليه في كل سنة مرَّة ، وفي شهر رمضان ، فيعرض عليه القرآن مرةً واحدة ، وكان يعتكف العشر الأواخر [من رمضان][4] . فلما كان في سنة موته ، عرض عليه جبريل القرآن مرتين ، فقال [ﷺ][5] : ما أظنُّ أجلي

---

(١) زيادة للسياق . (٢) في (خ) « ابناه » . (٣) أول سورة النصر
(٤) زيادة للبيان (٥) زيادة للبيان .

إلا قد حضر ! فاعتكف العَشر الأواسط[١] والعشر الأواخر ، وكان هذا نذيراً[٢] بموته .

الخروج إلى البقيع والاستغفار لأهله

ثم أمر بالخروج إلى البقيع ليستغفر لأهله والشهداء ويصلى عليهم ، وليكون توديعاً للأموات قبل الأحياء فوثب من مضجعه في جوف الليل ، فقالت عائشة رضي الله عنها : أين ؟ بأبي وأمي ! أي رسول الله ! قال : أمرت أن استغفر لأهل البقيع . فخرج ومعه مولاه أبو موهبة – ويقال : أبو مويهبة ، ويقال : أبو رافع – حتى جاء البقيع ، فاستغفر لهم طويلا ، ثم قال : ليهنئكم[٣] ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضاً ، يتبع آخرها أوَّلها ، الآخرة شر من الأولى !!

التخــيير

ثم قال : يا أبا مويهبة[٤] ! إني قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ، فخيِّرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة ! فقال بأبي وأمي ! فخذ خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة ! فقال : يا أبا مويهبة ! لقد اخترت لقاء ربِّي والجنة .

خبر شكوى رسول الله ﷺ

ثم انصرف ، وذلك ليلة الأربعاء ، فأصبح يوم الأربعاء محموماً – لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشر – وهو في بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها واشتكى شكوى جديدة حتى قيل : هو مجنوب ، يعني ذات الجَنْب[٥] .

---

(١) في (خ) « الأوسط » .

(٢) في (خ) « نذير » .

(٣) في (خ) « لينهك » .

(٤) في (خ) « موهبة » .

(٥) ذات الجنب عند الأطباء نوعان : حقيقي وغير حقيقي ، فالحقيقي : ورم حار يعرض في نواحي الجنب في الغشاء المستبطن للأضلاع . وغير الحقيقي : ألم يشبهه يعرض في نواحي الجنب عن رياح غليظة مؤذية تحتقن بين الصفاقات ، فتحدث وجعاً قريباً من وجع ذات الجنب الحقيقي ، إلا أن الوجع في هذا القسم محدود ، وفي الحقيقي ناخس (زاد المعاد) جـ٤ ص ٨ .

مدة الشكوى

واجتمع إليه نساؤه كلهُن ، فاشتكى ثلاثة عشر ليلة ، وقيل أربعة عشر يوماً ، وقيل : اثنى عشر[١] ، بُدِيءَ ﷺ في بيت ميمونة رضي الله عنها .

صفة الشكوى

وأخدته بُحَّة شديدة مع حُمَّى مُوَصِّمة[٢] مع صُداعٍ ، وكان ينفث في علته شيئاً يُشْبه نَفثَ آكل الزبيب . ودخلت عليه أُمُّ بشر بن البراء بن معرور فقالت : يا رسول الله ! ما وجدت مثل هذه الحُمَّى التي عليك على أحد ! فقال : إنا يضاعفُ لنا البلاء كما يضاعف لنا الأجر ، ما يقول الناس ! قالت : يقولون يا رسول الله : ذات الجنبِ ! فقال : ما كان الله لِيُسَلِّطها على رسوله ، إنها همزة الشيطان .

أكلة خيبر من الشاة المسمومة

ولكنها من الأكلة التي أكلت أنا وابنك بخيبر من الشاة ، وكان يصيبني منها عِدادٌ مرةً بعد مرَّةٍ فكان هذا أوانُ انقطع أبهري ؟ فمات ﷺ شهيداً .

الخروج إلى الصلاة

وكان إذا خفَّ عنه ما يجدُ خرج فصلى بالناس ، وإذا وجد ثقلةً قال : مُرُوا الناس فليصلوا .

خبر اللدود

واشتد شكْوُه حتى غمر من شدَّةِ الوجع ، فاجتمع عنده أزواجه ، وعَمُّه العبَّاس ، وأُمُّ الفضل بنت الحارث ، وأسماء بنت عميس رضي الله عنهم ، فتشاوروا في لدِّهِ[٣] حين غُمَر - وهو مغمورٌ - فلدوه ، فوجدوا في جوفه حفلا[٤] ، فلما

---

(١) في (خ) « اثنا عشر » .

(٢) في (خ) « معطمة » ، وما أثبتناه من (ط) ، ومعنى حمى موصمة : من قولك : وصمته الحمى توصيماً فتوصم ، آلمته فتألم (ترتيب القاموس جـ٤ ص ٦٢١)

(٣) سبق شرح معناه .

(٤) كذا في (خ) ، و (ط) ولم أجد ذكر هذه الكلمة ولا معناها فيما عندي من كتب السيرة .

أفاق قال من فعل هذا ؟ هذا عمل نساء جئن من ها هنا ! وأشار بيده إلى أرض الحبشة ، وكانت أمُّ سلمى وأسماء [بنت عميس][1] رضي الله عنهما لدَّتاه ، فقالوا : يا رسول الله ، خشينا أن يكون بك ذات الجنبِ ، قال : فيم[2] لددْتموني ؟ قالوا : بالعود الهنديَّ ، وشيءٍ من وَرْسٍ ، وقطراتٍ من زيت فقال : والله ما كان ليعذِّبني بذلك الداء[3] .

أمره ألا يبقى في البيت أحد إلا لُدَّ

ثم قال : عزمت عليكم لا يبقى في البيت أحدٌ إلا لُدَّ ، إلا عم النبي ﷺ[4] - فجعل بعضهن يلدُّ بعضا ، والتدت ميمونة وهي صائمةٌ ، لقسم رسول الله ﷺ .

إقامته ﷺ في بيت ميمونة رضي الله عنها

وأقام ﷺ في بيت ميمونة سبعة أيام ، يبعث إلى نسائه أسماء بنت عُميس يقول لهن : إن رسول الله يشقُّ عليه أن يدور عليكنَّ ، فحَلِّلْنَهُ . فكن يَحْلِلْنَهُ . ويروى أن فاطمة عليها السلام - بنت رسول الله ﷺ - هي التي كانت تدور على نسائه وتقول ذلك .

طوافه علي نسائه في شكواه

ويروي أنه كان يُحْمَلَ في ثوب يطاف به على نسائه ، وذلك أن زينب بنت جحش كلمته في ذلك قال : فأنا أدور عليكنَّ . فكن يُحْمَل في ثوب يحمل بجوانبه الأربع ، يحمله أبو رافع مولاه ، وأبو مويهبة ، وشُقْران وثوَبان حتى يقسم لهن كما كان يقسم . فجعل يقول : أين أنا غداً ؟ فيقولون : عند فلانة ، فيقول : أين أنا بعد غدٍ ؟ فيقولون ، عند فلانة! فعرف أزواجه أنه يريد عائشة رضي الله عنها .

---

(١) زيادة للبيان من (ط) .

(٢) في (خ) « فيما » وما أثبتناه من كتب السيرة .

(٣) في (خ) « الدابر » وما أثبتناه من كتب السيرة .

(٤) يعني « العباس » .

هبة أمهات المؤمنين أيامهن لعائشة

فقلن يا رسول الله ، قد وهبنا أيامنا لأختنا عائشة وروي أنه لما ثقل واشتد وجعه ، استأذن أزواجه أن يمرَّض في بيت عائشة ، فأذِنَّ له ، فخرج بين الفضْل ابن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما . تخط رجلاه في الأرض[١] – وذلك يوم الأربعاء الآخر[٢] – حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها ، فأقام في بيتها حتى تُوفي .

اشتداد الحمى وإراقة الماء عليه

ولما اشتد وجعه بعد أن دخل بيتها . قال ، أهْريقوا عليَّ من سَبْعِ قِرَبٍ لم تحلل أوكيتهن[٣] ، لَعَلِّي أعهدُ إلى الناس ، فأجلسوه في مَخْضبٍ[٤] لحفصة رضي الله عنها من صَفْرٍ ، ثم صبُّوا عليه تلك القِرَب ، ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم : وكانت تلك القِرَب من بئر أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

خطبته قبل وفاته

وخرج يوم السبت عاشر ربيع الأول – مشتملا قد طرح طرفي ثوبه عل عاتقيه ، عاصباً رسه بخرقةٍ – فأحدق الناس به وهو على المنبر . فقال : والذي نفسي بيده ، إني لقائمٌ على الحوض الساعة – ثم تشهَّد واستغفر للشهداء الذين قُتِلوا بأحدٍ – ثم قال :

ذكر التخـيير

إن عبداً من عباد الله خيرٌ بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله العبْدُ ! فبكي أبو بكر رضي الله عنه فقال : بأبي وأمي ! نفديك بآبائنا وأمهاتنا ، وبأنفسنا وأموالنا ، فقال : على رِسْلك [يا أبا بكر] [٥] سدّوا هذه الأبواب الشَّوارع[٦] إلى

---

(١) في (خ) « ورجلاه تحط الأرض ، وما أثبتناه من (ابن سعد) جـ٢ ص ٢٣٢ .

(٢) قوله : « يوم الأربعاء الآخر » أي التالي للأربعاء الأول الذي بديء فيه .

(٣) أريقوا ، أهريقوا : صبوا : والأوكية جمع وكاء ، وهو الخيط الذي يشد به فم السقاءِ أو الوعاء .

(٤) في (خ) « محصب » ، والمخضب إناء واسع تغسل فيه الثياب .

(٥) زيادة للبيان من (ابن سعد) .

(٦) الشوارع : النافذة والمؤدية إلى المسجد .

المسجد إلا باب أبي بكر ، فإنَّ أمنَّ[1] الناس عليَّ في صُحْبته وماله أبو بكر ، فلو كنتُ متخذاً في الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا . ولكن أخوة الإسلام ومودته . فقال عمر رضي الله عنه : دعني يا رسول الله افتح كوة : إليك حين تخرج إلى الصلاة ، فقال : لا . أيها الناس ، [وكان بابُ أبي بكر رضي الله عنه في غرْبيّ المسجد][2] . ثم ذكر أسامة بن زيد فقال ، أنفذوا بعث أسامة – وكرر ذلك ثلاثا – فلعمري لئن قلتم في إمارة أبيه من قبله . وإنه والله لخليقٌ للأمارة ، وأبوه من قبله ، وإن كان لمنْ أحب الناس الناسِ إليَّ .

ويروي أنه قال أيضا – بعد [ذكر][3] يا معشر المهاجرين ! إنكم أصبحتم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيدُ ، هي على هيئتها التي هي عليها اليوم ، وإن الأنصار عَيْبَتِي التي أويتُ إليها ، ونعلي التي أطأ بها ، وكرشي التي آكلُ فيها ، فاحفظوني فيهم ، فأكرموا كريمهم ، وأقبلوا من محسنهم ،وتجاوزوا عن من مسيئهم، فقال رجل: يا رسول الله ! ما بالُ أبوابٍ أمرت بها أن تفتح : وأبوابٍ أمرتَ بها أن تغلق ؟ قال : ما فتحتها ولا سددتها عن أمري !!

خبر كتاب رسول الله ﷺ عند موته

واشتدُّ به ﷺ وجعه يوم الخميس ، فقال : ائتوني بدواةٍ وصحيفة اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ! فتنازعوا فقال بعضهم : ماله ؟ أهجر[4]؟! استبعدوه ! وقالت زينب بنت جحش وصواحبها : ائتوا رسول الله ﷺ بحاجته . فقال عمرُ رضي الله عنه : قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتابُ الله ، من لفلانة وفلانة ؟ يعني مدائن الروم – فإن النبي ﷺ ليس بميتٍ حتى يفتحها ، ولو مات لا نُنظره كما انتظرت بنو إسرائيل موسى !! فلما لغطوا عنده قال : دعوني ! فما أنا فيه خير مما تسألوني ، ثم أوصاهم بثلاث[5] : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو بما كنتم تروني أجيزهم . وأنفذوا جيش أسامة ؛

---

(١) أَمَنَّ : أجود بماله وذات يده .

(٢) في (خ) سياق هذه العبارة مضطرب ، وما أثبتناه من (ط) .

(٣) زيادة للسياق من (ط) .

(٤) هجر المريض أو النائم ، إذا هذي وتكلم .

(٥) في (خ) « ما أوسهم » ، و « ثم » هي حق العبارة .

قوموا .

خبر الكنيسة التي بالحبشة

وتذكر[١] بعض نسائه كنيسة رأينها[٢] في أرض الحبشة . فذكرت أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان وزينب بنت جحش[٣] كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية ، وما فيها من التصاوير ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه فقال . أولئك [قومٌ][٤] إذا مات الرجل الصالح منهم بنوْا على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور . أولئك شرارُ الخلق عند الله ! وطفق يلقي خميصةً[٥] على وجهه . فإذا اغتمَّ بها ألقاها عن وجهه ، ويقول : لعنة الله علي اليهود والنصاري ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ! [يحذِّرهم مثل ما صنعوا] لا يبقين دينانٍ بأرض العرب .

مقالته في شكواه

ولم يشْك شكوى إلا سأل الله العافية ، حتى كان مرضه الذي مات فيه ، فإنه لم يكن يدعو بالشفاء ، وطفقَ يقول : يا نفْسُ مالك تلوذين كلَّ ملاذ[٦] ؟

التخيير بين الشفاء والغفران

وأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن ربك يقرئك السلام ويقول : إذا شئت شفيتك ، وكفيتك ، وإن شئت توفيتك وغفرت لك !! فقال : ذلك إلى ربي يصنع بي ما يشاء .

مقالته في كرب الموت

وكان لما نزل به ، دعا بقدحٍ من ماء ، فجعل يمسح على وجهه ويقول : اللهم أعنِّي على كُرَبِ الموت ، وأخذته بحَّة شديدة فجعل يقول : مع الرفيق الأعلى !

---

(١) في (خ) « وتذكر » . (٢) في (خ) « رأسها » .

(٣) المعروف أن « أم سلمة » رضي الله عنها هي التي هاجرت إلى الحبشة ، ولم يذهب أحد من رواة السيرة إلى أن « زينب بنت جحش » رضي الله عنها ، هاجرت إلى الحبشة .

(٤) زيادة من (ابن سعد) .

(٥) الخميصة : كساء من الصوف أسود مربع له علمان .

(٦) الملاذ : الملجأ .

وقد شخص بصره[1] .

وفاته في حجر عائشة وخبر الذهب

وتوفي في حجر عائشة رضي الله عنها وقد قال لها لما حُضِر[2] - وهو مستند إلى صدرها - : ما فعلت بالذَّهب ؟ فأتته بها وهي تسعة دنانير ، فقال : أنفقيها !! ما ظنُّ محمَّد بربه لو لقى الله وهي عنده ؟!

مسارة فاطمة

ودعا ﷺ ابنته فاطمة عليه السلام ، فسارَّها فبكت ؛ ثم دعاها فسارَّها فضحكتَّ ؛ فسئلتْ عن ذلك بعد فقالت : دعاني أول مرَّة فقال : إن القرآن كان يعرض علي في كل عام مرةً ، وعرض عليَّ العام مرتين ولا أراني إلا ميتاً في مرضي هذا ! فبكيت . ثم دعاني فقال : أنتِ أسرع أهلي لحوقاً بي ! فضحكت . فماتت بعد وفاته بستَّة أشهر . وقيل : أقل من ذلك .

إمامة أبي بكر رسول الله ﷺ قبل موته

وقال [ﷺ][3] : ما هلك نبيٌّ حتى يؤمَّه رجلٌ من أمته . فلما كان يوم الاثنين ، صلى أبو بكر رضي الله عنه بالناس الصبح ، فأقبل رسول الله ﷺ يتوكأ على الفضل بن العباس وثوبان ، ولم يبق امرأة ولا رجل إلا أصبح في المسجد ! لوجعه عليه السلام ، فخرج حتى جلس إلى جنب أبي بكر ، فصلى بصلاة أبي بكر ، فلما قضي صلاته جلس - وعليه خميصةٌ له - فقال : إنكم والله لا تمسكونَ عليَّ بشيء ، إني لا أحلُّ إلا ما أحل الله في كتابه ، ولا أحرَّم إلا ما حرم الله في كتابه ! يا فاطمة بنت محمد ! ويا صفيَّةَ بنت عبد المطلب !! إعملا لما عند الله ، لا أملك لكما من الله شيئاً ! وصلى أبو بكر رضي الله عنه بالناس - إلى أن توفيِّ رسول الله ﷺ - سبع عشرة صلاة .

---

(١) شخص بصره : إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف .

(٢) حضر بالبناء للمجهول : إذا دنا منه الموت أو نزل به .

(٣) زيادة للبيان .

وفـاتـه

وتوفي رسول الله ﷺ ضحي يوم الأثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من مهاجره – وقيل مستهله ؛ وقيل ثانيه – ، فبعث العبَّاس رضي الله عنه في طلب أبي عبيدة بن الجراح ، وكان يشُقُّ : [يُضْرِح][1] وبعث في طلب أبي طلحة ، وكان يَلحَد[2] ، وقال اللهم اختر لنبيك ! فوجد أبو طلحة .

حيـث دفـن

وقال أبو بكر رضي الله عنه – وقد اختلفوا أين يدفن – : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما مات نبي قط إلا دفن حيث يُقْبض . فخط له ﷺ حول الفراش ، ثم حوِّل بالفراش في ناحية البيت ، وحفر أبو طلحة القبر ، فانتهى به إلى أصل الجدار إلى القبلة ، وجعل رأسه ﷺ بما يلي بابه الذي كان يخرج منه إلى الصلاة . ثم غسلوه من بئر عرس ، وكان يشرب منها .

جهاز رسول الله ﷺ

ولما أخذوا في جهازه أمر العباس رضي الله عنه فأُغلق الباب ، فنادت الأنصار نحن أخواله ، ومكاننا من الإسلام مكاننا ، وهو ابن أختنا !! ونادت قريشٌ : نحن عصبته[3] ، فأدخل من الأنصار أوْس بن خَوْلِّي ، وأحضروا الماء من بئر عرْس ، واحضروا سدراً وكافوراً ، فأرسل الله عليهم النوم فما منهم رجلٌ إلا واضعا لحيته على صدره وقائل يقول ما نَدْري من هو !: اغسلوا نبيكم وعليه قميصه ! فَغُسِّلَ في القميص . وغُسِّلَ الأولى بالماء القراح ، والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور .

الغُســل

وغسَّله عليٌّ والفضل بن عباس – وكان الفَضْلُ رجلا أيِّداً[4] –، وكان يقَلِّبُه

(١) ضرح الضريح للميت : حفر له فشق في وسط القبر (وكان ذلك عمل أهل مكة لموتاهم) .

(٢) لحد اللحد للميت : حفر وشق في جانب القبر (وكان ذلك عمل أهل المدينة لموتاهم) .

(٣) عصب الرجل : أقاربه من جهة الأب .

(٤) الأيد : الشديد القوي .

شقَران ، ووقف العباس بالباب وقال : لم يمنعني أحضر غسله إلا أني كنت أراه يستحي أني أراه حاسراً[١] . وذهب علي رضي الله عنه يلتمس من بطن النبي ﷺ ما يُلتمَس من بطن الميت ، فلم يجد شيئاً ، فقال : بأبي وأمي !! ما أطيبك حياً وميتاً !! وقيل غسله علي ، والعباس وابنه الفضل يعينانه ، وقثم وأسامة وشُقْران يصبون الماء .

الكــفــن

واشترى له عليه السلام حُلة حَبرة بتسعة دنانير ونصف ليكفَّن بها . ثم بدا لهم فتركوها . فابتاعها عبد الله بن أبي بكر . وكفِّن ﷺ في ثلاثة أثواب سَحُوليَّة بيض[٢] ، أحدُها بْردُ حبرةٍ . وقيل : أحدهـا حلة حِبَرةٍ وليس فيها قميص ولا عمامةٌ وأدرج في أكفانه .

وقيل : كُفِّن في حلة حبرة وقميص . وفي رواية : في حلة حمراء نجرانية وقميص . وقيل : إن الحلة اشتريت له فلم يكفَّن فيها . وقيل كفِّن في سبعة أثواب ، وهو شاذ . وقيل : كفن في ثلاثة أثواب : قميصه الذي مات فيه ، وحلة نجرانية ، وهو ضعيف ، وحُنِّط بكافور ، وقيل : بمسكٍ[٣] .

الصلاة على رسول الله ﷺ

ثم وضع على سريره ، وكان ألواحاً ثم أحدثت له بعد ذلك قوائم ، ووضع السرير على شفير القبر ، ثم كان الناس يدخلون زمراً زمراً . يصلون عليه .

أول من صلى على رسول الله ﷺ

وأوَّل من صلى عليه العباس وبنو هاشم . ثم خرجوا ودخل المهاجرون ، ثم الأنصار : زُمْرة زُمْرةً ، ثم دخل الصبيان ، ثم النساءُ .

وقيل صُلِّيَ عليه اثنتان وسبعون صلاة[٤] .

---

(١) حاسراً : كاشفاً ثيابه .

(٢) سحولية : نسبة إلى سحول ، وهي قرية باليمن .

(٣) الحنوط طين يُحنَّط للميت .

(٤) في (خ) « اثنان وسبعون » .

خبر أمهات المؤمنين

وقد قامت أمهات المؤمنين يلتدمْن على صدورهن[1] : وقد وضَعْن الجلابيب عن رؤوسهن ، ونساء الأنصار يضربن الوجوه ، وقد بُحَّتْ حلوقهنَّ من الصياح[2] .

الصــلاة عليه

ولم يزل ﷺ موضوعاً على سريره ، من حين زاغت الشمسُ في يوم الاثنين إلى حين زاغت الشمس يوم الثلاثاء ، فصلِّي عليه وسريره على شفير قبره .

يـوم دفنـه

ودفنوه ليلة الأربعاء سَحَراً . وقيل : دفن يوم الثلاثاء ، وقيل : ليلة الثلاثاء . وقيل : يوم الاثنين عند الزوال . قاله الحاكم وصحَّحه . وقال ابن عبد البرّ : أكثر الآثار على أنهُ دفِن يوم الثلاثاء ، وهو قول ، أكثر أهل الأخبار .

فلما أَرادوا أن يقبروه[3] نحَّوْا السرير قِبَلَ رجْليه[4] ، فأُدخِل من هناك .

لحده ومن دخل فيه

ودخل حُفرته العبَّاس ، والفضل بن عباس ، وقُثَم بن عباس ، وعلي ، وشقران رضي الله عنهم ، ويروي أنه نزل أيضاً أسامة بن زيد وأوس بن خَوْلِّي : وبني عليه في لحده بتسع لبناتٍ ، وضُرِح في لحده سَمَلُ قطيفة نجرانية كان يلبسها[5] .

ثم خرجوا وهالوا التراب ، وجعلوا ارتفاع القبر شبراً وسطحوه ، وجعلوا عليه

---

(١) لدمت المرأة صدرها أو التسعت صدرها : ضربته .

(٢) لم يثبت عن أمهات المؤمنين أنهن قد قمن بشيء من لطم الخدود وغير ذلك من الأعمال المنهي عنها شرعاً على لسان النبي ﷺ ، وكل ما ورد في ذلك ما رواه (ابن سعد) جـ٢ ص ٢٨٩ : « حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء فكان منهن صوت وجزع لبعض ما يكون منهن فسمعن هذه في البيت ففرقن فسكتن . وروي (ابن الأثير) في (الكامل) جـ٢ ص ٣٢٠ : أن النبي ﷺ قال : « دنا الفراق والمنقلب إلى الله وسدرة المنتهى والرفيق الأعلى .. » إلى أن قال ﷺ : « ... ثم ادخلوا على فوجاً فوجاً فصلوا على ولا تؤذوني بتزكية ولا رنة » . وانظر أيضاً : (البداية والنهاية) جـ٥ ص ٢٧٨ .

(٣) في (خ) « بقبره » .

(٤) نحَّى الشيء : أبعده ناحية .

(٥) السمل : الخلق البالي من الثياب .

حَصْباء ورش بلالٌ رضي الله عنه على القبر الماء بقربة : فبدأ من قِبَل رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجليه ، ثم ضرب الماء إلى الجدار ، ولم يقدر أن يَدُور من الجدار .

عمره عند وفاته ﷺ

وكان عمره ﷺ يوم توفاه الله ثلاثاً وستين سنة على الصحيح . وقيل كان ستين . وقيل خمساً وستين . وهذه الأقوال الثلاثة في صحيح البخاريِّ عن ابن عباس رضي الله عنه[1].

فصل في ذكر أسمائه ﷺ

إعلم أن لرسول الله ﷺ عدة أسماء : منها ما سماه الله – عزل وجل – به في القرآن الكريم ، ومنها ما سمي به رسول الله ﷺ نفسه ، وقد سُمِّي بعدة أسماء كثيرة .

فذكر الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن وهبة بن عساكر – رحمه الله – عشرين اسماً .

وذكر الحافظ أبو الفرح عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي – رحمه الله – ثلاثة وعشرين اسماً[2]

وقال الحافظ أبو الخطاب عمر بن حسن بن دحية – رحمه الله – ثلاثمائة اسم في كتابه (المستوفي في أسماء المصطفى) [وقال][3] : أنه إذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن العظيم والحديث النبوي بلغت ثلاثمائة اسم .

وذكر أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن الحرالي تسعة وتسعين اسماً .

وذكر القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري في شرح جامع الترمذي عن بعض الصوفية : أن لله تعالى ألْف اسم ، وللنبي ﷺ ألف اسم ، عرف منها أربعة وستون اسماً فذكرها .

---

(١) آخر النسخة (ط) وهو ما يقابل السطر الثالث والعشرين من ص ١٧٩ من النسخة (خ) .
(٢) (صفة الصفوة لابن الجوزي) جـ١ ص ٥٤ ، ٥٥ باب ذكر أسماء رسول الله ﷺ .
(٣) زيادة للسياق .

وأشهر أسمائه ﷺ (محمد) و (أحمد) ، وهما إسمان من أسماء الأعلام التي يراد بها التمييز بين الأشخاص ، وكل منهما ومن بقية أسمائه يشتمل على معنى من معاني الفضل .

ومن تأمل علم أنه ليس من أسماء الناس اسم يجمع من [معاني صفات الحمد][1] ما يجمعه هذان الاسمان ؛ فأحمد اسم منقول من صفة لأفعل ، وتلك الصفة – أفعل – التي يراد بها التفضيل ، فمعنى أحمد : أي أحمد الحامدين لربه . والأنبياء عليهم السلام كلهم حامدون لله تعالى ، إلا أن نبينا ﷺ أكثرهم حمداً ، فيكون هو الأحق بالحمد ، ومحمد هو البليغ في الحمد ، فمن سُمِّي بهذين الاسمين فقد سُمِّي بأجمع الأسماء لمعاني الفضل .

يقال رجل محمد ومحمود ، إذا كثرت خصاله المحمودة ، ومعنى الاسمين واحد ، فإنَّ وصف الشخص بأنه أحق بالحمد مبالغة في حمده ، والمبالغة في حمده تقديرٌ له في الحمد على من لا يبالغ في حمده ، فأحمد على هذا هو محمد ، ومحمدٌ أحمد .

وقد ذكر الله جل جلاله هذين في كتابه فقال تعالى ﴿ **محمد رسول الله** ﴾[2] ، وقال : ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾[3] ، وقال : ﴿ **ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾[4] .

وخرَّج الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري – رحمه الله – في صحيحه من حديث سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه : قال : قال رسول الله ﷺ : ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ؟ – يشتمون مذمما ، ويلعنون مذمما ، وأنا محمد[5] .

وخرَّج النسائي أيضاً ، وذكر أبو الربيع بن سالم أنه روي عن عبد المطلب إنما سماه ﷺ محمداً لرؤيا رآها ، زعموا أنه رأى في منامه سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض ، وطرف المشرق وطرف في

---

(١) ما بين القوسين غير واضح في التصوير من النسخة (خ) ولعل ما أثبتناه هو المناسب .

(٢) من الآية ٢٩ / الفتح .

(٣) من الآية ١٤٤ / آل عمران .

(٤) من الآية ٦ / الصف .

(٥) (صحيح البخاري) جـ٢ ص ٢٧٠ باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ .

المغرب ، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها في نور وإذا أهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها . فعبَّرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ، ويحمده أهل السماء والأرض ، فلذلك سمّاه محمداً ، مع ما حدثته آمنة به[1] .

وقال أبو القاسم السهيلي[2] : لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله ﷺ إلا ثلاثة طمع آباؤهم حيث سمعوا بذكر محمد وبقرب زمانه وأنه يبعث بالحجاز ، أن يكون ولداً لهم ، ذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول ، وهم : محمد ابن سفيان بن مجاشع جد[3] الفرزدق الشاعر ، والآخر : محمد بن أحيحة بن الجلاح ابن الحريش بن جمحي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس ، والآخر : محمد بن حمران بن ربيعة .

وكان آباؤهم الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك ، وكان عنده علم من الكتاب الأول ، فأخبرهم بمبعث النبي ﷺ وباسمه ، وكان كل واحد منهم قد خلَّف امرأته حاملا ، فنذر كل واحد منهم : إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ، ففعلوا ذلك .

وذكر القاضي عِيَاض : من تسمي بمحمد في الجاهلية فبلغوا ستة ، ثم قال في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع آياته شيءٌ آخر ، هو أن الله جَلَّ اسمه حمى أن يسمَّى بهما أحد قبل زمانه ، أما أحمد الذي أتي في الكتاب وبشرت به الأنبياء . فمنع الله تعالى بحكمته أن يسمَّى به أحد غيره ، ولا يُدعى به مدعو قبله ، حتى لا يدخل لبْس على ضعيف القلب ، أو شكٌ[4] .

وكذلك محمد أيضاً لم يسمَّ به أحد من العرب ولا غيرهم إلى أن شاع قبيل وجوده ﷺ وميلاه ، أن نبياً يبعث اسمه محمد ، فسمَّى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك ، رجاء أن يكون أحدهم هو ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، وهم : محمد بن أحيحة بن الجُلاح الأوسي ، ومحمد بن مسلمة الأنصاري ، ومحمد بن برَّاء البكري ، ومحمد بن سفيان بن مجاشع ، ومحمد بن حُمران الجُعْفي ، ومحمد

---

(١) (الروض الأنف) جا ص ١٨٢ « مع ما حدثته به أمه حين قيل لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة ، فإذا وضعتيه فسميه محمد » .

(٢) (المرجع السابق) جا ص ١٨٢ .

(٣) في (خ) « جد الفرزدق » وما أثبتناه من (السهيلي) جا ص ١٨٢ .

(٤) (الشفاء للقاضي عياض) جا ص ١٤٥ .

ابن خزاعي السلمي ، لا سابع لهم .

ويقال : أول من سمى محمداً ، محمد بن سفيان ، واليمن تقول : بل محمد ابن اليُحمد من الأزد ، ثم حمى الله كل من تسمى به أن يَدَّعي النبوة ، أو يدعيها أحد له ، أو يظهر عليه سبب يشك أحداً في أمره حتى تحققت السمتان له ﷺ ولم ينازع فيهما .

قال كاتبه . وذكر محمد بن مسملة الأنصاري فيهم ، فيه نظر من حيث أنه وُلد بعد ولادة النبي ﷺ بنحو عشر سنين ، ولكنه صحيح من حيث أنه لم تكن النبوة ظهرت - والله أعلم .

وذكر ابن سعد فيهم : محمد الجشمي في بني سراه ، ومحد الأسيدي ، ومحمد الفقيمي .

وقال أبو العباس المبرد : فتش المفتشون فما وجدوا بعد نبينا ﷺ من اسمه أحمد قبل أبي الخليل بن أحمد .

وللبخاري من حديث الزهري ، أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت رسول الله ﷺ يقول[1] : إن لي أسماء ؛ أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعدي أحد ، وقد سماه الله رءوفاً رحيماً ، ذكره البخاري في التفسير ، وانتهي حديثه عند قوله : وأنا العاقب .

وذكره مسلم أيضاً من حديث عقيل ، قال : قلت : لابن شهاب وما العاقب ؟ قال : الذي ليس بعده نبي[2] .

ومن حديث معمر وعقيل: وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر[3] ، وللبخاري من حديث مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : لي خمسة أسماء : أنا محمد وأحمد ، وأنا الماحي الذي

(١) في رواية (البخاري) جـ٢ ص ٢٢٠ « سمعت رسول الله ﷺ يقول : لي أسماء » .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ١٠٦ .

(٣) في (خ) « الكفرة » .

يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس عل قدمي ، وأنا العاقب .

وذكره البخاري في المناقب في باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر : تفرد برفعه عن مالك جويرية بن أسماء ، ورواه عبد الله ابن وهب ، وبشر بن عمرو الزهراني ، ويحيى بن عبد الله بن بكير المصري عن مالك مرسلا لم يذكر فيه جبيراً ، ورفعه صحيح عن الزهري ، فقد وصله عنه يونس ابن زيد ، وشعيب بن أبي حمزة الحمصي ، وسفيان بن عيينة (انتهى) .

وقد رفعه عن مالك غير جويرية بن أسماء قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر : وقد ذكر حديث مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم أن النبي هكذا روي هذا الحديث [وراه][1] يحيى مرسلا لم يقل عن أبيه ، وتابعه على ذلك أكثر رواة الموطأ ، وممن تابعه على ذلك القيعي وابن بكير ، وابن وهب وابن القامس ، وعبد الله بن يوسف ، وابن أبي أُوَيْس ، وعبد الله بن مسلم الدمشقي ، وأسنده عن مالك معن بن عيسى ، ومحمد بن المبارك الصوري ، ومحمد بن عبد الرحيم ، وابن شروس الصنعاني ، وإبراهيم بن طهمان ، وحبيب ومحمد بن وهب ، وأبو حذافة ، وعبد الله بن نافع ، وأبو المعتب الزهري ، كل هؤلاء رواه عن مالك مسنداً عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه .

وخرجه مسلم من حديث سفيان عن الزهري ، سمع محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه : أن النبي ﷺ قال : أنا أحمد ، وأنا محمد ؛ وأنا الماحي الذي يُمْحي بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي ، وأنا العاقب ، والعاقب الذي ليس بعده نبي[2] .

وخرجه عبد الرازق ، أخبرنا معمر عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن لي أسماء : أنا أحمد وأنا محمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر يُحْشَرُ الناس على قدمي ، وأنا العاقب ، قال : قلت للزهري : وما العاقب ؟ قال : الذي ليس بعده نبي .

وخرجه مسلم أيضاً عن عبد بن حميد عن عبد الرازق ، وأخرجه أيضاً من

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ١٠٤ .

حديث يونس بن يزيد عن الزهري ، وقال في الحديث : وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد ، وقد سمّاه الله رءوفاً رحيماً[1] ، ويحتمل أن تكون تفسير العاقب من قول محمد بن شهاب الزهري ، كمابينه معمر ، وقوله : وقد سماه الله رءوفاً رحيماً ، من قول الزهري ، والله أعلم .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : سألت سفيان - يعني ابن عيينة - عن العاقب فقال لي : آخر الأنبياء .

قال أبو عبيد : وكذلك كل شيء خلف بعد شيء فهو عاقب ، وقد عقب يعقب عقباً ، ولهذا قيل : ولد الرجل بعده عقبة ، وكذلك آخر كل شيء عقبه .

وقوله يحشر الناس على قدمي : أي قُدَّامي وأمامي . أي أنهم مجتمعون إليه ، وينضمون حوله ، ويكونون أمامه يوم القيامة ووراءه .

وقال الخليل بن أحمد حشرتهم السنة : إذا ضمتهم من البوادي ، وهذا الحديث مطابق لقوله تعالى : ﴿ **ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾[2] .

وقد روي : يحشر الناس على قدمي بالإفراد مخفف الياء ، وروي بتشديد الياء عل التثنية[3] .

وقيل معناه أنه أول من يبعث من القبر ، وكل من عداه إنما يبعثون بعده ، وهو أول من يذهب به من المحشر ثم الناس في إثره .

وقيل معنى قوله وأنا الماحي ، يعني تمحى به سيئات من اتبعه .

وخرج أبو داود الطيالسي من حديث جابر [عن] نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا محمد وأنا أحمد والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة .

ولمسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال :

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٥ .
(٢) من الآية ٤٠ / الاحزاب .
(٣) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ١٠٥ .

أنا محمد وأحمد[1] والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة[2] .

وقد روي من عدة طرق عن الليث بن سعد رحمه الله قال : حدثني خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن عتبة عن مسلم عن نافع بن جبير بن مطعم أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك : أتحصي أسماء رسول الله التي كان جبير بن مطعم يعدها ؟ قال نعم ؛ قال هي ستة : محمد وأحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي ؛ فأما حاشر : فبعث مع الساعة نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، وأما عاقب ، فإنه عقب الأنبياء ، وأما ماحي ، فإن الله عزَّ وجلَّ محا به سيئات من اتبعه .

وذكره الحاكم في المستدرك وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ، وقد قيل إنه إنَّما سُمي نبي التوبة لأنه أخبر أن الله يقبل التوبة من عباده إذا تابوا ، وسمي نبي الملحمة لأن الله فرض عليه قتل الكفار ، وجعله شرعاً باقياً إلى قيام الساعة ، فما فتح مصراً من الأمصار إلا بالسيف أو خوفاً من السيف ، إلا المدينة النبوية فإنها فتحت بالقرآن .

وقيل معنى المُقَفى : المتبع للأنبياء عليهم السلام ، يقال قفوته أقفوه ، وقفيته أقفيه إذا اتبعته ، وقافية كل شيء آخره ، وقيل لأنه قفي إبراهيم عليه السلام .

وقيل المقفي لموسى وعيسى عليهما السلام ، لنقل قومهما من اليهودية والنصرانية إلى الحنفية .

وقيل إنما اقتصر ﷺ على هذه الأسماء مع أن له أسماء غيرها ، لأنها موجودة في الكتب المتقدمة ، وعند الأمم السالفة .

وروي الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إنما أنا رحمة مهداة ، ورواه وكيع عن الأعمش عن أبي صالح منقطعاً .

وروي الكلبي عن أبي صالح عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قول الله سبحانه : ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾[3] ؛ يا رجل ما أنزلنا عليك

---

(١) في (خ) « أنا محمد ومحمد وأحمد » .

(٢) ونحوه (في سنن الترمذي) جـ٤ ص ٢١٤ حديث رقم ٢٩٩٦ وفي (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٣) أول سورة طه .

القرآن لتشقى ، وكان يقوم الليل على رجليه ، فهي لعك[1] ، إن قلت لعكّي يا رجل ، لم يلتفت ، فإذا قلت له طه ، التفت إليك[2] .

وقال الخليل بن أحمد : خمسة من الأنبياء ذووا اسمين : محمد وأحمد نبينا ﷺ ، وعيسى والمسيح ، وإسرائيل ويعقوب ، ويونس وذو النون ، وإلياس وذو الكفل ، عليهم السلام[3] .

وقال أبو زكريا بن محمد العنبري : ولنبينا محمد ﷺ خمسة أسماء في القرآن : محمد ، وأحمد ، وعبد الله ، وطه ويس ، قال الله تعالى في ذكر محمد ﷺ : ﴿ **محمد رسول الله** ﴾ وقال : ﴿ **ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾[4] وقال : ﴿ **وأنه لما قام عبد الله يدعوه** ﴾[5] : يعني النبي ﷺ ليلة الجن ﴿ **كادوا يكونون عليه لبدا** ﴾[5] . وإنما كانوا يقعون بعضهم على بعض كما أن اللبد تتخذ من الصوف فيوضع بعضه على بعض فيصير لبدا .

قال تعالى : ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ ، والقرآن إنما نزل على رسول الله ﷺ دون غيره .

وقال تعالى : ﴿ **يس** ﴾ يعني يا إنسان ، والإنسان ها هنا : هو محمد ﷺ ، ﴿ **إنك لمن المرسلين** ﴾ ، وقد سماه الله تعالى في القرآن الكريم رسولاً ونبياً أمياً ، وسماه شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وسماه رءوفاً رحيماً ، وسماه نذيراً مبيناً ، وسماه مذكّراً ، وجعله رحمة [للعالمين ﷺ][6] .

وعن كعب الأحبار قال : قال الله تعالى لمحمد ﷺ : عبدي المختار .

وعن سفيان بن عيينة قال : سمعت على بن زيد يقول : اجتمعوا فتذاكروا أي بيت أَحْسَن فيما قالت العرب ؟ قالوا : الذي قال أبو طالب ، للنبي ﷺ :

---

(١) لعك : قبيلة يضاف إليها مخلاف باليمن (معجم البلدان) جـ٤ ص ١٤٢ .

(٢) وفي (تفسير الطبري) في معنى قوله تعالى : ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ : « والذي هو أولى بالصواب عندي من الأقوال فيه قول من قال : معناه : يا رجل ، لأنها كلمة معروفة في لعك فيما بلغني ، وأن معناها فيهم : يا رجل » (تفسر الطبري) جـ١٦ ص ١٣٦ .

(٣) ذكره (القرطبي) في (الجامع لأحكام القرآن) جـ١ ص ٢٨١ .

(٤) من الآية ٦ / الصف . (٥) آية ١٩ / الجـن .

(٦) ما بين القوسين مطموس في (خ) بقـدر كلمتين أو ثلاثة ولعل ما أثبتناه هو المناسب .

وشق له من اسمه يجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ومن أسمائه : الضحوك القتال ، والأمين ، والقُثَم ، وأحيد ، لأنه يحيد أمته عن نار جهنم ، فهومحمدوأحمد والأمين ، والأمي والحاشر والخاتم ، والرسول ، ورسول الله والشاهد والضحوك ، والعاقب والفاتح ، والقتال والقُثم ، والماحي والمصطفى ، والمتوكل والمقفي ، والنبي والنذير ، ونبي الرحمة ، ونبي الملاحم .

فصل في ذكر كنية رسول الله ﷺ

إعلم أن الكنية إنما وضعت لاحترام المكنى بها وإكرامه وتعظيمه ، كي لا يصرح في الخطاب باسمه ، ومنه قول[الشاعر][1] :

أكنيه حين أناديه لأكرمه ولا ألقبه والسَّوءةُ اللقبـا

ويقال كنيت الرجل بأبي فلان ، وأبا فلان على تعدية الفعل ، بعد إسقاط الحرف كلية بكسر الكاف وضمها .

وكذلك يقال : كنيته ، وكنية فلان أبو فلان ، وكذلك كنيته بالكسر ، أي الذي يكني به .

وقال اللحياني : يقال كُنية ، وكَنية ، وكِنية ، وكُنوة ، وكَنوة ، وكِنوة .

وقال المبرد : الكنية من الكناية ، والكناية ضرب من التعظيم والتفخيم ، فيعظم الرجل أن يدعى باسمه فيكنى . ووقعت الكنية في الصبي على جهة التفاؤل بأن يكون له ولد فيدعى به ، وفي الكبير بأن يصان اسمه باسم ابنه ، وقال غيره : يقال كنوته وكنيته .

وقال المطرزي : يقال أيضاً : أكنيتُه من الكنية ، ويقال ـــ: إن الأصل في سبب الكني في العرب أن ملكا من ملوكهم الأول وُلِدَ له ولد ، توسم فيه النجابة ، فشغف به حتى إذا نشأ وترعرع لأن يؤدب أدب الملوك ، أحب أن يفرد له موضعاً بعيداً من العمارة ، يكون فيه مقيما يتخلق بأخلاق الملوك من مؤدبيه ، ولا يعاشر من يضيع عليه بعض زمانه ، فبني له في البرية منزلا ونقله إليه ، ورتب إليه من يؤدبه بأنواع الآداب العلمية والملكية ، فأقام له ما يحتاج إليه من أمر دنياه ، ثم أضاف

---

(١) ما بين القوسين بياض في (خ) .

إليه من أقرانه وأضرابه من أولاد بني عمه ، وأمرائه ليؤنسوه ويتأدبوا بآدابه ، ويحببوا إليه الأدب بموافقتهم له عليه . وكان الملك في رأس كل سنة [يذهب][1] إلى ولده ، ويستصحب معه من أصحابه من له عند ولده ولد ، ليبصروا أولادهم ، وكانوا إذا وصلوا إليهم سأل ابنُ الملك عن أولئك الذين جاءوا مع أبيه ليعرفهم بأعيانهم ، فيقال له : هذا أبو فلان : وهذا أبو فلان ؛ يعنون آباء الصبيان الذين هم عنده ، فكان يعرفهم بإضافتهم إلى أبنائهم ، فمن هنالك ظهرت الكني في العرب .

وكان رسول الله ﷺ يكنى بأبي القاسم ، وبأبي إبراهيم ، خرَّج البخاري ومسلم من حديث حميد عن أنس رضي الله عنه قال : نادى رجل رجلا بالبقيع : يا أبا القاسم ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال [الرجل][2] يا رسول الله إني لم أعنك !! إنما دعوت فلاناً ، فقال رسول الله ﷺ : تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي واللفظ لمسلم[3] .

وقال البخاري : دعا رجل رجلا . وقال : سموا بإسمي ، ولا تكنوا بكنيتي ، ذكره في البيوع في باب ما ذكر في الأسواق . وفي لفظ له : كان النبي ﷺ في السوق ، فقال رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت إليه النبي ﷺ ، فقال [الرجل][4] : إنما دعوت هذا ، فقال النبي ﷺ : سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي[5] . وذكره أيضاً في المناقب .

وخرج البخاري ومسلم من حديث شعبة عن سليمان ومنصور وقتادة ، سمعوا

---

(١) مكان هذه الكلمة في (خ) ما رسمه « بعنى » ، ولم أتبين معناه ، ولعل ما أثبتناه يتمم المعنى .

(٢) زيادة للإيضاح .

(٣) (صحيح البخاري) جـ٢ ص ٢٧٠ ، (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١٢٣٠ ، ١٢٣١ باب (٣٣) الجمع بين اسم النبي ﷺ وكنيته ، الأحاديث أرقام ٣٧٣٥ ، ٣٧٣٦ ، ٣٧٣٧ .

(٤) زيادة للإيضاح .

(٥) سنن الترمذي جـ٤ ص ٢١٤ ، ٢١٥ باب ما جاء في كراهية الجمع بين اسم النبي ﷺ وكنيته ، الأحاديث أرقام ٢٩٩٧ ، ٢٩٩٨ ، ٢٩٩٩ ، ٣٠٠٠ وقال فيه : حدثنا محمد بن بشار ، أخبرنا يحيى ابن سعيد القطان ، أخبرنا قطر بن خليفة حدثني منذر ، وهو الثوري عن محمد ، وهو ابن الحنفية عن علي بن أبي طالب أنه قال : « يا رسول الله أرأيت إن ولد لي بعدك أسميه محمداً وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم ، قال : فكانت رخصة لي » ، هذا حديث حسن صحيح ، أنظر أيضاً : سنن أبي داود جـ٥ باب قم ٧٤ ، ورقم ٧٥ ، ورقم ٧٦ الأحاديث أرقام ٤٩٦٥ ، ٤٩٦٦ ، ٤٩٦٧ ، ٤٩٦٨ .

سالم بن أبي الجعد عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : ولد لرجل من الأنصار غلام ، فأراد أن يسميه محمداً ، قال شعبة في حديث منصور أن الأنصاري قال : حملته على عنقي ، فأتيت به النبي ﷺ ، وفي حديث سليمان : ولد له غلام فأراد أن يسميه محمداً ، قال : سموا بإسمي ولا تكنوا بكُنْيتي فإني جعلت قاسماً أقسم بينكم ، ذكره البخاري في كتاب الخمس وفي كتاب الأدب .

وذكر له مسلم عدة طرق ، في بعضها : تسموا باسمي ولاتكنوا بكنيتي فإنما أنا قاسم أقسم بينكم .

وفي بعضها : فإنما بُعثتُ قاسماً أقسم بينكم ، وفي بعضها : فإني أنا أبو القاسم أقسم بينكم .

وللترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي ، أنا أبو القاسم ، الله يرزق وأنا أقسم .

وخرج الدارمي من حديث عقيل عن ابن شهاب عن أنس أنه لما ولد إبراهيم ابن النبي ﷺ من مارية جاريته ، كان يقع في نفس النبي ﷺ منه حتى أتاه جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم(١) .

قال جامعُه : وللناس في التكني بأبي القاسم ثلاثة مذاهب : المنع مطلقاً ؛ وإليه ذهب الشافعي ، والجواز مطلقاً ، وأن النهي خاص بحياة الرسول ﷺ(٢) . والثالث : لا يجوز لمن اسمه محمد ، ويجوز لغيره .

قال الرافعي : ويشبه أن يكون هذا هو الأصح : لأن الناس ما زالوا يفعلونه في جميع الأعصار من غير إنكار .

وقال النووي : هذا مخالف لظاهر الحديث ، وأما إطباق الناس عليه ففيه تقوية للمذهب الثاني .

وحكي الطبري مذهباً رابعاً له هو المنع من التسمية بمحمد مطلقاً ومن التكنية بأبي القاسم مطلقاً(٣) .

---

(١) (فتح الباري) جـ٦ ص ٦٥٠ باب كنية النبي .

(٢) أنظر التعليق السابق .

(٣) ذكر (البيهقي) في (السنن الكبرى) جـ٩ ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ في باب ما يكره أن يتكني به : «قال

فصل في ذكر صفة رسول الله ﷺ

إعلم أن رسول الله ﷺ كان ربعه ، بعيد ما بين المنكبين ، أبيض اللون مشرباً حُمرة ، يبلغ شعره شحمة أذنيه ، وكان شعره فوق الجمة ، ودون الوفرة ، ودخل مكة وله أربع غدائر ، وكان سبط الشعر ، في لحيته كثافة ومات ﷺ ولم يبلغ الشيب في رأسه ولحيته عشرين شعرة ، وكان ظاهر الوضاءة ، يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر ، وكان كما وصفته عائشة رضي الله عنها بما قاله شاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه[1] :

متى يبد في الداجى البهيم جبينه يَلُحْ مثل مصباح الدجى المتوقد
فمن كان أو قد يكون كأحمد نظامٌ لحق أو نكالٌ لملحد

وكما كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول إذا رآه ﷺ :

أمسى مصطفى بالخير يدعو كعضو البدر زايله الظلام

وكما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينشد إذا رآه :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المعني لليلة البدر

وكان أبيض اللون ، ليس بالأبيض الأمهق[2] ولا بالأدم[3] ، أقنى العرنين[4] ،

= رسول الله ﷺ : سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي ، فإنما أنا قاسم بعثت أقسم بينكم » ، وفي باب من رأى الكراهة في الجمع بينهما : أن النبي ﷺ قال : « من تسمي باسمي فلا يكنى بكنيتي ، ومن تكنى بكنيتي فلا يتسمي باسمي » ، وفي باب ما جاء في الرخصة في الجمع بينهما ما رواه محمد بن الحنفية عن علي رضي الله عنه ، ثم قال : والحديث مختلف في وصله ، وتعقبه صاحب (الجوهر النقي) ص ٣٠٩ بأن (الترمذي) قد أخرج هذا الحديث ، وصححه ، وذهب إلى جواز التكني بأبي القاسم لمن اسمه محمد ، مذهب مالك وجمهور السلف وفقهاء الأمصار وجمهور العلماء ، وقد اشتهر جماعة تكنوا بأبي القاسم في العصر الأول ، وفيما بعد ذلك إلى اليوم مع كثرة فاعلي ذلك ، وعدم الإنكار ، كذا في شرح مسلم للنووي .

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ٣٨٠ .
(٢) مهق مهقاً : كان لونه أبيض ناصع البياض بغير حمرة ، وهو معيب في لون الإنسان ، فهو أمهق (المعجم الوسيط) جـ٢ ص ٨٩٠ .
(٣) أدم أدماً وأدمة : اشتدت سمرته : فهو آدم . المرجع السابق جـ١ ص ١٠ .
(٤) قوله : أقنى العرنين : القنا أن يكون في عظم الأنف احديداب في وسطه ، والعرنين : الأنف (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٦٢ .

سهل الخدين ، أزج الحاجبين[١] أقرن[٢] ، أدعج العينين[٣] ، في بياض عينيه عروق حمر دقاق ، حسن الخَلق معتدلة ، أطول من المربوع وأقصر من المشذب ، دقيق السرة ، كأن عنقه إبريق فضة ، من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب ، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره ، شَثْنُ الكف والقدم ، ضليع[٤] الفم أشنب ، مفلج الأسنان[٥] ، بادنا متماسكا[٦] سواء البطن والصدر ، ضخم الكراديس[٧] ، أنور المتجرد ، أشعر الذراعين والمنكبين ، عريض الصدر طويل الزندين ، رحب الراحة ، شائل الأطراف[٨] خمصان[٩] ، بين كتفيه خاتم النبوة مثل بيضة الحمام يشبه جسده ، إذا مشى كأنما يَتَحدَّرُ من صبب[١٠] وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر[١١] ، وإذا التفت التفت جميعاً ، كأن عرقه اللؤلؤ ، ولريح عرقه أطيب من ريح المسك[١٢] .

---

(١) أزج الحاجبين : أي مقوس الحاجبين .

(٢) القرن (بالتحريك) : اقتران الحابين بحيث يلتقي طرفاهما .

(٣) الأدعج : الشديد سواد العينين .

(٤) الضليع : الواسع ، والعرب تمدح ذلك ، لأن سمته دليل الفصاحة .

(٥) الفلج : انفراج ما بين الأسنان .

(٦) البادن : السمين المعتدل السمن .

(٧) الكراديس : رءوس العظام .

(٨) السائل والشائل : الطويل .

(٩) أخمص القدم هو الموضع الذي لا يمس الأرض عند الوطء من وسط القدم .

(١٠) ، (١١) أي إذا مشي رفع رجليه بقوة . وفي رواية : (تكفّؤا) وهي تأكيد لما قبلها .

(١٢) وقد أورد ابن الجوزي في (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ فصلا جامعاً في تفسير غريب أحاديث صفة النبي ﷺ نذكره هنا بصف إجمالية .

الفخم المفخم : هو العظيم المعظم في الصدور والعيون .

المشـذب : الطويل الـذي ليس بكثير اللحم .

الرجل الشعر : الذي في شعره تكسر ، فإذا كان الشعر منبسطاً قبل شعر سبط .

والعقيقة : الشعر المجتمع في الرأس .

الأزهر اللون : النير .

أزج الحواجب : أي طويل امتدادهما لوفور الشعر فيهما وحسنه إلى الصدغين .

الأشـــم : الذي عظم أنفه طويل إلى طرف الأنف .

وضليع الفـم : كبيره ، والعرب تمدح بذلك وتهجو بصغره .

والدميـــة : الصورة وجمعها دمي .

بادن متماسك : أي تام خلق الأعضاء ليس بمسترخي اللحم ولا كثيره .

وقال عند أم سليم[1] فعرق ، فجاءت بقارورة فجعلت تسكب العرق فيها ، فاستيقظ ﷺ فقال : يا أم سليم ، ما هذا الذي تصنعين ؟ قالت : هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو أطيب من الطيب .

وكان في صوته صهل وفي عنقه سطع ، إن سكت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وَأَبْهَاهُ من بعيد ، وأحلاه وأجمله من قريب ، حلو المنطق خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، أجود الناس كَفًّا ، وأرحب الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفى[2] الناس بعهده ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه [معرفة أَحَبَّه] .

يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

فأما صفة رأسه المقدس

فقد خرج أبو عيسى الترمذي من حديث جميع بن عمر العجلي قال : حدثني رجل

سواء البطن والصدر : معناه أن بطنه ضامر وصدره عريض ، فلهذا ساوى بطنه صدره .
انور المتَجرَّد : أي نُير الجسد إذا تجرد من الثياب .
والنيـــر : الأبيض المشرق .
مسيح القدمين : أي ليس بكثير اللحم فيهما وعلى ظاهرهما .
ذريع المشية : واسع المشية من غير أن يظهر منه استعجال .
المهـــبن : الحقـــبر .
يسوق أصحابه : يقدمهم بين يديه ومن ورائه .
لكل حال عنده عتاد : أي عدة ، يعني أنه قد أعد للأمور أشكالها .
وقوله : يرد بالخَاصَّة على العامة : فيه ثلاثة أوجه :
أحدهـا : أنه كان يعتمد على أن الخاصة ترفع علومه وآدابه إلى العامة ، ومعنى ذلك أن العامة كانت لا تصل إليه في هذا الوقت ، فكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه ، فكأنه أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة .
والثاني : أن المعني يجعل المجلس للعامة بعد الخاصة . فتنوب الباء عن (من) ، و (على) عن (إلى) .
والثالث : فيرد ذلك بدلا من الخاصة على العامة ، فتفيد الباء معنى البدل .

(١) قال : من القيلولة وهي نوم الظهيرة .
(٢) في (خ) « وأوتا » .

عن ابن لأبي هالة عن الحسن بن على عن خاله هند بن أبي هالة قال : كان رسول الله ﷺ عظيم الهامة[1] .

وقال شريك عن عبد الملك بن عمير بن نافع بن جبير قال : وَصَفَ لنا عليٌّ رضي الله عنه النبي ﷺ فقال : كان عظيم الهامة[1] .

وأما وجهه الكريم

فخرج البخاري من حديث إسحـٰق بن منصور قال : أخبرنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحـٰق ، قال : سمعت البراء يقول : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ، ليس بالطويل الذاهب ، وليس بالقصير[2] .

وقال البخاري : ليس بالطويل البائن ، ذكره في باب صفة النبي ﷺ[3] .

وخرجه ابن أبي خيثمة ، من حديث إبراهيم بن يوسف كما رواه مسلم والبخاري والترمذي من حديث أبي نعيم ، حدثنا زهير عن أبي إسحـٰق قال : سئل البراء أكان وجه النبي ﷺ مثل السيف ؟ قال لا؛ مثل القمر[4] . قال : هذا حديث حسن[5] .

ولمسلم من حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن سماك ، أنه سمع جابر بن سمرة قال له رجل : أكان رسول الله ﷺ وجهه كالسيف ؟ قال جابر : لا ؛ مثل الشمس والقمر مستديراً .

وقال المحاربي عن أشعث عن أبي إسحـٰق عن جابر بن سمرة قال : رأيت رسول الله ﷺ في ليلة أضحَيان وعليه حُلَّة حمراء ، فجعلت أَنظر إليه وإلى القمر ، فلهو أحسن كان في عيني من القمر ، وفي لفظ قال : رأيت رسول الله ﷺ في ليلة

---

(١) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ٩ .

(٢) الحديث رقم ٣٥٤٩ (صحيح البخاري) بشرح (ابن حجر في الفتح) .

(٣) (المرجع السابق) الحديث رقم ٣٥٤٨ .

(٤) (المرجع السابق) الحديث رقم ٣٥٥٢ .

(٥) (الجامع الصحيح للترمذي) جـ٥ ص ٢٥٩ حديث رقم ٣٧١٥ .

أضحيان[1] ، وعليه حلة حمراء ، فجعلت أماثل بينه وبين القمر[2] .

وخرج البخاري من حديث يحيى بن بكير ، أخبرنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن عبد الله بن كعب - وكان قائد كعب من بنيه حين عمي - قال : سمعت كعب بن مالك يقول : لما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه ، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه[3] .

وخرج أيضاً من حديث يحيى عن عبد الرَّزاق قال : أخبرنا ابن جريج عن ابن شهاب عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل النبي ﷺ يوماً مسروراً وأسارير وجهه تبرق فقال : ألم تسمعي ما قال مجزر المدلجي ، ورأى زيداً وأسامة قد غطيا رءوسهما ، وبدت أقدامها ، فقال : إن هذه الأقدام بعضها من بضع[4] .

وخرَّجه مسلم عن عبد بن حميد عن عبد الرَّزاق ، وقال أبو إسحٰق الهمداني عن امرأة من همدان سمّاها قالت حججتُ مع النبي ﷺ مرات فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة ، بيده محجن ؛ عليه بردان أحمران يكاد يمس منكبه ، إذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ، ثم يرفعه إلى فمه فيقبله ، قال أبو إسحٰق : فقلت لها شبِّهيه ، قالت : [كان] كالقمر ليلة البدر ، ولم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ[5] .

وخرَّج عبد الله بن محمد بن إسحٰق الفاكهي من حديث أسامة بن زيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال : قلنا للربيع بنت معوذ : صفي لي رسول الله ﷺ قالت : لو رأيتهُ لقلت : الشمس طالعة[5] .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان رسول الله ﷺ فخما مفخما[6] يتلألأ

---

(١) أضحيان : أي مضيئة .

(٢) أخرجه الترمذي في (الشمائل المحمدية) ص ١٢ .

(٣) (فتح الباري) جـ٦ ص ٥٦٥ حديث رقم ٣٥٥٦ ، وفي (خ) « ذاك منه » وما أثبتناه رواية البخاري .

(٤) المرجع السابق ، حديث رقم ٣٥٥٥ ولفظه : « ألم تسعى ما قال المدلجي لزيد وأسامة ورأى أقدامهما » .

(٥) (البداية والنهاية) جـ٦ ص ١٥ .

(٦) في (خ) « فخما فخما » وما أثبتناه من (الشمائل) .

وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، خرجه الترمذي[1] .

وفي حديث علي رضي الله عنه : كان في وجه رسول الله تدوير .

ولأحمد من حديث عبد الرازق قال : أخبرنا إسرائيل عن سماك أنه سمع جابر ابن سمرة يقول : كان وجه رسول الله ﷺ مستديراً .

وفي حديث أم معبد قالت[2] : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه (تعنى مشرق الوجه مضيئه) ، ومنه : تبلج الصبح إذا أسفر .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان سهل الخدين ، وقال قتادة : ما بعث الله نبياً إلا بعثه حسن الوجه وحسن الصوت ، حتى بعث نبيكم ﷺ فبعثه حسن الوجه حسن الصوت ، ولم يكن يرجِّع ، ولكن كان يمد بعض المد .

وأما صفة لونه

فخرج البخاري في باب صفة النبي ﷺ من حديث يحيى بن بكير قال : حدثني الليث عن خالد عن سعيد ابن أبي هلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال : سمعت أنس بن مالك يصف النبي ﷺ قال : كان ربعة من القوم ليس بالطويل ولا بالقصير ، أزهر اللون ، ليس بأبيض أمهق ، ولا بأدم ، ليس بجعد قطط ، ولا سبط رجل ، أنزل عليه وهو ابن أربعين ، فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه : وبالمدينة عشر سنين ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء . قال ربيعة . فرأيت شعراً من شعره فإذا هو أحمر ، فسألت . فقيل : أحمر من الطيب[3] .

ولمسلم من حديث إسماعيل بن جعفر وسليمان بن بلال . كلاهما عن ربيعة عن أنس أنه سمعه يقول : كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، وليس بالأبيض الأمهق ولا بالأدم ، ولا بالجعد القطط ، ولا بالسبط ، كان أزهر ، بعثه الله على رأس أربعين سنة ، فأقام بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، وتوفاه الله على دابر ستين سنة ، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[4] .

---

(١) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ٧٦ .

(٢) الحديث بتمامه في آخر كتاب (الشمائل المحمدية للترمذي) .

(٣) (فتح الباري) جـ٦ ص ٥٦٤ حديث رقم ٣٥٤٧ .

(٤) (صحيح مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ١٠٠ .

لم يقل في حديث إسماعيل على رأس ستين سنة . قال الحافظ أبو نعيم : هذا حديث صحيح ثابت متفق عليه ، رواه عن ربيعة يحيى بن سعيد الأنصاري ، وعمرو ابن يحيى المازني ، وعبادة بن غزية ، وسعيد بن هلال وأسامة بن زيد ، ونافع بن أبي نعيم ، ومحمد بن إسحٰق ، وعبد الله بن عمر ، وفليح . وأبو أويس ، وعبد العزيزالماجشون ، والدراوردي : والثوري ، ومالك والأوزاعي ، وسعد ، وأبو بكر ابن عياش ، وقرة بن جبريل ، وأبو زكين ، وأنس بن عياض ، ومنصور بن أبي الأسود ، وإبراهيم بن طهمان في آخرين .

وخرَّج الترمذي من حديث عبد الوهاب الثقفي عن حميد عن أنس ، قال : كان النبي ﷺ ربعة ، ليس بالطويل ، ولا بالقصير ، حسن الجسم ، أسمر اللون ، كان شعره ليس بجعد ولا سبط ، إذا مشى يتوكأ ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب[1] .

ولمسلم من حديث الجرير عن أبي الطفيل قال : قلت له : رأيت رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، كان أبيض مليح الوجه[2] .

وله أيضاً من حديث الجرير عن أبي الطفيل قال : رأيت رسول الله ﷺ وما على وجه الأرض رجل رآه غيري ، قال : قلت : فكيف رأيته : قال : كان أبيض مليح الوجه مقصداً[2] .

وخرجه ابن أبي خيثمة والبخاري ومسلم من حديث محمد بن فضيل عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي جحيفة قال : رأيت رسول الله ﷺ قد شاب ، وكان الحسن بن علي يشبهه[3] .

ولأبي داود الطيالسي من حديث عثمان بن عبد الله بن عزيز عن نافع بن جبير عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : كان رسول الله ﷺ مشرباً وجهه حمرة .

قال البيهقي ، ويقال إن المشرب بالحمرة ما أضحى للشمس والرياح ، وما تحت

---

(١) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ٢٩ حديث رقم ٢ وإسناده جيد قوى .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٩٣ .

(٣) كذا في (خ) « ورواية البخاري : « رأيت النبي ﷺ ، وكان الحسن يشبهه » (فتح الباري) جـ٦ ص ٥٦٣ حديث رقم ٣٥٤٣ .

الثياب فهو الأبيض الأزهر .

وقال ابن إسحٰق عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن مالك بن جعشم ، عن أبيه أن سراقة بن جعشم قال : أتيت رسول الله ﷺ [وكان راكباً] على ناقته ، أنظر إلى ساقه كأنها جُمَّارة[1] .

وخرج الحافظ يعقوب بن سفيان الفسوي من حديث مزاحم بن أبي مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد عن محرش الكعبي قال : اعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة ليلا فنظرت إلى ظهره كأنه سبيكة فضة .

وخرج من حديث ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يصف رسول الله ﷺ فقال : كان شديد البياض .

وللترمذي في الشمائل من حديث صالح بن أبي الأخضر عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ أبيض كأنما صيغ من فضة ، رجل الشعر[2] قلت : صالح بن أبي الأخضر ضعيف في الزهري ، قال ابن معين : ليس بشيء في الزهري ، وفي رواية صالح بن أبي الأخضر بغير ضعيف[3] .

وقال ابن المبارك : أخبرني رشدي بن سعد قال : أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي يونس مولى أبي هريرة أنه سمع أبا هريرة قال : ما رأيت شيئاً أحسن من النبي ﷺ كأن الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيته منه ، كأن الأرض تُطوى له ، إنا لنجتهد وإنه[4] غير مكترث .

وخرجه أبو عيسى الترمذي من حديث قتيبة قال : أخبرنا ابن لهيعة عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : ما رأيت [شيئاً أحسن من النبي ﷺ][5] .

وخرجه تقي بن مخلد من حديث حرملة قال : أخبرنا ابن وهب قال : أخبرني

---

(١) الجمار : قلب النخل : واحدته : جمارة (المعجم الوسيط) جـ١ ص ١٢٤ .

(٢) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ١٢ .

(٣) « وقال البخاري وأبو حاتم : لين ، وقال البخاري والنسائي : ضعيف ، وقال الترمذي : يضعف في الحديث – ضعفه يحيى القطان وغيره ، وقال ابن عدي : وفي بعض حديثه ما ينكر وهو من الضعفاء الذين يكتب حديثهم ، (تهذيب التهذيب) جـ٤ ص ٣٨١ .

(٤) في (خ) « وأنا » .

(٥) (الشمائل المحمدية) ص ٦٠ حديث رقم ١١٥ ولفظه « أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ » .

عمرو بن الحارث أن أبا يونس مولي أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة أنه سمعه يقول : ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ ، كأنما الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع من رسول الله ﷺ في مشيته كأنما الأرض تطوى له ؛ إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث .

قال الترمذي : هذا حديث غريب : قال مؤلفه : إسناد تقي هذا الحديث أجود من إسناد الترمذي ، وإسناد تقي على شرط مسلم .

وقد روي مسلم عن حرملة بن يحيى هذا غير ما حدثت ، ولم يخرج هو ولا البخاري من حديث ابن لهيعة شيئاً .

وخرَّج مسلم من حديث محمد بن جعفر قال : أخبرنا شعبة عن سماك بن حرب قال : سمعت جابر بن سمرة قال : كان رسول الله ﷺ ضليع الفم ، أشكل العينين ، منهوس العقبين[1] .

قال : قلت لسماك : ما ضليع الفم ؟ قال : عظيم الفم ، قلت ، ما أشكل العينين ؟ قال . طويل شق العينين ، قلت : ما منهوس العقب ؟ قال : قليل لحم العقب .

قال قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل : وتفسير سماك على ما ذكره إلا في الشكلة ؛ فإن ابن الهيثم أخبرنا عن داود بن محمد عن ثابت بن عبد العزيز قال : الشكلة في العين حُمْرةٌ تخالط البياض ، وقال أبو عبيد : الشكلة كهيئة الحمرة تكون في بياض العين ، والشهلة عين الشكلة ، وهي حمرة في سواد العين .

وخرجه الترمذي من حديث أبي قطن قال : أخبرنا شعبة عن سماك بن حرب عن جابر بن سُمرة قال : كان رسول الله ﷺ أشكل العينين منهوس العقبِ ، قال : هذا حديث حسن صحيح .

وخرج من حديث محمد بن جعفر عن شعبة مثل حديث مسلم ، وقال في تفسيره : قال شعبة : قلت لسماك : ما ضليع الفم ؟ قال : واسع الفم .. الحديث .

---

(١) في (الشمائل المحمدية) « منهوس العقب » ص ١١ رقم ٨ وما أثبتناه من (خ) وهي رواية صحيح مسلم ، (مسلم بشرح النوري) جـ٣ ص ٩٣ .

وخرجه أبو داود من حديث شعبة بسنده ولفظه : كان رسول الله ﷺ أشهل العينين منهوس العقب ضليع الفم .

وللترمذي من حديث عباد بن العوام ، أخبرنا الحجاج عن سماك بن حرب عن جابر بن سُمرة قال : كان في ساقي رسول الله ﷺ حموشة ، وكان لا يضحك إلا تبسما ، وكنت إذا نظرت إليه قلت : أكحل وليس بأكحل . قال أبو عيسى . هذا حديث حسن غريب صحيح[1] .

وله من حديث عمر بن عبد الله مولى غُفْرَة قال : حدثني إبراهيم بن محمد من ولد علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أدعج العينين أهدب الأشفار[2] ، والدعج : سواد العينين ، والأهدب : الطويل الأشفار ، وهو الشعر المتعلق به الأجفان .

وقال حجاج : حدثنا حماد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ عظيم العينين أهدب الأشفار متشرب العين بحمرة .

وخرَّج سعيد بن منصور من حديث خالد بن عبد الله عن عبيد الله بن محمد ابن عمر بن علي بن أبي طلب عن أبيه عن جده قال : قيل لعلي رضي الله عنه : إنعت لنا رسول الله ﷺ فقال : كان أبيض مُشرَباً بياضه حمرة ، وقال : كان أسود الحدقة أهدب الأشفار .

وله من حديث عيسى بن يونس قال ، حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد من ولد علي قال : كان علي رضي الله عنه إذا نعت رسول الله ﷺ قال : كان في الوجه تدوير أبيض مشرب ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار .

ومن حديث ابن أبي ذؤيب : حدثنا صالح مولى التّزمَّة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان ينعت النبي ﷺ قال . كان أهدب أشفار العين .

---

(١) (الشمائل المحمدية) ص ١٨٦ حديث رقم ٢٢٧ ، والحموشة : الدقة ، والكَحَل (بفتحين) : سواد في أجفان العين .

(٢) (سنن الترمذي) جـ٥ ص ٢٦٠ حديث رقم ٣٧١٧ .

أما صفة جبينه وأنفه وحاجبيه وفمه وأسنانه ونكهته

فخرَّج يعقوب بن سفيان من حديث الزهري عن سعيد بن المسيّب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال : كان خاضّ الجبين أهدب الأشفار .

وفي حديث أبي هالة : كان رسول الله ﷺ واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ في غير قرن ، بينهم عرق يدره الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشمَّ ، سهل الخدين ضليع الفم أشنب ، مفلج الأسنان .

وقال موسي بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيتين ، كان إذا تكلم رؤى كالنور بين ثناياه ، وقال أبو عبيدة معمر ابن المثنى : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كنت قاعدة أغزل والنبي ﷺ يخصف نعله ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نوراً ، فبُهت ، فنظر إليَّ فقال : مالك ؟ قلت : جعل جبينك يعرق ، وجعل عرقك يتولد نوراً ، فلو رآك أبو كثير الهزلي لعلم أنك أحق بشعره ، قال : وما يقول أبو كثير ؟ قلت : يقول :

وإذا نظرت إلى أسرَّة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل

فقام فقَّبل بين عيني ، وقال : جزاك الله يا عائشة عني خيراً ، ما سررت مني كسروري منك . أخرجه ابن عساكر في تاريخه .

ولابن حبان من حديث أبي جعفر الداري ، عن أبي رُهْم عن يونس بن عبيد (مولى لأنس) عن أنس قال : صحبت رسول الله ﷺ عشر سنين ، وشممت العطر كله ، فلم أشم نكهة أطيب من نكهته[1] .

وأما بلوغ صوته حيث لا يبلغ صوت غيره

فخرج أبو نعيم من حديث حمزة الزيات عن أبي إسحٰق عن البراء قال : خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في خدورهن ، ينادي بأعلي صوته : يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ،

(١) ونحوه في البخاري ، أنظر (فتح الباري) جـ٦ ص ٦٦ ، حديث رقم ٣٥٦١ بلفظ آخر .

فإنه من يتبع عورة أخيه أتبع الله عورته ، ومن اتبع الله عروته فضحه في جوف بيته[1] .

وخرجه من حديث عمران بن وهب عن سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي بردة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة العليا بصوت يُسمع العواتق في خدورهن فقال : يا معشر من آمن بلسانه .. فذكره .

ومن حديث أبي تميلة قال : حدثنا جريج بن هلال الطائي ، حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : صلينا خلف النبي ﷺ يوماً ، فلما انفلت من صلاته أقبل علينا غضبان فنادى بصوت أسمع العواتق في أجواف الخدور فقال : يا معشر من أسلم بلسانه ، ولم يدخل الإيمان قلبه ، لا تسبوا المسلمين ولا تطلبوا عوراتهم ، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم هتك الله ستره ، وأبدى عروته ولو كان في جوف بيته ، أو في ستر بيته[2] .

عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس : اجلسوا ، فسمع عبد الله بن رواحة فجلسوا في بني غنم ، فقيل يا رسول الله ، ذاك ابن رواحة جالس في بني غنم ، سمعك وأنت تقول للناس اجلسوا فجلسوا في مكانه[3] .

وله من حديث مسدد قال : أخبرنا عبد الوارث عن حميد الأعرج عن محمد ابن إبراهيم التيمي بن عبد الرحمن بن معاذ – وكان من أصحاب النبي ﷺ – قال : خطبنا رسول الله ﷺ بمنى ، ففتحنا أسماعنا حتى إن كنا لنسمع ما يقول ونحن في منازلنا ، فطفق يعلمهم مناسكهم ثم قال : عليكم بحصى الخذف[4] .

وقال سفيان عن سعد عن عمرو بن دينار عن يحيى بن جعدة عن أم هانيء قالت : كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريش أهلي .

وقال هلال بن حباب : نزلت أنا ومجاهد على يحيى بن جعدة بن أم هانيء فحدثنا عن أم هانيء قالت : كنا نسمع قراءة رسول الله ﷺ في جوف الليل عند

---

(١) (دلائل النبوة لأبي نعيم) جـ٢ ص ١٥٧ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق جـ٢ ص ١٥٨ .
(٤) المرجع السابق جـ٢ ص ١٥٨ .

الكعبة وأنا على عريشي .

وأما صفة لحيته

ففي حديث علي رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس واللحية ، وفي رواية : كان ضخم الهامة عظيم اللحية[1] .

وللترمذي من حديث أبي هالة : كان رسول الله ﷺ كثّ اللحية

ورواه حماد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ كث اللحية ، وليعقوب بن سفيان من حديث الزهري عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال : كان أسود اللحية حسن الشعر .

وقال محمد بن المثنى : حدثنا يحيى بن كثير عن أبي ضمضم قال : نزلت بالرجيع فقيل لي : ها هنا رجل رأى النبي ﷺ فأتيته فقلت : رأيت رسول الله ؟ قال نعم ، رأيته رجلا مربوعاً حسن السَّبَلَة ، قال : وكانت اللحية تدعى فى أول الإسلام سَبْلة .

وقال عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله ﷺ كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها بالسَّوية .

وروى ابن عبد البر من طريق جنادة بن مروان الأزدي عن جرير بن عثمان عن عبد الله بن بسر قال : كان شارب رسول الله ﷺ بحيال شفته .

وقال محمد بن عائذ : قال ابن شهاب الزهري : أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها ، انصرف رسول الله ﷺ من جنازة سعد بن معاذ ويده في لحيته .

وقال ابن شهاب : أخبرني سعيد بن المسيب عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا وجد[2] فإنما يده في لحيته يفتلها أو يحركها .

قال محمد بن عمرو عن علقمة الليثي عن عائشة قالت . بكى أصحاب رسول الله ﷺ على سعد – يعني ابن معاذ – حتى إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء

(١) ونحوه في (البداية والنهاية) جـ٦ ص ١٨ .

(٢) من الوجد ، وهو الحزن والأسى

عمر رضي الله عنهما ، قالت : وكانوا كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **رحماء بينهم** ﴾[1].
فقال : يا أمتاه ! فما صنع رسول الله ﷺ ؟ فقالت : ما كانت عيناه تكاد تدمعان على أحد ، ولكنه كان إذا وجد[2] فإنما يده في لحيته .

وقال حماد بن سلمة : أخبرنا عبيد الله بن عمر عن سعيد المقبري عن ابن جزيج أنه قال لابن عمر : رأيتك تحفي شاربك ، قال : رأيت النبي ﷺ يحفي شاربه .

وقال الفضل بن دكين : أخبرنا مندل عن عبد الرحمن بن زياد عن أشياخ لهم قالوا : كان رسول الله ﷺ يأخذ الشارب من أطرافه .

وأما صفة شَعره

فخرج مسلم من حديث أنس كان رسول الله ﷺ رجل الشعر ليس بالسبط ولا بالجعد القطط .

وأخرج من حديث مالك وغيره عن ربيعة ، وللبخاري من حديث مسلم ابن إبراهيم : أخبرنا جرير عن قتادة عن أنس : كان النبي ﷺ ضخم اليدين لم أَرَ بعده مثله ، وكان شعر النبي ﷺ رجلا لا جعداً و لا سبطاً .

ومن حديث وهب بن جرير قال : حدثني أبي عن قتادة قال : سألت أنس ابن مالك عن شعر النبي ﷺ فقال : كان شعر رسول الله رجلا ليس بالسبط ولا الجعد ، بين أذنيه وعاتقه ، ذكرهما في اللباس ، وخرَّج مسلم من هذه الطريق نحو هذا[3] .

ولأبي داود من حديث عبد الرزاق : أخبرنا معمر عن ثابت عن أنس قال : كان شعر رسول الله ﷺ إلى شحمة أذنيه[4] .

وقال حميد عن أنس كان شعر رسول الله ﷺ إلى أنصاف أذنيه .

---

(١) من الآية ٢٩ / الفتح . (٢) من الوجد وهو الحزن والأسى .

(٣) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٩٢ .

(٤) (سنن أبي داود) جـ٤ ص ٤٠٥ باب ما جاء في الشعر ، الأحاديث ٤١٨٣ ، ٤١٨٤ ، ٤١٨٥ ، ٤١٨٦ ، ٤١٨٧ ، انظر أيضاً : (البخاري) في (اللباس) باب الجعد ، و (مسلم) في الفضائل باب صفة النبي ، و (النسائي) في الزينة حديث ٥٢٣٤ باب اتخاذ الجمة .

وللبخاري من حديث أبي إسحٰق سمعت البراء بن عازب قال : كان رسول الله ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ، يبلغ شعره شحمة أذنيه . الحديث .

وأخرجه مسلم ولفظه : ما رأيت أحداً من خلق في حُلة حمراء يعني أحسن من رسول الله ؛ إن[1] لَمَّته تضرب قريباً من منكبيه .

وفي حديث علي رضي الله عنه كان كثير شعر الرأس رَجِله .

ولأبي داود من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان شعر رسول الله ﷺ فوق الوفرة ودون الجمة .

وقال سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : قالت أم هانيء : قدم النبي ﷺ مكة وله أربع غدائر يعني ضفائر .

وفي الصحيحين من حديث ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه ، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم ، وكان المشركون يفرقون دونهم ، فسدل رسول الله ناصيته ثم فرق بعد[2] .

وقال ابن إسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت . أنا فرقت لرسول الله ﷺ رأسه [صدعت][3] فرقه عن يافوخه ؛ وأرسلت ناصيته بين عينيه .

قال ابن إسحٰق والله أعلم : ذلك لقول رسول الله ﷺ : لا تكف ثوباً ولا شعراً ، وهي سيما كان يتوسم بها .

قال : وقد قال محمد بن جعفر وكان فقيها : ما هي إلا سيما من سيم الأنبياء تمسكت بها النصارى من بين الناس .

---

(١) اللمة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر يسترخي عن شحمة الأذن ولا يصل إلى المنكبين .

(٢) (سنن أبي داود) جـ٤ ص ٤٠٧ باب ما جاء في الفرق حديث رقم ٤١٨٨ ، وأخرجه (البخاري) في (اللباس) باب الفرق ، (ومسلم) في الفضائل باب في سدل النبي ﷺ شعره وفرقه ؛ (وابن ماجة) في (اللباس) حديث ٢٣٣٦ باب اتخاذ الجمة والذوائب ، (النسائي) في الزينة حديث ٥٣٤٠ باب فرق الشعر ، و (الترمذي) في (الشمائل) حديث ٢٩ .

(٣) صَدَع الشيء فتصدع : فرّقه متفرق . (لسان العرب) : ٨ / ١٩٤ .

وخرَّج البخاري من حديث أنس : توفي رسول الله وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[1] .

ولمسلم عنه أن النبي ﷺ لم يختضب ، إنما كان شمط عند العنفقة يسيراً وفي الصدغين يسيراً وفي الرأس يسيراً .

وروي أبو إبراهيم محمد بن القاسم الأسدي ، حدثنا شعبة بن الحجاج عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : كان لرسول الله ﷺ جمة جعدة . قال ابن شاهين : تفرد بهذا الحديث محمد بن القاسم الأسدي عن شعبة ، لا أعلم حدَّث به غيره ، وهو حديث غريب .

وأما صفة عنقه وبُعد ما بين منكبيه

ففي حديث أم معبد[2] أنها قالت : في عنقه سطع ، يعني الطول ، وفي حديث هند بن أبي هالة : كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة[3] .

وفي حديث علي رضي الله عنه كان عنقه إبريق فضة ، وفي حديث البراء : كان رسول الله ﷺ مربوعاً بعيد ما بين المنكبين ، وفي حديث الزهري عن ابن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله ﷺ فقال : كان بعيد ما بين المنكبين .

وقال النضر بن شميل ، حدثنا صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ كأنما صيغ من فضة ، رَجِل الشعر [سواء][4] البطن [والصدر][4] ، عظيم مُشاش المنكبين[5] ، يطأ بقدميه جميعاً ، إذا أقبل أقبل جميعاً ، وإذا أدبر أدبر جميعا .

وخرَّج الترمذي من حديث غفرة قال : حدثني إبراهيم بن محمد عن علي كان

---

(١) هذه التكملة من (سنن أبي داود) حديث رقم ٤١٨٩ جـ٤ ص ٤٠٨ .

(٢) هي عاتكة بنت خالد الخزاعية (أم مَعْبَد) (الإصابة) جـ١٣ ص ٣٣ ترجمة ٦٩١ وص ٢٧٩ من المرجع ذاته ترجمة رقم ١٥٠١ ، وفي (خ) « في » .

(٣) (الشمائل المحمدية) ص ٢٢٢ .

(٤) ما بين الأقواس تكملة من (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٥٦ .

(٥) يريد رءوس المناكب ، والمشاش (بضم الميم) : مفردها مُشاشة ، وهي رأس العظم .

رسول الله ﷺ جليل الكتد ؛ الكتد : مجمع الكتفين ، وهو الكاهل . والمنكب : مجمع رأس العضد في الكتف .

وأما صفة صدره وبطنه

ففي حديث هند بن أبي هالة : كان عريض الصدر سواء البطن والصدر ، وفي حديث أم معبد : لم يَعِبْهُ ثجلة ، والثجلة عِظَم البطن واسترخاء أسفله .

وفي حديث أم هانيء : ما رأيت رسول الله ﷺ إلا ذكرت القراطيس المثنى بعضها على بعض .

وفي حديث علي رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ أجرد ذو مَسْرُبة . وفي حديث هند بن أبي هالة : كان أنور المتجرد[1] ، دقيق المسربة[2] ، موصول ما بين اللبَة[3] والسُّرة بشعر يجري كالخيط . عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر .

أما صفة كفيه وقدميه وإبطيه وذراعيه وساقيه وصدره

فخرج البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ فخم اليدين ، لم أر بعده مثله .. الحديث .

وفي رواية : كان النبي ﷺ ضخم الرأس والقدمين ، وكان سبط[4] الكفين ، وخرَّج من حديث همام : أخبرنا قتادة عن أنس أو عن رجل عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ شثن[5] الكفين والقدمين .

وفي رواية عن قتادة عن أنس أو جابر بن عبد الله كان النبي ﷺ ضخم الكفين والقدمين ، لم أر بعده شبهاً له .

وللفسوي من حديث ابن أبي ذؤيب حدثنا صالح مولى التوءمة قال : كان

---

(١) أنور المتجرد : أي نير الجسد إذا تجرد من الثياب ، والنير : الأبيض المشرق .

(٢) المَسْرُبة : الشعر الدقيق الذي كأنه قضيب من الصدر إلى السُّرة .

(٣) اللبة (بفتح اللام وتشديد الباء) : أعلى الصدر ممَّا يلي العُنق .

(٤) السبط : المسترسل .

(٥) الشثن : الغليظ الأصابع من الكعبين والقدمين .

أبو هريرة ينعت النبي ﷺ قال : كان شبح[1] الذراعين بعيد ما بين المنكبين ، أهدب أشفار العينين .

وفي حديث علي رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ شثن الكفين والقدمين ، ضخم الكراديس . وفي حديث ابن أبي هالة : كان رحب الراحة ، وفي حديث أنس : ما مست قط خزاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله[2] .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان طويل الزندين ضخم الكراديس ، وفي حديث شعبة عن سماك عن جابر : كان رسول الله ﷺ ضليع الفم أشكل العينين منهوس العقبين ، يعني قليل لحم العقب .

وفي حديث أبي هريرة كان يطأ بقدميه جميعاً ، ليس له أخمص ، وفي حديث هند بن أبي هالة : كان خصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء[3] .

وخرج البيهقي من حديث زيد بن هارون ، أخبرنا عبد الله بن يزيد بن مقسم قال : حدثني عمتي سارة بنت مقسم عن ميمونة بنت كردم قال رأيت رسول الله ﷺ بمكة وهو على ناقة له وأنا مع أبي ، وبيد رسول الله ﷺ درة كدرة الكتاب ، فدنا منه أبي فأخذ بقدمه نقيلة[4] رسول الله ، قالت : فما نسيت طول إصبع قدمه السبابة على سائر أصابعه .

وفي الصحيحين من حديث مالك بن مِغْول قال : سمعت عون بن أبي جحيفة ذكر عن أبيه قال : دفعت إلى النبي ﷺ بالأبطح في قبة بالهاجرة ، فخرج بلال فنادى بالصلاة ، ثم دخل فأخرج فضْل وضوء رسول الله ﷺ فدفع الناس يأخذون

---

(١) الشَبْح : الطويل (ترتيب القاموس) جـ٢ ص ٦٧٨ ، (لسان العرب) : ٢ / ٤٩٤ .

(٢) (سنن الدارمي) جـ١ ص ٣١ .

(٣) خمصان الأخمصين : معناه أن أخمص رجله شديد الارتفاع من الأرض ، والأخمص : ما يرتفع من الأرض من وسط باطن الرجل ، وهو الموضع الذي لا يلصق بالأرض من القدم عند الوطء ، والخمصان (بضم الخاء) : المبالغ منه .
وقوله مسيح القدمين : أي ليس بكثير اللحم فيهما وعلى ظاهرهما ، فلذلك ينبو الماء عنها .

(٤) نقيلة العضد : كربلة الفخذ (ترتيب القاموس) جـ٤ ص ٤٣٢ ، وفي (خ) « ناقولة » ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

منه ، قال : ثم دخل فأخرج العَنزة ، ثم خرج رسول الله ﷺ كأني أنظر إلى وميض ساقيه فركز العنزة[1] ثم صلى بنا الظهر ركعتين[2] ، يمر بين يديه المرأة والحمار[3] .

وفيهما من حديث أنس : رأيت رسول الله ﷺ يرفع يديه في الدعاء حتى يرى بياض إبطه ، يعني في الاستسقاء .

وفي حديث حجاج عن سماك بن حرب عن جابر بن سُمرة قال : كان رسول الله ﷺ لا يضحك إلا تبسماً ، وكان في ساقيه حموشة .. الحديث .

وخرَّج البيهقي وأحمد من حديث يحيى بن يمان ، حدثنا إسرائيل عن سماك ابن حرب عن جابر بن سمرة قال : كانت أصبع رسول الله ﷺ خنصره من رجله متظاهرة .

وقال محمد بن معد : أخبرنا سعيد بن محمد الثقفي ، حدثنا سالم أبو النضر عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ كان إذا أشفق من الحاجة (يعني ينساها) ربط في خنصره أو في خاتمه الخيط .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) جـ٤ ص ٢١٩ .
والعنزة (بفتح العين والنون) : عصا أقصر من الرمح ، وقيل : هي الحربة الصغيرة : (معالم السنن للخطابي) جـ١ ص ٤٤٣ . وفي (مسلم بشرح النووي) جـ٤ ص ٢١٩ « هي عصا في أسفلها حديدة » ورواية مسلم « ثم ركزت له عنزة » وفيها دليل على جواز استعانة الإمام بمن يركز له عنزة ونحو ذلك ، وفيه : « بياض ساقيه » .

(٢) فيه دليل على أن الأفضل قصر الصلاة في السفر وإن كان بقرب بلد ما لم ينو الإقامة أربعة أيام فصاعداً وفيه أيضاً أن الساق ليست بعورة ، وهذا مجمع عليه (المرجع السابق) .

(٣) في رواية (مسلم) « يقطع صلاته الحمار والمرأة والكلب الأسود » ، يقول النووي في شرح (مسلم) جـ٤ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ : « اختلف العلماء في هذا ، فقال بعضهم يقطع هؤلاء الصلاة ، وقال أحمد ابن حنبل رضي الله عنه : يقطعهما الكلب الأسود وفي قلبي من الحمار والمرأة شيء ، ووجه قوله أن الكلب لم يجيء في الترخيص فيه شيء يعارض هذ الحديث ، أما المرأة ففيها حديث عائشة رضي الله عنها المذكور بعد هذا - وفيه « لقد شبَّهْتُمونا بالحمير والكلاب والله لقد رأيت رسول الله ﷺ يصلي وإني على السرير بيني وبينه القبلة » ، - وفي الحمار حديث ابن عباس السابق - وفيه « يمر بين يديه الكلب والحمار لا يمنع » - وقال مالك وأبو حنيفة والشافعي رضي الله عنهم وجمهور العلماء من السلف والخلف : لا تبطل الصلاة بمرور شيء من هؤلاء ومن غيرهم ، وتأويل هؤلاء هذا الحديث على أن المراد بالقطع نقص الصلاة بشغل القلب بهذه الأشياء » ،راجع : (مسلم بشرح النووي) جـ٤ « باب سترة المصلي والندب إلى الصلاة إلى سترة والنهي عن المرور بين يدي المصلي والصلاة إلى الراحة والأمر بالدنو من السترة وبيان قدر السترة وما يتعلق بذلك » .

وأما قامته

ففي حديث أنس : أن كان ربعة من القوم ، ليس بالطويل ولا بالقصير ، وفي حديث البراء : ليس بالطويل الذاهب ولا بالقصير .

وفي حديث علي : ليس بالقصير ولا بالطويل ، وفيه : إذا مشى تكفأ تكفياً[1] كأنما ينحط من صبب ، وفي رواية : كان لا قصير ولا طويل ، وكان يتكفأ في مشيته كأنما يمشي في صبب[2] .

وفي رواية كان لا قصير ولا طويل ، وهو إلى الطول أقرب . قال : إذا مشى تكفأ كأنما يمشى في صفد[3] .

وفي رواية كان ليس بالذاهب طولا ، فوق الربعة ، إذا جامع القوم غمرهم ، وفي حديث أبي هريرة : كان رجلاً ربعة وهو إلى الطويل أقرب ، وكان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً .

وفي رواية الترمذي : لم يكن بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد ، كان ربعة من القوم . قال الترمذي : سمعت أبا جعفر محمد بن الحسين يقول : سمعت الأصمعي يقول : الممغط : الذاهب طولا ، والمتردد : الداخل بعضه في بعض قصراً .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان أطول من المربوع وأقصر من المشذب ، وقال عبد العزيز بن عبد الصمد العمي ، عن جعفر بن محمد عن أبيه ، وهشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : من صفة رسول الله ﷺ أنه لم يك يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله ، وربما مشى [بين][4] الرجلين الطويلين يتطولهما ، فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ، ونُسب هو إلى الربعة .

وأما اعتدال خَلْقه ورقة بشرته

ففي حديث هند : كان رسول الله ﷺ معتدل الخلق بادناً متماسكاً[5] ، يعني كان تام خلق الأعضاء ، ليس بمسترخي اللحم ولا كثيره .

---

(١) أي إذا مشى رفع رجليه بقوة .

(٢) الصَّبَبُ : الأرض المنحدرة .

(٣) الصفد : القيد والوثاق .

(٤) زيادة للسياق والمعنى .

(٥) في (خ) « بادن متماسك » .

وخرَّج الحافظ أبو نعيم الأصفهاني من حديث محمد بن بكر الحضري ، حدثنا يزيد بن عبد الله القرشي عن عثمان بن عبد الملك قال حدثني خالي – وكان من أصحاب عليٍّ قدم صفين – عن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ رقيق البشرة .

وقال عبد الأعلى بن حماد : حدثنا معمر عن حميد عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ ألين الناس كفاً [وما][1] مست خزاً ولا حريراً ألين من كفه .

وأما حسنه وطيب رائحته وبرودة يده ولينها في يد من مسها وصفة قوته

ففي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ [وسأله رجل : أكان وجهه] مثل السيف ؟ قال : لا ، مثل القمر ، انفرد بإخراجه البخاري[2] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن أبي يونس أنه سمع أبا هريرة يقول ما رأيت أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تخرج في وجهه .

وقال جابر بن سمرة رأيت النبي ﷺ في ليلة أضحيان[3] ، وعليه حلة حمراء ، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر ، فلهو أحسن في عيني من القمر[4] .

وقال البراء ما رأيت أحداً في حلة حمراء مترجلاً أحسن من رسول الله .. الحديث .

وفي حديث أبي الطفيل كان أبيض مليحاً مقصداً[5] ، وفي حديث أم معبد كان أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب . وعن أبي هريرة : كأنما صيغ من فضة .

---

(١) زيادة يتم بها المعنى .

(٢) (فتح الباري) جـ٦ ص ٥٦٥ حديث رقم ٣٥٥٢ ، (الشمائل المحمدية) ص ١٢ حديث رقم ١٠ ، و (سنن الترمذي) جـ٥ ص ٣٥٩ حديث رقم ٣٧١٥ .

(٣) أضحيان : مضيئة .

(٤) (سنن الدارمي) جـ١ ص ٣٠ .

(٥) مقصدا (بفتح الصاد المشددة) : وهو الذي ليس بجسيم ولا نحيف ، ولا طويل ولا قصير .

وخرَّج الحافظ أبو نعيم من حديث عبد العزيز العمي عن جعفر بن محمد وهشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأنورهم لوناً .

ومن حديث هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه : كان وجه رسول الله ﷺ كدارة القمر .

وخرَّج الدارمي من حديث عبيد الله بن موسى عن أسامة بن زيد عن أبي عبيدة محمد بن عمارة قال : قلت للربيع بنت معوذ صفى لي رسول الله ، فقالت : يا بني ، لو رأيته رأيت الشمس طالعة[1] .

وقال أحمد بن عبد الله الغدافي أخبرنا عمرو بن أبي عمرو عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه : لم يكن لرسول الله ظل ، ولم يقم مع شمس قط إلا غلب ضوء الشمس ، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوءه على ضوء السراج .

وخرَّج ابن عساكر من حديث عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال : كنت أصافح النبي ﷺ أو يمس جلدي جلده ، فأعرف في يدي بعد ثالثة أطيب من ريح المسك .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه ما مسست بيدي ديباجاً ولا حريراً ولا شيئاً ألين من كف رسول الله ، ولا شممت رائحة قط أطب من ريح رسول الله ﷺ .

وي رواية ، قال أنس : ما شممت شيئاً قط - مسكاً ولا عنبراً - أطيب من ريح رسول الله ، ولا مسست شيئاً قط - حريراً ولا ديباجاً - ألين مسًّا من رسول الله ﷺ .

وفي رواية : كان رسول الله ﷺ أزهر اللون ، كأن عرقه اللؤلؤ ، إذا مشى تكفَّأ ، وما مسستُ حريراً ولا ديباجاً ألين من كف رسول الله ، ولا شممت مسكاً ولا عنبراً أطيب رائحة من رسول الله ﷺ[2] .

---

(١) (سنن الدارمي) جـ١ ص ٣١ .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٨٦ ، وفيه « مسكة ولا عنبرة » .

وقال جابر بن سُمرة وأما أنا فمَسَح خدي فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجهما من جونة[1] عطار .

وقال شعبة عن يعلي بن عطاء : سمعت جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو بمنى فقلت له : رسول الله ، ناولني يدك ! فناولينها ، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحاً من المسك .

وخرَّج أبو نعيم من طريق الحميدي قال : أخبرنا سفيان[2] بن عيينة عن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال : أتي النبي ﷺ بدلو من ماء فشرب ثم توضأ ، فمضمض ثم مجة في الدلو مسكاً أو أطيب من المسك ، واستنثر خارجاً من الدلو .

وخرَّجه البيهقي من طريق يعقوب بن سفيان ومن حديث مسعر عن عبد الجبار ابن وائل قال : حدثني أخي[3] عن أبي قال : أتى النبي ﷺ بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم مج في الدلو ثم صب في البئر ، أو قال : شرب من الدلو ثم مج في البئر ففاح منها مثل رائحة المسك .

وخرَّج مسلم من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : دخل علينا النبي ﷺ فقال[4] عندنا ، فعرق ، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تَسْلُتُ العرق ، فاستيقظ النبي ﷺ ، فقال : يا أم سليم! ما هذا الذي تصنعين ، قالت : هذا عَرَق نجعله لطيبنا ، وهو أطيب من الطيب[5] .

ومن حديث أيوب عن أبي قلابة عن أنس عن أم سليم أن النبي ﷺ كان يأتيها فيقيل عندها فتبسط له نطعاً فيقيل عليه - وكان كثير العرق - فكانت تجمع عرقه فتجعله في الطيب والقوارير ، فقال النبي ﷺ : يا أم سليم ! ما هذا قالت : عرقك أدوف به طيبي[5] .

وخرَّج أبو نعيم من حديث أبي يعلي الموصلي قال : أخبرنا بشر بن سنحان ، أخبرنا عمرو بن سعيد الأشج ، أخبرنا سعيد عن قتادة عن أنس قال : كنا نعرف

---

(١) الجونة والجؤنة : بمعنى : وهي السقط الذي فيه متاع العطار ، هكذا فسره الجمهور ، وقال صاحب (العين) : وهي سُلَيْلة مستديرة مغشاة (المرجع السابق) .

(٢) في (خ) « ياسفين » . (٣) في (خ) « أحلي » . (٤) قال : من القيلولة وهي نوم الظهيرة .

(٥) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٨٦ ، ٨٧ .

رسول الله ﷺ إذا أقبل بطيب ريحه .

وخرَّج من حديث مغيرة بن عطية عن أبي الزبير عن جابر قال كان في رسول الله ﷺ خصال : لم يكن في طريق فسلكه أحد إلا عرف مسلكه من طيب عَرْفه أو ريح عَرَقه[1] .

وأما صفة خاتم النبوة

فخرج البخاري من حديث حاتم بن إسماعيل عن الجعد بن عبد الرحمن قال : سمعت السائب بن يزيد يقول : ذَهَبتْ بي خالتي إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختي وجع ، فمح رأسي ودعا لي بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى خاتمه بين كتفيه مثل ذر الحجلة . ذكره في كتاب المناقب ، وفي كتاب الدعاء في باب الدعاء للصبيان ، وفي كتاب المرضى في باب من ذهب بالصبي المريض ليُدعى له ، وقال فيه : فنظرت إلى خاتمه ، وذكره في الطهارة في باب استعمال فضل وضوء الناس ، وفيه : أن ابن أختي وقع ، وفيه : فنظرت إلى خاتم النبوة[2] .

وخرَّجه مسلم من طرق ، ولمسلم من حديث عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن سماك أنه سمع جابر بن سمرة يقول : كان رسول الله ﷺ قد شمط مقدَّم رأسه ولحيته ، وكان إذا ادَّهن لم تتبين ، وإذا شعث رأسه تبين ، وكان كثير شعر اللحية ، فقال رجل : وجهه مثل السيف ؟ قال : لا : بل مثل الشمس والقمر ، وكان مستدير الرأس ، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده[3] .

وله من حديث شعبة عن سماك قال : سمعت جابر بن سُمرة قال : رأيت خاتماً في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام .

وله من حديث حامد بن محمد البكراويّ قال : أخبرنا عبد الواحد – يعني ابن زياد – أخبرنا عاصم عن عبد الله ابن سرجس قال رأيت النبي ﷺ وأكلت

(١) (سنن الدارمي) جـ١ ص ص ٣٢ ، والعرْف : الرائحة مطلقاً ، وأكثر ما يستعمل في الرائحة الطيبة ، وانظر أيضاً (دلائل النبوة لأبي نعيم) ص ١٥٨ .

(٢) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ٤ ص ٧ .

(٣) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٩٧ .

معه خبزاً ولحماً ، أو قال : ثريداً ، قال : قلت له أستغفر لك النبي ﷺ ؟ قال : نعم ، ولك ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾[1] ، قال : ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض[2] كتفه اليسري ، جُمعاً عليه خيلان كأمثال الثآليل[3] .

وخرَّجه النَّسائي ولفظه : عن عبد الله بن سرجس قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في ناس من أصحابه فدرتُ من خلفه فعرف الذي أريد ، فألقى الرداء عن ظهره فرأيت موضع الخاتم على موضع كتفيه مثل الجمع كأنها الثآليل ، فجئت حتى استبقلته ، فقلت : غفر الله لك يا رسول الله ، قال : ولك – قال بعض القوم استغفر لك رسول الله ؟ قال[4] : نعم ولكم ، ثم تلا ، ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾[1]، ذكره في التفسير .

وخرج أبو داود الطيالسي من حديث قُرَّه بن خالد قال : أخبرني معاوية بن قرة عن أبيه قال : أتيتُ النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أرني الخاتم ، قال : أدخل يدك ، قال : فأدخلت يدي في جربانه ، فجعلت ألمسُ أنظر إلى الخاتم ، فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة ، فما منعه ذلك أن جعل يدعو لي ، وإن يدي لفي جربانه .

وخرج الفسوي من حديث عبيد الله بن إياد قال : حدثني أبي عن أبي دمثة قال : انطلقت مع أبي نحو النبي ﷺ فنظر إلى مثل السلعة بين كتفيه ، فقال : يا رسول الله ، إني كأطبِّ الرجال ، أفأعالجها لك ؟ فقال : لا ، طبيبها الذي خلقها .

وقال الثوري عن إياد بن لقيط في هذا الحديث : فإذا خلف كتفه مثل التفاحة ،

---

(١) من الآية ١٩ سورة محمد ﷺ .

(٢) الناغض : أعلى الكتف ، وقيل هو العظم الرقيق الذي على طرفه ، وقيل ما يظهر عند التحرك .

(٣) وقوله « جمعاً » فبضم الجيم وإسكان الميم ، ومعناه : أنه كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الأصابع وتضمها ، وأما « الخيلان » فبكسر الخاء المعجمة وإسكان الياء : جمع خال وهو الشامة في الجسد . (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٩٨ ، ٩٩ والثآليل : جمع ثؤلول ، وهو بثر صغير صلب مستدير يظهر على الجلد كالحمصة أو دونها (المعجم الوسيط) جـ١ ص ٩٣ .

(٤) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ١٨ ، ١٩ حديث رقم ٢٢ .

وقال عاصم بن بهدلة عن أبي دمثة : فإذا في نغضيّ كنفه مثل بعرة البعير أو بيضة الحمامة .

وخرَّج البيهقي من حديث عبد الله بن ميسرة ، حدثنا عتاب قال : سمعت أبا سعيد يقول : الخاتم الذي بين كتفي النبي ﷺ لحمة ناتئة . وخرَّج البيهقي من حديث سماك بن حرب عن سلامة العجلي عن سلمان الفارسيَّ قال : أتيت رسول الله ﷺ فألقى إليَّ رداءه وقال : يا سليمان إلى ما أمرت به ، قال : فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة .

فصل جامع في صفة رسول الله ﷺ

روي أبو نعيم من حديث المسعودي عن عثمان بن عبد الله بن هرمز عن نافع ابن جبير بن معطم عن علي رضي الله عنه قال : لم يكن رسول الله بالطويل ولا بالقصير ، وكان[1] شثن الكفين والقدمين ، ضخم الرأس واللحية مشرباً وجهه حُمْرَة ، ضخم الكراديس ، طويل المسربة ؛ إذا مشى يمشى قلعاً كأنما ينحدر من صبب .

وفي رواية : إذا مشى تكفَّأ تكفياً كأنما ينحط من صبب ، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وروي الفسوي من حديث عيسى بن يونس ، حدثنا محمد بن عبد الله مولى عفرة ، قال : حدثني إبراهيم بن محمد من ولد على قال : كان علي إذا نعت رسول الله ﷺ قال : لم يكن بالطويل الممغط ، ولا القصير المتردد ، وكان ربعة من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط ، ولا بالسبط ، كان جعداً رجلاً ، ولم يكن بالمطهم ولا المكلثم ، وكان في الوجه تدوير أبيض ، مشرب أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتف ، أو قال الكتد ، أجرد ذا مسربة ، شثن الكفين والقدمين ، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب ، وإذا التفت التفت معاً ، بين كتفيه خاتم النبوة[2] ، أجود الناس كفاً وأرحب الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفي

---

(١) في (خ) « وكاشثن » .

(٢) في (خ) « بعد قوله : « خاتم النبوة » عبارة « خاتم النبيين » والسياق يقتضي حذفها .

الناس بذمة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابهُ ، ومن خالطه معرفةً أحبه ، يقول ناعته : لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وفي رواية لم يكن بالطويل الممغط ولا القصير المتردد ، لم يكن بالمطهم ولا المكلثم ، أبيض مشرب ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، جليل المشاش والكتد ، شثن الكفين والقدمين ، دقيق المسربة ، إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب ، وإذا التفت التفت معاً ، ليس بالسبط ولا بالجعد القطط .

وفي رواية : كان أزهر ، ليس بالأبيض الأمهق ؛ وفي رواية : كان في عينيه شكلة ، وفي رواية : كان شبح الذراعين .

فالممغط : الذي ليس بالبائن الطويل ، ولا القصير ، وقيل : الممغط : الذاهب طولا ، والمتردد : الذي تردد خلقه بعضه على بعض ، فهو مجتمع .

يقول : ليس هو كذلك ، ولكن ربعة بين الرجلين ، كما جاء في حديث آخر : كان ضرب اللحم بين الرجلين .

والمطهم : المنتفخ الوجه ، وقيل الفاحش السِّمن ، وقيل النحيف الجسم ، وقيل : الطهمة في اللون أن تتجاوز سمرته إلى السواد ، والمكلثم : المدور الوجه ، وقيل : هو القصير الحنك الداني الجبهة مع الاستدارة .

يقول : فليس كذلك ، ولكنه مسنون ، وقوله : مشرب أي شرب حمرته ، والأدعج العين : الشديد سوادها ، والجليل المشاش : العظيم رءوس العظام ، مثل الركبتين والمرفقين ، والكتد : الكاهل وما يليه من الجسد ، وقيل : الكتد : مجمع الكتفين ، وهو الكاهل .

وقوله : شثن الكفين والقدمين : يعني أنهما إلى الغلظ . وقيل الشثن الغليظ الأصابع من الكفين والقدمين ، وقوله إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب : القلع : أن يمشي بقوة ، والصبب الانحدار ، والقطط : الشديد الجعودة من أشعار الحبش ، والسبط : الذي ليس فيه تكسر ، يقول : فهو جعد رَجِل ، والأزهر الأبيض النير البياض ، لا يخالط بياضه حمرة ، والأمهق الشديد البياض الذي لا يخالط بياضه شيء من الحمرة وليس بنيِّر ، ولكن كلون الجصِّ أو نحوه ، يقول : فليس هو كذلك .

والشكلة : كهيئة الحمرة تكون في بياض العين ، والشهلة : حمرة في سواد العين ، والمرهة : بياض لا يخالطه غيره ، وأهدب الأشفار : يعني طويلها ، وقوله : شبح الذراعين : يعني عبل الذراعين عريضهما ، والمسربة الشعر المستدق ما بين اللبة إلى السرة .

وقال يعلي بن عبيد عن مجمع بن يحيى الأنصاري عن عبد الله بن فران عن رجل من الأنصار أنه سأل علياً رضي الله عنه عن نعت رسول الله ﷺ فقال : كان رسول الله ﷺ أبيض اللون مشرباً حمرة ، أدعج العينين ، سبط الشعر ذو وفرة ، دقيق المسربة ، كأن عنقه إبريق فضة ، من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب ، ليس في بطنه ولا صدره شعر غيره ، شثن الكف والقدم ، إذا مشى كأنما ينحدر من صبب ، وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر ، وإذا التفت التفت جميعاً ، كأن عَرَقَهُ اللؤلؤ ، ولريح عرقه أطيب من المسك [ ][1] ، ليس بالطويل ولا بالقصير ؟ لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وقال إبراهيم بن طهمان عن حميد الطويل عن أنس قال : لم يكن النبي ﷺ بالأدم ولا الأبيض الشديد البياض ، فوق الربعة ودون البائن[2] الطويل ، كان من أحسن ما رأيت من خلق الله ، وأطيبهم ريحاً وألينهم كفاً ، ليس بالجعد الشديد الجعودة ، وكان يرسل شعره إلى أنصاف أذنيه ، وكان يتوكأ إذا مشى .

وقال عبد الرَّزاق : أخبرنا معمر عن الزهري قال : سُئل أبو هريرة عن صفة النبي ﷺ فقال : أحسن الناس صفة وأجملها ، كان ربعة إلى الطول ، ما هو بعيد ما بين المنكبين ، أسيل الجبين ، شديد سواد الشعر ، أكحل العينين أهدب ، إذا وطيء بقدمه وطيء بكلها ، وليس أخمص ، إذا وضع رداءه عن منكبه فكأنه سبيكة فضة ، وإذا ضحك يتلألأ . لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ .

وفي حديث أم معبد عاتكة بنت خالد بن خليف الخزاعية ، رأيت رجلاً ظاهر الوضاءَة متبلج الوجه[3] ، حسن الخلق ، لم تعبه ثَجْلَة ، ولا تزريه صقله ، وسيما قسيما ، في عينيه دَعَج ، وفي أشفاره عَطَف ، وفي صوته صَحَل[4] ، وفي عُنُقه

---

(١) مكان هذا البياض في (خ) كلمة ممجوجة لم أتبين معناها .

(٢) في (خ) « البياض » .

(٣) أي يشرق بالنور .

(٤) صحل : بحة .

سَطع ، وفي لحيته كثافة ، أزجّ أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه ، وأحلاه من قريب ، حلو المنطق ، فصل لا نَذر ولا هَذَر ، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، لا تشنؤه[1] من طول ، ولا تقتحمه عين من قِصر ، غصناً بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مُفَنَّد ﷺ ، [وسيأتي] حديث أم معبد بطوله مشروحاً عند ذكر المعجزات إن شاء الله تعالى .

وخرَّج الحافظ أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي[2] من حديث جميع بن عمر العجلي ، قال حدثني رجل بمكة عن ابن أبي هالة عن الحسن بن علي قال سألت خالي هند بن أبي هالة التيمي - وكان وصافاً - عن حلية النبي ﷺ وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به ، فقال كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأقصر من المشذَّب ، عظيم الهامة ، رَجِل الشعر . إن انفرقت عقيصته فرق ، وإلا فلا يتجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفَّره ، أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزَّج الحواجب سوابغ في غير قرن ، بينهما عرق يُدره الغضب ، أقنى العرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشمَّ ، كثُّ اللحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، أشنب ، مفلج الأسنان ، دقيق المسربة ، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة ، أنور المتجرد ، موصول ما بين اللبة والسُّرة بشعر يجرى كالخط ، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك ، شَثْن الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحة ، سبط العقب ، شثن الكفين والقدمين ، شائل الأطراف ، خمصان الأخمصين ، مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، فإذا زال زال قلعاً ، يخطو تكفياً ، ويمشى هوناً ، ذريع المشية كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلّ نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام ، قلت : صف لي منطقه ، قال : كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان . دائم الفكرة ، ليست له راحة ، طويل السكوت ، لا يتكلم في غير حاجة : يفتتح الكلام ويختتمه

---

(١) في (خ) « لا يأس » وما أثبتناه من (الشمائل المحمدية) ص ٢٢٣ .

(٢) (نسبة إلى فسا) من بلاد فارس (لسان الميزان) جـ٦ ص ٣٧٦ ترجمة رقم ٢٦٥ / ٩٣٢٩ .

بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الملك ، فصلا لا فضول ولا تقصير ، دمثاً ، ليس بالجافي ولا المهين ، يعظم النعمة وإن دقَّت ، ولا يذم منها شيئاً ، غير أنه لم يكن يذم ذواقاً[1] ، ولا يمدحه ، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها ، فإذا تعوطي الحق لم يعرفه أحد ولم يكن يغضبه شيء حتى ينتصر له ، لا يغضب لنفسة ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها : وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها ، فيضرب بباطن راحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غَضَّ طرفه ، جُلُّ ضحكه التبسم ، يفتر عن مثل حَبِّ الغمام .

قال الحسن : فكتمها الحسين زماناً ثم حدثنيه فوجدته قد سبقني إليه . فسأله عما سألته . فوجدته قد سأل (يعني علياً) رضي الله عنه عن مدخله ومخرجه ، وشكله فلم يدع منه شيئاً .

قال الحسين عليه السلام سألت أبا هريرة عن دخول رسول الله ﷺ فقال : كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك ، فكان إذا أوى إلى منزله جَزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء ، جُزءًا لله عزَّ وجلَّ ، وجزءًا لأهله ، وجزءًا لنفسه ، ثم جزءًا جزأة بينه وبين الناس ، فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئاً .

وكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه[2] على قدر فضلهم في الدين ، فمنهم ذو الحاجة ، ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته عنهم ، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم . ويقول : ليبلغ الشاهد الغائب ؛ وأبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته ، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها إياه ثبَّت الله قدميه يوم القيامة ، لا يذكر عنده إلا ذلك ، ولا يقبل من أحد غيره ، يدخلون عليه رواداً ولا يفترقون إلا عن ذواق ، ويخرجون أدلة (يعني فقهاء)[3] .

قال : وسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه[4] إلا فيما[5] يعينهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه

(١) الذواق (بفتح الذال وتخفيف الواو) المأكول والمشروب .

(٢) في (خ) « وقسمته » وما أثبتناه من (صفة الصفوة) جا ص ١٥٨ .

(٣) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق « يعني على الخير » .

(٤) في (خ) « يحزن » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .

(٥) في (خ) « مما » ، وما أثبتناه من المرجع السابق .

عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد بِشْره ولا خلقه ، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس[1] ، ويحسِّن الحسَن ويقويه ، ويقبِّح القبيح ويوهنه ، معتدل الأمر ، غير مختلف ، ولا يغفل مغافة أن يغفلو أو يميلوا ، لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يجوزه[2] الذين يلونه من الناس ، خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مؤاساة ومؤازرة .

قال : فسألته عن مجلسه كيف كان يصنع فيه ؟ فقال : كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر . ولا يوطن الأماكن وينهي عن إيطانها[3] ، وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ، يعطي كل جلسائه نصيبه ، ولا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، ومن جالسه أو قاومه في حاجة صابره ، حتى يكون هو المنصرف ، ومن سأله حاجة لم يردَّه إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس من بسطه وخلقه ، فصار لهم أبا . وصاروا عنده في الحق متقاربين ، مُتفاضلين بالتقوي متواضعين ، يوقرون فيه الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب .

قال : قلت : كيف كانت سيرته في جلسائه ؟ قال : كان رسول الله ﷺ دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب[4] ولا فحاش ولا عيَّاب ولا مدَّاح ، يتغافل عما لا يشتهي . ولا يؤيس[5] منه ، ولا يخيِّب فيه مؤمليه[6] ، قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ، والإكثار ، وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث : لا يذم أحداً ، ولا يعيِّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رءوسهم الطير ، فإذا سكت تكلموا ، ولا يتنازعوا عنده الحديث ، من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم

---

(١) كذا في (خ) وفي المرجع السابق « ما في أيدي الناس » .
(٢) كذا في (خ) ، وفي المرجع السابق « يجاوزه » .
(٣) إيطان المكان : التعود على الجلوس في مكان بعينه .
(٤) الصخَّاب والسخَّاب : بمعني ، وهو الصياح .
(٥) في (خ) « يواس » وما أثبتناه من (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٦٠ .
(٦) في (خ) « ولا يجب فيه » وما أثبتناه من (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٦٠ .

عنده حديث أوليهم[1] ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته[2] ، حتى كان أصحابه ليستجلبوهم[3] [في المنطق][4] ، ويقول . إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفدوه ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافيء[5] ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهي أو قيام[6] .

قال : سألته كيف كان سكوته ؟ قال : كان سكوت رسول الله ﷺ على أربع : الحلم ، والحذر ، والتقدير ، والتفكير ؛ فأما تقديره ففي تسويته النظر ، والاستماع بين الناس ، وأما تذكره - أو قال : تفكره - ففيم يبقى ويغنى[7] .

وجمع له ﷺ الحلم والصبر ، فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه ، وجمع له الحذر في أربع : أخذه بالحسن ليُقتدى به ، وتركه القبيح لينتهي عنه ، واجتهاد الرأى فيما أصلح أمته ، والقيام لهم فيما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة ﷺ .

وحديث جميع بن عمرو قال : حدثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكني أبا عبد الله عن ابن أبي هالة لم يُسَم ، عن الحسن بن علي قال : سألت خالي هند بن أبي هالة - وكان وصَّافاً - عن حلية رسول الله فقال : كان رسول الله فخماً مفخماً . (الحديث . هكذا رواه الترمذي في الشمائل ، والطبراني في معجمه الكبير ، ورواه العقيلي في الضعفاء من طريق مجمع بن عمر ، حدثنا يزيد ابن عمر التميمي عن أبيه عن الحسن ، فبين ذلك المبهمين في الإسناد الأول .

والفَخْم المفخَّم : العظيم المعظم في العيون والصدور ، أي كان جميلاً مهيباً عند الناس .

والمشذب : الطويل البائن الطول مع نقص في لحمة ، أي ليس بنحيف طويل ، بل طوله وعرضه متناسبان على أتم صفة .

---

(1) كذا في (خ) « وفي المرجع السابق « أولهم » .
(2) أي أنة يصبر على ما يبدو من الغريب من غلظة في كلامه وسؤاله .
(3) كذا في (خ) ، وفي (صفة الصفوة) « ليستجلبونهم » .
(4) ما بين القوسين ليس في (صفة الصفوة) .
(5) في (خ) « مكلف » وما أثبتناه من المرجع السابق ومن (النهاية لابن الأثير) .
(6) رواه (الترمذي)
(7) هذه الفقرة من (الطبراني) زيادة عن رواية (الترمذي) .

والشعر الرَّجل الذي ليس شديد الجعودة ولا شديد السبوطة ، بل بينهما ، والعقيصة : الشعر المجموع كهيئة المضفور ؛ والعقيقة : الشعر الذي يخرج على رأس الصبي حين يولد وسمي الشعر عقيقة لأنه منها ونباته من أصولها ، وقيل العقيقة هنا تصحيف ، وإنما هي العقيصة .

والأزهر : الأبيض المستنير ، وهو أحسن الألوان ، وليس بالشديد البياض .

الزَّجَج : وهو دقة الحاجبين وسبوغهما إلى محاذاة آخر العين مع تقوس ، والقرن : أن يلتقي طرفاهما مما يلي أعلى الأنف ، وهو محمود عند العرب ، ويستحبون البلج وهو بياض ما بين رأسيهما وخلوه في صفته عليه السلام ، دون أن حاجبيه قد سبغا وامتدّا حتى كادا يلتقيان فيه ولم يلتقيا ، ونفي القرن هو الصحيح في صفته عليه السلام ، دون ما وصفته به أم معبد ، ويمكن أن يقال : لم يكن بالأقرن ، ولا بالأبلج حقيقة ، بل كان بين حاجبية فرجة كبيرة ، لا تتبين إلا لمن حقق النظر إليها ، كما ذكر في صفة أنفه فقال : يحسبه من لم يتأمله أشمَّ ولم يكن أشم .

والسوابغ : جمع سابغ ، وهو التام الطويل ، ويُدِرُّهُ الغضب ، أي يحركه ويظهره ، كان إذا غضب امتلأ ذلك العرق دما كما يمتلى الضرع لبناً إذا دَرَّ ، فيظهر ويرتفع .

والعرنين : الأنف ، والقنا : طول الأنف ودقة أرنبته مع ارتفاع في وسط قصبته ، والشمم : ارتفاع رأس الأنف وإشراف الأرنبة قليلاً ، واستواء أعلى القصبة ، أي كان يُحسبُ لحسن قناه قبل التأمل أشم ، فليس قناؤه بفاحش مفرط ، بل يميل إلى الشمم .

والشعر الكث : الكثيف المتراكب من غير طول ولا رقة ، وسهل الخدين : أي ليس في خديه نتوء وارتفاع ، وقيل : أراد أن خديه أسيلان قليلا اللحم رقيقا الجلدة .

والضليع الفم : العظيم الواسع ، وكانوا يذمون صِغَر الفم ، وقال أبو عبيد : أَحْسَبُهُ جله في الشفتين ، وغلظة فيهما .

والشنب : رقة الأسنان ودقتهما ، وتحدد أطرافهما ، وقيل : هو بردهما وعذوبتهما .

والفلج : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات ، والمسربة : مادق من شعر الصدر مائلاً إلى السرة .

والجيد : العنق ، والدمية الصورة المصورة في جدار أو غيره .

واعتدال الخَلْق : تناسب الأعضاء والأطراف ، وأن لا تكون متباينة في الدقة والغلظ ، والصِّغر والكبر ، والطول والقِصَر .

والبادن : الضخم التام اللحم ، والمتماسك : الذي لحمه ليس بمسترخٍ ولا متهدل . ولما وصفه بالبدانة أتبعها بالتماسك ، كأن لحمه لاكتنازه واصطحابه يمسك بعضه بعضاً ، لأن الغالب على السِّمن الاسترخاء .

قوله : سواء البطن والصدر : أي متساويهما ، يعني أن بطنه غير خارج ، فهو مساوٍ لصدره ، وصدره عريض فهو مساوٍ لبطنه .

والمنكبان : أعلا الكتفين ، وبعد ما بينهما يدل على سعة الصدر والظهر ، والكراديس : جمع كردوس ، وهو رأس كل عظم كبير ، وملتقى كل عظمتين ضخمتين كالمنكبين والمرفقين ، والوركين والركبتين ، ويريد به ضخامة الأعضاء وأغلظها .

والمتجرد ما كشف عنه الثوب من اليدين ، يعني أنه كان مشرق الجسد ، نيِّر اللون ، فوضع الأنور موضع النيِّر .

والأشعر : الذي عليه الشعر من البدن ، واللبة (بتفح اللام) الوهدة في أعلى الصدر وفي أسفل الحلق بين الترقوتين .

وقوله : عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك ؛ أي أن ثدييه وبطنه ليس عليهما شعر سوى المسربة المقدم ذكرها ، الذي جعله جارياً كالخط .

والزندان : العظمان اللذان يليان الكف من الذراع ، رأس أحدهما يلي الإبهام ، ورأس الآخر يلي الخنصر .

والراحة : الكف ، ورحبها : سعتها ، وهو دليل الجود ، والششن : الغليظ الأطراف والأصابع وكونها سائلة أي ليست بمتعقدة ولا متجعدة ، فهي مع غلظتها سهلة سبطة .

والقُصُبُ : جمع القصبة ، وهي كل عظم أجوف فيه مخ ، والسبط : الممتد في استواء ليس فيه تعقد ولا نتوء .

والأخمص من القدم : الموضع الذي لا يصل إلى الأرض منها عند الوطء ، والخمصان : المبالغ منه ، أي أن ذلك الموضع منه شديد التجافي عن الأرض . وسئل ابن الأعرابي عنه فقال : إذا كان خمص الأخمص بقدر لم يرتفع جداً ولم يسو أسفل القدم جداً فهو أحسن ما يكون ، وإذا استوى أو ارتفع جداً فهو ذم .

فيكون المعنى حينئذ : معتدل الخمص بخلاف الأولى ، وكلا القولين متجه يحتمله اللفظ ، ومسيح القدمين : أى أن ظاهرهما ممسوح غير متعقد ، فإذا صُب عليهما الماء مرَّ سريعاً لملامستهما فينبو عنهما الماء ولا يقف ، يقال : نَبا الشيء ينبو[1] إذا تباعد .

وقال الهروي : أراد أنهما ملساوان : ليس فيهما وسخ ولا شقاق ولا تكسر ، فإذا أصابهما الماء نبا عنهما .

وقوله : إذا زال زال قلعاً كأنما ينحط من صبب ، والانحدار من صبب والتقلع من الأرض قريب بعضه من بعض . أراد أنه كان يستعمل التثبت ، ولا يبين منه في هذه الحال استعجال ومبادرة شديدة .

وفي حديث آخر : إذا مشى تقلَّع ، أراد به قوة المشي وأنه كان يرفع رجليه من الأرض رفعاً قوياً ، لا كمن يمشى اختيالاً ، ويقاربُ خطوَهُ ، فإن ذلك من مشى النساء .

والتكفؤ : تمايل الماشي إلى قدام كالغصن إذا هبت به الريح ، والهون : المشي في رفق ولين غير مختال ولا معجب -، والذريع : السريع ، أى أنه كان واسع الخطو فيسرع مشيه ، وربما يُظن أن هذا ضد الأول . ولا تضاد فيه ؛ لأن معناه أنه كان مع تثبته في المشي يتابع الخطوات ويوسعها فيسبق غيره .

والصَّبب : الموضع المنحدر من الأرض ، وذلك دليل سرعة مشيه ، لأن المنحدر لا يكاد يثبُتُ في مشيه .

---

(١) في (خ) « ينبوا » .

وفي رواية كأنما يهوي من صُبوب بضم الصاد : جمع صبب ، وهو المنحدر من الأرض ، وبفتح الصاد : اسم لما يُصب على الإنسان من ماء غيره ، وهو يهوي : إذا نزل من موضع عال .

وقوله : وإذا التفت التفت جميعاً : أي لم يكن يلويُ عنُقه ، ورأسه إذا أراد أن يلتفت إلى ورائه ، فعل الطائش العجِل ، إنما يدير بدنه كله وينظر ، وقيل : أراد أن لا يسارق النظر ، وخفض الطرف ضد رفعه ، وجُلُّ الشيء معظمه والملاحظة : أن ينظر بلحظ عينيه وهو شقها الذي يلي الصدغ والأذن . ولا يحدق[1] إلى الشيء تحديقاً .

والطرف العين . وكانت الملاحظة معظم نظره وأكثره ؛ وهو دليل الحياء والكرم . ويسوق أصحابه : أى يقدمهم أمامه ، ويمشي وراءهم ، والسكت : السكوت ، وجوامع الكلم : القليلة الألفاظ الكثيرة المعاني ، جمع جامعة وهي اللفظة الجامعة للمعاني، والقول الفَصْل : هو البين الظاهر المحكم الذي لا يعاب قائله ، وحقيقته الفاصل بين الحق والباطل ، والخطأ والصواب .

والفضول من الكلام : ما زاد عن الحاجة وفَضَل ، ولذلك عطف عليه (ولا تقصير) ، والدمث : السهل اللين الخلق ، والجافي : المعرض المتباعد عن الناس ، وقيل : الغليظ الخلقة والطبع ، والمهين (بضم الميم) من الإهانة وهي الإذلال والإطراح ، أي لا يهين أحداً من الناس ، و (بفتح الميم) من المهانة وهي الحقارة والصغر .

ويعظم النعمة : أي لا يستصغر شيئاً أوتيه وإن كان صغيراً ، والذَّواق : اسم لما يذاق باللسان ، أي لا يصف الطعام بطيب ولا بشاعة ، وقالوا : وقوله : تُعوطي الحق لم يعرفه أحد ؛ أي إذا نيل من الحق أو أهمل أو تعرض للقدح فيه ، تنكر عليهم وخالف عادته معهم ، حتى لا يكاد يعرفه أحد منهم ، ولا يثبت لغضبه شيء حتى ينتصر للحق .

وقوله : إذا تحدث اتصل بها ، أي أنه كان يشير بكفه إلى حديثة ، وتفسير ، « قوله فيضرب بباطن راحته اليمني باطن إبهامه اليسرى ؛ وأشاح » : إذا بالغ في

---

(١) نحوه في (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٦٩ .

الإعراب وجدَّ فيه . المشيح المبالغ في كل أمر ، أي إذا غضب لم يكن ينتقم ويؤاخذ . بل يقنع بالإعراض عمن أغضبه » .

وغض الطرف عند الفرح دليل على نفي البَطَر والأشَر ، والتبسم : أقل من الضحك ، ويفتر : أي يكشف عند التبسم عن أسنانه من غير قهقهة . وحَب الغمام : البرد ، وقوله : فيرد ذلك على العامة بالخاصة : أرد أن العامة كانت لا تصل إليه في هذا الوقت ، وكانت الخاصة تخبر العامة بما سمعت منه فكأنه أوصل الفوائد إلى العامة بالخاصة ، وقيل أن الباء في الخاصة تخبر العامة : بمعنى مِنْ ، أي فجعل وقت العامة بعد وقت الخاصة وبدلاً منهم .

والرُّوَّاد : جمع رائد ، وهو الذي يتقدم القوم . يكشف لهم حال الماء والمرعى قبل وصولهم ، ويخرجون أدلة : أي يدلون الناس بما قد علموه منه وعرفوه . يريد أنهم يخرجون من عنده فقهاء .

ومن قال أذلة (بذال معجمة) فيكون جمع ذليل ، أى يخرجون من عنده متواضعين ، وقوله : لا يفترقون إلا عن ذواق : ضرب الذوَاق مثلا لما ينالون عنده من الخير ، أي لا يفترقون إلا عن علم يتعلمونه يقوم لهم مقام الطعام والشراب ، لأنه يحفظ الأرواح كما يحفظ الأجسام .

وقوله : لا تؤبن فيه الحُرم : أي لا تقذف وترمي بعيب ، والحرم : جمع حرمة ؛ وهي المرأة . ولا تنتى فلتاته : أي لا يتحدث عن مجلسة بهفوة أو زلة إن حدثت فيه من بعض القوم ، يقال : نثوت الحديث إذا أذعته . والفلتات جمع فَلْتَةٍ ، وهي الزلة والسقطة .

وقيل معناه : أنه لم يكن فيه فلتات فتنتى . والبشر : طلاقة الوجه وبشاشته . والفَظ : السيء الخلق . والسخاب فعال من السخب ، وهو الضجة واختلاط الأصوات .

والخصَّام والفحَّاش والعيَّاب : فعال من الفحش في القول وعيب الناس والوقيعة بينهم .

وقوله : لا يقبل الثناء إلا من مكافيء : يريد أنه كان إذا ابتدأ بثناء ومدح كره ذلك ، وإذا اصطنع معروفاً فأثني عليه ، هش وشكر له قبل ثنائه .

وأنكر ابن الأعرابي هذا التأويل وقال : المعنى أنه لا يقبل الثناء عليه ممن لا يعرف حقيقة إسلامه ويكون من المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم .

وقال الأزهري : معناه لا يقبل الثناء إلا من مقارب غير مجاوز حد مثله ، ولا مقصر عما رفعه الله إليه . والمكافأة : المجازاة على الشيء .

فصل في ذكر شمائل رسول الله ﷺ وأخلاقه

قال الله تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[1] قال ابن سيده : والخُلُق والخَلْق الخليقة ، أعني الطبيعة ، وفي التنزيل : ﴿ **وإنك لعلى خُلق عظيم** ﴾ ، والجمع أخلاق ، وتخلق بخلق كذا : استعمله من غير أن يكون موضوعاً في فطرته ، وفي قوله تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ ثلاثة أقوال : أحدهما : دين الإسلام ؛ قاله عبد الله ابن عباس ومجاهد ، والثاني : أدب القرآن ؛ قاله الحسن وعطية العوفي ، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، تعني كان على ما أمره الله به في القرآن ، واختار هذا القول الزَّجاج .. والثالث : أنه الطبع الكريم ، وهذا القول هو الظاهر ، وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب ، وسمي خُلُقاً لأنه يصير كالخلقة في الإنسان .

وأما ما طبع عليه من الآداب فهو الخير ، فيكون الخُلُق هو الطبع المتكلف ، والخير هو الطبع الغريزي ، وقد اجتمع في رسول الله ﷺ مكارم الأخلاق ، وشهد له به تعالى بالحكمة البالغة ، والأخلاق السمية الرفيعة ، والمنازل العلية الرصينة .

قال أبو القاسم : سُمي خُلقُه عظيماً ، لأنه لم تكن له همة سوى الله تعالى .

وقال لأنه امتثل أمر ربه في قوله تعالى : ﴿ **خذ العفو وَأْمُرْ بالعرف وأعرِض عن الجاهلين** ﴾[2] .

وخرَّج البخاري من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير في قوله تعالى : ﴿ **خذ العفو** ﴾ ، قال : أمرني ربي أن آخذ[3] العفو من أخلاق الناس .

---

(١) الآية ٤ / القلم . (٢) الآية ١٩٩ / الأعراف .

(٣) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ١٤٣ حديث رقم ٤٧٨٧ .

وقيل : عظم خلقه حيث صغرت الأكوان في عينه بعد مشاهدة مكونها سبحانه ، وكان ﷺ كما قالت عائشة رضي الله عنها حيث سئلت عن خلقه : القرآن ؛ يغضب لغضبه ، ويرضي لرضاه ، ولا ينتقم لنفسه ، ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمات الله .

وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد ، فيكون غضبه لربه ، وينفذ الحق وإن عاد ذلك بالضرر عليه وعلى أصحابه ، [وقد][1] عرض عليه أن ينتصر بالمشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبي[2] وقال : إنا لا نستعين بمشرك .

وكان أشجع الناس وأسخاهم وأجودهم ، ما سئل شيئاً فقال لا ، ولا يبيت في بيته درهم ولا دينار ، فإن فضل ولم يجد من يأخذه وفجئه الليل لم يرجع إلى منزله حتى يبرأ منه إلى من يحتاج إليه ، ولا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت أهله عاما فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير ، ثم يؤثر من قوت أهله حتى ربما احتاج قبل انقضاء العام .

ولم يشغله الله تعالى من المال بما يقضي محبة في فضوله ولا أحوجه إلى أحد ، بل أقامه على حد الغنى[3] بالقوت ، ووفقه لتنفيذ الفضل فيما يقرب من ربه تعالى .

وكان أحلم الناس ، وأشدّ حياءاً من العذراء في خدرها ، وكان خافض الطرف . نظره الملاحظة ، لا يثبت بصره في وجه أحد تواضعاً ، يجيب من دعاه من غني أو فقير ، أو حرٍ أو عبد ، وكان أرحم الناس ؛ يصغي الإناء للهرَّة ، وما يرفعه حتى تروى رحمة لها .

وكان أعَفَّ الناس ، لم تمس يده يد امرأة إلا بملك رقِّها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه ، وكان أعدل الناس ؛ وجد أصحابه قتيلا من خيارهم وفضلائهم ، فلم يحف[4] لهم من أجله على أعدائه من اليهود ، وقد وجد مقتولا بينهم ! بل وداه[5] مائة ناقة من صدقات المسلمين وإن بأصحابه حاجة إلى بعير

---

(١) زيادة للسياق .

(٢) في (خ) « فابا » .

(٣) في (خ) « الغنا » .

(٤) من الحيف وهو الميل من العدل .

(٥) وداه : دفع ديته .

واحد يتقوون به ، وودي بني خزيمة وهم غير موثوق بإيمانهم ، إذ وجب بأمر الله ذلك .

وكان أكثر الناس إكراماً لأصحابه ، لا يمد رجليه بينهم ، ويوسع لهم إذا ضاق بهم المكان ، ولم تكن ركبتاه تتقدم ركبة جليسه ، وكان له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا له ، وإن أمر تبادروا لأمره ، وكان يتحمل لأصحابه ويتفقدهم ويسأل عنهم ؛ فمن مرض عاده[١] ، ومن غاب تفقده وسأل عنه ، ومن مات استرجع فيه وأتبعه الدعاء له ، ومن تخوَّف أن يكون وَجَد في نفسه شيئاً انطلق إليه حتى يأتيه في منزله .

ويخرج إلى بساتين أصحابه ويأكل ضيافتهم ، ويتألف أهل الشرف ، ويكرم أهل الفضل ، ولا يطوي بشره عن أحد ، ولا يجفو عليه ، ويقبل[٢] معذرة المعتذر إليه ، والضعيف والقوي في الحق عنده سواء ، ولا يدع أحداً يمشي خلفه ، ويقول : خلّوا ظهري للملائكة ، ولا يدع أحداً يمشي معه وهو راكب حتى يحمله ، فإن أبي قال : تقدمْني إلى المكان الفلاني .

ويخدم من خدمه ، وله عبيد وإماء لا يرتفع عنهم [في شيء][٣] من مأكل ولا ملبس ، قال أنس بن مالك رضي الله عنه : خدمته نحواً من عشرين سنة ، فوالله ما صحبته في حضر ولا سفر إلا كانت خدمته لي أكثر من خدمتي له . وما قال لي أفٍ قط ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلت كذا ؟ ولا قال لشيء لم أفعله : ألا فعلت كذا[٤] ؟!!

وكان ﷺ في سفر ، فأمر بإصلاح شاة ، فقال رجل : يا رسول الله ، عليَّ ذبحها وقال آخر عليَّ سلخها ، وقال آخر : عليَّ طبخها . فقال رسول الله ﷺ : وعليّ جمع الحطب ! فقالوا : يا رسول الله ، نحن نكفيك ، فقال : قد علمت أنكم تكفوني ، ولكني أكره أن أتميز عليكم ؛ فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه وقام فجمع الحطب .

---

(١) في (خ) « عاداه » .
(٢) في (خ) « ويقبل » .
(٣) ما بين القوسين مطموس في (خ) ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٤) في (خ) « ولا يحدق شيئاً إلى الشيء » وما أثبتناه أولى للسياق والمعنى .

وكان في سفر فنزل إلى الصلاة ثم كر راجعاً ، فقيل : يا رسول الله ، أين تريد ؟ قال : أعقل ناقتي فقالوا : نحن نعقلها . قال : لا يستعين أحدكم بالناس في قضمة من سواك .

وكان لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر . وإذا انتهى إلى قوم جلس حيث انتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه . لا يحسب جَليسه أن أحداً أكرم عليه منه ؛ وإذا جلس إليه أحدهم لم يقم ﷺ حتى يقوم الذي جلس إليه ، إلا أن يستعجله أمر فيستأذنه ، ولا يقابل أحداً بما يكره ، ولا يجزي السيئة بمثلها . بل يعفو ويصفح . وكان يعود المرضى ويحب المساكين ويجالسهم . ويشهد جنائزهم . ولا يحقر فقيراً لفقره ؛ ولا يهاب ملكا لملكه ؛ ويعظم النعمة وإن قلت . ولا يذم منها شيئا : وما عاب طعاماً قط ؛ إن اشتهاه أكله وإلا تركه .

وكان يحفظ جاره ويكرم ضيفه ، وكان أكثر الناس تبسماً ، وأحسنهم بشراً ، ولا يمضي له وقت في غير عمل الله ، أو فيما لابد منه ، وما خيَّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، إلا أن يكون إثماً أو قطيعة رحم فيكون أبعد الناس منه .

وكان يخصف نعله ، ويرقع ثوبه ، ويخدم في مهنة أهله ، ويقطع اللحم معهن ، ويركب الفرس والبغل والحمار ، ويردف خلفه عبده أو غيره من الناس ، ويمسح وجه فرسه بطرف ردائه .

وكان يحب الفأل ويكره الطيرة ، وإذا جاءه ما يحب قال : الحمد لله رب العالمين ، وإذا جاء ما يكره قال : الحمد لله على كل حال ، و إذا رفع الطعام من بين يديه قال : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين .

وكان أكثر جلوسه وهو مستقبل القبلة ، ويكثر ذكر الله تعالى ، ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، ويستغفر في المجلس الواحد مائة مرة ، وكان يسمع لصدره وهو في الصلاة أزيز كأزيز المرجل من البكاء ، وكان يقوم الليل في الصلاة حتى ورمت قدماه .

وكان يصوم الاثنين والخميس ، وثلاثة أيام من كل شهر ، وعاشوراء . وقلما كان يفطر يوم الجمعة ، وكان أكثر صيامه في شعبان ، وكان يصوم حتى يقال : لا يفطر ، ويفطر حتى يقال : لا يصوم .

وكان عليه السلام تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظـاراً للوحي ، وإذا نام نفخ ولا يغط وإذا رأى في منامه ما يكره قال : هو الله لا شريك له ، وإذا أخذ مضجعه قال : رب قني عذابك يوم تبعث عبادك ؛ وإذا استيقظ قال : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور .

وكان لا يأكل الصدقة ، ويأكل الهدية ويكافيء عليها ، ولا يتأنق في مأكل ، ويعصب على بطنه الحجر من الجوع ! هذا وقد آتاه الله مفاتح خزائن الأرض فلم يقبلها ، بل زهد في الدنيا ، واختار عليها الله والدار الآخرة .

وأكل الخبز بالخلّ وقال نعم الإدام الخلّ ، وأكل لحم الدجاج ولحم الحباري ، وكان يأكل ما وجد ، ولا يرد ما حضر ، ولا يتكلف ما لم يحضر ، ولا يتورع عن مطعم حلال ، إن وجد تمراً دون خبز أكله ، وإن وجد شواءاً أكله وإن وجد خبز بُرٍّ أو شعير أكله ، وإن وجد حلوى أو عسلا أكله ، وكان أحب الشراب إليه الحلو البارد ، وكان له من أصحابه من يرد الماء وقال للهيثم بن التيهان[1] كأنك علمت حبنا اللحم ، وكان لا يأكل متكِئاً ، ولم يأكل على خوان ، ولم يشبع من خبز برٍّ ثلاثاً تباعاً حتى لقي الله عز وجل ، وكان يفعل ذلك إيثاراً على نفسه ، لا فقراً ولا بُخْلاً .

وكان يحضر الوليمة إذا دُعي إليها ، ويجيب دعوة العبد والحُر ، ويقبل الهدايا ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ، وكان يحب من المأكل الدباء وذراع الشاة ، وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن ، وكان منديله باطن قدميه ، ويأكل خبز الشعير بالتمر ، وأكل البطيخ بالرطب ، والقثاء بالرطب ، والتمر بالزبد ، وكان يحب الحلوى والعسل ، ويشرب قاعداً ، وربما شرب قائماً ؛ وكان يتنفس في الإناء ثلاثاً ، مُبيناً للإناء عن فمه ، ويبدأ بمن عن يمينه إذا سقاه ، وشرب لبناً وقال : من أطعمه الله

---

(١) هو مالك بن التيهان ، واسم التيهان أيضاً : مالك بن عيتك بن عمرو بن الأعلم بن عامر بن زعون ، ابن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك الأنصاري حليف بني عبد الأشهل ، كان أحد النقباء ليلة العقبة ثم شهد بدراً ، واختلف في وقت وفاته ؛ فأصح ما قيل فيه : إنه شهد مع عليّ صفّين ، وقتل فيها رحمه الله ، يقول السهيلي : « وأحسب ابن إسحاق وابن هشام تركا نسبه على جلالته في الأنصار ، وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، لا خلاف فيه » وقد ضاف الهيثم رسول الله ﷺ ، في منزله ومعه أبو بكر وعمر فذبح لهم عناقاً وأتاهم بقنو من رطب (الروض الأنف للسهيلي) جـ٢ ص ١٩٥ .

طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ، ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه .

وقال : ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن وشرب النَّبيذ الحلو (وهو الماء الذي قد نُقِعَ فيه تمرات يسيرة حتى يحلو) ، وكان يلبس الصوف وينتعل بالمخصوف ، ولا يتأنَّق في ملبس ، ويحب من اللباس الحبرة (وهي برود من اليمن فيها حمرة وبياض) .

وأحب الثياب إليه القميص ، وكان يقول إذا لبس ثوباً استجدَّه اللهم لك الحمد كما ألبستنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له . وتعجبه الثياب الخضر ، وربما لبس الإزار الواحد . أو عليه غيره ، يعقد طرفه بين كتفيه ، ويلبس يوم الجمعة برده الأحمر ويعتم ويلبس خاتماً من فضه نقشه (محمد رسول الله) في خنصره الأيمن ، وربما لبسهُ في الأيسر .

ويحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة ، ويقول : إن الله جعل لذتي في النساء والطيب ، وجُعلت قُرَّة عيني في الصلاة ، وكان يتطيب بالفالية والمسك ويتطيب بالمسك وحده ، ويتبخر بالبخور والكافور ، ويكتحل بالإثمد ، وربما اكتحل وهو صائم ، ويكثر دهن رأسه ولحيته ، ويدهن غبًّا[1] ويكتحل وتراً ، ويحب التيمن في ترجله وفي تنعله وفي طهوره وفي شأنه كله . وينظر في المرآة ، ولا تفارقه قارورة الدهن في سفره ، والمرآة والمشط والمقراض والسواك والإبرة والخيط ، ويستاك في لَيْلِهِ ثلاث مرات : قبل نومه وبعده ، وعند القيام لِوِرْدِهِ ، وعند القيام لصلاة الصبح ، وكان يحتجم .

وكان يمزح ولا يقول إلا حقاً ، قد جمع الله له كمال الأخلاق ومحاسن الأفعال ، وأتاه علم الأولين والآخرين ، وما فيه النجاة والفوز وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ ، ولا معلم له من البشر ، بل نشأ في بلاد الجهل والصحاري ، وآتاه الله ما لم[2] يؤت أحداً من العالمين ، واختاره على الأولين والآخرين ، وعصمه من الناس . ورفع له ذكره ، وضمن له إظهار دينه على الدين كله . وجعل شانئه الأبتر ، وأعزه بالنصر على كل عدوٍّ ، وأوجب طاعته على جميع الإنس والجان ، وأكرمه برسالته ، وأمنه

(١) الغبّ (بكسر الغين وتشديد الباء) اليوم بعد اليوم . (٢) في (خ) « مل لم » .

من كل بشر ، وأكب عدوَه لوجهه ، وغفر ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ ، وسيأتي هذا في مظانه مبسوطاً إن شاء الله تعالى .

أما حسن خلقه

فخرج من حديث أبي بكر بن شيبة قال : حدثنا محمد بن بشر العبدي ، حدثنا سعيد بن أبي عروة ، حدثنا قتادة عن زرارة بن أوفي ، عن سعد بن هشام أنه قال لعائشة رضي الله عنها يا أم المؤمنين ، أنبئيني عن خلق رسول الله ﷺ ، قالت[1] : ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى ، قالت : فإن خلق رسول الله كان القرآن .

وخرج الإمام أحمد من حديث مبارك عن الحسن عن سعد بن هشام بن عامر قال : أتيت عائشة فقلت : يا أم المؤمنين ، أخبريني بخُلق رسول الله : قالت : كان خُلُقُه القرآن ، أما تقرأ القرآن ﴿ وإنك[2] لعلى خلق عظيم ﴾ الحديث .

وقال قتيبة بن سعيد : حدثنا جعفر بن سليمان عن أبي عمران عن يزيد ابن بابنوس[3] : قلنا لعائشة رضي الله عنها : يا أم المؤمنين ، كيف كان خُلق رسول الله ﷺ ؟ قالت كان خُلق رسول الله القرآن ، ثم قالت : تقرأ سورة المؤمنين ، اقرأ ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ إلى العشر ، [فقرأ][4] حتى بلغ العشر [آيات][4] ، فقالت : هكذا كان خلق رسول الله ﷺ .

وقال زيد بن واقد عن بُسر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولانيّ ، عن أبي الدرداء قال : سألت عائشة عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ، ويسخط لسخطه .

وخرَّج البخاري من حديث مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً ؛ فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه ؛ وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله عز وجل فينتقم لله بها .

لم يذكر فيه مسلم (فينتقم الله بها) ، وفي لفظ : ما خُيِّر رسول الله بين أمرين

---

(١) في (خ) « قال » . (٢) في (خ) « إنك » .

(٣) يابنوس بموحدتين بينهما ألف ثم نون مضمومة ساكنة ومهملة (تهذيب التهذيب) جـ١١ ص ٣١٦ .

(٤) زيادة البيان .

إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه . وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتي إليه قط حتى تنتهك حرمات الله ، فينـتقم لله ، ولم يذكر مسلم في حديث مالك (فينتقم لله) .

وقال البخاري في رواية : والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتي إليه قط حتى تنتهك حرمات الله فينتقم لله .

وفي لفظ له عن عائشة قالت : ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء يؤتي إليه حتى ينتهك من حرمات الله ، فينتقم لله .

ولمسلم من حديث أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر ، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ، [فإن كان إثماً][1] كان أبعد الناس منه .

وفي لفظ : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ، ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله عن رجل ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله عزل وجل فينتقم[2] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث محمد بن عبد الرحمن الطفاوي ، قال حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط ، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل من شيء فانتقمه إلا من صاحبه إلا أن ينتهك محارم الله فينتقم لله عز وجل ، وما عُرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما إلا أن يكون مأثماً ، فإنه كان أبعد الناس منه .

ولابن سعد من حديث وكيع عن داود بن أبي عبد الله عن ابن جدعان عن جدته عن أم سلمة : أن النبي ﷺ أرسل وصيفة له فأبطأت ، فقال : لولا القصاص لأوجعتك بهذا السواك .

وخرَّجه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو يعلي به ، وروي منصور بن المعتمر عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت ـــ: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من

---

(١) زيادة البيان ساقطة في (خ) وأتممناها من (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٨٣ .

(٢) ونحوه في (سنن أبي داود) كتاب الأدب – باب في التجاوز في الأمر ، وأخرجه مسلم في الفضائل باب مباعدته ﷺ للآثام ، وابن ماجة في النكاح باب ضرب النساء . ونسبه المنذري إلى النسائي .

ظَلامة ظُلمها قط ، إلا أن ينتهك من محارم الله ، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدهم في ذلك ، وما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما .

وفي لفظ : ما رأيت رسول الله منتصراً من ظلمة قط ما لم ينتهك من محارم الله شيء فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدَّهم في ذلك غضباً ، وما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً .

وروي محمد بن إسحٰق عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين قطُّ إلا اختار أيسرهما ما لم يكن حراماً ، فإن كان حراماً كان أبعد الناس منه ؛ وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه من شيء يُصاب منه إلا أن تُعاب حرمة الله فينتقم لله .

وخرَّج البخاري في الأدب المفرد من حديث محمد بن سلام : أخبرنا يحيى بن محمد أبو محمود البصري قال : سمعت عمر مولى المطلب قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ : لست من دَدٍ ، ولا الدَّدُ مني ، يعني ليس الباطل مني بشيء .

وخرَّج البخاري في كتاب الديات في باب من استعان عبداً أو صبياً ، من حديث إسماعيل بن إبراهيم ، حدثنا عبد العزيز عن أنس رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة بيدي فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ؛ إن أنساً غلام كيِّس فليخدمك ، قال : فخدمته في الحضر والسفر ، فوالله ماقال لي لشيئ صنعته لم صَنَعْتَ هذا هكذا ؟ ولا لشيء لمْ أصعنه لِم لَمْ تصنع هذا هكذا ؟

وخرجه مسلم بنحوه . وخرَّج في كتاب الوصايا[1] في باب استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صلاحاً له ، من حديث ابن عُلَيّة ، أخبرنا عبد العزيز عن أنس قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادم ، فأخذ أبو طلحة بيدي (الحديث بمثله) ، غير أنه لم يقل (فوالله) .

وخرَّج في كتاب الأدب في باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ،

---

(١) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ٢ ص ١٣١ .

من حديث سلام بن مسكين : سمعت ثابتاً يقول : أخبرنا أنس قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين ، وما قال لي : أف ، ولا لم صنعت ؟ ولا ألاَ صنعت ؟ .

وخرجه مسلم في المناقب من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ما قال لي : أفاً قط ، وما قال لي لشيء : لم فعلت كذا أو هلا فعلت كذا ؟!

ومن حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين بالمدينة وأنا غلام ، ليس كل أمري كما يشتهي صاحبي أن يكون عليه ، ما قال لي فيه : أفٍ قط ، ولا قال لي : لم فعلت هذا ؟ وألا فعلت هذا ؟

وله من حديث زكريا قال : حدثني سعيد وهو ابن أبي برده عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين فما أعلمه قال لي قط : لم فعلت كذا وكذا ؟ ولا عاب عليَّ شيئاً قط .

ولمسلم وأبي داود من حديث عمر بن يونس قال : أخبرنا عكرمة – وهو ابن عمار – قال : قال إسحٰق : قال أنس : كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت : لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به ، رسول الله ، فخرجت حتى أمرَّ على الصبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال : فنظرت إليه وهو يضحك ، فقال : يا أنيس ، أذهبتَ حيث أمرتك ؟ قلت : نعم ، أنا أذهب يا رسول الله . وقال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته : لم فعلت كذا وكذا ؟ أو لشيء تركته : هلا فعلت كذا وكذا[1] ؟

وخرَّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث أبي معاوية عن جعفر بن برقان عن عمران القصير عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما أرسلني في حاجة قط لم تُهيَّأ إلا قال : لو قضي لكان ، أو لو قدر لكان .

ولمسلم من حديث عبد الوارث عن أبي التياح عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً .

---

(١) (سنن أبي داود) جـ٣ ص ٥ ص ١٣٣ كتاب الأدب ، باب الحلم وأخلاق النبي ﷺ حديث رقم ٤٧٧٣ .

وخرَّج البخاري من حديث عبد الوارث عن أبي التياح عن أنس قال : كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلُقاً وكان لي أخ يقال له أبو عمير : أحسبه فطيم ، وكان إذا جاء قال : يا أبا عُمَير : ما فعل النُّغَيْر ؟ - نغر كان يلعب به - فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا ، فيأمر بالبساط الذي تحته ، فيكنس وينضح ، ثم يقوم ونقوم خلفه ، فيصلي بنا . ترجم عليه (باب الكنية للصبي) .

وخرَّجه مسلم ولفظه : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خُلُقاً ، وكان لي أخ يقال له : أبو عمير قال : وأحسبه قال : كان فطيما ، فكان إذا جاء رسول الله فرآه قال : أبا عمير ، ما فعل النُّغَيْر ؟ قال : فكان يلعب به .

وخرَّجه أبو داود من حديث حماد قال : حدثنا ثابت عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يدخل علينا ولي أخ صغير يكني أبا عمير ، وكان له نُغَر يلعب به فمات ؛ فدخل النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزينا ، فقال : ما شأنه ؟ قالوا : مات نغره ! فقال : « يا أبا عمير ، ما فعل النُّغَيْر ؟ » ترجم عليه . (باب الرجل يتكني وليس له ولد)[1] .

وفي هذا الحديث من وجوه الفقه وفنون الأدب والفائدة ستون وجهاً ، جمعها أبو العباس أحمد بن القاصّ الفقيه الشافعي في جزء[*] .

---

(١) أبو عمير هذا - بضم العين وفتح الميم وسكون الياء - هو أخو أنس بن مالك لأمه ، أمهما : أم سُليم ، لا يُعرف له اسم ، وتوفي في حياة النبي ﷺ وهو الذي توفي وجرى لأم سليم مع زوجها أبي طلحة فيه ما جرى ، [يراجع ذلك في أبواب الجنائز من كتب السنن] ، والنُّغَر (بضم النون وفتح الغين) : طائر صغير يجمع على النُّغران .

أخرجه أبو داود في (السنن) كتاب الأدب باب ما جاء في الرجل يتكني وليس له ولد ، و(البخاري) في الأدب باب الانبساط إلى الناس ، و (مسلم) في الأدب باب استحباب تحنيك المولود ، و (الترمذي) في الصلاة باب ما جاء في الصلاة على البُسط وقال : وحديث أنس صحيح -، وفي البر باب ما جاء في المزاح ، و (ابن ماجة) في الأدب باب المزاح -، من حديث أبي التياح - يزيد ابن حميد الضبعي - عن أنس بن مالك ، ونسبه (المنذري للنسائيّ أيضاً) .

(*) هو أبو العباس أحمد بن أبي أحمد المعروف بابن القاصّ ، الطبري ، الفقيه الشافعي ، وعرف والده بالقاصّ لأنه كان يقصّ الأخبار .

كان ابن القاصّ إمام وقته في طبرستان ، وأخذ الفقه عن ابن سُريج ، وصنَّف كتباً كثيرة ، منها : « التلخيص » ، و « أدب القاضي » ، و « المفتاح » ، وغير ذلك . وجميع تصانيفه صغيرة الحجم ، كثيرة الفائدة ، وكان يعظ الناس ، فانتهى إلى طرسوس ، وقيل : إنه تولى القضاء بها ، فعقد له مجلس =

وعظ ، وأدركته رقة وخشية وروعة من ذكر الله تعالى ، فخرَّ مغشياً عليه ، ومات سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . (النجوم الزاهرة) و (شذرات الذهب) و (طبقات الشافعية للسبكي) و (وفيات الأعيان) و (سير أعلام النبلاء) و (الأنساب) .

قال أبو العباس بن القاصّ رحمه الله تعالى : وفيما روينا من قصة أبي عمير ستون وجهاً من الفقه والسنة ، وفنون الفائدة والحكمة ، فمن ذلك :

[١] أن سنة الماشي أن لا يتبختر في مشيته ولا يتبطأ فيها، فإنه ﷺ كان إذا مشي توكأ كأنما ينحدر من صبب . [٢] ومنها أن الزيارة سنة . [٣] ومنها الرخصة للرجال في زيارة النساء غير ذوات المحارم (إذا لم تكن شابة وأمنت الفتنة) . [٤] ومنها زيارة الحاكم للرعية . [٥] ومنها أنه إذا اختصَّ الحاكم بالزيارة والمخالطة بعض الرعية دون بعض فليس ذلك بميل ، وقد كان بعض أهل العلم يكره للحكام ذلك . [٦] وإذا ثبت ما وَصَفْنَا كان فيه وجه من تواضع الحاكم للرعية . [٧] وفيه دليل على كراهية الحجَّاب للحكام . [٨] وفيه دليل أن الحاكم يجوز له أن يسير وحده . [٩] وأن أصحاب المقارع بين يدي الحكام والأمراء محدثة مكروهة ، لما روي في الخبر : رأيت النبي ﷺ بمنًى على ناقة له ، لا ضرب ولا طرد ، ولا إليك إليك . [١٠] وفي قوله: يغشانا ما يدل على كثرة زيارته لهم . [١١] وأن كثرة الزيارة لا تَخْلِق الحب والمودة ولا تنقصها إذا لم يكن معها طمع . [١٢] وأن قوله عليه السلام لأبي هريرة : « زُرْغبًّا تزدد حُباً » ، كما قاله بعض أهل العلم لما رأى في زيارته من الطمع لما كان بأبي هريرة من الفقر والحاجة حتى دعا له النبي ﷺ في مزودة ، وكان لا يُدخل فيها يده إلا أخذ حاجته ، فحصلت له الزيارة دون الطمع . [١٣] وفي قوله : « يخالطنا » ، ما يدل على الألفة ، بخلاف النفور ، وذلك من صفة المؤمن ، كما روي في بعض الأخبار : المؤمن ألوف والمنافق نفور . [١٤] ومنها ما روي في الخبر : « فِرّ من الناس فرارك من الأسد » ، إذا كانت في لقيهم مضرة لا على العموم ، فأما إذا كانت فيه للمسلمين ألفة ومودة فالمخالطة أولى . [١٥] وفيه دلالة على الفرق بين شباب النساء وعجائزهن في المعاشرة ؛ إذ اعتذر النبي ﷺ إلى من رآه واقفاً مع صفية ، ولم يعتذر من زيارته أم سليم ، بل كان يغشاهم الكثير . [١٦] وفي قوله : « ما مسست شيئاً قط ألين من كَفّ رسول الله ﷺ » : ما يدل على مصافحته ، وإذا ثبتت المصافحة ، دلَّ على تسليم الزائر إذا دخل . [١٧] ودلَّ على مصافحته ، [١٨] ودلّ على أن يصافح الرجلَ دون المرأة ، لأنه لم يقل : « فما مسسنا » وإنما قال : « ما مسست » ، وكذلك كانت سنته ﷺ في التسليم على النساء ومبايعته ، إنما كان يصافح الرجال دونهن . [١٩] وفي لين كفه ما يدل على أنه لا ينبغي أن يعتمد المصلّي إلى شدة الاعتماد على اليدين في السجود ، كما اختار ذلك بعضهم ، لما وجد في صفة النبي ﷺ أنه كان شثن الكفين والقدمين ، فقال : ينبغي أن يعتمد إلى شدة الاعتماد على اليدين في السجود ، ليؤثر على يديه دون جبهته . [٢٠] وفيه ما يدل على الاختيار للزائر إذا دخل على المزور . [٢١] وفيه ما يدل على ما قاله بعضهم أن الاختيار في السّنة الصلاة على البساط والجريد والحصير ، وقد قيل في بعض الأخبار أنه كان حصيراً بالياً ؛ وذلك أن بعض الناس كان يكره الصلاة على الحصير ، وينزع بقول الله تعالى : ﴿ **وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً** ﴾ . [٢٢] وفي نضحهم ذلك له وصلاته عليه مع علمه ﷺ أن في البيت صبياً صغيراً ، دليل على أن السنة ترك التعزر . [٢٣] ودليل على أن الأشياء على الطهارة حتى يعلم يقين النجاسة . [٢٤] وفي =

نضحهم البساط لصلاة رسول الله ﷺ دليل على أن الاختيار للمصلي أن يقوم في صلاته على أروح الحال وأمكنها ، لا على أجهدها وأشدها ، لئلا يشغله الجهد عما عليه من أدب الصلاة وخشوعها ، كما أمر الجائع أن يبدأ بالطعام قبل الصلاة ، خلاف ما زعم بعض المجتهدين ، إذْ زعم أن الاختيار له أن يقوم على أجهد الحال ، كما سُمع في بعض الأخبار أنهم لبسوا المِسح إذا قاموا من الليل وقيدوا أقدامهم . [٢٥] وفي صلاته في بيتهم ليأخذوا علمها دليل على جواز حمل العالم علمه إلى أهله : إذا لم يكن فيه على العلم مذلة ، وأما روى في أن : « العلم يُؤتى ولا يأتي » : إذا كانت فيه للعلم مذلة ، أو كان من المتعلم على العالم تطاول . [٢٦] وفيه دلالة اختصاص لآل أبي طلحة ؛ إذ صلى رسول الله ﷺ في بيتهم . [٢٧] وأخذهم قبلة بيتهم بالنص عن رسول الله ﷺ دون الدلائل والعلامات . [٢٨] وفي قوله : « وكان رسول الله ﷺ إذا جاء مازحه » ، ما يدل على أنه كان يمازحه كثيراً ؛ وإذا كان كذلك كان في ذلك شيئان : [٢٩] أحدهما : أن ممازحة الصبيان مباح . [٣٠] والثاني : أنها إباحة سنة لا إباحة رخصة ، لأنها لو كانت إباحة رخصة لأشبه أن لا يكثرها ، كما قال في مسح الحصى للمصلي : « فإن كنت لابد فاعلاً فمرة » ، لأنها كانت رخصة لا سنة . [٣١] وفيه - إذْ مازحه ﷺ - ما يدل على ترك التكبر والترفع . [٣٢] وما يدل على حُسن الخلق . [٣٣] وفيه دليل على أنه يجوز أن يختلف حال المؤمن في المنزل من حاله إذا برز ، فيكون في المنزل أكثر مزاحاً ، وإذا خرج أكثر سكينة ووقاراً - إلا من طريق الرياء - كما روي في بعض الأخبار : كان زيد بن ثابت من أفكه الناس إذا خلا بأهله ، وأزمتهم عند الناس . [٣٤] وإذا كان ذلك كما وصفنا ففيه دليل على أن ما رُوي في صفة المنافق أنه يخالف سرّه علانيته ليس على العموم ؛ وإنما هو على معنى الرياء والنفاق ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون** ﴾ . [٣٥] وفي قوله : « فرآه حزينا » : ما يدل على إثبات التفرس في الوجوه . وقد احتج بهذا المعنى بعض أهل الفراسة بما يطول ذكره . [٣٦] وفيه دليل على الاستدلال بالعَبْرةِ لأهلها ؛ إذ استدل ﷺ بالحزن الظاهر في وجهه على الحزن الكامن في قلبه ، حتى حداه على سؤال حاله . [٣٧] وفي قوله : « ما بال أبي عُمير ؟ » دليل على أن من السنة إذا رأيت أخاك أن تسأل عن حاله . [٣٨] وفيه دليل - كما قال بعض أهل العلم - على حُسن الأدب بالسنة في تفريق اللفظ بين سؤالين : فإذا سألت أخاك عن حاله قلت : مالك ؟ كما قال النبي ﷺ من حديث أبي قتادة : « مالك يا أبا قتادة ؟ » وإذا سألت غيره عن حاله قلت : ما بالُ أبي فلان ؟ كما قال النبي ﷺ في هذا الحديث : « ما بال أبي عمير ؟ » . [٣٩] وفي سؤاله ﷺ من سأل - عن حال أبي عمير - دليل على إثبات خبر الواحد . [٤٠] وفيه دليل على أنه يجوز أن يُكْنى من لم يولد له ، وقد كان عمر بن الخطاب يكره ذلك حتى أُخبر به عن النبي ﷺ . [٤١] وفي قوله : « مات نُغَيْرُهُ الذي كان يلعب به » : تركه النكير بعد ما سمع ذلك ﷺ دليل على الرخصة في اللعب للصبيان . [٤٢] وفيه دليل على الرخصة للوالدين في تخلية الصبي وما يروم من اللعب إذا لم يكن من دواعي الفجور ، وقد كان بعض الصالحين يكره لوالديه أن يخلياه . [٤٣] وفي دليل على أن إنفاق المال في ملاعب الصبيان ليس من أكل المال بالباطل ، إذا لم يكن من الملاهي المنهية . [٤٤] وفيه دليل على إمساك الطير في القفص . [٤٥] وقصّ جناح الطير لمنعه من الطيران ، وذلك أن لا يخلو من أن يكون النغيرة التي كان يلعب بها في قفص أو نحوه ؛ من شدّ رجل أو غيره ، أو أن تكون مقصوصة الجناح ، فأيهما كان المنصوص ، فالباقي قياسٌ عليه ، يكره

قصٌّ جناح الطائر وحبسه في القفص . [٤٦] وفيه دليل على أن رجلاً لو اصطاد صيداً خارج الحرم ثم أدخل الحرم ، لم يكن عليه إرساله ، وذلك لأن النبي ﷺ حرَّم الاصطياد بين لابتي المدينة ، وأجاز لأبي عمير إمساكه فيها .

وكان ابن الزبير يفتي بإمساك ذلك ، ومن حجته فيه : أن من اصطاد صيداً ثم أحرم وهو في يده ، فعليه إرساله ، فكذلك إذا اصطاد في الحل ثم أدخله الحرم .

وفرَّق الشافعي بين المسألتين كما وصفنا ، فقال : من اصطاد ثم أحرم والصيد في ملكه فعليه إرساله ، ومن اصطاده ثم أدخله الحرم فلا إرسال عليه . [٤٧] وفي قوله : « ما فعل النغير ؟ » ، دليل على جواز تصغير الأسماء كما صَغَّر النغيرة ، وكذلك المعنى في قوله : كان ابن لأبي طلحة يكنى أبا عُمير . [٤٨] وكان النبي ﷺ إذا مازحه بذلك يبكي ، ففي ذلك دليل على أن قول النبي ﷺ في حديث آخر : « إذا بكى اليتيم اهتز العرش » ، ليس على العموم في جميع بكائه ، وذلك أن بكاء الصبي على ضربين : أحدهما : بكاء الدلال عند المزاح والملاطفة ، والآخر : بكاء الحزن أو الخوف عند الظلم أو المنع عما به إليه الحاجة ، فإذا مازحت يتيماً أو لاطفته فبكى ، فليس في ذلك – إن شاء الله تعالى – اهتزاز عرش الرحمن . [٤٩] وقد زعم بعض الناس أن الحكيم لا يواجه بالخطاب غير العاقل . وقال بعض أصحابنا ، ليس كذلك ، بل صفة الحكيم في خطابه أن لا يضع الخطاب في غير موضعه ، وكان في هذا الحديث كذلك دليل ؛ ألا ترى أنه ﷺ واجه الصغير بالخطاب عند المزاح فقال : « يا أبا عُمير ما فعل النُّغَيْر ؟ » ، ولم يواجه بالسؤال عند العلم والإثبات ، بل خاطب غيره ، فقال : «ما بالُ أبي عمير ؟ » . [٥٠] وفيه دليل على أن للعاقل أن يُعاشر الناس على قدر عقولهم ولا يحمل الناس كلهم على عقله . [٥١] وفي نومه ﷺ عندهم دليل على أن عماد القَسْم بالليل ، وأن لا حرج على الرجل في أن يقيل بالنهار عند امرأة في غير يومها . [٥٢] وفيه دليل على سنة القيلولة . [٥٣] وفي دليل على خلاف ما زعم بعضهم في أدب الحكام أن نوم الحكام والأمراء في منزل الرعية – ونحو ذلك من الأفعال – دناءة تسقط مروءة الحاكم . [٥٤] وفي نومه على فراشها دليل على خلاف قول من كره أن يجلس الرجل في مجلس امرأة ليست له بمحرم أو يلبس ثوبها وإن كان على تقطيع الرجال . [٥٥] وفيه أنه يجوز أن يدخل المرء على امرأة في منزلها وزوجها غائب وإن لم تكن ذات محرم له . [٥٦] وفي نضح البساط له ونومه على فراشها دليل على إكرام الزائر . [٥٧] وفيه أن التَّنعُّم الخفيف غير مخالف للسنة . وأن قوله : « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وأصغى بسمعه » ، ليس على العموم إلا فيما عدا التنعم القليل . [٥٨] وفيه دليل على أنه ليس بفرض على المزور أن يُشيّع الزائر إلى باب الدار – كما أمر النبي ﷺ بتشييع الضيف إلى باب الدار – إذ لم يذكر في هذا الحديث تشييعهم له إلى الباب . [٥٩] وقد اختلف أهل العلم في تفسير ما ذُكر من صفة النبي ﷺ في حديث هند بن أبي هالة : كانوا إذا دخلوا عليه لا يفترقون إلا عن ذواق : قال بعضهم : أراد به الطعام . وقال بعضهم : أراد به ذواق العلم . ففي تفسير هذا الحديث ، الدليل على تأويل من تأوّله على ذَواق العلم ، إذ قد أذاقهم العلم ولم يذكر فيه ذواق الطعام . [٦٠] وكان من صفته ﷺ أنه يواسي بين جلسائه ، حتى يأخذ منه كل بحظ ، وكذلك فعل رسول الله ﷺ في دخوله على أم سليم : صافح أنساً ، ومازح أبا عمير الصغير ، ونام على فراش أم سليم ، حتى نال الجميع من بركته ﷺ ، وزاد على الستين فقال : [٦١] وإذا كان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فأقل ما في تحفُّظ طرقه أن يكون نافلة ، وفيه أن قوماً أنكروا خبر الواحد واختلفوا فيه : فقال بعضهم بجواز خبر الاثنين قياساً على الشاهدين ، وقال

وخرَّج البخاري في كتاب الأدب في باب حُسن الخُلق وما يكره من البخل ، من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس (الحديث) .

وخرَّج في باب ما ينهي من السباب واللعن من حديث فليح بن سليمان أخبرنا هلال بن علي عن أنس بن مالك قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا لعَّاناً ولا سبَّاباً ، كان يقول عند المعتبة : ماله تربت جبينه .

وخرَّج البخاري من حديث شعبة عن سليمان ، سمعتُ أبا وائـل ، سمعت مسروقاً قال : قال عبد الله بن عمرو من حديث الأعمش عن شقيق بن سلمة عن مسروق قال : دخلنا على عبد الله بن عمر حين قدم مع معاوية إلى الكوفة ، فذكر رسول الله ﷺ فقال : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، وقال : قال رسول الله : إن من أخيركم أحسنكم خلقاً (ذكره في كتاب الأدب وفي صفة النبي ﷺ) .

وخرَّجه مسلم ، ولفظه عن مسروق قال : دخلنا على عبد الله بن عمرو حين قدم معاوية إلى الكوفة ، فذكر رسول الله ﷺ فقال : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ،

بعضهم بجواز خبر الثلاثة ، ونزع بقول الله جل ذكره : ﴿ **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين** ﴾ ، وقال بعضهم بجواز خبر الأربعة ، قياساً على أعلى الشهادات وأكبرها ، وقال بعضهم بالشائع والمستفيض ، فكان في تحفظ طرق الأخبار ما يخرج به الخبر عن حدّ الواحد إلى حد الاثنين وخبر الثلاثة والأربعة ، ولعله يدخل في خبر الشائع المستفيض . [٦٢] وفيه أن الخبر إذا كانت له طرق ، وطعن الطاعن على بعضها احتج الراوي بطريق آخر ولم يلزمه انقطاع ؛ ما وجد إلى طريق آخر سبيلاً . [٦٣] وفيه أن أهل الحديث لا يستغنون عن معرفة النقلة والرواة ومقدارهم في كثرة العلم والرواية ، ففي تحفظ طرق الأخبار ، ومعرفة من رواها ، ومعرفة كم روي كل راوٍ منهم ما يُعلم به مقادير الرواة ومراتبهم في كثرة الرواية . [٦٤] وفيه أنهم إذا استقْصوا في معرفة طرق الخبر عرفوا به غلط الغالط ، وميزوا به كذب الكاذب ، وتدليس المدلّس . [٦٥] وإذا لم يَسْتَقْصِ المرء في طرقه واقتصر على طريق واحد كان أقل ما يلزمه إن دلَّس عليه في الرواية أن يقول : لعله قد رُوي ولم أَسْتَقْصِ فيه ، فرجع باللائمة والتقصير على نفسه والانقطاع وقد حلّ لخصمه . [٦٦] إن مثل هذا الحديث فيه تثبيت الامتحان ، والتمييز بيننا وبين أمثالهم ؛ إذا لم يهتدوا إلى شيء من تخريج فقهه ، ويستخرج أحدُنا منه - بعون الله وتوفيقه - كلَّ هذه الوجوه ، وفي ذلك وجهان :

أحدهما : اجتهاد المستخرج في استنباطه ، والثاني : تبيين فضيلته في الفقه والتخريج على أغياره . والعين المستنبط منها عين واحدة ، ولكن من عجائب قدرة اللطيف في تدبير صُنعه : أن تُسقى بماء واحد ويفضل بعضها على بعض في الأُكل .

(جزء فيه فوائد حديث أبي عمير) : ص ١٩ - ٣٥ .

وقال : قال رسول الله ﷺ : إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً .

ولأبي داود الطيالسي من حديث شعبة عن ابن إسحٰق قال : سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول سمعت عائشة رضي الله عنها سُئلت عن خُلق رسول الله ﷺ فقالت : لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ، لا سخَّاباً في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أو قالت يعفو ويغفر (شك أبو داود) .

وخرَّج البخاري في كتاب البيوع في باب كراهية السخب في الأسواق من حديث فليح : أخبرنا هلال عن عطاء بن يسار : لقيت عبد الله بن عمرو بن القاضي ، قلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صُما ، وقلوباً غُلفاً[1] .

وخرَّج في تفسير سورة الفتح من حديث عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال ابن أبي هلال ، عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو ، أن هذه الآية التي في القرآن : ﴿ **يٰأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً** ﴾ ، قال في التوراة : يٰأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً [ومبشراً][2] وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صُماً ، وقلوباً غُلفاً .

وخرَّج يعقوب بن سفيان الفسوي من حديث آدم وعاصم بن علي قالا : أخبرنا ابن أبي ذؤيب ، حدثنا صالح مولى التزمة قال : كان أبو هريرة رضي الله عنه ينعت النبي ﷺ فقال : كان يقبل جميعاً ، ويدبر جميعاً ، بأبي وأمي ولم يكن فاحشاً ولا

---

(١) في (خ) « أعين عمي وآذن صم وقلوب غلف » وما أثبتناه من (الطبقات الكبرى) لابن سعد جـ١ ص ٣٦١ ، (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض جـ١ ص ١٥ .

(٢) زيادة من المرجعين السابقين .

متفحشاً ولا صخاباً في الأسواق (زاد آدم : ولم أر مثله قبله ، ولم أر بعده) .

وذكر الوقدي أن أعرابياً أقبل من تهامة ، فقال له أصحابُ رسول الله ﷺ : تعالَ سلِّم على رسول الله ، قال : وفيكم رسول الله ؟ قالوا : نعم ، قال : فأيكم رسول الله ؟ قالوا هذا ، قال : أنت رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فما في بطن ناقتي هذه إن كنت صادقاً ؟ قال سلمة بن سلامة بن وقش : نكحتها ، فهي حبلي منك ، فكره رسول الله ﷺ مقالته وأعرض عنه ، ذكر ذلك في توجه رسول الله إلى بدر ، ثم ذكره في عود رسول الله ﷺ إلى بدر[1] .

قال : ولقيه الناس يهنئونه بالروحاء بفتح الله ، فلقيه وحوله الخزرج ، فقال سلمة بن سلامة بن وقش : ما الذي تهنئوننا به ؟ فوالله ما قتلنا إلا عجائز صُلعا ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : يا ابن أخي ، أولئك الملأ لو رأيتهم لهبتهم ، ولو أمروك لأطعتهم ، ولو رأيت فعالك مع فعالهم لاحتقرته ، وبئس القوم كانوا على ذلك لنبيهم ، فقال سلمة بن سلامة : أعوذ بالله من غضبه ، وغضب رسوله ، إنك يا رسول الله لم تزل عني معرضاً منذ كنا بالروحاء في بَدْأَتِنا ؛ فقال رسول الله : أما ما قلتَ للأعرابي وقعت على ناقتك فهي حبلي منك ، ففحشت وقلت ما لا علم لك به ، وأمَّا مَا قلتَ في القوم ؛ فإنك عمدت إلى نعمة من نعم الله تعالى تزهدها ، فقبل منه رسول الله ﷺ معذرته ، وكان من علية أصحابه .

وذكر الخطيب من حديث أبي داود : أخبرنا طلحة عن عبد الله عن عبيد الله عن أم سلمة قالت : ما طعن رسول الله في حسب ولا نسب قط .

وخرَّج البخاري في المناقب من حديث شعبة عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أشدّ حياء من العذراء في خدرها ، وزاد في رواية : وإذا كره شيئاً عُرِف في وجهه ، وذكره في كتاب الأدب ولفظه : فإذا رأي شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه وخرَّجه مسلم بنحوه[2] .

---

(١) راجع هذا الخبر عند الكلام على غزوة بدر من هذا الجزء تحت عنوان : خبر الأعرابي بعرق الظبية » ، وانظر أيضاً (سيرة ابن هشام) جـ٢ ص ١٨٧ تحت عنوان « الطريق إلى بدر » .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٧٨ باب كثرة حيائه ﷺ .

ولأبي داود والبخاري في الأدب المفرد من حديث حماد بن زيد قال : حدثنا سَلْم[1] العلوي عن أنس أنَّ رجلا دخل على رسول الله ﷺ وعليه أثر صُفرة ، كان رسول الله ﷺ قَلَّ ما يواجه رجلاً في وجهه بشي يكرهه ، فلما خرج قال : لو أمرتم هذا أن يغسل ذا عنه[2] !

وله من حديث الأعمش عن سليم[3] عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل : ما بال فلان يقول ؟ ولكن يقول : ما بال من يقولون كذا وكذا ؟ .

وفي لفظ : إذا بلغه الشيء عن الرجل لم قلت كذا وكذا أثر ذكره .

وخرَّج البخاري ومسلم من حديث مالك عن إسحٰق عن أنس قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ ، وعليه بُرد غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذاً شديداً حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، قال : فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك ، ثم أمر له بعطاء[4] .

وخرَّج الحاكم من حديث عبد الله بن يوسف التنيسي حدثنا عبد الله بن سالم ، حدثنا محمد بن حمزة بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سالم[5] عن أبيه عن جده ، أن زيد بن سعنة – كان[6] من أحبار اليهود – أتي النبي ﷺ يتقاضاه فجبذ ثوبه عن منكبه الأيمن . ثم قال : إنكم يا بني عبد المطلب أصحاب مُطْل ، وإني بكم لعارف ، قال : فَانْتَهَرهُ عمر ، فقال له رسول الله ﷺ [يا عمر][7] : أنا وهو كنَّا إلى غير هذا منك أحوج ، أن تأمرني بحسن القضاء ، وتأمره بحسن التقاضي ، إنطلق يا عمر وفِّه حقَّه ، أما إنه قد بقي من أجله ثلاث ، فزده[8]

---

(١) قال أبو داود : سَلْم ليس هو علوياً . كان يبصر في النجوم ، وشهد عند عدي بن أرطأة على رؤية الهلال فلم يجز شهادته .

(٢) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ١٤٣ حديث رقم ٤٧٨٩ .

(٣) في (خ) « مسلم » .

(٤) ونحوه في سنن أبي داود جـ٥ ص ١٣٣ كتاب الأدب باب في الحلم وأخلاق النبي حديث رقم ٤٧٧٥ .

(٥) في (خ) « سلام » .

(٦) في (خ) « وكان » .

(٧) زيادة من (المستدرك) .

(٨) في (خ) « وزده » .

ثلاثين صاعاً لتزويرك[1] عليه . قال الحاكم : صحيح الإسناد[2] .

وخرَّجه الفسوي من حديث الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال : كان رجل من الأنصار يدخل على النبي ﷺ ، فدنا منه وإنه عقد له عُقَداً وألقاه في بئر ، ففزَّع ذلك النبي ﷺ ، فأتاه ملكان يعودانه فأخبراه أن فلاناً عقد له عُقداً وهي في بئر فلان ، وقد اصفرَّ الماء من شدة عُقَده ، فأرسل النبي ﷺ فاستخرج العُقَد فوجد الماء قد اصفرَّ ، فحل العُقَد ونام النبي عليه السلام ، ولقد رأيت الرجل بعد ذلك يدخل على النبي ﷺ ، فما رأيته في وجه النبي عليه السلام حتى مات .

ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث عباد بن العوام ، عن النعمان بن ثابت عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أنس قال : ما أخرج رسول الله ﷺ ركبتيه بين يدي جليس قط ، ولا ناول يده أحداً قط فتركها حتى يكون هو يدعها ، وما جلس إلى رسول الله أحد قط فقام حتى يقوم ، وما وجدت شيئاً قط أطيب ريحاً من رسول الله ﷺ .

وخرَّج الفسوي من حديث عمران بن زيد الملائي قال : حدثني زيد العمي عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا صافح أو صافحه الرجل . لا ينزع ، وإن استقبله بوجهه لا يعرضه عنه حتى يكون الرجل ينصرف ، ولم يُرَ مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له .

وخرَّج أبو داود من حديث مبارك بن فضالة[3] عن ثابت عن أنس قال : ما رأيت رجلاً التقم أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه ، وما رأيت رسول الله أخذ بيده رجل[4] فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده[5] .

وفي الأدب المفرد للبخاري من حديث عبد الوارث، حدثنا عتبة بن عبد الملك ،

---

(١) في (خ) « لتدورك » .

(٢) وقال الذهبي في (التلخيص): « قلت : مرسل » راجع المستدرك للحاكم جـ٢ ص ٣٢ كتاب البيوع .

(٣) هو ابن فضالة ، أبو فضالة القرشي العدوي ، مولاهم البصري ، قال عفان بن مسلم : ثقة . وضعَّفه الإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والنسائي وغيرهم .

(٤) في (أبي داود) : « ومارأيت رجلا أخذ بيده فترك يده » .

(٥) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ١٤٦ حديث رقم ٤٧٩٤ ، كتاب الأدب .

حدثني زرارة بن كريم بن الحارث بن عمرو السهمي ، أن الحارث بن عمرو السهمي حدثه قال : أتيتُ النبي وهو بمنى أو بعرفات ، وقد أطاف به الناس ، ويجيء الأعراب فإذا رأوا وجهه قالوا : هذا وجه مبارك ، قلت يا رسول الله استغفر لي ، فقال : اللهم اغفر لنا ، فدرتُ فقلتُ : استغفِرْ لي فقال : اللهم اغفر لنا ، فدرت فقلت استغفر لي فقال : اللهم أغفر لنا ، فذهب بيده بزاقه ومسح به نعله ، كره أن يصيب أحداً من حوله .

وخرَّج الحاكم من حديث محمد بن إسحٰق عن يعقوب بن عتبة عن عمر ابن عبد العزيز عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال : كان رسول الله إذا جلس يتحدث كثيراً يرفع طرفه إلى السماء .

وفي الصحيحين من حديث الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ؛ إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه[1] .

وخرَّج البخاري في كتاب الأدب من حديث ابن وهب ، أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كن يتبسم[2] . وخرج مسلم بنحوه .

وخرَّج مسلم من حديث يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سُمرة : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال نعم ، كثيراً ما كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس . فإذا طلعتْ قام ، وكانوا يتحدثون ويأخذون في أمر الجاهلية ، فيضحكون ويبتسم ﷺ[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب صفة النبي ﷺ ، ومسلم في الأشربة باب لا يعيب الطعام ، والترمذي في البر باب ترك العيب للنعمة وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه في الأطعمة باب النهي أن يعاب الطعام ، وأبو داود كتاب الأطعمة باب كراهية ذمّ الطعام ولفظه : « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه » .

(٢) (صحيح البخاري بحاشية السندي) ج٤ ص٦٤ من كتاب الأدب .

(٣) (مسلم بشرح النووي) ج١٥ ص ٧٩ ، ولفظه : « فيأخذون في أمر الجاهلية » وفيه : استحباب الذكر بعد الصبح وملازمة مجلسها ما لم يكن عذر وفيه جواز الحديث بأخبار الجاهلية وغيرها من الأمم ، وجواز الضحك ، والأفضل الاقتصار على التبسم كما فعله رسول الله ﷺ في عامة أوقاته .

وخرَّجه الترمذي من حديث شريك عن سماك ، عن جابر بن سمرة قال : جالستُ النبي ﷺ أكثر من مائة مرَّة ، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم[1] قال هذا حديث حسن صحيح .

وقال الليث بن سعد عن الوليد بن أبي الوليد أن سليمان بن خارجة أخبره عن خارجة بن زيد أن نفراً دخلوا على أبيه زيد بن ثابت فقالوا : حدِّثنا عن بعض أخلاق رسول الله ﷺ فقال : كنت جاره فكان إذا نزل الوحي بعث إليَّ فآتيه فأكتب الوحي ، وكنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، فكل هذا يحدثكم عنه .

وخرَّج البخاري في المناقب من حديث سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ كان يحدث حديثاً لو عدَّهُ العادُّ لأحصاه[2] . ومن حديث يونس عن ابن شهاب أنه قال : أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت : ألا يُعجبك[3] أبا فلان جاء فجلس إلى جانب حجرتي[4] يحدث عن رسول الله ﷺ يسمعني ذلك ، وكنت أسبِّح فقام قبل أن أقضي سُبْحتي ، ولو أدركته لرددتُ عليه إن رسول الله ﷺ لم يكن يسْرُدُ[5] الحديث [كسرْدِكم][6] .

وخرَّج مسلم من حديث ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدَّث أن عائشة قالت : ألا تعجل أبا هريرة جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن النبي ﷺ يسمعنى ذلك ، وكنت أسبح فقام قبل أقضي سُبْحتي ، ولو أدركته لرددت عليه أن رسول الله لم يكن يسرد الحديث كسردكم .

وخرَّج أيضاً من حديث سفيان بن عيينة عن هشام عن أبيه قال : كان أبو هريرة يحدث ويقول : اسمعي يا ربة الحجرة ، وعائشة رضي الله عنها تصلي ، فلما قضت صلاتها قالت لعروة : ألا تسمع إلى هذا أو مقالته آنفاً ؟ إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عدَّه العاد لأحصاه .

---

(١) (الشمائل المحمدية) ص ٢٦ حديث ٢٤٦ ولفظه ، وربما تبسم معهم .
(٢) (فتح الباري) جـ٦ ص ص ٥٦٧ حديث رقم ٣٥٦٧ .
(٣) في (خ) « نعجل » .
(٤) في (خ) « حجري » . (٥) في (خ) « ليرد » .
(٦) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) والتكملة من المرجع السابق حديث رقم ٣٥٦٨ .

وخرَّج الترمذي من حديث عبد الله بن المثنى عن أبيه عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتُعقل عنه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب[1] .

ولابن حبان من حديث حسين بن علوان الكوفي ؛ حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : ما كان أحد أحسن خُلقاً من رسول الله ؛ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك ، فلذلك أنزل الله : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ .

وخرج أبو بكر الشافعي من حديث عثمان بن مطر ، عن ثابت عن أنس قال : مَرَّ علينا النبي ﷺ ونحن صبيان فقال : السلام عليكم يا صبيان .

وقال عبد الملك بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحماء قال : بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يبعث ، فبقيت له بقية ، فوعدته أن آتيه بها في مكانه ذاك ، فنسيت يومي والغد ، فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه فقال : يا بني ! لقد شققت عليَّ ، إني ها هنا منذ ثلاث .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق .

وقال محمد بن حماد بن سَلَمه عن عاصم بن بهدلة عن زر[2] عن عبد الله بن مسعود قال : كنا يوم بدر تتعاقب ثلاثة على بعير ، وكان عليٌّ وأبو لبابة زميلْي رسول الله ، فكان إذا كانت عقب رسول الله ، يقولان له : إركب حتي نمشي ، فيقول : إني لست بأغني عن الأجر منكما ، ولا أنتما بأقوى على المشي مني . خرجه الحاكم[3] . وقال[4] صحيح الإسناد . وخرَّجه ابن حبان أيضاً في صحيحه . وخرَّج

(١) (الشمائل المحمدية) ص ١١٣ حديث رقم ٢٣٤ ، وأخرجه الترمذي في المناقب والاستئذان ، والبخاري في العلم والاستئذان .

(٢) في (خ) « ذر » والتصويب من (المستدرك) .

(٣) (المستدرك على الصحيحين) جـ٣ ص ٢٠ ولفظه : « كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، قال : وكان عليّ وأبو لبابه زميلي رسول الله ﷺ ، قال : وكان إذا كانت عقبته قلنا : اركب حتى نمشى ، فيقول : ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكم » في (خ) « بأغنا » .

(٤) وقال : هذا حديث على شرط مسلم ولمن يخرجاه .

أبو يعلي من حديث يونس بن بكير : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ، حدثنا عثمان ابن كعب ، حدثني ربيع - رجل من بني النضر وكان في حجر صفية - عن صفية بنت حُيي قالت : ما رأيت قط أحسن خُلقاً من رسول الله ؛ لقد رأيته راكب [ ][1] من خيبر على عجز ناقته ليلاً فجعلت أنعس فيضرب رأسي مؤخرة الرحل ، فيمسكني بيده ويقول : يا هذه مهلاً ، يا صفية بنت حُيي !! حتى إذا جاء الصهباء[2] قال : أما إني اعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك !! إنهم قالوا لي كذا وكذا .

وعن وهب بن منبه قال : قرأت أحداً وسبعين كتاباً ، فوجدت في جميعها أن محمداً ﷺ أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأياً .

وأما شجاعته

فخرَّج البخاري في كتاب الأدب من حديث حماد بن زيد عن ثابت قال : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وكان أجود الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، فانطلق الناس قِبَل الصوت ، فاستقبلهم رسول الله ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول : لم تُراعوا لم تُراعوا ، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْي (ما عليه سرج) ، في عنقه سيف قال : وجدناه بحراً أو إنه لبحر[3] .

وخرَّجه مسلم[4] وقال : فانطلق ناس[5] . وقال : فتلقاهم رسول الله راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت[6] . وذكره البخاري في مواضع من كتاب الجهاد .

(١) مكان ما بين القوسين في (خ) كلمة لم أتبين معناها .

(٢) صهباء : اسم موضع بينه وبين خيبر روحة » (معجم البلدان) جـ٣ ص ٤٣٥ .

(٣) (صحيح البخاري بشرح الكرماني) جـ٢١ ص ١٨٣ حديث رقم ٥٦٦٢ ولفظه : « فقال : لقد وجدتُه بحراً أو إنه البحر » .

(٤) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٦٧ باب شجاعته ﷺ .

(٥) في المرجع السابق «فانطلق ناس قبل الصوت» .

(٦) ومعنى قوله : لن تراعوا ، أي روعاً مستقراً ، أو روعاً يضركم ، وفيه فوائد ، منها ، بيان شجاعته ﷺ من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس ، وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعاً بعد أن كان يبطأ ، وهو معنى قوله ﷺ وجدناه بحراً ، أي واسع الجري ، وفيه جواز سبق الإنسان وحده في كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك ، وفيه جواز العارية ، وجواز الغزو على الفرس للمستعار ، وفيه استحباب تبشير الناس بعدم الخوف (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٦٧ و ٦٨ باب شجاعته ﷺ .

وخرَّجه النسائي من حديث أبي خيشمة عن ابن إسحٰق عن حارثة بن مغرب عن عليٍّ رضي الله عنه قال : كنا إذا حمي البأس ، والتقي القوم اتقينا برسول الله ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه .

وفي رواية إسرائيل عن أبي إسحٰق عن البراء قال : كنا والله إذا احمرَّ البأس نتقي به ، يعني النبي ﷺ ، وأن الشجاع منا الذي يحاذي به . وله من حديث إسحٰق بن راهوية ، حدثنا عمرة بن محمد ، حدثنا عمر الزيات عن سعيد بن عثمان العبدري عن عمران بن الحصين قال : ما لقي النبي ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب .

وخرَّج الدارمي من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا سعد عن عبد الملك بن عمير قال : قال ابن عمر : ما رأيت أحداً أنجد ولا أجود ولا أشجع ولا أَوْضَأَ من رسول الله ﷺ[١] .

وأما سعة جوده ﷺ

فخرَّج البخاري في فضائل القرآن ، وخرَّج مسلم في المناقب من حديث شهاب عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان لأَنَّ جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان حتى ينسلخ الشهر ، فيعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل ، كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة (اللفظ لمسلم)[٢] .

ولفظ البخاري : كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير ، وأجود ما يكون في شهر رمضان ، لأن جبريل كان يلقاه [في][٣] كل ليلة في شهر رمضان حتي ينسلخ يعرض عليه رسول الله القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود من الريح المرسلة ، (هذا

---

(١) (سنن الدارمي جـ١ ص ٣٠ وفيه « ولا أضوأ ولا أوضأ » .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٦٨ ، ٦٩ باب سعة جوده ﷺ ، والمراد كالريح في إسراعها وهمومها ، وفي هذا الحديث فوائد منها : بيان عظم جوده ﷺ ومنها استحباب إكثار الجود والخير عند ملاقاة الصالحين وعقب فراقهم للتأثر بلقائهم ، ومنها استحباب مدارسة القرآن .

(٣) زيادة من (البخاري) جـ٣ ص ٢٢٧ .

اللفظ في كتاب فضائل القرآن) .

ولفظه في كتاب الصيام بنحوه إلا أنه قال : وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان (الحديث) .

وذكره في أول كتابه ، ولفظه : كان رسول الله أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة .

وذكره أيضاً في المناقب ، وفي كتاب بدء الخلق وقال فيه : لرسول الله حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة .

ولابن سعد من حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس وعائشة قالا : كان رسول الله ﷺ إذا دخل شهر رمضان أطلق كل أسير وأعطى كل سائل[1] . وخرَّج من حديث سفيان عن ابن المنكدر ، سمعت جابراً يقول : ما سُئل النبي ﷺ عن شيء قط فقال لا ![2] .

ولفظ مسلم : ما سئل رسول الله شيئاً فقال لا[3] ! ذكره البخاري في كتاب الأدب ، ولمسلم من حديث حميد عن موسى بن أنس عن أبيه قال : ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ، قال : فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء لا يخشي الفاقة[3] .
ومن حديث حماد بن سلمة عن أنس أن رجلا سأل النبي ﷺ غنماً بين جبلين فأعطاه إياه ، فأتى قومه فقال يا قوم أسلموا فوالله إن محمداً ليعطي عطاء ما يخاف الفقر ، فقال أنس : إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها (إنفرد به مسلم)[3] .

وله من حديث ابن شهاب قال : غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح (فتح مكة) ، ثم خرج بمن معه من المسلمين ، فاقتتلوا بحنين . فنصر الله دينه والمسلمين ، فأعطى رسول الله يومئذ صفوان بن أمية مائة من النَّعَم ، ثم مائة ، قال ابن شهاب :

---

(١) (الطبقات الكبرى لابن سعد) جـ١ ص ٣٧٧ باب ذكر حسن خلقه وعشرته ﷺ .
(٢) (سن الدارمي) جـ١ ص ٣٤ ، وفيه يقول أبو محمد : قال ابن عيينة : « إذا لم يكن عنده وعد » .
(٣) (مسلم بشرح النووى جـ١٥ ص ٧١ ، ٧٢ باب في سخائه ﷺ .

حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ، وإنه لأبغض الناس إليّ ، فما بَرِحَ يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ[1] .

ولأحمد بن حنبل رحمه الله ، من حديث الزهري عن عمر بن محمد بن جبير ابن مطعم قال : حدثني محمد بن جبير قال : أخبرني جبير بن مطعم قال : سار رسول الله ﷺ ومعه الناس مقفلة من حنين ، فعلقه الأعراب فساء لونه حتى اضطروه إلى سمُرة فخطفت رداءه ، فوقف وقال : ردوا على ردائي ، أتخشون عليَّ البخل : فلو كان عدد هذه العضاه نعماً لقسمته بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذاباً ولا جباناً[2] . (أخرجه البخاري وانفرد بإخراجه) .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال : قال عمر : يا رسول الله : لقد سمعت فلاناً وفلاناً يحسنان الثناء ، يذكران أنك أعطيتهما ديناراً ، ثم قال : قال النبي ﷺ : والله لكن فلاناً ما هو كذلك ، لقد أعطيته من عشرة إلى مائة ، فما يقول ذلك ، أما والله إن أحدكم ليخرج مسألته من عندي يتأبطها (يعني حتى تكون تحت إبطه يعني ناراً) ، قال : قال عمر : يا رسول الله ! تعطيها إياهم ؟ قال : فما أصنع يا عمر إلا ذاك ؟ ويأبي الله لي البخل !!

وقال عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده صبر من تمر ، فقال : ما هذا يا بلال ؟ قال : أدَّخره يا رسول الله ، قال : أما تخشى أن يكون له بُخَار في النار ؟ أنفق يا بلال ولا تَخشَ من ذي العرش إقلالاً[3] .

وخرَّج الترمذي من حديث هشام بن سُعيْد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فسأله أن يعطيه ،

---

(١) المرجع السابق ص ٧٣ .

(٢) في (الكامل لابن الأثير) جـ٢ ص ٢٦٩ « ولما فرغ رسول الله ﷺ من رد سبايا هوازن ركب واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله اقسم علينا فيئا ، حتى ألقوه إلى الشجرة ، فاختُطف رداؤه ، فقال : ردّوا عليّ ردائي أيها الناس ، فوالله لو كان لي عدة شجر تهامة نعمٌ لقسمتها عليكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جباناً ولا كذابا » .

(٣) (البداية والنهاية) جـ٦ ص ٥٤ ولفظه : « أن رسول الله ﷺ دخل على بلال فوجد عنده صبراً .... » .

فقال : ما عندي شيء ولكن ابتع على ، فإذا جاءني شيء قضيته ، فقال عمر : يا رسول الله لقد أعطيته وما كلفك الله مالا بعد ، فكره النبي عليه السلام قول عمر ، فقال رجل من الأنصار : رسول الله ! أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا ، فتبسم رسول الله ، وعُرف البشر في وجهه لقول الأنصاري ثم قال : بهذا أمرت .

وقال قتيبة : حدثنا جعفر بن سليمان ، حدثنا ثابت عن أنس أن النبي ﷺ كان لا يدخر شيئاً لغد .

ولأبي داود الطيالسي عن زمعة عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : كان رسول الله ﷺ حيياً لا يسأل شيئاً إلا أعطى[1] .

وقال ابن سعد أخبرنا أحمد بن محمد الأزرقي المكي ، حدثنا مسلم بن خالد الزنجي ، حدثني زياد بن سعد عن محمد بن المنكدر[2] قال : سمعت جابر بن عبد الله قال : ما[3] سئل النبي ﷺ شيئاً قط فقال : لا .

أخبرنا الفضل بن دكين ، حدثنا أبو العلاء الخفاف[4] خالد بن طهمان عن المنهال بن عمرو ، عن محمد بن الحنفية قال ـــ: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يقول لشي لا ، فإذا هو سئل فأراد أن يفعل قال : نعم ، وإن لم يرد أن يفعل سكت ، فكان قد عرف ذلك منه .

وقال أبو يعلي : حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ، أخبرنا أبي ، حدثنا هشام ابن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمه ، أن رجلا كان يلقب حماراً وكان يهدي لرسول الله ﷺ العكة من السمن والعكة من العسل . فإذا صاحبه يتقاضاه جاء به إلى رسول الله ﷺ فيقول : رسول الله ! أعطِ هذا ثمن متاعه ، فما يزيد رسول الله ﷺ[5] على أن يتبسم ، ويأمر به فيعطى .

ولابن حبان من حديث الأوزاعي عن هارون بن رباب عن أنس قال : قدم

---

(١) في (خ) « أعطا » .

(٢) في (خ) « المنكدر المنكدر » وهو تكرار من الناس (٣) (سنن الترمذي) ص ١٠ حديث رقم ٢٤١٧ .

(٣) في (خ) « يا » .

(٤) في (خ) « الحفان » وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) جـ١٢ ص ١٩٢ ترجمة رقم ٨٨٧ .

(٥) في (خ) « بعد قوله ﷺ « فيقول يا رسول الله » مكررة .

على رسول الله ﷺ سبعون ألف درهم - هو أكثر مال أتى به - فوضع على حصير ثم قام فقسمه ، فما رد سائلاً حتى فرغ منه .

وقال الواقدي في حجة الوداع[1] : ثم راح رسول الله ﷺ من الروحاء[2] ، فصلى العصر بالمنصرف[3] ثم صلى المغرب والعشاء وتعشى به[4] ، وصلى الصبح بالأثاية[5] ، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج[6] ، فحدثني أبو حمزة عبد الواحد ابن مصون[7] عن عروة بن الزبير ، عن أسماء بنت بي بكر رضي الله عنها قالت : كان أبو بكر رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ بالمدينة : إن عندي بعيراً نحمل عليه زادنا ، قال رسول الله ﷺ فذاك إذاً قالت : فكانت زاملة رسول الله وأبي بكر واحدة ، فأمر النبي ﷺ بزاد ، دقيق وسويق ، فجعلا على بعير أبي بكر ، فكان غلامه يركب عليه عقبة ، فلما كان بالأثاية[8] عرَّس الغلام وأناخ بعيره ، فغلبته عيناه ، فقام البعير يجر خطامه آخذاً في الشعب ، وقام الغلام فلزم الطريق يظن أنه سلكها وهو ينشده فلا يسمع له بذكر ، ونزل رسول الله في أبيات بالعرج ، فجاء الغلام مظهراً ، فقال أبو بكر : أين بعيرك ؟ قال : ضل مني ، قال : ويحك ! لو لم يكن إلا أنا لهان الأمر ، ولكن رسول الله وأهله ، فلم يلبث[9] أن طلع به صفوان بن المعطل - وكان صفوان على ساقة الناس - وأناخه على باب منزل النبي ﷺ ، فقال لأبي بكر : أنظر هل تفقد شيئاً من متاعك ؟ فنظر ، فقال . ما نفقد شيئاً إلا قعبا كنا نشرب به ، فقال الغلام : هذا القعب معي ، فقال أبو بكر رضي الله عنه أدي ألله عنك الأمانة .

حدثني يعقوب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبيرعن عيسى بن معمر ،

---

(١) (المغازي للواقدي) جـ٣ ص ١٠٩٣ .

(٢) الرَّوْحاء : من الفُرْع على نحو أربعين يوماً ، (معجم البلدان) جـ٣ ص ٧٦ .

(٣) المنصرف : موضع بين مكة وبدر بينهما أربعة بُردٌ (معجم البلدان) جـ٥ ص ٧٦ .

(٤) في (خ) « ثم صلى المغرب والعشاء بالمتعشى وتمشى به » وما أثبتناه رواية (الواقدي) .

(٥) الأثاية : موضع في طريق الجحفة بينه وبين المدينة خمسة وعشرون فرسخاً (معجم البلدان) جـ١ ص ٩٠ .

(٦) العَرْج : قرية جامعة في واد من نواحي الطائف (معجم البلدان) جـ٤ ص ٩٢ .

(٧) في (خ) « بن ميمون » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٣ ص ١٠٩٣ .

(٨) في (خ) « الأثابة » في المواضع كلها ، والتصويب من (معجم البلدان) و (المغازي) .

(٩) في (خ) « فلم ينشب » . وما أثبتناه من (المغازي) .

عن عباد بن عبد الله ، عن أسما بنت أبي بكر ، أن رسول الله ﷺ لما نزل بالعرج ، جلس معنا منزله ثم جاء أبو بكر فجلس إلى جَنْبِهِ ، فجاءت عائشة فجلست إلى جنبه الآخر ، وجاءت أسماء فجلست إلى جنب أبي بكر رضي الله عنه ، فأقبل غلام أبي بكر متسربلا ، فقال له أبو بكر ـ: أين بعيرك ؟ قال : أضلني ، فقام إليه يضربه ويقول : بعير واحد يضل منك ، فجعل رسول الله ﷺ يتبسَّم ويقول : ألا ترون إلى هذا المحرم وما يصنع ، وما ينهاه رسول الله ﷺ .

وحدثني أبو حمزة عن عبد الله بن سعد الأَسلمي عن آل نضلة الأسلمي[١] أنهم خُبِّروا[٢] أن زاملة رسول الله ﷺ ضلَّت فحملوا جَفْنَة من حيس ، فأقبلوا[٣] بها ، حتى وضعوها بين يدي رسول الله ، فجعل يقول : هَلُم يا أبا بكر ، فقد جاءك[٤] الله بغداء طيب ، وجعل أبو بكر يغتاظ على الغلام ، فقال النبي عليه السلام : هون عليك ، فإن الأمر ليس إليك ولا إلينا معك ، قد كان الغلام حريصا أن لا يضل بعيره ، وهذا أخلف[٥] مما كان معه، فأكل رسول الله وأهله وأبو بكر ، وكل من كان[٦] مع رسول الله حتى شبعوا – قال : وجاء سعد بن عبادة وابنه قيس بن سعد رضي الله عنه بزاملة تحمل زاداً يؤمان رسول الله ﷺ حتى يجد رسول الله واقفاً عند باب منزله ، قد أتي الله بزاملته ، فقال سعد : يا رسول الله ! قد بلغنا أن زاملتك أضلت مع الغلام[٧] ، وهذه زاملة مكانها ، فقال رسول الله ﷺ : قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما[٨] ، بارك الله عليكما ، أما يكفيك يا أبا ثابت ما تصنع بنا في ضيافتك منذ نزلنا بالمدينة ؟ قال : يا رسول الله ! المنَّة لله ولرسوله ، والله يا رسول الله ، للذي تأخذ من أموالنا أحب إلينا من الذي تدع ، قال صدقتم يا أبا ثابت ، أبشر فقد أَفْلَحْتَ ، إن الأخلاق بيد الله ، فمن أراد أن يمنحه منها خلقا صالحا منحه ، ولقد مَنَحَكَ الله خلقاً صالحاً ،

---

(١) في (خ) « الأسلميين » وما أثبتناه من (المغازي) جـ٣ ص ١٠٩٤ .
(٢) في (خ) « أخبروا » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٣) في (خ) « وأقبلوا » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٤) في (خ) « جاء » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٥) كذا في (خ) وفي (المغازي) « خلف » .
(٦) في (خ) « وكل ما كان يأكل » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٧) في (خ) « أضلت الغلام » وما أثبتناه من المرجع السابق .
(٨) في (خ) « بزامليكما » وما أثبتناه من المرجع السابق .

فقال سعد : الحمد لله [الذي][1] هو فعل ذلك ، قال ثابت بن قيس : يا رسول الله ، إن أهل بيت سعد في الجاهلية سادتنا ، والمطعمون في المحْل منا ، قال رسول الله ﷺ الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فَقهوا ، لهم[2] ما أسلموا عليه ، قال ابن أبي الزِّناد : يقول له جميل ذِكره .

وأما تواضعه وقربه

فخرج سعيد بن منصور وأبو بكر بن أبي شيبة من حديث أبي الأحوص عن مسلم الأعور عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويشهد الجنازة ويجيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، وكان يوم خيبر على حمار ، ويوم قريظة على حمار مخطوم[3] من ليف تحته إكاف[4] ليف .

وخرَّجه الترمذي من حديث علي بن مسهر[5] عن مسلم الأعور عن أنس بنحو هذا ، وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث مسلم عن أنس ؛ ومسلم الأعور يُضعَّف ، وهو مسلم بن كيسان الملائيُّ ، ذكره الترمذي في الجنائز[6] .

وخرَّج البخاري في الأدب المفرد من حديث ابن المبارك ، أخبرنا سلمى أبو قتيبة ، أخبرنا يونس بن أبي إسحٰق عن أبي إسحٰق قال : سمعت زيد بن أرقم يقول : رمدت عيني فعادني النبي ﷺ ثم قال : يا زيد ، لو أن عينك لما بها ، كيف كنتَ تصنع ؟ قال : كنتَ أصبر وأحتسب ، قال : لو أن عينك لما بها ثم صبرت واحتسبت كان ثوابك الجنة .

وخرَّج أيضاً من حديث حجاج بن منهال ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة آتي النبي ﷺ يوم ولد ، والنبي ﷺ

---

(١) زيادة من المرجع السابق .
(٢) في (خ) « له » .
(٣) مخطوم وهو الزمام الحبل من الليف .
(٤) الإكاف : هو كالسرج للفرس .
(٥) في (خ) « مبهر » .
(٦) (الشمائل المحمدية للترمذي) ص ١٧٣ حديث رقم ٣٢٥ ، (سنن الترمذي) جـ٢ ص ٢٤١ حديث رقم ١٠٢٢ ، (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١٣٩٨ حديث رقم ١٨٨ ، بنحو ذلك ، ومسلم بن كيسان هذا قال عنه أبو داود : ليس بشيء ، وقال النسائيُّ : ليس بثقة ، وقال ابن حبان : اختلط في آخر عمره فكان لا يدري ما يحدث به .. انظر (تهذيب التهذيب) جـ١ ص ١٣٥ ترجمة رقم ٢٤٧ .

في عباءة يهنو بعيراً له فقال : أمعك تمرات ؟ قلت : نعم ، فناولته تمرات فلاكهن ثم فَغَر فا الصبي ، فأوجدهن إياه ، فتلمظ الصَّبي فقال النبي ﷺ حب الأنصار ، وسماه عبد الله .

وخرج البخاري في الصحيح من حديث إبراهيم عن الأسود قال : سألت عائشة رضي الله عنها[1] ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله - (تعني خدمة أهله) - فإذا حضرت الصلاة . خرج النبي ﷺ ، ذكره في كتاب الصلاة ، وترجم عيه باب من كان في حاجة أهله ، وأقيمت الصلاة فخرج ، وذكره في كتاب النفقات ولفظه : سألت عائشة : ما كان النبي ﷺ يصنع في البيت ؟ قالت : في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج . وترجم عليه باب خدمة الرجل في أهله وذكره ، وذكره في كتاب الأدب ولفظه : ما كان النبي يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله ؟ فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة ، ترجم عليه كيف يكون الرجل في أهله[2] ؟ .

وخرج عبد الرزاق من[3] حديث الزهري ، وهشام بن عروة عن أبيه ، قال سأل رجل عائشة : أكان رسول الله ﷺ يعمل في بيته ؟ قالت : نعم كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ؟ ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته .

وقال معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن عمرة قالت : قيل لعائشة ما كان يعمل رسول الله ﷺ في بيته ؟ قالت : كان بشراً من البشر ، يُفَلّي ثوبه ويحلب شاته[4] ويخدم نفسه .

وخرج البخاري في كتاب الأدب من حديث هيثم ، أخبرنا حميد الطويل ، أخبرنا أنس قال : إن كانت الأمة من إماء لأهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت[5] .

---

(١) في (خ) « عنه » .

(٢) (صحيح البخاري بشرح الكرماني) جـ٢١ ص ١٨٦ حديث رقم ٥٦٦٨ .

(٣) في (خ) « بن حديث » .

(٤) في (خ) بعد قوله : « يحلب شاته » عبارة « ويُفَلّي ثوبه » وهو تكرار من الناسخ .

(٥) والمقصود من الأخذ بيده الأَمَة وهو الرفق والأنقياد ، يعني كان خلق رسول الله ﷺ بهذه المرتبة وهو أنه لو كان لأمة حاجة إلى بعض مواضع المدينة وتلتمس منه مساعدته في تلك الحاجة واحتاج =

وخرج مسلم من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم ، قال : أخبرنا سليمان ابن المغيرة عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء ، فما يؤتي بإناء إلا غمس يده فيها ، فربما جاءوه في الغداة البازدة فيغمس يده فيها[1] .

وخرج من حديث يزيد بن هارون عن عماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن امرأة كان في عقلها شيء فقالت : يا رسول الله ، إن لي إليك حاجة ، فقال : يا أم فلان ، انظري أى السكك شئت حتى أقضي إليك حاجتك ، فخلا معها في بعض الطرق حتى فرغت من حاجتها[2] .

وقال علي بن الحسين بن واقد عن أبيه قال : سمعت يحيى بن عُقيل يقول : سمعت عبد الله بن أبي أوفي يقول : كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ، ولا يستنكف أن يمشي مع العبد والأرملة حتى يفرغ لهم من حاجاتهم[3] .

وخرج الإمام أحمد عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ، وذكر الحديث .

أن يمشي معها لقضائها لما تخلف عن ذلك حتى قضى حاجتها . وفيه أنواع من المبالغة من جهة أنه ذكر المرأة لا الرجل ، والأَمَة لا الحرة ، وعمم بلفظ الإماء : أي أيَّ أمة كانت ، وبقوله : « حيث شاءت » من المكانات ، وعبر عنه بلفظ الأخذ باليد الذي هو غاية التصرف . (صحيح البخاري بشرح الكرماني) جـ٢١ ص ٢٠٦ كتاب الأدب حديث رقم ٥٧٠٠ .

(١) في (خ) « فيه » وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٨٢ « وفي هذه الأحاديث بيان بروزه ﷺ للناس وقربه منهم ليصل أهل الحقوق إلى حقوقهم ويرشد مسترشدهم ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيقتدي بها ، وهكذا ينبغي لولاة الأمور ، وفيها صبره ﷺ على المشقة في نفسه لمصلحة المسلمين وإجابته من سأل حاجته أو تبريكا بمس يده وإدخالها في الماء كما ذكروا ، وفيه التبرك بآثار الصالحين وبيان ما كانت الصحابة عليه من التبرك بآثاره ﷺ ، وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية ... وبيان تواضعه بوقوفه مع المرأة الضعيفة ، وقوله : « خلا معها في بعض الطرق » أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة و لم يكن ذلك الخلوة بالأجنبية فإن هذا كان في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها لكن لا يسمعون كلامها لأن مسألتها مما لا يظهره والله أعلم ، (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٨٣ ، ٨٣ .

(٣) (سنن الدارمي) جـ١ ص ٣٥ ونصه : « ... ولا يأنف ولا يستنكف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي لهما حاجتهما » .

وخرجه عن إسماعيل بن علبة عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس ، ورواه حماد بن زيد عن أيوب عن أنس (لم يذكر عمرو بن سعيد) .

وخرَّجَ البخاري من حديث علي بن الجعد قال : حدثنا شعبة عن شيبان بن أبي الحكم عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه مرَّ على صبيان فسلم عليهم[1] ، وأخرجه مسلم أيضاً وقال ابن لهيعة : حدثني عمارة بن غزية عن إسحٰق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس مع صبي .

وخرَّج البخاري في الأدب المفرد عن طريق وكيع عن معاوية بن أبي برد عن أبيه عن أبي هريرة قال : أخذ النبي ﷺ بيد الحسن أو الحسين ثم وضع قدميه فوق قدميه ثم قال شهق .

ومن طريق عبد الله بن صالح قال : حدثني معاوية بن صالح عن راشد عن يعلي بن مُرَّة أنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ ودعينا إلى طعام ، فإذا بحسين يلعب في الطريق ، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يديه ، فجعل يمر مرة ها هنا ، ومرة ها هنا يضاحكه ، حتى أخذه فجعل إحدي يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه ثم اعْتَنَقَهُ فقبَّله ، ثم [قال] : حسين مني وأنا منه ، أحبَّ الله من أحب الحسن والحسين ، سبطان من الأسباط .

ومن طريق ابن أبي فديك قال : حدثني هشام بن سعد عن نعيم المجمر عن أبي هريرة قال: ما رأيت حسنا إلا فاضت عيناي دموعاً ، وذلك أن النبي ﷺ خرج يوماً فوجدني في المسجد فأخذ بيدي ، فانطلقت معه ، فما كلمني حتى جئنا سوق بني قينقاع ، فطاف به ونظر ثم انصرف وأنا معه حتى جئنا المسجد ، فاحتبى ثم قال : أين لكاع ؟ أدع لكاعاً ، فجاء حسن يشتد فوقع في حجره ، ثم أدخل يده في لحيته ، ثم جعل النبي ﷺ يفتح فاه في فيه ثم قال : اللهم إني أحبه فأحببه ، وأحب من يحبه .

---

(١) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ٨٩ باب التسليم على الصبيان ، وأخرجه (مسلم) في باب السلام على الصبيان ، والترمذي في الاستئذان باب ما جاء في التسليم على الصبيان وقال : هذا حديث صحيح ، والنسائي ، أخرج ابن ماجة نحوه – عن حميد بن أنيس – في الأدب باب السلام على الصبيان ، وأبو داود في كتاب الأدب في باب السلام على الصبيان جـ٥ ص ٣٨٢ حديث ٥٢٠٢ ، ٥٢٠٣ بنحو .

وخرج الإمام أحمد من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال : يا محمد – يا سيدنا وابنِ سيدنا – وخيرنا وابن خيرنا ! فقال : رسول الله ﷺ : يا أيها الناس قولوا بقولكم ، لا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ، عبدُ الله وسوله ، والله ما أحب أن تعرفوني فوق منزلتي التي أنزلني الله . وخرجه النسائي بنحوه .

وروي النَّضْـر بن شميل عن شعبة عن قتادة قال : سمعت مُطرف بن عبد الله ابن الشخير عن أبيه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أنت سيد قريش ، فقال السيد الله ، فقال : أنت أعظمها فيها طَوْلاً ، وأعلاها فيها قَوْلاً ، فقال رسول الله ﷺ يا أيها الناس قولو بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان – وخرجه أبو داود والنسائي بنحوه أو قريبا منه .

وخرجه البخاري في الأدب المفرد من حديث مسدد ، أخبرنا بشر بـن المفضل ، أخبرنا أبو مسلمة عن أبي نضرة عن مطرف ، قال : إني انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ : فقالوا : أنت سيدنا ، فقال : السيد الله ، قالوا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طَوْلاً ، فقال : قولوا بقولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان[1] .

وللبخاري من حديث شعبة عن أبي إسحٰق عن البراء قال : رأيت رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل التراب وقد وارى التراب بطنه[2] .

(١) قوله : « السيد الله » ، يريد السؤدد حقيقة لله عزَّ وجلَّ ، وأن الخلق كلهم عبيده ، وإنما منعهم أن يدعوه سيداً ، مع قوله ﷺ : « أن سيد ولد آدم » وقوله لبني الخزرج – قبيلة سعد – : قوموا إلى سيدكم » – يريد سعد بن معاذ – من أجل أنهم قوم حديثوا عهد بالإسلام ، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة كهي أسباب الدنيا ، وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم ، ويسمونهم : « السادات » فعلمهم الثناء عليه وأرشدهم إلى الأدب في ذلك فقال : « قولوا بقولكم » يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم وادعوني نبيا ورسولا ، كما سماني الله عز وجل في كتابه فقال : ﴿ **يـٰأيها النبي** ﴾، ﴿ **يـٰأيها الرسول** ﴾ ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ، ولا تجعلوني مثلهم فإني لست كأحدهم ، إذْ كانوا يسودونكم بأسباب الدنيا ، وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة ، فسموني نبيا رسولا ، وقوله : « بعض قولكم » فيه حذف واختصار ، ومعناه . دعوا بعض قولكم واتركوه ، يريد بذلك الاقتصار في المقال وقوله : « لا يستجرينكم الشيطان » معناه لا يتخذنكم جرياً ، والجري : الوكيل ، ويقال : الأجير أيضاً : (معالم السنن للخطابي) جـ٥ ص ١٥٤ – ١٥٥ .

(٢) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ٣ ص ٢٣ ولفظه : « لما كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وراي عني الغبار جلدة بطنه ، وكان كثير الشعر فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ... » .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن سلمة عن حميد عن أنس قال : ما كان شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ ، وكانوا [إذا] رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك[1] .

وخرجه الترمذي ولفظه : لم يكن شخص ... ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وخرجه البخاري في الأدب المفرد .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن على بن رباح أن رجلاً سمع عبادة بن الصامت يقول : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه : قوموا نستغيث إلى رسول الله من هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ لا يقام إليَّ ، إنما يقام لله تبارك وتعالى .

وخرج من حديث معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن أنه ذكر رسول الله ﷺ فقال : لا والله ما كانت تغلق دونه الأبواب ، ولا يقوم دونه الحُجاب ولا يُغدى عليه بالجفان[2] ، ولا يراح عليه بها ، ولكنه كان بارزاً ، من أراد أن يلقي نبي الله لقيه ، كان يجلس بالأرض ، ويوضع طعامه بالأرض ؛ ويلبس الغليظ ، ويركب ويردف معه ، ويلعق والله يده[3] .

وقال جعفر بن عون : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس عن أبي مسعود ، أن النبي ﷺ كلم رجلاً فأرعد فقال : هوِّن عليك ، فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد . قال ابن الجوزي : وكذا رواه هاشم ابن عمرو الحمصي عن يونس عن إسماعيل عن قيس بن جرير ، كلاها وهَم ! والصواب : عن إسماعيل ، عن قيس مرسلاً عن النبي ﷺ . وذكر حديث حميد ابن الربيع قال : حدثنا هشيم ، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم

---

(١) وفي (الترغيب والترهيب) جـ٣ ص ٤٣١ : « وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من أحب أن يتمثل « له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » رواه أبو داود بإسناد صحيح والترمذي » وقال حديث حسن .

وقوله : « يتمثل » أي يقابل بتعظيم الوقوف ، قوله : « فليتبوأ »أي فليأخذ مكانه في جنهم استكباراً وجزاء غطرسته ، فالكبرياء والتعظيم لله وحده سبحانه .

(٢) الجفان : مفردها جفنة ، وهي القصعة الكبيرة يؤكل فيها .

(٣) (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٦٩ وفيه : « ويركب الحمار ويردف عبده ، ويعلف دابته بيده ﷺ».

أن رجلا أتى النبي ﷺ فلما قام بين يديه استقبلته رعدة ! فقال له النبي ﷺ : هَوِّن عليك ، فإني لستُ ملكاً ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد[1] .

قال : وكذلك رواه يحيى بن سعيد القطان ، وزهير بن أبي معاوية عن أبي خالد .

وخرَّج الحاكم من حديث عباد بن العوام عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال : أوتي النبي ﷺ برجل ترعد فرائصه ، قال : فقال له : هوِّن عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد في هذه البطحاء . ثم تلا جرير بن عبد الله البجلي ، ﴿ **وما أنت عليهم بجبار فَذَكِّرْ بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

وخرج ابن حيان من حديث أبي بكر بن أبي شيبة ، حدثنا عبيد بن سعيد ابن العاص الأموي عن علي بن زيد قال : قال أنس بن مالك . أن كانت الوليدة من ولائد المدينة تجيء فتأخذ بيد رسول الله فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت . وله من حديث شعبة عن علي بن زيد عن أنس : أن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ، فيدور بها في حوائجها حتى تفرغ ، ثم يرجع .

وله من حديث المحاربي عن عبيد الله بن الوليد الصافي عن عبد الله بن عبيد ابن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : كُلْ – جعلني الله فداك – متكئاً ، فإنه أهون عليك ، قال : لا ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد[2] .

وله من حديث أبي معشر عن سعيد المقبري ، عن عائشة قالت : قال رسول

---

(١) (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١١٠١ كتاب الأطعمة باب القديد حديث رقم ٣٣١٢ ولفظه : « هون عليك فإني لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد » .
قال أبو عبد الله : إسماعيل وحده وَصلهُ ، وفي الزوائد : هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات .
(ترعد) أرعد الرجل أخذته الرعدة ، والرعدة : الاضطراب . وأرعدت أيضاً فرائصه عند الفزع .
(الفرائص) واحداتها فريصة ، لحمة بين الجنب والكتف ترعد عند الفزع .
(القديد) هو اللحم المملح المجفف في الشمس : فعيل بمعني مفعول .

(٢) ونحوه (صحيح البخاري) جـ٣ ص ٢٩٤ باب الأكل متكئاً ، (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١٠٨٦ حديث رقم ٣٢٦٢ .

الله ﷺ : جاءني ملك فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول : إن شئت نبياً عبداً ، وإن شئت نبياً ملكاً ، فنظرت إلى جبريل عليه السلام ، فأشار إلَيَّ أن ضع نفسك ، فقلت نبياً عبداً[1] .

وخرَّج الحافظ أبو نعيم الأصبهاني من حديث أيوب بن نهيك قال : سمعت أبا حازم قال : سمعت ابن عمر رضي الله عنه يقول : لقد هبط عليَّ ملك من السماء ما هبط علي بني قبلي ، ولا يهبط على أحد بعدي – وهو إسرافيل – فقال : السلام عليك يا محمد ، وقال : أنا رسول ربك إليك ، أمرني أن أُخيّرك إن شئت نبياً عبداً ، وإن شئت نبياً ملكا ، فنظر إليَّ جبريل فأومأ إليَّ أن تواضع ، فقال النبي عند ذلك : نبياً عبداً ، فقال النبي ﷺ : لو أني قلت نبياً ملكاً ثم أمرت لصارتْ معي الجبال ذهباً . قال أبو نعيم : حديث غريب من حديث أبي حازم وابن عمر ، تَفرد به أيوب بن نهيك ، وأبو حازم مختلف فيه ، فقيل سلمة بن دينار ، وقيل محمد بن قيس المزني والله أعلم[1] .

وله من حديث أيمن بن نايل قال : سمعت قدامة بن عبد الملك قال : رأيت رسول الله ﷺ يرمي الجمرة على ناقة صهباء ، لا ضرب ولا طرد، ولا إليك إليك[2] .

وخرَج البخاري في الأدب المفرد من طريق الأعمش عن سلام بن شرحبيل

---

(١) وفي (البداية والنهاية) جـ٦ ص ٤٨ عن يعقوب بن سفيان : حدثني أبو العباس حيوة بن شريح ، أخبرنا بقية عن الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عباس قال : كان ابن عباس يحدث أن الله أرسل إلى نبيه ملكا من الملائكة معه جبريل ، فقال الملك لرسوله : « إن الله يخيرك بين أن تكون عبداً نبياً وبين أن تكون ملكا نبيا » فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له ، فأشار جبريل إلى رسول الله أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ : بل أكون عبداً نبيا ، قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً متكئا حتى لقي الله عزَّ وجلَّ .

وهكذا رواه البخاري في التاريخ عن حيوة بن شريح ، وأخرجه النسائي عن عمرو بن عثمان كلاهما عن بقية بن الوليد به ، وأصل هذا الحديث في الصحيح بنحو من هذا اللفظ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة – ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة – قال : جلس جبريل إلى رسول الله ﷺ فنظر إلى السماء فإذا ملك ينزل ، فقال جبريل : إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خُلق قبل الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد أرسلني إليك ربك : أفملكا نبيا يجعلك أو عبداً رسولا ؟ .

(٢) هو كما يقال : الطريق الطريق ، ويفعل بين يدي الأمراء ، ومعناه نحّ وأبعد وتكريره للتأكيد . (النهاية) جـ١ ص ٦٤ .

عن حبه بن خالد وسواء بن خالد[1] أنهما أتيا النبي ﷺ وهو يعالج حائطاً أو يناله ، فأعاناه .

وخرَّج الحاكم من حديث عبد الله بن أبي بكر المقدمي ، حدثنا ابن سليم عن ثابت عن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة ودنا منه على رحله متخشناً . قال هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

وله من حديث الحسن بن واقد ، حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رجلاً أتي النبي ﷺ بحمار وهو يمشي ، فقال : اركب يا رسول الله ، فقالا : إن صاحب الدابة أحق بصدرها[2] [إلا أن تجعله لي ، قال : قد فعلت][3] .

وأما رقته ورحمته ولطفه

فخرج مسلم من حديث سليمان بن المغيرة قال : حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ولد لي الليلة غُلامٌ فسميته باسم أبي إبراهيم ، ثم دفعته إلى أم سيف – امرأة قين[4] يقال له أبو سيف – فانطلق يأتيه واتَّبعتُه ، فانتهينا إلى أبي سيف وهو ينفخ بكيره ، قد امتلأ البيت دخاناً ، فأسرعت بين يدي رسول فقلت : يا أبا سيف ! أمسك جاء رسول الله ﷺ فأمسك ، فدعا النبي ﷺ فضمه إليه وقال ما شاء الله أن يقول ؛ فقال أنس لقد رأيته وهو يكيد بنفسه[5] بين يدي رسول الله ، فدمعت عَيْنا رسول الله ﷺ فقال : تدمع العين ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون[6] .

---

(١) حبه بن خالد أخو سواء الأسدي وقيل العامري وقيل الخزاعي ، عدادهما في أهل الكوفة ، لهما عندنا حديث واحد عن النبي ﷺ في عدم اليأس من الرزق رواه الأعمش عن سلام أبي شراحبيل عنهما . قلت : لم يروه عنهما غيره فيما قاله الأزدي (تهذيب التهذيب) جـ٢ ص ١٧٧ ترجمة رقم ٣٢٠ جـ٤ ص ٢٦٥ ترجمة رقم ٤٥٥ .

(٢) (المستدرك) جـ٢ ص ٦٤ وفيه « أحق بصدر دابته » .

(٣) زيادة من (المستدرك) و (سنن الدارمي) جـ٢ ص ٢٨٥ باب صاحب الدابة أحق بصدرها .

(٤) (القين بفتح القاف) : الحداد ، وفيه جواز تسمية المولود يوم ولادته ، وجواز التسمية بأسماء الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم . (٥) أي يجود بها ، ومعناه وهو في النزع .

(٦) فيه جواز البكاء على المريض والحزن ، وأن ذلك لا يخالف الرضا بالقدر بل هي رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وإنما المذموم الندب والنياحة والويل والثبور ونحو ذلك من القول الباطل ، ولهذا قال ﷺ ولا نقول إلا ما يرضي ربنا . (مسلم بشرح النووي) جـ١٤ ص ٧٤ – ٧٥ .

وخرَّج من حديث إسماعيل بن عُلية عن أيوب عن عمرو بن سعيد عن أنس ابن مالك قال : ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ ، قال : كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة[1] ، فكان ينطلق ونحن معه ، فيدخل البيت وإنه ليدخَّن ، وكان ظئره قيناً فيأخذه فيقبله ثم يرجع ، قال عمرو : فلما مات إبراهيم قال رسول الله ﷺ إن إبراهيم ابني وإنه مات في الثدي ، وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة .

وخرج البخاري[2] ومسلم[3] من حديث ابن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : تقبلون الصبيان ؟ فما نقبلهم ! فقال النبي ﷺ : أوَ أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة ؟ .

وفي لفظ مسلم عن عائشة قالت : قدم ناس من الأعراب على رسول الله فقال : تقبلون صبيانكم ؟ فقالوا نعم ؟ قالوا : لكننا ما نقبل ، فقال رسول الله ﷺ : وأملك إن كان الله قد نزع منكم الرحمة[4] ؟.

وقد خرجا[5] من حديث أنس : رويدك يا نجشة ، سوقك بالقوارير ، يعني

---

(١) أما العوالي : فالقرى التي عند المدينة ، وقوله : أرحم بالعيال ، هذا هو المشهور الموجود في النسخ والروايات ، قال القاضي : وفي بعض الروايات الصاد ، ففيه بيان كريم خلقه ﷺ ورحمته للعيال والضعفاء ، وفيه جواز الاسترضاع ، وقوله : وإنه مات في الثدي وإن ظئرين تكملان له رضاعه في الجنة ، معناه مات في الثدي أو في حال تغذيته بلبن الثدي ، وأما الظئر فبكسر الظاء مهموزة وهي المرضعة ولد غيرها ، وزوجها ظئر لذلك الرضيع ، فلفظة الظئر تقع على الأنثى والذكر ، ومعنى تكملان رضاعه أي تتمانه سنتين ، فإنه توفي وله ستة عشر شهراً أو سبعة عشر فترضعانه بقية السنتين فإنه تمام الرضاعة بنص القرآن » قال القاضي : واسم أبي سيف هذا : إلبراء ، واسم أم سيف زوجته : خولة بنت المنذر الأنصارية كنيتها : أم سيف وأم برده (المرجع السابق) ص ٧٦ .

(٢) (صحيح البخاري بشر الكرماني) جـ٢١ ص ٦٤ حديث رقم ٥٦٢٧ .

(٣) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٧٦ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٨٠ باب رحمته ﷺ للنساء والرفق بهن قال العلماء : سمي النساء قوارير لضعف عزائمهن تشبيهاً بقارورة الزجاج لضعفها وإسراع الإنسكار إليها ، واختلف العلماء في المراد بتسميتهن قوارير على قولين ذكرهما القاضي وغيره أصحهما عند القاضي وآخرين ، وهو الذي جزم به الهروي وصاحب « التحرير » وآخرون أن معناه : أن أنجشة كان حسن الصوت وكان يحدو بهن وينشد شيئاً من القريض والرجز وما فيه تشبيب ، فلم يأمن أن يفتنهن ويقع في قلوبهنُ حداؤه ، فأمره بالكف عن ذلك ، ومن أمثالهم المشهورة « الغنا رُقْية الزنا » ،قال القاضي : هذا أشبه بمقصوده =

النساء ، وفي لفظ : ويحك يا نجشة ، رويدك بالقوارير ، وفي آخر : يا أنجشة رويداً سوقك بالقوارير ، وفي آخر : أيا أنجشة رويداً سوقك بالقوارير .

وخرج البخاري في الأدب المفرد[1] عن طريق مبارك[2] عن ثابت عن أنس قال : كان النبي ﷺ إذا أتي بالشيء يقول : اذهبوا به إلى فلانة ، فإنها كانت صديقة خديجة ، اذهبوا به إلى بيت فلانة فإنها كانت تحب خديجة .

وقال الواقدي في مغازيه وقد ذكر فتح مكة : حدثني عبد الرحمن بن محمد عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال : لما سار رسول الله ﷺ من العَرْج ، رأى كلبة تهر على أولادها وهن حولها من ضعفها ، فأمر رجلاً من أصحابه يقال له جُعيل بن سُراقة أن يقوم حذاها ، لا يعرض لها أحد من الجيش ولا لأولادها[3] .

وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الرزاق ، أخبرنا معمر عن الزهري عن يحيى بن سعيد بن العاص عن عائشة أن النبي ﷺ استعذر أبا بكر من عائشة ، ولم يظن النبي ﷺ أن ينال منها بالذي نال منها ، فرفع أبو بكر يده فلطمها وصكَّ في صدرها ، فوجد من ذلك النبي ﷺ وقال : يا أبا بكر ، ما أنا بمستعذرك منها بعد هذا أبداً .

ﷺ وبمقتضى اللفظ ... » والقول الثاني : أن المراد به الرفق في السير لأن الإبل إذا سمعت الحُداء أسرعت في المشي واستلذّته فأزعجت الراكب وأتعبته فنهاه عن ذلك لأن النساء يُضْعَفْن عند شدة الحركة ، ويخاف ضررهن وسقوطهن ، وأما « ويحك » فبكذا وقع في مسلم ووقع في غيره ، « ويلك » ، قال القاضي : قال سيبويه : « ويل » : كلمة تُقال لمن وقع في هلكه ، و « ويح » زجر لمن أشرف على الوقوع في هلكة ، وقال الفراء : ويل وويح وويس بمعنى ... وفي هذه الأحاديث جواز الحداء – وهو بضم الحاء ممدود – وجواز السفر بالنساء واستعمال المجاز ، وفيه مباعدة النساء من الرجال ومن سماع كلامهم إلا الوعظ ونحوه .

(١) (الأدب المفرد) جـ١ ص ٣٢٠ حديث رقم ٣٣٢ ، وأخرجه الحاكم والبراء وابن حبان .

(٢) « مبارك » هو ابن فضالة البصري ، جالس الحسن البصري ثلاث عشر سنة أو أربع عشر سنة ، مات سنة ١٦٥ ، قال أحمد : ما روي عن الحسن يحتج به (فضل الله الصمد) هامش ص ٣٢٠ .

(٣) كذا في (خ) ، ورواية الواقدي : « لما سار رسول الله ﷺ من العرْج ، فكان فيما بين العرج والطلوب ، نظر إلى كلبة تهر على أولادها وهم حولها يرضعونها ، فأمر رجلا من أصحابه يقال له جُعبل ابن سُراقة أن يقوم حذاها ، لا يعرض لها أحدٌ من الجيش ولا لأولادها ، والطُّلوب : ماء في الطريق بين المدينة ومكة . (المغازي للواقدي) جـ٢ ص ٨٠٤ .

وأما حسن عهده عليه السلام

فخرج البخاري في المناقب من حديث الليث قال : كتب إليَّ هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة – هلكت قبل أن يتزوجني – لما كنت أسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب ، وإن كان ليذبح الشاه فَيُهدي في خلائلها منها ما يسعهن[١] .

وخرَّجه مسلم من حديث أبي أمامة قال : أخبرنا هشام عن أبيه عن عائشة قالت : ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة – ولقد هلكتْ قبل أن يتزوجني بثلاث سنين – لما كنت أسمعه يذكرها ، ولقد أمره ربه تبارك وتعالي أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، وأنه كان يذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها[٢] .

وخرَّجه البخاري من حديث أسامة بنحوه ، إلا أنه قال : ثم يهدي في خلتها منها . ذكره في كتاب الأدب[٣] .

وخرَّج أيضاً من حديث حفص عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ، ولكن كان يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد[٤] .

وفي لفظ : ما غرت على نساء النبي ﷺ إلا علي خديجة ، وإني لم أدركها ، قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول : أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة ، قالت : فأغضبته يوماً فقلت : خديجة !؟ فقال : إني رُزقت بحبها[٤] .

وخرَّج في حديث علي بن مُسْهِر عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله

---

(١) (صحيح البخاري) جـ٢ ص ٣١٥ باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٣٠٠ باب فضائل خديجة رضي الله عنها .

(٣) (صحيح البخاري بشرح الكرماني) جـ٢١ ص ١٦٧ كتاب الأدب ، باب حسن العهد من الإيمان حديث رقم ٥٦٣٣ وفيه : « حدثنا عبيد بن إسماعيل ، حدثنا أبو أسامة » ، وفي (خ) « من حديث أسامة » ولعله خطأ من الناسخ .

(٤) (مسلم بشرح النووي) جـ١٥ ص ٣٠١ باب فضائل خديجة رضي الله عنها .

عنها قالت : استأذنتْ هالةُ بنت خويلد - أخت خديجة - على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة ، فارتاع لذلك ، فقال : اللهم هالة . قالت : فَغِرتُ فقلت : وما تذكر من عجوز قريش ، حمراء الشِّدْقين هلكتْ في الدهر ، قد أبدلك الله خيراً منها[1] .

وخرَّج مسلم بمثله وقال : فارتاح لذلك فقال : اللهم هالة بنت خويلد[2] .

وخرَّج الحاكم من حديث أسد بن موسى ، حدثنا مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أتى بشيء يقول : اذهبوا به إلى فلانة فإنها كانت صديقة خديجة ، قال : هذا حديث صحيح الإسناد[3] .

ومن حديث عبد العزيز بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ كان يذبح الشاة فيتتبع بها صدائق خديجة بنت خويلد رضي الله عنها . قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم[3] .

ومن حديث عفان : حدثنا حماد بن سلمة عن ابن عمير ، عن موسى بن طلحة عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يُكثر ذكر خديجة ، فقلت : لقد أخلفك الله زوجاً ، وقال حماد : أعقبك الله عن عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين ، هلكت في الدهر الأول ، قالت : فتغير وجهه تغيراً ما كنت أراه إلا عند نزول الوحي وإذا رأى مخيلة الرعد والبرق ، حتى يعلم أرحمة هي أم عذاب . قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

وأما كراهته للمدح والإطراء

فخرج البخاري في كتاب الأنبياء من حديث سفيان قال : سمعت الزهري يقول : أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس ، سمع عمر رضي الله عنه يقول على المنبر : سمعت النبي ﷺ [يقول] : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله[4] .

---

(١) (صحيح البخاري) جـ٢ ص ٣١٦ باب فضائل خديجة رضي الله عنها .

(٢) (مسلم بشرح النووى) جـ١٥ ص ٢٠٢ وفيه « فأبدلك الله خيراً منها » .

(٣) (المستدرك) جـ٤ ص ١٧٥ كتاب البر والصلة .

(٤) (الشمائل المحمدية) ١٧٣ حديث رقم ٣٢٣ ، والإطْراء هو حسن الثناء أي لا تبالغوا في مدحي كما بالغت النصاري في مدح سيدنا عيسى، فجعلوه إلّها أو ابن إلّه .

وخرَّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه ، أن رجلا قال : يا محمد ، يا سيدنا وابن سيدنا ، ويا خيرنا وابن خيرنا ، فقال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس ، عليكم بقولكم ، ولا يستجرينا الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله .

وخرَّجه النسائي بنحوه وخرَّجه أيضا ولفظه عن أنس ، أن ناساً قالوا ، لرسول الله (الحديث) ، وقال فيه ، ولا يستهوينكم الشيطان ، وقال : التي أنزلنيها الله . ذكرهما في كتاب اليوم وليلة .

وخرَّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث غيلان بن جرير عن مطرف بن عبد الله عن أبيه قال : قدمنا علي رسول الله ﷺ في رهط من بني عامر فسلمنا عليه ، فقلتُ : أنت ولدنا وأنت سيدنا . وأنت أفضلنا علينا فضلاً ، وأنت أطولنا علينا طولاً ، وأنت الجفنة الغراء ، فقال : قولوا بقولكم ولا يستجرئنك الشيطان .

وخرجه النسائي بهذا الإسناد وقال : لا يستهوينكم الشيطان ، ولم يذكر قوله ، وأنت الجفنة الغراء .

وخرجه أبو داود من حديث سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن مطرف قال ، إني انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا ، أنت سيدنا ، قال : السيد هو الله ، قلنا : وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولاً ، قال : قولوا بقولكم أو بعض قولكم ، ولا يستجرئنكم الشيطان[1] .

وأما حلمه وصفحه ﷺ

فخرَّج الإمام أحمد من حديث جرير عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : ساءل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزدرعون فقيل : إن شئت أن تستأني بهم وإن شئت أن تعطيهم الذي ساءلوا ، فإن كفروا أهلكتهم كما أهلكت من قبلهم قال : بل استأني بهم .

---

(١) سبق تخريجه وشرح بعض ألفاظه ومعناه عند الكلام على تواضع النبي ﷺ وقربه .

وخرَّج البخاري من حديث شعيب ، حدثنا أبو الزناد أن عبد الرحمن قال : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قدم طفيل بن عمرو الدوسي وأصحابه على النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، إن دوساً عصت وأبت ، فادع الله عليها فقيل : هلكت دوس ، فقال : اللهم اهدِ دَوساً وَأْتِ بهم . ذكره في كتاب الجهاد ، وترجم عليه باب الدعاء للمشركين لتألفهم .

وذكره في كتاب الدعاء في باب الدعاء للمشركين ولفظه : قدم الطفيل ابن عمرو على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن دوساً قد عصت وأبت فادع الله عليها ، فظن الناس أنه يدعو عليهم ، فقال : اللهم اهدِ دَوساً وأت بهم . وذكره في آخر المغازي .

وخرَّجه مسلم من حديث المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قدم الطفيل وأصحابه فقالوا : يا رسول الله ، إن دوساً قد كفرت وأبت ، فادع الله عليها ، فقيل : هلكت دوس ، فقال : اللهم اهد دوساً وَأْتِ بهم .

وخرَّجه الإمام من حديث سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله ﷺ فقال : إن دوساً قد عصت وأبت ، فادع الله عليهم ، فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه ، فقال الناس . هلكوا ، فقال : اللهم اهد دوساً وَأْتِ بهم ، اللهم اهد دوساً وأْتِ بهم ، اللهم اهد دوساً وأْتِ بهم .

وخرَّج البخاري في كتاب الاستئذان ، ومسلم في الجهاد من حديث معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير ،أخبرني أسامة بن زيد أن النبي ﷺ ركب حماراً عليه إكاف تحته قطيفة فدكية ، وأردف وراءه أسامة وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج ، وذلك قبل وقعة بدر ، حتى مرَّ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود ، وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول ، وفي المجلس عبد الله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة ، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه ثم قال : لا تغبروا علينا ، فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال عبد الله بن أبي : أيها المرء لا أحسن

من هذا ، إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا ، وارجع إلى رحلك ، فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال[1] عبد الله بن رواحة : إغْشَنَا في مجالسنا فإنا نحب ذلك ، قال : فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى هموا أن يتواثبوا ، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم ، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال : أي سعد ، ألم تسمع ما قال أبو حُباب ؟ - يريد عبد الله بن أبي - قال : كذا وكذا ، قال : اعف عنه يا رسول الله واصفح ، فوالله لقد أعطاك الله الذي أعطاك ، ولقد اصطلح أهل هذه البحرة (وقال مسلم « البحيرة ») على أن يتوجوه فيعصبونه[2] بالعصابة ، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك ، « شَرِق بذلك ، فذلك[3] فعل به ما رأيت ، فعفا عنه النبي ﷺ » . وأخرجاه من حديث الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، وزاد مسلم : (وذلك قبل أن يسلم عبد الله) ، لم يذكر غير هذا .

وقال البخاري في حديث عقيل عن ابن شهاب عن عروة أن أسامة أخبره أن النبي ﷺ ركب على حمار على إكاف على قطيفة فدكية ، وأردف أسامة وراءه ، يعود سعد بن عبادة قبل وقعة بدر ، فسار حتى مرَّ بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ ابن سلول - وذلك قبل أنْ يُسْلِمَ عبد الله - وفي المجلس أخلاط .. (الحديث نحو ما تقدم) ، وفيه : يا أيها المرء لا أحسن مما تقول ، إن كان حقاً فلا تؤذونا به في مجالسنا ، وارجع إلى رحلك ؛ فمن جاءك فاقصص عليه ، قال ابن رواحة : بلى يا رسول الله ! فاغشنا به في مجالسنا ، فإنَّا نحب ذلك ... (الحديث) وفيه : حتى كادوا يتشاورون ، وقال : أهل هذه البحرة ، ولم يقل في آخره : فعفا عنه النبي ﷺ . ذكره في كتاب المرضى في باب عيادة المريض راكباً وماشياً وردفاً على الحمار .

وأخرجاه أيضاً من حديث شعيب بن أبي حمزة وابن أبي عقيق عن الزهري ، فذكره البخاري في كتاب التفسير وفي كتاب الأدب في باب كنية المشرك ، ولفظه : أن رسول الله ركب على حمار على قطيفة فدكية ، وأردف أسامة وراءه يعود سعد

---

(١) في (خ) « فقال » وما أثبتناه من رواية البخاري .

(٢) في (خ) « فعصبوه » وما أثبتناه من رواية البخاري .

(٣) في (خ) « فلذلك » وما أثبتناه من رواية البخاري .

ابن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر ، فسارا حتى مرَّا بمجلس فيه عبد الله بن أبيّ ابن سلول - وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي - وإذا في المجلس أخلاط الحديث .. (إلى آخره) ، وقال : حتى كادوا يتشاورون . وقال : أهل هذه البَحْرة . وقال في آخره بعد قوله فعفا عنه رسول الله : وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى ، قال الله عز وجل : ﴿ **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً** ﴾[1] ، وقال : ﴿ **وَدَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يَرُدُّونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم** ﴾[2] فكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو عنهم ما أمره الله به حتى أذن له فيهم ، فلما غزا رسول الله ﷺ بدراً ، وقتل الله بها من قتل من صناديد الكفار وسادة قريش ، فقفل رسول الله ﷺ وأصحابه منصورين غانمين ، معهم أسارى من صناديد الكفار وسادة قريش ، قال ابن أبيّ بن سلول ومن معه من المشركين وعَبَدة الأوثان : هذا أمر قد توحد ، فبايِعوا لرسول الله ، فبايَعوه .

وخرَّج البخاري ومسلم من حديث أبي أمامة عن عُبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابن عبد الله بن عبد الله ابنه إلى رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فقام عمر رضي الله عنه فأخذ بثوب رسول الله فقال : يا رسول الله أتصلِّي عليه وقد نهاك الله أن تُصلِّي عليه ؟ - ولفظ البخاري : وقد نهاك ربك أن تصلي عليه - فقال رسول الله ﷺ : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرةً ، وسأزيد على السبعين ، قال : إنه منافق ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره** ﴾[3] .

وذكره البخاري في كتاب التفسير ، وخرَّجه مسلم من حديث يحيى القطان عن عبيد الله بهذا الإسناد ونحوه ، وزاد قال : فترك الصلاة عليهم .

وخرَّجه البخاري في كتاب اللباس في باب لبس القميص ، من حديث يحيى ابن سعيد عن عبيد الله ، أخبرني نافع بن عبد الله قال : لما توفي عبد الله بن أُبيِّ جاء

---

(١) من الآية/ ١٨٦ آل عمران . (٢) من الآية ١٠٩ / البقرة . (٣) من الآية ٨٤ / التوبة .

ابنه إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه ، وصلِّ عليه واستغفر له ، فأعطاه قميصه وقال : إذا فرغت فآذنَّا ، فلما فرغ آذنه ، فجاء ليصلي عليه فجذبه عمر وقال : أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين ؟ فقال : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾[1] فنزلت : ﴿ **ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً** ﴾[2] ، فترك الصلاة عليهم .

وذكره في كتاب الجنائز وقال فيه : فقال آذنِّي أصلي عليه فآذنه ، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر .

وذكره في كتاب التفسير من حديث أنس بن عياض عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : لما توفي عبد الله بن أبيّ ، جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه فأمره أن يكفِّنه فيه ، ثم قام يصلي عليه ، فأخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثوبه وقال : تصلي عليه وهو منافق ، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم ؟ قال : إنما خَيَّرني الله أو أخبرني الله فقال : ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة** ﴾ ، فقال : سأزيدهُ على سبعين ، قال : فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلوا معه ، ثم أنزل عليه : ﴿ **ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره** ﴾ .

وخرَّج أيضاً من حديث الليث عن عقيل عن ابن شهاب : أخبرني عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما مات عبد الله ابن أبيّ ابن سلول ، دُعِي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فلما قام رسول الله وثبتُ إليه فقلت : يا رسول الله ! أتصلي على ابن أبيّ وقد قال يوم كذا ، كذا وكذا ؟ قال : أعدد عليه قوله . فتبسم رسول الله وقال : أخرِّ عَنِّي ياعمر ، فلما أكثرت عليه قال : إني خُيِّرتُ فاخترتُ ، لو أعلم أني إن زدتُ على السبعين يغفر له لزدتُ عليها ، قال : فصلي عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف ، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة[3] : ﴿ **ولا تُصَلِّ على أحد منهم مات أبداً** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وهم فاسقون** ﴾ ، قال : فعجبتُ بعدُ من جراءتي على رسول الله ﷺ

---

(١) من الآية ٨٠ / التوبة .
(٢) من الآية ٨٤ / التوبة .
(٣) براءة : من أسماء سورة التوبة .

يومئذ ، والله ورسوله أعلم . ذكره في الجنائز وفي التفسير ، وخرَّجه النسائيُّ في الجنائز ، وخرَّجه الإمام أحمد أيضاً .

وخرَّج أحمد من حديث يزيد بن هارون قال : أخبرنا حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه أن ثمانين رجلا من أهل مكة ، هبطوا على رسول الله ﷺ من التنعيم متسحلين يريدون غرَّة النبي ﷺ وأصحابه ، فأخذهم سلماً فاستحياهم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيدكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾[1]

وفي الصحيح : أن ملك الجبال بلَّغه عن الله تعالى تخييره بين أن يطبق على من كذبه الأخشبين ، فقال عليه السلام : بل أرجو أن يُخرج من أصلابهم من يعبد الله ، كما ستراه في ذكر من حدث عنه عليه السلام ، وتقدم ذكر خبر الأعرابي بالبُرد ، حتى أثر في عاتقه عليه السلام ، فضحك وأمر له بعطاء .

وخرَّج البخاري من حديث جَرير عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال : لما كان يوم حُنين ، آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة ، وأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك ، وأعطى أناساً من أشراف العرب وآثرهم يومئذٍ في القسمة ، فقال رجل : والله إن هذه لقسمةٌ ما عُدل فيها ، أو ما أرِيدَ بها وجه الله ، فقلتُ : والله لأخبرن النبي ﷺ فأتيته فأخبرته ، فقال : من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ رحِم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر .

وخرَّج مسلم من حديث مروان الفزاري عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله ، أدع على المشركين ، قال : إني لم أُبْعَث لعَّاناً وإنما بعثتُ رحمة . ذكره في كتاب البرِّ والصلة .

وقال القاسم بن سلام بن مسكين الأزديُّ : حدثني أبي قال : حدثنا ثابت البناني عن عبد الله بن رباح الأنصاري عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم أتى بالكعبة ، وأخذ بعضاد في الباب فقال : ما تقولون وما تظنون ؟ قالوا : نقول : أخٌ كريمٌ وابن عمٍّ حليم ، فقال رسول الله ﷺ : أقول كما قال يوسف ، ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم**

---

(١) الآية ٢٤ / الفتح .

الراحمين ﴾[1] ، فخرجوا كأنما نُشِروا من القيود ، قد دخلوا في الإسلام .

ولابن حبان من حديث ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن بعض آل عمر ابن الخطاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لما كان يوم الفتح أرسل رسول الله ﷺ إلى صفوان بن أمية وأبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام ، قال عمر : فقلت : قد أمكنني الله منهم ، فقال رسول الله ﷺ : مثلي ومثلكم كما قال يوسف لإخوته ، ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم** ﴾ ، فانفضحتُ حياءً من رسول الله ﷺ .

وله من حديث عبد الله بن المغيرة : قال مالك بن أنس ، حدثني يحيى بن سعيد عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جعل يقبِّض الناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال ، فقال له رجل يا نبي الله ! إعدل ، فقال : ويحك ، فن يعدلُ إذا لم أعدِلْ ؟ قد خبتُ وخسرتُ إن كنتُ لا أعدل ، فقال عمر رضي الله : ألا أضربُ عنقه فإنه منافق ؟ فقال : معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي .

وله من حديث معاذ بن هشام الدستواني قال : حدثنا أبي عن قتادة عن عقبة ابن وشاح الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال : أُتي النبي ﷺ بقليل من ذهب وفضة ، فجعل يقسمه بين أصحابه ، فقام رجل من أهل البادية فقال : يا محمد ! والله لقد أمرك الله أن تعدل ، فما أراك تعدل ، فقال : ويحك ، من يعدل عليك بعدي ؟ فلما وَلَّى قال رُدوه عليَّ رويداً .

وله من حديث أبي بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا إسماعيل بن عليه عن بُهز ابن حكيم عن أبيه عن جده ، أن أخاه أتى النبي ﷺ فقال : جيراني على ما أخذوا ، فأعرض عنه النبي ﷺ فقال : إن الناس يزعمون أنك نهيت عن البَغْي فلم تتحلى به ؟ فقال : إن كنت أفعلُ ذلك إنه لعليَّ وما هو عليكم ، خلُّوا عن جيرانه .

وله من حديث محمد بن إسحٰق عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : ابتاع رسول الله ﷺ جزوراً من أعرابي بوسق من تمر الدخيرة ، فجاء به إلى منزله ، فالتمس التمر فلم يجده في البيت ، قالت : فخرج إلى الأعرابي فقال : يا عبد

(١) الآية ٩٢ / يوسف .

الله ، إنا ابتعنا منك جزورك هذا بوسق من تمر الدخيرة ونحن نرى أنه عندنا فلم نجده ، فقال الأعرابي : واغدراه واغَدْراه ، فوكزه الناس وقالوا : لرسول الله ﷺ تقول هذا ؟ فقال : دعوه .

وله من حديث إبراهيم بن الحكم بن إبان قال : حدثني أبي عن عكرمة عن أبي هريرة أن أعرابياً جاء النبي ﷺ يستعينه في شيء فأعطاه شيئاً ثم قال : أحسنتُ إليك ؟ قال : لا ، ولا أجملت ! فغضب المسلمون فقاموا إليه ، فأشار إليهم أن كُفُّوا ثم قام فدخل منزله ، ثم أرسل الأعرابي فدعاه إلى البيت ، يعني فأعطاه فرضي ، فقال : إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك ، وقلتَ ما قلتَ وفي أنفس المسلمين شيء من ذلك ، فإن أحبَبْتَ فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يديَّ حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك ، قال : نعم ، فلما كان الغد أو العشي جاء ، فقال رسول الله ﷺ : إن صاحبكم هذا كان جائعاً فسألنا فأعطيناه ، فقال ما قال ، وإنَّا دعوناه إلى البيت فأعطيناه ، فزعم أنه قد رضي ، أكذاك ؟ قال نعم ، فجزاك الله من أهل عشيرة خيراً ، فقال النبي ﷺ : ألا إن مثلي ومثل هذا الأعرابي ، كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فأتْبَعَها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً ، فناداهم صاحب الناقة : خلُّوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها ، فتوجه لها صاحب الناقة بين يديها فأخذ لها مِن قمام[1] الأرض فجاءت فاستناخت فشدَّ عليها رحلها واستوى عليها ، ولو أني تركتكم حين قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار .

وله من حديث الأعمش عن يزيد بن حبان عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : سحر النبيَّ ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياماً ، فأتى جبريل عليه السلام فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ، فعَقد ذلك عُقَداً ، فأرسل رسول الله ﷺ علياً رضي الله عنه فاستخرجها فجاء بها ، فجعل كلما حلَّ عُقَدةً وجد لذلك خِفَّةً ، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال ــ ، فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط .

وله من حديث علي بن زيد بن جدعان ، عن سعيد بن المسيب عن أنس قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما سبَّني سبَّةً قط ، ولا ضربني ضربةً ولا

(١) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (الشفا) جـ١ ص ٧٣ .

انتهرني ولا عبس في وجهي ، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه ، فإن عاتبني أحد من أهله قال : دعوه فلو قُدِّر شيءٌ كان . وقد تقدم حديث أنس هذا ؛ ولكن أوردته لما في حديث ابن حبان هذا من الزيادة المفيدة .

وله أيضاً من حديث الوليد بن مسلم قال : حدثنا محمد بن حمزة بن يوسف قال : حدثني أبي عن جدي قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله عز وجل أراد هَدْي زيد بن سعنة[1] ، قال : زيد : ما من علامات النبوة شيء إلا قد عرفته في وجه محمد سوى اثنَتَيْن لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فكنت أنطلق إليه لأخالطه وأعرف حلمه ، فخرج يوماً ومعه علي ابن أبي طالب ، فجاءه رجل كالبدوي فقال : يا رسول الله ، إن قرية بني فلان أسلموا ، وحدثتهم أنهم إن أسلموا أتتهم أرزاقهم رغداً ، وقد أصابتهم سَنَةٌ وشِدَّة ، وإني مشفق عليهم أن يخرجوا من الإسلام ، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء يعينهم ، قال زيد بن سعنة ، فقلت ؛ أنا أبتاع منك بكذا وكذا وسقاً ، فأعطيته ثمانين ديناراً فدفعها إلى الرجل وقال : اعجل عليهم بها فأعنهم ، فلما كان قبل المحل بيوم أو يومين أو ثلاث ، خرج رسول الله ﷺ إلى جنازة في نفر من أصحابه ، فجبذتُ رداءَه جبذة شديدة حتى سقط عاتقه ، ثم أقبلت بوجه جهم غليظ فقلت : ألا تقضيني يا محمد ، فوالله ما علمتكم يا بني عبد المطلب لَمُطْل ، فارتعدتْ فرائص عمر بن الخطاب كالفلك المستدير ، ثم أومي ببصره إلَيَّ وقال ، أي عدوَّ الله ! أتقول هذا لرسول الله وتصنع به ما أرى وتقول ما أسمع ؟ فوالذي بعثه بالحق لولا ما أخاف فوته لسبقني رأسُك،ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في تؤدة وسكون ، ثم تبسم وقال : لأنا أحوج إلى غير هذا : أن تأمرني بحُسن الأداء وتأمره بحسن اتباعه ، إذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر ، فقلتُ : ما هذا ؟ قال أمرني رسول الله أن أزيدك وكان ما دعتك : فقلتُ : أتعرفني يا عمر ؟ قال : لا فمن أنت ؟ قلْتُ: أنا زيد بن سعنة ، قال : الحَبْرَ ؟قلت الحَبْرَ ، قال : فما دعاك إلى أن تفعل برسول الله ما فعلت وتقول له ما قلت ؟ قلت : يا عمر ، إنه لم يبق من علامات النُّبوَة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله حين نظرت إليه إلا اثنتان لم أخبرهما منه : يسبق حلمه جهله ،ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فقد

---

(١) في (خ) « ثعنة » والتصويب من المرجع السابق جـ١ ص ٦٣ .

اختبرتهما منه ، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، وأُشْهِدُكَ أن شطر مالي لله ، فإني أكثرها مالاً صدقةً على أمة محمد ﷺ ، فقال عمر رضي الله عنه : أوْ على بعضهم فإنك لا تسعهم كلهم ، قلت : أو على بعضهم ، قال : فرجع عمر وزيد بن سعنة إلى رسول الله ﷺ فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فآمن به وصدَّقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة .

وخرجه الحاكم من حديث الوليد بن مسلم به نحوه ، وقال : هذا حديث صحيح .

وقال الحارث بن أبي أسامة : حدثنا محمد بن سعد ، أخبرنا يزيد بن هارون ، أخبرنا جرير بن حازم ، حدثني من سمع الزهريَّ يحدث أن يهودياً قال : ما كان بقي شيء من نعت رسول الله ﷺ في التوراة إلا ورأيتُه إلا الحلم ، وإني أَسْلَفْتُهُ ثلاثين دينارً إلى أجل معلوم ، فتركته حتى إذا بقي من الأجل المعلوم يوم أتيته ، فقلت : يا محمد أوفني حقي ، فإنكم معاشر بني عبد المطلب مُطْل ، فقال عمر رضي الله عنه : يا يهودي أجننت ؟ أما والله لولا مكانه لضربت الذي فيه عيناك ، فقال رسول الله ﷺ : غفر الله لك يا أبا حفص ، نحن كنا إلى غير هذا منك أحوج : إلى أن تكون أمرتني بقضاء ما عليَّ ، وهو إلى أن تكون أعنته في قضاء حقه أحوج ، قال : فلم يزده جهلي عليه إلا حلماً ، قال : يا يهودي ، إنما يحل حقك غداً ، ثم قال يا أبا حفص ، إذهب به إلى الحائط الذي كان سألك أول يوم ، فإن رضيه فأعطه كذا وكذا صاعا ، وزده لما قلتَ له كذا وكذا صاعا ، وإن لم يرض فأعطه ذلك من حائط كذا وكذا ، فأتي به الحائط فرضى ، وأعطاه رسول الله ﷺ وما أمره من الزيادة ، فلما قبض اليهودي تمره قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنه رسول الله ، وإنه والله ما حملني على ما رأيتني صنعتُ يا عمر إلا إني كنت رأيت في رسول الله صفاته في التوراة كلَّها إلا الحلم ، فاختبرتُ حلمه اليوم على ما وصف في التوراة ، وإني أشهد أن هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين ، فقال عمر: فقلتُ : أو بعضهم ، فقال : أو بعضهم وأسلم أهل بيت اليهود كلهم إلا شيخاً كان له مائة سنة ، فبقي على الكفر .

وقال إسرائيل عن السدي عن الوليد بن أبي هاشم عن زيد بن زايدة عن عبد الله

ابن مسعود رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ : لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً ، فإني أحب أن أخرج إليكم وإني سليم الصدر . فقال : فأتاه مال فقسمه ، فانتهيتُ إلى رجلين يتحدثان وأحدهما يقول لصاحبه : والله ما أراد محمد بقسمته التي قسم وجه الله والدار الآخرة ، قال : فَتثبتُّ حتى سمعتها ، ثم أتيت النبي ﷺ فذكرت له ذلك ، فقلتُ : إنك قلت : لا يبلغني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً ، وإني سمعتُ فُلاناً وفُلاناً يقولان كذا وكذا ، قال ، فاحمرَّ وجهه وقال : دعنا منك فقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر .

وخرج مسلم من حديث زيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ادعُ الله على المشركين ، قال : إنما لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة . انفرد بإخراجه مسلم .

وقال سفيان بن الحسن عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ إنما أنا رحمة مُهداة .

وقال الواقدي في مغازيه وقد ذكر فتح مكة : وأمر رسول الله ﷺ بقتل جماعة فذكرهم إلى أن قال : وأما هبار بن الأسود فإن رسول الله ﷺ كان كلما بعث سرية أمرها بهبار إن أخذ أن يحْرَق بالنار ، ثم قال : إنما يعذِّب بالنار ربُّ النار ، اقطعوا يديه ورجليه إن قدرتم عليه ثم اقتلوه ، فلم يُقْدر عليه يوم الفتح ، وكان جُرمه أنه عَس[1] بابنة النبي ﷺ زينب ، وضرب ظهرها بالرمح - وكانت حُبْلي - حتى أسقطت فأهدر النبي ﷺ دمه ، فبينا رسول الله ﷺ جالس بالمدينة في أصحابه ، إذا طلع هبار بن الأسود - وكان لسناً - فقال : يا محمد : اسُب من سبك ، إني قد جئت مُقِراً بالإسلام : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فقبل منه رسول الله ﷺ فخرجت سلمى مولاه النبي ﷺ فقالت : لا أنعم الله بك عيناً ، أنت الذي فعلت وفعلت ، فقال : إن الإسلام محا ذلك ، ونهى رسول الله ﷺ ، عن سبه والتعريض له[2] .

[ثم قال][3] : حدثني هشام بن عمارة عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم

(١) في (خ) « نخس » وما أثبتناه من رواية الواقدي في (المغازي) جـ٢ ص ٨٥٧ .
(٢) في (خ) « والتعرض » وما أثبتناه من (الواقدي) جـ٢ ص ٨٥٨ .
(٣) زيادة للسياق .

عن أبيه عن جده قال : كنت جالساً مع النبي ﷺ في أصحابه في مسجده منصرفه من الجعرانة ، فطلع هبار بن الأسود ، قال[1] : قد رأيته فأراد بعض القوم القيام إليه ، فأشار إليه النبي ﷺ أن اجلس ، ووقف عليه هبار فقال : السلام عليك يا رسول الله ، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، ولقد هربت منك في البلاد ، وأردت اللحوق بالأعاجم ثم ذكرت عائدتك وفضلك وبرك وصفحك عن من جهل إليك[2] ، وكنا يا رسول الله أهل شرك بالله فهدانا بالله بك ، وأنقذنا بك من الهلكة ، فاصفح عن جهلي وعما كان يَبْلغك عني ، فإني مقر بسيئاتي[3] معترف بذنبي ، فقال رسول الله ﷺ ، قد عفوت عنك ، وقد أحسن الله بك حيث هداك للإسلام ، والإسلام يَجُبُّ ما قبله .

[ثم قال] : حدثني واقد بن أبي ياسر عن يزيد بن رومان قال : قال الزبير ابن العوام رضي الله عنه : ما رأيت رسول الله ﷺ ذكر هَباراً قط إلا تَغَيَّظ عليه ، ولا رأيتُ رسول الله ﷺ بعث سرية قط إلا قال : إن ظفرتم بهبار فاقطعوا يديه ورجليه ثم اضربوا عنقه ، والله لقد كنت أطلبه وأسأل عنه ، والله يعلم لو ظفرتُ به قبل يأتي إلى رسول الله لقتلته ثم طلع على رسول الله ﷺ وأنا عنده جالس ، فجعل يعتذر إلى رسول الله يقول ، سُبَّ يا محمد من سبَّك وَأوذي[4] من آذاك ، فقد كنتُ موضِعاً في سبِّك وأذاك وكنتُ مخذولاً وقد بصَّرني[5] الله وهداني للإسلام . قال الزُّبير : فجعلتُ أنظر إلى رسول الله ﷺ وإنه ليطأطيء رأسه استحياءً منه مما يعتذر هبار ، وجعل رسول الله ﷺ ، يقول : قد عفوتُ عنك ، والإسلام يجبُّ ما كان قبله ، وكان لَسِناً ، وكان يُسَبُّ حتى يُبلغ منه فلا ينتصف من أحد ، فبلغ رسول الله ﷺ حملُه وما يحمل عليه من الأذي ، فقال هبار[6] : سُبَّ من سبَّك .

---

(١) كذا في (خ) ونص الواقدي: « فطلع هبار بن الأسود من باب رسول الله ﷺ ، فلما نظر إليه القوم قالوا : يا رسول الله ، هبار بن الأسود ، قال رسول الله ﷺ : قد رأيته .... » .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (الواقدي) « جهل عليك » .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (الواقدي) « بسوء فعلي » .

(٤) في (خ) « وآذي » وما أثبتناه من (الواقدي) .

(٥) في (الواقدي) « نصرني » .

(٦) في (خ) « يا هبار » .

وأما شفقته ومداراته

فقال تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[1] ، قال السمرقندي فيما نقل القاضي عياض ، ذكَّرهم الله تعالى مِنَّتَهُ أنه جعل رسوله رحيماً بالمؤمنين ، رءوفاً ليِّن الجانب ، ولو كان فظاً خشناً في القول لتفرقوا من حوله ، لكن جعله الله سمحاً سهلا ، طلقاً براً لطيفاً . هكذا قال الضحاك .

وخرج البخاري من حديث سليمان بن بلال قال : حدثني شريك بن عبد الله ، سمعت أنس بن مالك يقول : ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ ، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمّه .

وخرَّجه مسلم من حديث إسماعيل بن جعفر عن شريك عن أنس أنه قال ؛ ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم صلاة من رسول الله ﷺ (لم يزد على هذا) .

وخرَّجا من حديث سعيد بن أبي عَروبة عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وَجد أمّه من بكائه . ترجم عليه باب من أخف صلاته عند بكاء الصبي ، وذكر في هذا الباب في رواية أبي محمد الحموي وأبي الهيثم الكشميني حديث سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال : إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز لما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه .

وخرَّج البخاري من حديث الأوزاعي عن يحي بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه عن النبي ﷺ قال : إني لأقوم في الصلاة ، وإني أريد أن أطوِّل فيها . (الحديث) . مثله ذكره في باب خروج النساء إلى المساجد .

ولمسلم من حديث يحيى بن يحيى قال : أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ يسمع بكاء الصبي مع أمه وهو في الصلاة ، فيقرأ بالسورة الخفيفة أو بالسورة القصيرة .

---

(١) من الآية ١٥٩ / آل عمران .

وله من حديث عبد الله بن وهب قال : أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال : أخبرني عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل فصلى في المسجد ، فصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس يتحدثون بذلك ، فاجتمع أكثر منهم فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية فصلوا بصلاته ، فأصبح الناس يذكرون ذلك ، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله ، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فطفق منهم رجال يقولون : الصلاة ، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما قضى الصلاة أقبل على الناس ثم تشهد وقال ، أما بعد ، فإنه لم يَخْفَ عني شأنكم الليلة ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها .

وخرَّجه البخاري بنحوه ، وزاد في آخره ، فتوفي رسول الله والأمر على ذلك ، ذكره في باب فضل من قام رمضان ، وفي كتاب الجمعة في باب من قال في الخطبة بعد الثناء ، أما بعد ، غير أنه لم يذكر الزيادة ، وقال في بعض الموضعين : أما بعد ، فإنه لم يخف عليّ مكانكم .

وخرَّج البخاري ومسلم وأبو داود والنسائيُ من حديث مالك عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ صلى في ذات ليلة في المسجد فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى من القابلة فكثر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فلما أصبح قال ، قد رأيت الذي صنعتم ، ولم يمنعنى من الخروج إليكم إلا إنني خشيت أن تفرض عليكم ، قال : وذلك في رمضان . ذكره البخاري في باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب ولم يقل فيه أبو داود : والرابعة . ذكره في باب قيام شهر رمضان[1] ، وذكر بعده متصلا به حديث محمد بن إبراهيم عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن عن عائشة قالت : كان الناس يصلون في المسجد في رمضان أوزاعاً[2] ، فأمرني رسول الله ﷺ فضربت له حصيراً فصلى فيه رسول الله بهذه

---

(١) (سنن أبي داود) جـ٢ ص ١٠٤ حديث رقم ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ وأخرجه (البخاري) في الصوم باب فضل من قام رمضان (ومسلم) في الصلاة باب في قيام رمضان وهو التراويح ، (والنسائيُ) في قيام الليل باب قيام شهر رمضان .

(٢) أوزاعاً : متفرقين ومن هذا قولهم : وزعَّت الشيء إذا فرقته ،«فه إثبات الجماعة في قيام رمضان،

القصة ، قالت[1] فيه : قال : - يعني النبي ﷺ - أيها الناس ، أما والله ما بتُّ ليلتي هذه بحمد الله غافلاً ، ولا خفي علي مكانكم .

وللبخاري من حديث يحي بن سعيد الأنصاري عن عمرة عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يصلى من الليل في حجرته - وجدار الحجرة قصير - فرأى الناس شخص النبي ﷺ فقام ناس يصلون بصلاته ، فأصبحوا فتحدثوا بذلك ، فقام الليلة الثانية ، فقام معه أناس يصلون بصلاته ، صنعوا ذلك ليلتين أو ثلاثاً حتى إذا كان بعد ذلك ، جلس رسول الله ﷺ فلم يخرج ، فلما أصبح ذكر ذلك الناس فقال : إني خشيت أن تكتب عليكم صلاة الليل ، ذكره في باب إذا كان بين الإمام وبين القوم حائط أو سُتْرة .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث معمر عن الزهري ، عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يترك العمل وهو يحب أن يعمله كراهية أن يستن الناس به فيفرض عليهم ، وكان يحب ما خفف من الفرائض .

وخرَّج مسلم من حديث حماد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رجل للنبي ﷺ : أين أبي ؟ قال : في النار ! فلما رأى ما في وجهه قال : إن أبي وأباك في النار . إنفرد بإخراجه مسلم[2] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث يزيد بن هارون قال : حدثنا سليم بن عامر عن أبي أمامة قال : إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، ائذن لي بالزنا ! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مَهْ مَهْ ، فقال : أدنه ، فَدَنَا منه قريباً ، قال : فجلس ، قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله ، يا رسول الله جعلني الله فداك ، قال ولا الناس يحبونه لبناتهم ، قال : أفتحبه لأختك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم ، قال : أفتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله ، جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال أفتحبه لخالتك ؟

= وفيه إبطال من زعم أنها محدثة (معالم السنن) جـ٢ ص ١٠٤ (هامش) .

(١) في (خ) « وقال » وما أثبتناه من (سنن أبي داود) .

(٢) الحديث أخرجه مسلم في الإيمان بلفظ « فلما قفا الرجل دعاه فقال : « إن أبي وأباك في النار » ، قفا : ولي قفاه منصرفاً (صفة الصفوة) جـ١ ص ١٧٢ باب ذكر حلمه وصفحه ﷺ .

قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1] .

وخرَّج مسلم من حديث ابن وهب قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن بكر ابن سوادة حدثه عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ تلى قول الله عز وجل : ﴿ **إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني** ﴾ وقال عيسى عليه السلام : ﴿ **إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فرفع يديه ثم قال : اللهم أمتى أمتى ، وبكى ، فقال الله عز وجل : يا جبريل ، اذهب إلى محمد – وربك أعلم – فسله ما يبكيك ، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره بما قال الله تعالى : فقال الله تعالى : يا جبريل ، إذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمتك ولا نسُؤك .

وخرَّج البخاري من حديث همام ، حدثنا إسحٰق بن أبي طلحة عن أنس ، أن النبي ﷺ رأى أعرابياً يبول في المسجد ! فقال : دعوه ، حتى إذا فرغ دعا بماء فصبه عليه . ترجم عليه ؛ باب ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله .

وخرَّجه مسلم من حديث عكرمة بن عمار قال : حدثنا إسحٰق بن أبي طلحة قال : حدثني أنس بن ملك – وهو عم إسحٰق – قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ ! فقال رسول الله ﷺ ، لا تزرموه لا تزرموه[2] ، دعوه ، فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، وإنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن – أو كما قال رسول الله – قال : فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فصبَّه عليه .

وأخرجاه من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري أنه سمع أنس بن مالك يذكر أن أعرابياً قام إلى ناحية في المسجد فبال فيها ، فصاح به الناس ، فقال رسول الله

---

(١) (مسند أحمد) جـ٥ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢) أزرمه : قطع عليه بوله (ترتيب القاموس) جـ٢ ص ٤٤٨ .

ﷺ ، دعوه فلما فرغ أمر رسول الله بذنوب فصب عليه . اللفظ لمسلم .

ولفظ البخاري قال : جاء أعرابي فبال في طائفة المسجد فزجره الناس ، فنهاهم النبي ﷺ ، فلما قضى بوله أمر النبي ﷺ بذنوب من ماء فأهريق عليه . ذكره في باب صب الماء على البول في المسجد .

وخرَّج البخاري ومسلم والنَّسائيُّ من حديث حماد بن زيد عن ثابت عن أنس ، أن أعرابياً بال في المسجد فقام إليه بعض القوم ، فقال رسول الله ﷺ : دعوه ، ولا تزرموه ، فلما فرغ دعا بدلو من ماء فصبَّه عليه . لفظهما فيه سواء . وقال النسائيُّ بعد قوله : لا تزرموه ، لا تقطعوا بوله ، وفي لفظ للبخاري ؛ أن أعرابياً بال في المسجد فقاموا إليه : فقال رسول الله : لا تزرموه ، ودعا بدلو من ماء فصب عليه . ذكره في كتاب الأدب ، في باب الرفق في الأمر كله .

وخرَّج البخاري والنسائيُّ من حديث الزهري قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود أن أبا هريرة قال : قام أعرابي في المسجد فبال : فتناوله الناس ، فقال لهم النبي ﷺ دعوه وأهريقوا على بوله سجلا من ماءٍ أو ذنوباً من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا مُعَسِّرين . ذكره البخاري في باب صب الماء على البول في المسجد وخرَّجه في كتاب الأدب ولفظه : أن أبا هريرة أخبره أن أعرابياً بال في المسجد فثار إليه الناس ليقعوا به ، فقال لهم رسول الله ، دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً من ماء أو سجلاً من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين . ذكره في باب قول النبي ﷺ يَسِّروا ولا تعسِّروا ، وكان يحب التخفيف واليسر على الناس .

وخرَّج أبو داود والترمذي من حديث سفيان بن عُيَيْنَة عن الزهري عن سعيد عن أبي هريرة ، أن أعرابياً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس ، فصلى ركعتين ثم قال : اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم منا أحداً ! فقال النبي ﷺ : لقد تحجَّرت واسعاً ، ثم لم يلبث أن بال في المسجد ، فأسرع الناس إليه فنهاهم النبي ﷺ وقال : إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين ، صبوا عليه سجلا من ماء ، أو قال : ذنوباً من ماء[1] وقال الترمذي : أهريقوا عليه سجلا من ماء أو دلواً من ماء ، وقال

---

(١) (مسند الحميدي) جـ٢ ص ٤١٩ حديث رقم ٩٣٨ ولفظه :
« ... أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : دخل أعرابي المسجد والنبي ﷺ جالس ، قال :

فيه : فلما فرغ قال . وقال أبو عيسى : هذا حديث صحيح .

قال مؤلفه : ذكر البخاري قول الأعرابي : اللهم ارحمني ومحمداً ، وقول النبي ﷺ له ، ولم يذكر فيه أنه بال في المسجد .

وخرَّج مسلم من حديث سفيان بن عُيينة عن ابن المنكدر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا[1] استأذن على رسول الله ﷺ فقال : ائذنوا له فبئس أخو العشيرة ، فلما دخل عليه ألان له القول ، قالت عائشة : فقلتُ يا رسول الله ! قلتَ الذي قلتَ ثم ألنتَ له القول ؟ قال يا عائشة إن شرَّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة ، من تركه الناس اتقاء فُحشه .

وخرَّج مسلم من حديث يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء ابن يسار عن معاوية بن الحكم قال : بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ ، إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله : فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكْل أُمَّاه ! ما شأنكم تنظرون إليَّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فعرفت أنهم يصمتونني ، لكني سكتُّ ، فلما صلى رسول الله ﷺ - فبأبي وأمي - ما رأيت مُعَلِّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما نهرني[2] ولا ضربني ولا شتمني ، ثم قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن - أو كما قال رسول الله ﷺ - قلتُ : يا رسول الله ! إني حديث عهد بجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام ، وإن منا رجالا يأتون الكهَّان ، قال : فلا تأتهم ، قال : ومنا رجالٌ يتطيرون ، قال : ذلك شيء يجدونه في صدروهم فلا

فقام، فصلى، فلما فرغ من صلاته قال : اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحداً ، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فقال : لقد تحجرت واسعا ، فما لبث أن بال في المسجد ، فأسرع الناس إليه فقال رسول الله ﷺ : أهريقوا عليه سجلا من ماء أو دلواً من ماء ، ثم قال إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين .

(١) هو عيينه بن حصن الفزاري - الذي يقال له الأحمق المطاع - وكان إذ ذاك من أهل النفاق ولذا قال فيه الرسول ﷺ ما قال ليتقي شره ، وهذا ليس بغيبة بل نصيحة للأمة ، وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وحضر بعض الفتوحات وقد اعتبر العلماء قول النبي ﷺ فيه وهو غائب وإلانته له وهو حاضر من باب المداراة والتآلف .

(٢) في رواية أبي داود جـ١ ص ٥٧٠ باب تشميت العاطس في الصلاة حديث رقم ٩٣٠ « ما كهرني » ومعناه ما انتهرني ولا غلظ لي ، وقيل الكهر : استقبال الإنسان العبوس ، وقرأ بعض الصحابة « فأما اليتيم فلا تكهر » (معالم السنن للخطابي) .

يصدنكم ، قال : ومنا رجال يخطون ، قال : كان نبي من الأنبياء يخط ، فمن وافق خطه فذاك ، قال : وكانت لى جارية ترعى غنماً قبل أحد والجوانية ، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم ، آسف كما يأسفون ، لكني صككتها صكَّة ، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك عليّ ، فقلت : يا رسول الله ، أفلا أعتقها ؟ قال : ائتني بها ، فأتيته بها : فقال لها أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : رسول الله ، قال اعتقها فإنها مؤمنة . وخرَّجه أبو داود قريباً منه ، ذكره في باب تشميت العاطس [في الصلاة] وفيه ، قلت : يا رسول الله ، إنا حديث عهد بجاهلية وقد جاءنا الله بالإسلام ، ومنا رجال يأتون الكهان ، قال : فلا تأتونهم . وقال : فلا يصدنهم ، وقال فيه ، قلت : جارية لي كانت ترعي غنيْمات قبل أحد والجوانية ، إذا طلعت عليها إطلاعة .. الحديث[1] .

---

(١) وفي هذا الحديث من الفقه أن الكلام ناسياً في الصلاة لا يفسد الصلاة وذلك أن النبي ﷺ عَلّمه أحكام الصلاة وتحريم الكلام فيها ثم لم يأمره بإعادة الصلاة التي صلاها معه وقد كان تكلم بما تكلم به ، ولا فرق بين من تكلم جاهلا بتحريم الكلام عليه وبين من تكلم ناسياً لصلاته في أنَّ كل واحد منهما قد تكلم ، والكلام مباح له عند نفسه .

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة ؛ فمن قال يبني على صلاته إذا تكلم ناسيا أو جاهلا الشعبي والأوزاعي ومالك والشافعي وقال النخعي وحماد بن أبي سليمان وأصحاب الرأي : إذا تكلم ناسياً استقبل الصلاة ، وفرق أصحاب الرأي بين أن يتكلم ناسيا وبين أن يسلم ناسيا ، فلم يوجبوا عليه الإعادة في السلام كما أوجبوها عليه في الكلام .

وقال الأوزاعي : من تكلم في صلاته عامداً بشيء يريد به إصلاح صلاته لم تبطل صلاته ، وقال في رجل صلى العصر فجهر بالقرآن ، فقال رجل من ورائه إنها العصر ، لم تبطل صلاته ، وفي الحديث دليل على أن المصلي إذا عطس فشمته رجل فإنه لا يجيبه .

واختلفوا إذا عطس وهو في الصلاة هل يحمد الله ؟ فقالت طائفة : يحمد الله .

روي عن ابن عمر أنه قال العاطس في الصلاة يجهر بالحمد ، وكذلك قال النخعي وأحمد بن حنبل : وهو مذهب الشافعي إلا أنه يستحب أن يكون ذلك في نفسه .

وقوله « يصمتوني » ومثله يسكتوني : معناه يطلبون منى أن أسكت ، وقد حذف نون الرفع وقريء كما في قوله تعالى : ﴿ **قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون** ﴾ بنون واحدة مخففة .

وقوله في الطيرة « ذلك شيء يجدونه في صدورهم » يريد أن ذلك شيء يوجد في النفوس البشرية وما يعتري الإنسان من قبل الظنون والأوهام من غير أن يكون له تأثير من جهة الطباع أو يكون فيه ضرر كما كان زعمه أهل الجاهلية .

وقوله: « ومنا رجال يخطون » فإن الخط عند العرب فيما فسره ابن الأعرابي أن يأتي الرجل العرّاف =

وخرَّجه النَّسائي أيضاً وفي حديث لأبي داود من طريق فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال : لما قدمت على رسول الله ﷺ علمني أُموراً من أمور الإسلام ، فكان فيما عُلِّمت : أن قيل لي : إذا عطست فاحمد الله ، وإذا عطس العاطس فحمد الله فقل : يرحمك الله ، قال : فبينما أنا قائم مع رسول الله ﷺ في الصلاة ، إذا عطس رجلٌ فحمد الله ، فقلتُ : يرحمك الله – رافعاً بها صوتي – فرماني الناس بأبصارهم حتى احتملني ذلك ، فقلت : ما لكم تنظرون إلي بأعين شُزْر ؟ قال : فسبَّحوا ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : من المتكلم ؟ قيل : هذا الأعرابي ، فدعاني رسول الله ، فقال : إنما الصلاة لقراءة القرآن وذكر الله عز وجل ، فإذا كنت في الصلاة فليكن ذلك شأنك ، فما رأيت معلماً قط أرفق من رسول الله .

وخرَّج البخاري ومسلم والنسائي من حديث إسماعيل بن إبراهيم بن عليه قال : حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن مالك بن الحويرث قال : أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً ، فظن أنَّا قد اشتقنا إلى أهلنا فسألنا عن من تركنا من أهلنا فأخبرناه ، فقال : ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم ، وعلموهم وبروهم ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ثم ليؤمكم أكبركم ، اللفظ لمسلم .

ولفظ البخاري : عن أبي قلابة عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : أتينا

وبين يديه غلام فيأمره بأن يخط في الرمل خطوطا كثيرة وهو يقول : ابني عيان أسرعا البيان ، ثم يأمره أن يمحو منها اثنين اثنين ، ثم ينظر إلى آخر ما بقي من تلك الخطوط ، فإن كان الباقي منها زوجا فهو دليل الفلح والظفر . وإن كان فردا فهو دليل الخيبة واليأس .

وقوله : « فمن وافق خطه » فذلك يشبه أن يكون أراد به الزجر عنه وترك التعاطي له إذا كانوا لا يصادفون معنى خط ذلك النبي لأنه خطه كان علما لنبوته » وقد انقطعت نبوته فذهبت معالمها .

قوله : « آسف كما يأسفون » معناه : أغضب كما يغضبون ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ **فلما آسفونا انتقمنا منهم** ﴾ .

وأما قول النبي ﷺ : اعْتِقْها فإنها مؤمنة ، و لم يكن ظهر له من إيمانها أكثر من قوله حين سألها : أين الله ؟ فقالت : في السماء وسألها : من أنا فقالت : رسول الله ﷺ . فإن هذا السؤال عن أمارة الإيمان ، وسمة أهله ، وليس بسؤال عن أصل الإيمان وصفته وحقيقته ، ولو أن كافراً يريد الانتقال من الكفر إلى دين الإسلام فوصف من الإيمان هذا القدر الذي تكلمت به الجارية لم يصر به مسلماً حتى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، ويتبرأ من دينه الذي كان يعتقده . (معالم السنن) .

رسول الله ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظن أنا اشتقنا إلى أهلنا وسألنا عمن تركنا في أهلينا ، فأخبرناه - وكان رفيقاً رحيماً - فقال : ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم وبروهم وصلوا كما رأيتموني أصلي ، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، ثم ليؤمكم أكبركم . ذكره في كتاب الأدب في باب رحمة الناس .

وأخرجاه أيضاً من حديث عبد الوهاب الثقفي وحماد بن زيد عن أيوب قال : قال لي أبو قلابة : يا مالك بن الحويرث أبو سليمان ، قال : أتيت رسول الله ﷺ وناسٌ ونحن شببة متقاربون ، وأقمنا جميعاً .. الحديث بنحو حديث ابن علية .

وذكره البخاري أيضاً في باب ما جاء في إجازة خبر الواحد ، من حديث عبد الوهاب ، وذكره في كتاب الصلاة في باب إذا استووا في القراءة فليؤمهم أكبرهم من حديث حماد بن زيد عن أيوب ، وذكره في باب من قال : ليؤذن في السفر مؤذن واحد من حديث وُهَيْب عن أيوب .

وأخرجاه من حديث خالد الحذَّاء عن أبي قلابة ، وذكره البخاري في باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة ، وذكره في باب اثنان فما فوقهما جماعة مختصراً .

وخرَّج ابن حبان والبخاري في الأدب المفرد من طريق أبي نعيم ، حدثنا ابن الغسيل عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد قال : لما أن أصيب أكحلي بعد يوم الخندق وثقل ، حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة - وكانت تداوي الجرحى - فكان النبي ﷺ إذا مرَّ به يقول : كيف أمسيت ؟ وإذا أصبح يقول : كيف أصبحت ؟ فيخبره .

وخرَّج الحاكم من حديث شعبة عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عليَّ قال : قدم على النبي ﷺ سبى فأمرني ببيع أخوين فبعتهما وفرَّقت بينهما ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال : أدركهما فارتجعهما وبعهما جميعاً ولا تفرق بينهما . قال الحاكم : هذا حديث غريب صحيح على شرط الشيخين .

وخرج ابن حبان من حديث يحيى بن أبي بكير العبدي قال : حدثنا عباد ابن كثير عن ثابت عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ إذا فقد الرجل من أصحابه ثلاثة أيام سأل عنه ، فإن كان غائباً عاله ، وإن كان شاهده زاره ، وإن كان مريضاً

عاده .

وبلغ من مداراة رسول الله ﷺ أنه وَجد قتيلا من أصحابه بين اليهود فلم يحف عليهم ، بل حملهم على مُرِّ الحق ، وجاد بأن وداه بمائة من الإبل وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد .

وخرَّج مسلم من حديث مالك قال : حدثني أبو ليلي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سهل عن سهل عن أبي خَثْمة أنه أخبر عن رجال من كبراء قومه أن عبد الله بن سهل ومحيصة خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم ، فأتي محيصة فأخبر أن عبد الله بن سهل قد قتل وطُرح في فقير أو عين ، فأتي يهود فقال : أنتم والله قتلتموه ، قالوا : والله ما قتلناه ، فأقبل حتى قدم على قوم وذكر لهم ذلك ، ثم أقبل هو وأخوه حويصة - وهو أكبر منه - وعبد الرحمن بن سهل ، فذهب محيصة ليتكلم - وهو الذي بخيبر - فقال رسول الله ﷺ لمحيصة : كبِّر كبِّر (يريد السن) فتكلم حويصة ثم تكلم محيصة ، فقال رسول الله ﷺ أما أن تَدُوا[1] صاحبكم وإما أن تؤذنوا بحرب ، فكتب رسول الله ﷺ في ذلك ، فكتبوا : إنا والله ما قتلناه ، فقال رسول الله لحويصة ومحيصة وعبد الرحمن : أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم ، قالوا : لا ، قال : فتحلف لكم يهود ؟ قالوا : ليسوا بمسلمين . فوداه[2] رسول الله ﷺ من عنده فبعث إليهم مائة ناقة حتى أدخلت الدار ، فقال سهل : فقد ركضتني منها ناقة حمراء . وخرَّجه في كتاب الأحكام ، ولم يقل حمراء . وخرَّجه أبو داود في باب القتل بالقسامة[3] . وخرَّجه النسائي في كتاب الأحكام وفي القسامة[3] .

وكان من حسن مداراته ﷺ أن لا يذم طعاماً ولا يَنه خادماً كما تقدم بطُرقه .

وخرَّج الحاكم من حديث يزيد بن هارون : أخبرنا جرير بن حازم قال : سمعت محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب يحدث عن عبد الله بن شداد بن الهادِ عن أبيه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدي صلاتي النهار - الظهر أو العصر -

---

(١) أي تدفعوا ديته لأوليائه .

(٢) وداه : دفع ديته .

(٣) القسامة : - بفتح قاف وتخفيف سين مهملة - مأخوذة من القسم ، وهي اليمين ، وهي في عرف الشرع حلف يكون عند التهمة بالقتل ، أو هي مأخوذة من قسمة الأيمان على الحالفين (سنن النسائيّ بحاشية السندي وشرح السيوطي) ، جـ٨ ص ٢ . كتاب القسامة .

وهو حامل الحسن ، فتقدم فوضعه عند قدمه اليمني ، فسجد رسول الله ﷺ سجدة أطالها ، فرفعْتُ رأسي فإذا رسول الله ﷺ ساجد ، وإذا الغلام راكب ظهره ، فعدتُ فسجدتُ ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قال ناس : يا رسول الله ! لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها ، أشيءٌ أمِرْتَ به أو كان يوحي إليك ؟ فقال : كل ذلك لم يكن ، ابني ارتحلني فكرهتُ أن أعلجه حتى يقضي حاجته[١] .

وأما اشتراطه على ربه أن يجعل سبه لمن سب من أمته أجراً

فخرَّج البخاري من كتاب الدعاء من حديث يونس عن ابن شهاب : أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : اللهم فأيّما مؤمن سببتُه فاجعل ذلك له قربة إليك يوم القيامة[٢] .

وخرَّج مسلم بنحوه وقال فأيما عبد . وله من حديث ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال : حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اللهم إني اتخذتُ عندك عهداً لن تخلفنيه ؛ فأيّما مؤمن سببتُه أو جلدتُه فاجعل ذلك كفارة له يوم القيامة[٣] .

وله من حديث جرير عن الأعمش عن أبي الضحي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل على رسول الله ﷺ رجلان فكلماه بشيء لا أدري ما هو ، فأغضباه فلعنهما وسبَّهما ، فلما خرجا قلت : يا رسول الله ! من[٤] أصاب من الخير شيئاً ما أصابه هذان ؟ قال وما ذاك ؟ قلتُ : لعنتهما وسببتهما ! قال : أو ما علمت ما شارطتُ[٥] عليه ربي قلت : اللهم إنما أنا بشر [فأيُّما أحد من][٦] المسلمين لعنته أو سببته ، فاجعله له زكاة وأجراً .

---

(١) (المستدرك للحاكم) جـ٣ ص ١٦٦ باختلاف يسير وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٢) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ١٠٧ .

(٣) (مسلم بشرح النووي) جـ١٦ ص ١٥٣ .

(٤) في (خ) « لمن » وما أثبتناه من رواية (مسلم) .

(٥) في (خ) « شرطت » وما أثبتناه من رواية (مسلم) .

(٦) كذا في (خ) ورواية مسلم : « فأيّ المسلمين » .

وخرَّجَه من حديث علي بن حجر السعدي وإسحٰق بن إبراهيم وعلي ابن خشرم عن عيسى بن يونس عن الأعمش بهذا الإسناد نحو حديث جرير وقال فيه : فَخَلَوْا به فسبَّهما ولعنهما وأخرجهما[1] .

وله من حديث عبد الله بن نُمير قال : حدثنا أبي ، حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : اللهم إنما أنا بشر ، فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة[1] .

وخرَّجه البخاري من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مثله ، إلا أن فيه : زكاة وأجراً .

وله من حديث المغيرة عن عبد الرحمن الحزامي عن أبي الزناد[2] عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : اللهم إني اتخذ عندك عهداً لن تخلفنيه ؛ فإنما أنا بشر ، فأي المؤمنين آذيته ، شتمتهُ ، لعنته ، جلدته ، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة[3] .

وله من حديث الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولي النصريين قال : سمعت أبا هريرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر ، وإني اتخذتُ عندك عهداً لن تخلفنيه ؛ فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته ، فاجعلها له كفَّارةً وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة[4] .

وله من حديث جريج : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنه [يقول][5] : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما أنا بشر ، وإني اشترطت على ربي عز وجل أيُّ عبد من المسلمين سببته أو شتمته أن يكون ذلك له زكاة وأجراً .

وخرَّج مسلم أيضاً من حديث عكرمة بن عمَّار قال : أخبرنا إسحٰق بن عبد الله بن أبي طلحة قال : حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت عند

---

(١) المرجع السابق ١٥١ .
(٢) في (خ) « أبي الدرداء » وما أثبتناه من رواية مسلم .
(٣) المرجع السابق ص ١٥٣ .
(٤) (مسلم بشرح النووي) جـ١٦ ص ١٥٣ .
(٥) زيادة من المرجع السابق .

أم سُلَيْم يتيمة – وهي أم أنس – فرأى رسول الله ﷺ اليتيمة فقال : آنتِ هِيَهْ[1] ، لقد كبرت لا كبُر سنُّك ، فرجعت اليتيمة إلى أم سليم تبكي ، فقالت أم سليم : مالك يا مُنَيَّمة ؟ قالت الجارية : دعا[2] عليَّ نبي الله ألا يكبرِ سني ! فالآن لا يكبر سني أبداً ، أو قالت : قرني ، فجرت أم سليم مستعجلة تلوثُ خمارها حتى لقيتْ رسول الله ﷺ فقال لها : ما لك ياأم سليم ؟ فقالت : يا نبي الله ؟ أدعوت عليَ يتيمتي ؟ قال : وما ذاك يا أم سليم ؟ قالت : زَعَمتْ أنك دعوت عليها أن لا يكبر سنها ولا يكبر قرنها ، قال[3] : فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : يا أم سليم ، أما تعلمين أن شرطي على ربي أني اشترطتُ على ربي فقلتُ : إنما أنا بشر ، أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر : فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها[4] له طهوراً وزكاة وقربة يُقربها[5] بها يوم القيامة . انفرد بإخراجه مسلم[6] .

وخرَّج الإمام أحمد[7] من حديث ابن أبي ذؤيب قال : حدثني محمد بن عمر ابن عطاء عن ذكوان مولى عائشة عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخلت على النبي ﷺ بأسير فلهوت عنه فذهب : فجاء النبي ﷺ فقال : ما فعل الأسير ؟ قالت : لهوتُ عنه مع النسوة فخرج ، فقال : ما لك ؟ قطع الله يدك ! فخرج فأذن به الناس فطلبوه ، فجاء به فدخل عليَّ وأنا أقلب يدي فقال : أجننت ! قلت : دعوت عليَّ فأنا أقلب يدي أنظر أيهما يقطعان ، فحمد الله وأثنى عليه ثم رفع يديه مداً وقال : اللهم إني بشر ، أغضب كما يغضب البشر ، فأيما مؤمن أو مؤمنة دعوت عليه فاجعله له زكاة وطهوراً .

وله من حديث محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة أن عائشة قالت : إن أمداد

---

(١) بفتح الباء وإسكان الهاء وهي هاء السكت .

(٢) في (خ) « وهي » .

(٣) في (خ) « قالت » .

(٤) في (خ) « تجعلها » .

(٥) في (خ) « نقربه » .

(٦) (مسلم بشرح النووي) جـ١٦ ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، انظر أيضاً : (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٤٥ ، ٤٦ حديث رقم ٤٦٥٩ وفيه : « أيما رجل من أمتي سببته أو لعنته لعنة في غضبي فإنما أنا من ولد آدم أغضب كما يغضبون ، وإنما بعثني رحمة للعالمين فأجعلها عليهم صلاة يوم القيامة » .

(٧) (مسند أحمد ابن حنبل) جـ٢ ص ٣٩٠ ، ٤٨٨ ، ٤٩٦ ، جـ٣ ص ٣٣٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩١ ، ٤٠٠ ، جـ٥ ص ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، جـ٦ ص ٤٥ .

العرب كثُروا على رسول الله ﷺ : وقام إليه المهاجرون يعرجون عنه حتى قام على عتبة عائشة فرهقوه فأسلم رداءه في أيديهم ووثب عن العتبة فدخل فقال : اللهم العنهم ، فقالت عائشة : يا رسول الله ! هلك القوم ، فقال : كلا والله : يابنت أبي بكر ، لقد شرطت على ربي شرطاً لا تُخلف له فقلت : إنما أنا بشر : أضيق بما يضيق به البشر : فأي المؤمنين بدرتْ إليه مني بادرة فاجعلها له كفارة .

وأما مزاحه وملاعبته

فخرَّج الترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا ، قال : إني لا أقول إلا حقاً[1] . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

وخرَّج أبو داود[2] والترمذي[3] والبخاري[4] في الأدب المفرد من حديث خالد عن حميد عن أنس رضي الله عنه أن رجلا أتي النبي ﷺ فقال يا رسول الله احملني ، فقال رسول الله ﷺ إنا حاملوك على ولد ناقة ، قال : وما أصنع بولد ناقة ؟ فقال : النبي ﷺ : وهل تلد الإبل إلا النّوق ؟.

وخرَّج أبو داود من حديث يونس عن أبي إسحٰق عن العَيْزَار بن حُريث عن النعمان بن بشير قال : استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة – رضي الله عنه – عالياً ، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال : ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ، فجعل النبي ﷺ يحجزه ، وخرج أبو بكر مُغْضَباً ، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر : كيف رأيتني أنقذتك من الرجل ؟ قال : فمكث أبو بكر رضي الله عنه أياماً ، ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا : فقال لهما : أدخلاني في سِلمكما كما أدخلتماني في حربكما ، فقال النبي ﷺ: قد فعلنا قد فعلنا[5].

(١) (الشمائل المحمدية) ص ١٢٠ ولفظه « قال : نعم . غير أني لا أقول إلا حقا » . (سنن الترمذي) جـ٣ ص ٢٤١ باب ما جاء في المزاح حديث رقم ٢٠٥٨ ، ومعني قوله : « إنك تداعبنا » إنما يعنون أنك تمازحنا .

(٢) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٧٠ حديث رقم ٤٩٩٨ .

(٣) (سنن الترمذي) جـ٣ ص ٢٤١ حديث رقم ٢٠٦٠ (الشمائل المحمدية) ص ١٢٠ .

(٤) (الأدب المفرد) جـ١ ص ٣٥٩ حديث رقم ٢٦٨ .

(٥) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٧١ حديث رقم ٤٩٩٩ .

وله من حديث بشر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني عن عوف بن مالك الأشجعي قال : أتيت رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم فسلمت فردّ وقال : أدخل ، فقلت : أَكُلِّي يا رسول ؟ قال : كُلُّك ، فدخلت ، قال عثمان ابن أبي العاتكة ، إنما قال أدخل كلي من صِغَر القُبَّة[1] .

وخرَّج أبو داود والترمذي من حديث شريك عن عاصم عن أنس قال : ربما قال لي النبي ﷺ : ياذا الأذنين ، يمازحه . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب[2] .

وله من حديث المبارك بن فضالة عن الحسن قال : أتت عجوز للنبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، أدع الله أن يدخلني الجنة ، فقال : يا أم فلان ، إن الجنة لا يدخلها عجوز ، قال : فولَّتْ تبكي ، فقال : أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ، إن الله يقول : ﴿ **إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً** ﴾[3] .

وخرَّج عبد الرزاق عن معمر عن ثابت عن أنس أن رجلا من أهل البادية كان اسمه زاهراً أو حزام بن حجال : وكان يُهدى إلى النبي ﷺ الهدية من البادية فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج ، فقال النبي ﷺ إن زاهراً بادينا[4] ونحن حاضروه[5] ، قال : وكان النبي ﷺ يحبه وكان رجلا دميماً[6] : فأتاه النبي ﷺ يوماً وهو يبيع متاعه ، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره ، فقال : أرسلني ، من هذا ! فالتفت فعرف النبي ﷺ فجعل لا يألو[7] ما ألصَق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه : وجعل النبي ﷺ يقول : من يشتري العبد ؟ فقال : يا رسول الله ! إذن والله تجدني كاسداً ، فقال النبي ﷺ : لكن عند الله لستَ بكاسد ، أو قال :

---

(١) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٧٢ حديث رقم ٥٠٠٠ ، ٥٠٠١ .
(٢) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٧٢ حديث رقم ٥٠٠٢ .
(٣) (الشمائل المحمدية) ص ١٢١ ، ١٢٢ ، والآيات ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ من سورة الواقعة ، وقيل إن هذه العجوز هي صفية بنت عبد المطلب .
(٤) أي : نستفيد منه ما يستفيد الرجل من باديته ، والبادي : هو المقيم بالبادية .
(٥) أي حاضرو المدينة له ، وهذا من حسن المعاملة تعليما لأمته في متابعة هذه المجاملة .
(٦) أي قبيح الصورة مع كونه مليح السيرة .
(٧) أي لا يقصر .

لكن عند الله أنت غالٍ .

وخرَّج أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مُفرِّج الأندلسي في كتابه في تسمية من روي عن مالك بن أنس من حديث عبد الله بن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : مازح النبي ﷺ رجلا فقال : ضرب الله عنقك ، فقال : في سبيله يا رسول الله ! قال في سبيله .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث سفيان عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فسبقني فقال : هذه بتيك[1] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث أبي حفص المعيطي قال : حدثنا هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم و لم أبدن ، فقال للناس : تقدموا فتقدموا ثم قال : تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقته ، فسكت عني حتى حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره ، فقال للناس تقدموا فقدموا ، فقال تعالي حتى أسابقك ، فسابقته فسبقني ، فجعل يضحك ، وهو يقول هذه بتلك[1] .

وخرَّج أبو بكر الشافعي من حديث يحيى بن سعيد القطان عن الصلت ابن الحجاج عن عاصم الأحول عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعائشة رضي الله عنها ذات يوم : ما أكثر بياض عينيك !

وله من حديث ابن المبارك قال : حدثنا حميد الطويل عن ابن أبي الورد عن أبيه أن النبي ﷺ رآه ، قال : فرآى رجلا أحمر فقال : أنت أبو الورد ؟

ولأبي بكر بن أبي شيبة من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ﷺ يدْلع لسانه للحسن بن علي ، فيرى الصَّبِيُّ حُمرة لسانه فيهش إليه .

ولابن حبان من حديث ابن لهيعة عن عبد الله بن المغيرة قال : سمعت عبد

---

(١) (مسند أحمد) جـ٦ ص ٣٩ ، ١٢٩ ، ١٨٢ ، ٢٦١ ، وأخرجه ابن ماجه في النكاح باب حسن معاشرة النساء ، ونسبه النسائيُّ للمنذري ، وأبو داود في سننه جـ٣ ص ٦٥ باب في السبق على الرِّجل حديث رقم ٢٥٧٨ .

الله بن يزيد قال : حدثنا إسماعيل بن أبي داود عن طفيل بن سنان عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ إني لأمزح ولا أقول ألا حقاً .

وقال ﷺ للصبي : يا أبا عمير ! ما فعل النغير ؟

وقال شعبة : حدثني علي بن عاصم عن خالد الحذّاء عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت في النبي ﷺ دُعابة .

وقال ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن إسحـٰق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس قال : كان النبي ﷺ من أفكه الناس .

وقال خالد الحذاء عن أبي قلابة عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان مزّاحاً : وكان يقول : إن الله لا يؤاخذ المزّاح الصادق في مزاحه .

وقال وهب بن جرير عن أبيه قال : سمعت زيد بن أسلم يحدث أنَّ خَوَّات ابن جبير قال[1] : نزلت مع رسول الله ﷺ مرّ[2] الظهران فخرجت من خبائي ، فإذا نسوة يتحدثن فأعجبنني ، فرجعت فأخرجت حلّة لي من عَيْبَتِي فلبستها ثم جلست إليهن فخرج رسول الله ﷺ من قبته فقال[3] : أبا عبد الله ! ما يجلسُك إليهن ؟ قال : فقلت يا رسول الله : جملٌ لي شرودٌ أبتغي له قيداً : فمضى رسول الله وتبعته : فألقى رداءه[4] ودخل الأراك فقضى حاجته وتوضأ ؛ ثم جاء فقال : يا أبا عبد الله ! ما فعل شراد جملك ؟ ثم ارتحلنا ، فجعل لا يلحقني في المنزل إلا قال : السلام عليكم أبا عبد الله : ما فعل شراد جملك ؟ قال : فتعجلنا إلى المدينة فاجتنبت[5] المسجد ومجالسة رسول الله ، فلما طال ذلك عَلَيَّ تحينتُ ساعة خلوة[6] ،فجعلتُ أصلي ، فخرج رسول الله ﷺ في بعض حجره ، فجاء فصلى ركعتين خفيفتين ثم جلس ، وطوّلتُ رجاء أن يذهب ويدعني ، فقال طِوّل يا أبا عبد الله ما شئت فلستُ بقائم حتى تنصرف ، فقلت والله لأعتذرن إلى رسول

---

(١) (النهاية لابن الأثير) جـ٢ ص ٤٥٧ ، ٤٥٨ .

(٢) كذا في (خ) ، وفي (النهاية) « بمر الظهران » .

(٣) في (النهاية) « فمرَّ رسول الله ﷺ فَهِبْتُه ، فقلتُ : يا رسول الله جمل لي شرود وأنا أبتغي له قيداً » .

(٤) في (النهاية) « ماألقى إليّ رادءه » .

(٥) في (النهاية) « فتعجلتُ إلى المدينة واحتفيت المسجد » .

(٦) في (النهاية) « خلوة المسجد ثم أتيت المسجد فجعلتُ أصلي » .

الله[1] ، فانصرفت ، فقال : السلام عليكم يا أبا عبد الله ، ما فعل شراد الجمل ؟ فقلت : والذي بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلمت ، فقال : رحمك الله مرتين أو ثلاثاً : ثم أَمْسَكَ عني فلم يعد .

فصل في ذكر آداب رسول الله ﷺ وسمته وهديه

إعلم أن رسول الله ﷺ كانت له آداب ، منها : أنه ان يمناه لطهوره ، ويسراه لدفع الأذي ، ويخفض صوته ، ويخمِّر وجهه إذا عطس ، وكان يقعد القرفصاء ، ويحتبي إذا جلس بيديه ، ويتكيء على يساره : ويستلقي واضعاً إحدي رجليه على الأخرى ، ويكثر الصمت ، ويعيد الكلمة ثلاثاً ، وإذا سَلَّم سَلَّم ثلاثاً ، ويسمع الشّعر ويتمثل به ويكثر التبسم : ويحب الفأل ولا يتطير ، ويغير الاسم القبيح ، ويقبل الهدية ويثيب عليها ، ويكثر مشاورة أصحابه ، ويحسر عن رأسه حتى يصيبه المطر ، ويحتاط في نفي التهمة عنه ، ويُعرف من وجهه رضاه وغضبه ، ويخالط الناس ويحذرهم ويحترس منهم ، ويتفقد أصحابه ، ويقول في حلفه إذا حلف : لا ومقلب القلوب ، ويقول : لا والذي نفسي بيده ، ويقول : لا ، وأستغفر الله ، وإذا أراد أن يقوم من مجلسه قال : سبحانك اللهم وبحمدك، اشهد أن لا إلٓه إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

فأما جعله يمناه لطهوره ويسراه لدفع الأذى

فخرَّج ابن حبان من حديث عيسى بن يونس عن سعيد بن أبي عرونة : عن أبي معشر عن إبراهيم : عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ ، كانت يده اليمني لطهوره وطعامه ، وكانت يده اليسرى لخلائه وما به من أذى .

وأما محبته التيمن في أفعاله

فخرَّج مسلم من حديث أشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : أن كان رسول الله ﷺ ليحب التيمين في طهوره إذا تطهر ، وفي ترجُّله إذا ترجل ، وفي انتعاله إذا انتعل .

---

(١) في (النهاية) « إلى رسول الله ﷺ ولأبرئن صدره » .

وخرَّج البخاري ومسلم من حديث الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله : في طهوره ، وترجُّله ، وتنعله . لم يقل مسلم : ما استطاع ، وقال في نعله وترجله وطهوره . ذكره البخاري في كتاب الصلاة : في باب التيمن في دخول المسجد وغيره ، وذكره في كتاب الطهارة في باب التيمن في الوضوء والغسل ، وفي كتاب الأطعمة في باب التيمن في الأكل وغيره ، وفي كتاب اللباس .

وذكر عمر بن شبة من حديث أشعث بسنده هذا : ولفظه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا أخذ شيئاً أخذه بيمينه ، وإذا أعطى شيئاً أعطى بيمينه : ويبدأ بميامنه في كل شيء .

وأما فعله عند العطاس

فخرَّج أبو بكر بن أبي شيبة من حديث يحيى بن سعيد وأبي خالد الأحمر عن محمد بن عجلان ، عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ إذ عطس أمسك على وجهه وغَضَّ صوته . وقال يحى : خمَّر وجهه . وخرَّجه الترمذي من حديث يحيى بسنده وقال : كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه ، وغض به صوته ، وقال- أي الترمذي - : هذا حديث حسن صحيح .

وخرَّجه أبو داود بهذا الإسناد وقال : وضع يده أو ثوبه على فيه ، وخفض أو غض بها صوته (شك يحيى) .

وخرَّجه قاسم من حديث إدريس بن يحيى الخولانيّ قال : أخبرني عبد الله ابن عباس عن ابن هرمز عن أبي هريرة ، أن النبي ﷺ قال : إذا عطس أحدكم فليضع كفَّهُ على وجه ويخفض صوته .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة عن أبي الأسود قال : سمعت عبد الله بن جعفر ذي الجناحين يقول : إن رسول الله ﷺ كان إذا عطس حمد الله فيقال له : يرحمك الله ، فيقول : يهديكم الله ويصلح بالكم .

وأما جلسته واحتباؤه واتكاؤه واستلقاؤه

فخرَّج أبو داود من حديث حجاج بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزياد

عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب : سمعت خارجة بن زيد يقول : كان النبي ﷺ أَوْقَرَ الناس في مجلسه : لا يكادُ يخرج شيئاً من أطرافه .

وخرَّج الترمذي من حديث عبد الله بن حسان عن جدته عن قيلة بنت مخرمة أنها رأت رسول الله ﷺ في المسجد وهو قاعدٌ القرفصاء ، قالت : فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع في الجلسة أرعدتُ من الفَرَق . وسيرد في فصل كتب رسول الله بطوله .

وله من حديث دبيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه عن جده أبي سعيد الخدري قال : كان رسول الله ﷺ إذا جلس في المجلس احتبى بيديه .

وله من حديث إسرائيل عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : رأيت رسول الله ﷺ متكئاً على وسادة على يساره .

ولمالك عن الزهري عن عباد بن تميم عن عمه أنه رأى رسول الله مستلقياً في المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى ، قال أبوعمر بن عبد البر : قدح فيه عبد العزيز بن أبي سلمة : فرواه عن ابن شهاب عن محمود بن لبيد عن عباد بن تميم عن عمه قال : ولا وجه لذكر محمود بن لبيد في هذا الإسناد ، وهو من الوَهَم البين عند أهل العلم . قال فأظن – أن السبب الواجب لإدخال مالك هذا الحديث في موطنه ما بأيدي العلماء من النهي عن هذا المعنى ، وذلك أن الليث بن سعد وابن جريج وحماد بن سلمة : رَوَوْا عن أبي الزبير عن جابر : قال : نهى رسول الله ﷺ أن يضع الرجل إحدى رجليه على الأخرى وهو مستلق على ظهره .

وروي محمد بن مسلم الطائفي عن عمرو بن دينار عن جابر ، أن النبي ﷺ نهى أن يضع الرجل إحدى رجليه على الأخرى ويستلقي ، قاله لنرى والله أعلم أن مالكاً بلغه هذا الحديث ، وكان عنده عن ابن شهاب حديث عباد بن تميم هذا فحدَّث به على وجه الدفع لذلك ، ثم أردف هذا الحديث في موطنه بما رواه عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان يفعلان ذلك ، فكأنه ذهب إلى أن نهيه عن ذلك منسوخ بفعله ، واستدلَّ على نَسخه بفعل الخليفتين بعده ، وذكر من حديث ابن شهاب عن عباد بن تميم أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا يفعلان ذلك . ومن حديث ابن شهاب قال : حدثني عمر

ابن عبد العزيز أن محمد بن نوفل أخبره أنه رأى أسامة بن زيد بن حارثة في مسجد رسول الله ﷺ يفعل ذلك ، قال : أخبرني أسامة بن زيد الليثي عن نافع أنه رأى ابن عمر رضي الله عنه يفعل ذلك .

وأما صمته وإعادته الكلام والسلام ثلاثاً وهديه في الكلام وفصاحته

فخرَّج أبو بكر محمد بن عبد الله من حديث قيس بن الربيع عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة : أكنتَ تجالس رسول الله ﷺ ؟ قال نعم ، كان كثير الصمت .

وخرَّجه الإمام أحمد من حديث فريك عن سماك ، فذكر به نحوه إلا أنه قال : وكان طويل الصمت .

وخرَّج البخاري من حديث عبد الله بن المثنى ، حدثنا ثمامة بن عبد الله عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا سلم سلم ثلاثاً ، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً ذكره في باب التسليم والاستئذان ثلاثاً وفي كتاب العلم ولفظه فيه : عن النبي ﷺ أنه إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى يفهم عنه ، وإذا أتي على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثاً . ذكره في باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم فقال :ألا وقول الزور، فمازال يكررها ، وقال ابن عمرة : هل بلَّغتَ ثلاثاً .

وخرَّج أبو داود من حديث محمد بن إسحاق عن يعقوب عن عُتبة عن عمر ابن عبد العزيز عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء .

وخرَّج من حديث مسعد قال : سمعت شيخاً في المسجد يقول : سمعت جابر ابن عبد الله رضي الله عنه يقول : كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل وترسيل .

وخرَّج من حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنهاقالت : كان كلام رسول الله ﷺ فصلا يفهمه كل من سمعه ، وفي رواية : كان رسول الله ﷺ لا يسرد سردكم هذا ؛ كان يتكلم بكلام ينشئه فصلا يحفظه من يسمعه . وفي رواية كان رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو عدَّه العاد لأحصاه .

وفي حديث هند بن أبي هالة : كان لا يتلكم في غير حاجة ، طويل السَّكت ، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير .

وفي حديث أم معبد : وكان إذا صَمَت فعليه الوقار ، وكأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، حلو المنطق لا نذر ولا هذر .

وخرَّج أبو محمد الدارميَّ من حديث موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس رضي لله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا تكلم يُرى كالنور بين ثناياه[1] .

وقال السهيلي : فقد روي أنه كان يسطع على الجدار نور من ثغره إذا تبسَّم ، أو قال : تكلم .

وفي حديث هند أيضاً : كان إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلَّبها ، وإذا تحدَّث أفضل بها ، يضرب براحته اليمني باطن إبهامه اليسرى .

وقال علي بن الحسين بن واقد : حدثنا أبي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : يا رسول الله ! ما بالك أفصحنا و لم تخرج من بين أظهرنا ؟ قال : كانت لغة إسماعيل قد درست ، فجاء بها جبريل فحفظتها .

وقال عباد بن عباد بن حبيب بن المهلب عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه عن جده قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً مع أصحابه ، إذ نشأت سحابة ، فقالوا : يا رسول الله ! هذه سحابة . فقال : كيف ترون قواعدها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشدَّ تمكنها !! فقال : كيف ترون رحاها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشدَّ استدارتها ! قال : وكيف ترون بواسقها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشدَّ استقامتها !! فقال : كيف ترون برقها ؟ أوميضاً ؟ أم خفياً ؟ أم يشق شقاً ؟ قالوا : بل يشق شقاً ، قال : فكيف ترون جونها ؟ قالوا : ما أحسنه وأشدَّ سواده !! فقال ﷺ الحيا . فقالوا : يا رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك ، قال : وما يمنعنى ، وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربيٍّ مبين ؛ قواعدها: أسافلها ، واحدها قاعدة ، ورحاها : وسطها ، وعظمها وبواسقها : ما علا وارتفع منها ، واحدتها باسقة ، والوميض : اللمع الخفي ، والخفي : البرق الضعيف ، وجونها : أسودها ، والحيا (مقصوراً) ، الغيث والخصب ، وجمعه أحياء .

(١) (سنن الدارمي) جـ١ ص ٣٠ باب في حسن النبي ﷺ .

وقال شبابة بن سوار : حدثنا الحسام بن مصك عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ من أفصح الناس : كان يتكلم بكلام لا يدرون ما هو حتى يخبرهم .

وعن علي رضي الله عنه : ما سمعت كلمة غريبة[1] من العرب إلا وقد سمعتها من رسول الله ﷺ ، وسمعته يقول : « مات حتف أنفه »[2] ، وما سمعتها من عربي قبله .

وقال ابن الجوزي : وكل كلام رسول الله ﷺ حكم وفصاحة ، ومن ظرائفه : إياكم وخضراء الدِّمَن[3] ، وقوله : إن مما ينبت الربيع لم يقتل[4] حبطاً أو يلم ، ولا يُلدغ المؤمن من جُحْرٍ مرتين[5] ، والناس كأسنان المشط[6] ، والمرء كثير بأخيه[7] ، وقوله للأنصار : إنكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع ، وقوله : خير المال مُهرة مأمورة أو سكة مأبورةُ[8] ، وقوله [خير المال عين ساهرة لعين نائمة][9] ، ومن بطَّأ به عمله لم يسرع به نسبه[10]، وحبك للشيء يعمي

---

(١) كذا في (خ) ، وفي (صفة الصفوة) جـ١ ص ٢٠٢ « عربية » .

(٢) هذا بعض حديث صحيح رواه عبد الله بن عتيك قال : قال رسول الله ﷺ في الذي يخرج مجاهداً في سبيل الله إن لسعته دابة أو أصابه شيء فهو شهيد ، ومن مات حتف أنفه فقد وقع أجره على الله ، ومن قتل فقد استوجب المآب .

(٣) حديث « أياكم وخضراء الدمن » أخرجه (الدارقطني) في (الأفراد) ، و (ابن عدي) في (الكامل) وقال (السخاوي) في (المقاصد الحسنة) : هذا الحديث لا يصح من وجه .

(٤) في (خ) « يقب » وما أثبتناه من (صفوة) جـ١ ص ٢٠٣ .
والمعنى : أن الماشية يروقها كبْتَ الربيع فتأكل فوق حاجتها فتهلك ، والحَبَط : أن ترم بطونها وتنتفح ، فزجر بهذا الكلام عن فضول الدنيا تقول حَبطتْ الدابة حبطاً : إذا أصابت مرعى طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ وتموت ، وقوله : « يلم » أي يقرب من القتل .

(٥) حديث « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والإمام أحمد في المسند ، كلهم عن أبي هريرة .

(٦) حديث « الناس كأسنان المشط » أخرجه ابن لال (في مكارم الأخلاق) عن سهل بن سعد .

(٧) حديث « المرء كثير بأخيه » أخرجه ابن أبي الدنيا في (الإخوان) عن سهل بن سعد .

(٨) السكة : الطريق المصطفة من النخل ، والمأبورة : الملقحة ، أراد : خير المال نتاج أو زَرْع .

(٩) هذا الحديث لم أجد له تخريجاً في كتب السنن .

(١٠) قوله : من بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه » جزء من حديث طويل أوله : « من نَفَّس عن مؤمن كربة ... » ، أخرجه مسلم عن أبي هريرة .

ويُصم[1] ، كل الصيد في جوف الفرا ، القناعةُ مال لا ينفد[2] ، ومثل هذا كثير[3] .

وأما تكلمه بالفارسية

فخرَّج ابن حبان من حديث أبي عاصم النبيل عن حنظلة بن أبي سفيان عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لأصحابه : قوموا فقد صنع لكم جابر سوراً ، قال ثعلب : إنما يراد من هذا أن النبي ﷺ تكلم بالفارسية ؛ قوله : صنع سوراً : أي طعاماً دعا إليه النـاس[4] .

وخرَّج أيضاً من حديث الصلت بن الحجاج عن ليث عن مجاهد عن أبي هريرة قال : مرَّ بي رسول الله ﷺ وأنا أشتكي بطني فقال : يا أبا هريرة ، عليك بالصلاة فإنه شفاء من كل سقم ، قال ابن الجوزي : هذا الحديث لا يثبت عند علماء النقل ، وقد رويناه من أربعة طرق عن أبي هريرة ، ومدارها على داود ابن علية ، قال يحيى : لا يكتب حديثه ، وقال مرة : ليس بشيء ، وقال ابن حبان : يروي عن الثقات ما لا أصل له ، وهذه الطريق التي يرويها ابن حبان عن الصلت لا تصح . قال أبو أحمد بن عدى الحافظ : حديث الصلت منكر ، قال ابن الجوزي : ولعله أخذه من داود بن علية ، ثم مدار الكل على ليث وقد ضعَّفوه ، قال ابن حبان : اختلط في آخر عمره ، وكان ثعلب الأسانيد ، ويأتي عن الثقات بما ليس في حديثهم .

وقال علماء النقل : أبو هريرة لم يكن فارسياً ، إنما مجاهد فارسي، والذي قال هذا أبو هريرة خاطب به مجاهداً ، ومن رفعه إلى رسول الله ﷺ فقد وهم . وقد روي هذا الحديث إبراهيم بن البراء من طريق أبي الدرداء ، أن رسول الله ﷺ قال له ذلك ، وإبراهيم يحدِّث بالأباطيل ، قال ابن حبان : يحدث عن الثقات بالأشياء الموضوعات .

---

(١) حديث « حبك للشيء يعمى ويُصم » أخرجه البخاري في التاريخ وأحمد أبو داود عن أبي الدرداء .

(٢) في (خ) « النداء » وما أثبتناه من (صفة الصفوة) جـ١ ص ٢٠٦ ، والحديث أخرجه الرامهرمزي في (الأمثال) عن نصر بن عاصم الليثي بسند جيد ولكنه مرسل ، وأخرجه أيضاً العسكري .

(٣) حديث « القناعة مال لا ينفد » أخرجه القضاعي عن أنس .

(٤) راجع : (صفة الصفوة لابن الجوري) جـ١ ص ٢٠٣ إلى ص ٢١٨ .

وأما سماعه الشعر واستنشاؤه وتمثله به

فقال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال : قال رسول الله ﷺ وهو يحاصر أهل الطائف لكعب بن مالك وهو إلى جنبه : هيه ، لينشده فأنشده قصيدة .

وخرَّج مسلم في صحيحه والبخاري في الأدب المفرد من حديث سفيان ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال : ردفْتُ رسولَ الله ﷺ يوماً فقال : هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء ؟ قلت : نعم ، قال : هيه ، فأنشدته بيتاً فقال : هيه ، ثم أنشدته بيتاً فقال : هيه ، حتى أنشدته مائة بيت[1] .

وخرَّجه من حديث عبد الرحمن بن مهدي ، والمعتمر بن سليمان ، كلاهما عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال :ـــ استنشدني رسول الله ﷺ بمثل حديث إبراهيم بن ميسرة ، وزاد قال : إن كان كاد ليسلم .

وفي حديث ابن مهدي قال : فلقد كاد يسلم في شعره . ذكره في كتاب الأدب . وقال البغوي : أخبرنا داود بن رشيد ، حدثنا يعلي بن الأشدق قال : سمعت النابغة يقول : أنشدت النبي ﷺ [حتى] بلغنا :

السماء مجدنا وجدودنا   وإنا لنرجو بعد ذلك مظهراً

فقال ابن المطهر : يا أبا ليلى ! قلت الجنة ؟ قال أجل إن شاء الله : ثم قلت :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له   بوادر تحمى صَفْوَهُ إن تكدَّرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له   حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي ﷺ أجدْت : لا يفضض الله فاك (مرتين) .

وقال أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة : حدثنا أحمد بن يحيى عن محمد

---

(١) وذكره الترمذي في (الشمائل المحمدية) ص ١٢٦ حديث رقم ٢٤٨ ولفظه : « كنتُ : رِدف النبي ﷺ فأنشدتُه مائة قافية من قول أمية بن أبي الصلت : كا أنشدته بيتاً قال لي النبي ﷺ هيه ، حتى أنشدته مائة يعني بيتاً ، فقال النبي ﷺ : « أن كاد ليسلم » ، ونحوه في (سنن ابن ماجة) جـ٢ ص ١٢٣٦ حديث رقم ٣٧٥٨ .

ابن سلام ، أخبرنا محمد بن سليمان عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد ابن المسيب قال : قدم كعب بن زهير متنكراً حين بلغه أن رسول الله ﷺ أوعده ، فأتى أبا بكر رضي الله عنه ، فلما صلى الصبح أتاه به وهو متلثم بعمامته ، فقال يا رسول الله ﷺ ، رجل يبايعك على الإسلام ، فبسط يده فحسر عن وجهه فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، هذا مقام العائذ بك من النار ، أنا كعب بن زهير ، فتجهمته الأنصار وغلظت له لما كان من ذكره النبي ﷺ فلانت له قريش وأحبوا إسلامه ، فأمَّنه النبي ﷺ ، فأنشده مدحته التي يقول فيها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

فكساه النبي ﷺ بردة اشتراها معاوية بن أبي سفيان من الكعب بن زهير بعده بمال كثير ، فهي البردة التي يلبسها الخلفاء في العيدين[1] .

وقال عمرو بن شيبة : حدثنا أحمد بن عيسى ، حدثني مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي ، حدثني سهل بن المغيرة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : دخل رسول الله وأنا [أنشد][2] هذين البيتين :

ارفع ضعيفَك لا يَحُرْ بِكَ ضعف ... يوماً فَتُدركهُ عواقب ما جَنَي[3]
يجزيك أو يُثنى عليك ، وإنَّ من ... أثنى عليك بمافعلتَ كمن جَزَى[4]

---

(١) وأثنى فيها على المهاجرين ، ولم يذكر الأنصار ؛ فكلمته الأنصار ، فصنع فيهم حينئذ شعراً ، ولا أعلم له في صحبته وروايته غير هذا الخبر ، وفي هذه القصيدة يقول :

إن الرسول لسيفٌ يستضاء به ... مهَّندٌ من سيوف الله مسلولُ
أنبئت أن رسول الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمولُ

ومما يستجاد لكعب بن زهير قوله :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني ... سعيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القدرُ
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها ... فالنفس واحدةٌ والهمُّ منتشرُ
والمرء ما عاش ممدودٌ له أملٌ ... لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثرُ

راجع (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر جـ٩ ص ٢٢٧ ، ترجمة ٢١٩١ ، و (الشعر والشعراء لابن قتيبة) جـ١ ص ١٥٨ وما بعدها .

(٢) زيادة للسياق .

(٣) لا يَحُرْ : لا نرجع إلى النفس ، وأصل الحور الرجوع إلى النفس .

(٤) هذان البيتان غير واضحين في (خ) ، وما أثبتناهما من (الشعر والشعراء لابن قتيبة) جـ١ ص ٣٨٨ عند ترجمة زهير ابن جناب .

فقال : رُدي علي قول اليهودي قاتله الله ، لقد أتاني جبريل برسالة من ربي : أيّما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاءً إلا الثناء والدعاء فقد كافأه[1] : قيل هما لغريض اليهودي ، وهو السموأل بن عادية ، وقيل لزيد بن عمرو بن نُفيل ، وقيل لورقة بن نوفل ، وقيل لزهير بن جَنَاب : وقيل عامر الحرمي ، والصحيح أنهما لغريض أو لابنه .

قال ابن الجوزي : وقد أنشده جماعة منهم العباس ، وعبد الله بن رواحة ، وحسان وضرار ، وأنس بن زنيم ، وعائشة في خلق كثير ، قد ذكرتهم في كتاب أحكام الانتشاء .

وخرَّج الترمذي من حديث شريك ، عن المقدام بن شريح عن أبيه عائشة رضي الله عنها ، قال : قيل لها : هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان يتمثل بشعر ابن رواحة[2] ، ويتمثل ويقول :

ويأتيك بالأخبار من لم تُزوِّدِ[3]

قال هذا حديث حسن صحيح[4] .

وخرَّجه أبو بكر بن أبي شيبة من حديث سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يتمثل من الأشعار :

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وخرَّجه النسائي من حديث هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا استراث الخبر تمثل بقافية طرفة :

---

(١) وفي مسند الحميدي قال : حدثنا سفيان قال : سمعت أبا عبد العزيز موسى بن عبيدة الرَّبذي يحدث عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إذا قال الرجل لأخيه : جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء . (مسند الحميدي) جـ٢ ص ٤٩٠ حديث رقم ١١٦٠ .

(٢) هو عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي أحد النقباء شهد العقبة وبدراً ، وأحد والخندق والمشاهد بعدها ، إلا الفتح وما بعده فإنه قتل يوم مؤتة شهيداً أميراً .

(٣) بضم التاء وكسر الواو المشدَّدة ، وهو من التزويد ، وهو إعطاء الزاد ، وأول البيت .

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالأخبار من لم تُزودِ

(٤) (الشمائل المحمدية) ص ١٢٢ حديث رقم ٢٤١ .

ويأتيك بالأخبار من لم تزود[1]

وخرَّجه الإمام أحمد بهذا السند ولفظه : كان رسول الله ﷺ إذا استراث الخبر تمثل فيه ببيت طرفة ، فذكره .

وخرَّجه البخاري في الأدب المفرد من طريق الوليد بن أبي ثور عن سماك : عن عكرمة قال : سألت عائشة رضي الله عنها : هل سمِعت رسول الله ﷺ يتمثل شعراً قط ؟ فقالت : كان أحياناً إذا دخل بيته يقول :

ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وخرَّج عبد الرزَّاق عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ في سفر ، فنزل رجل من المهاجرين فزجر بهم فقال :

لم يغـذها مدّ ولا يضـيف ... ولا تمـيرات ولا تعجـيف
لكن غـذاها اللبن الخـريف ... المحصـي القـارص والصـريف

فقالت الأنصار : انزل يا كعب : فإنما يعرض بنا ، فنزل كعب بن مالك فقال :

لم يغـذها مدّ ولا نصـيف ... ولا تمـيرات ولا تعجـيف
لكن غـذاها الحنظل النقيف ... ومـذقة كطـرة الخيـف
تنبت بين الزرب والكنيف

قال : فخاف النبي ﷺ أن يكون بينهما شيء ، فأمرهما فركبا .

وخرَّجه عن معمر قال : حدثني أبو حمزة الثمالي بنحو حديث هشام وزاد فيه : أن النبي ﷺ عطف ناقته وأمرهما فركبا .

وخرَّجه البخاري ومسلم من حديث شعبة عن عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : أصدق بيت قاله الشاعر ، قول لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل[2]

---

(١) وهذا البيت من شعر طرفه أيضاً في قصيدته المعلقة .

(٢) هذا البيت هو أول ما ذكره (ابن قتيبة) في (الشعر والشعراء) جـ١ ص ٢٨٥ فيما يُستجاد من شعر لبيد : =

ذكره البخاري في كتاب الرقاق .

وخرَّجا من حديث سفيان عن عبد الملك بن عمير قال : حدثنا أبو سلمة ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم . وقال البخاري : الشاعر . ذكره في كتاب الأدب ، وفي أيام الجاهلية ، وفي لفظ لمسلم والترمذي قال : أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد ، فذكره . وفي لفظ لمسلم : إن أصدق بيت قاله الشاعر ، فذكره . وكان أمية بن أبي الصلت أن يسلم . وفي آخر : إن أصدق كلمة قالها شاعر : كلمة لبيد .

وخرَّج البخاري ومسلم من حديث قتيبة : حدثنا عبد العزيز عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : كنا مع النبي ﷺ في الخندق وهم يرتجزون ونحن نَنْقل التراب على أكبادنا ، فقال رسول الله ﷺ :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

وخرَّجه مسلم مثله سواءً . ذكره البخاري في غزوة الخندق ، وفي كتاب المناقب ، وذكره في كتاب الرقاق ولفظه فيه :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

وذكره في غزوة الخندق في كتاب الجهاد ، وفي عدة مواضع . وذكره مسلم من عدة طرق .

ألا كلُ شيء ما خلال الله ، باطلُ وكل نعيم لا محالة زائل
إذا المرءُ أسْرى ليلة ظنَّ أنه قضى عملاً ، والمرء ما عاش آمل
حبائله مبثوثةٌ بسهيلة ويفنى إذا ما أخطأته الحبائل

إلى أن قال :

وكلُ امرىءٍ يوماً سَيَعْلَمُ سعْيَهُ إذا كُشِفتْ عند الإله المحاصلُ

وهذا البيت الأخير يدلُّ على أنه قيل في الاسلام ، وهو شبيه بقول الله تبارك وتعالى ﴿ **وحُصِّل ما في الصدور** ﴾ الآية ١٠ من سورة العاديات ، أو كان لبيدٌ قبل إسلامه يؤمن بالبعث والحساب . مثل غيره من شعراء الجاهلية .

وخرَّجا من حديث شعْبة عن أبي إسحٰق قال : سمعت البراء قال : كان رسول الله ﷺ يوم الأحزاب ينقل معنا التراب ، ولقد رأيته وارى الترابُ بياض بطنه وهو يقول :

والله لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا إن الأولِي قد بَغَوْا علينا

قال : وربما قال :

إن الملا أبَوْا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع بها صوته

وقال البخاري :

ولولا أنت ما اهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا ، إن الأولى ، وربما : إن الملأ قد بغوا علينا ، إذا أرادوا فِتْنَةً أبينا . يرفع بها صوته وكرره في عدة مواضع[1] .

وخرجا من حديث شعبة عن أبي إسحٰق قيل للبراء : أَوَلَّيْتُم مع النبي يوم حُنين ؟ فقال : أمَّا النبي ﷺ فلا ، كانوا رُماة ، فقال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب[2]

وكرراه . وخرَّجا أيضاً من حديث شعبة عن الأسود بن قيس عن جندب بن أبي سفيان البجلي قال : أصاب حَجرٌ أُصبع رسول الله ﷺ فدميت فقال :

هل أنت إلا إصبعٌ دميتِ وفي سبيل الله ما لا قيتِ ؟

وخرَّجه الترمذي أيضاً .

وأمَّا تبسُّمُه ﷺ

فقد قالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت النبي ﷺ ، مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كان يَتَبَسَّم .

---

(١) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ٢٥٠ .
(٢) (مسلم بشرح النووي) حديث رقم ٧٨ باب ٢٧ كتاب ٣٢ .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابن لُهيعة عن عبد الله بن المغيرة قال : سمعت عبد الله بن الحارث بن جزء يقول : ما رأيتُ أحداً كان أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ .

وخرَّج ابن حبان من حديث عبد الحميد بن زياد بن صهيب عن أبيه عن صهيب قال : ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه .

وخرَّج من حديث بقية عن حبيب بن عمر الأنصاري عن شيخ يكني أبا عبد الله الصمد قال : سمعت أم الدرداء تقول : كان أبو الدرداء إذا حدَّث حديثاً تبسم ؛ فقلت : لا يُقال أنك أي أحمق ، فقال : ما رأيت أو سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثا إلا تبسم .

وفي رواية كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم ، فقلتُ له : إني أخشى أن يحمقك الناس ، فقال : كان رسول الله ﷺ لا يحدث بحديث لا تبسم .

ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت أنيابه . وكذا من حديث وهب بن جرير ، أخبرنا أبي قالت سمعت ابن إسحٰق عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أقبل أعرابي على ناقة له حتى أناخ بباب المسجد ، فدخل على نبي الله – وحمزة بن عبد المطلب جالس في نفر من الماجرين والأنصار ، فيهم النعيمان – فقالوا للنعيمان : ويحك ! إنَّ ناقته نادية – أي سمينة – فلو نحرتها فانا قد قدمنا إلى اللحم ، ولو فعلت عزمها رسول الله وأكلنا لحمها ، فقال : إني إن فعلت ذلك وأخبرتموه وجد عليَّ قالوا : إلا تفعل ، فقام فضرب في لبته ثم انطلق ، فمرَّ المقداد قد حفر حفرة استخرج منها طيناً فقال : يا مقداد ، غيبني في هذه الحفرة وأطبق عليَّ شيئاً ولا تدل عليَّ أحداً ، فإني قد أحدثت حدثاً ، ففعل ، فلما خرج الأعرابي ورأى ناقته صرخ ! فخرج نبي الله ﷺ وقال : من فعل هذا ؟ قالوا : نعيمان ، قال : فأين توجه ؟ قالوا : هاهنا ، فتبعه رسول الله ﷺ ومعه حمزة وأصحابه حتى أتى على المقداد فقال له : هل رأيت نعيمان ؟ فصمت ، فقال : لتخبرني أين هو ؟ فقال : مالي به علم ، وأشار بيده إلى مكانه ، فكشف رسول الله ﷺ عن الحفرة ، فلما رآه قال : أي عدوّ نفسه ؛ ما حملك على ما صنعت ؟ قال : والذي بعثك بالحق لأمرني حمزة وأصحابه ، فأرضى

عليه السلام الأعرابيَّ وقال : شأنكم بها ، فأكلوها ، فكان رسول الله ﷺ إذا ذكر صُنْعَهُ ضحك حتى تبدو نواجذه .

وقال زائدة عن إبان عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا ضحك[1] .

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ حكى عن رجل أُخرج من النار فقيل له : تمَّن ، فتمنى ، فيقال له : ما تمنيتَ وعشرة أضعاف الدنيا ، فيقول أتسخر بي وأنت الملك ؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[2] .

ولابن حبان من حديث الليث عن جرير بن حازم عن الحسن بن عمارة عن سلمة بن كهيل عن عبد الرحمن قال : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، أتاني ثلاثة نفر يختصمون في غلام ابن امرأة وقعوا عليها جميعا في طهر واحد !! كلهم يدعى أنه ابنه ، فأقرعت بينهم ، فالحقتُه بالذي أصابته القرعة ، ولصاحبيه مثلي دية الحد ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرتُ له ذلك فضحك حتى ضرب برجليه الأرض ثم قال : حكمت فيهم بحكم

---

(١) رواه (البخاري) جـ٤ ص ٦٤ ولفظه : « ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمتُ ولا رآني إلا تبسم في وجهي ... » .

(٢) (مسند أحمد) جـ١ ص ٣٧٩ ، ولفظه : « قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً من النار رجل يخرج منها زحفاً ، فيقال له : انطلق فادخل الجنة ، قال : فيذهب يدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل ، قال : فيرجع فيقول : قد أخذ الناس المنازل ، قال : فيقال له : أتذكر الزمان الذي كنت فيه ؟ قال : فيقول : نعم ، فيقال له : تمنه ، فيتمني ، فيقال : إن لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا ، قال : فيقول : أتسخر بي وأنت الملك ؟ قال : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه » .

ورواه (مسلم) بلفظ آخر وزاد فيه « قال : فكان يقال : ذلك أدني أهل الجنة منزلة » ((مسلم بشرح النووي) جـ٢ ص ٤٠ ، وأما معنى « أتسخر بي » هنا ففيه أقوال أشهرها ما قاله القاضي عياض : أن يكون هذا الكلام صدر من هذا الرجل وهو غير ضابط لما قاله لما ناله من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله ، فلم يضبط لسانه دهشاً وفرحاً ، فقال وهو لا يعتقد حقيقة معناه ، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوقين ، وهذا كما قال النبي ﷺ في الرجل الآخر : أنه لم يضبط نفسه من الفرح فقال : أنت عبدي وأنا ربك ، والله أعلم .

والمراد بالنواجذ هنا الأنياب ، وقيل المراد بها الضواحك ، وقيل المراد بها الأضراس ، وهذا هو الأشهر في إطلاق النواجذ في اللغة ، ولكن الصواب عند الجمهور ما قدمناه ، وفي هذا جواز الضحك وأنه ليس بمكروه في بعض المواطن ولا بمسقط للمروءة إذا لم يجاوز به الحد المعتاد من أمثاله في مثل تلك الحال ، والله أعلم .

الله ، أو قال : لقد رضي الله حُكمك فيهم[1] . قال ابن الجوزي : وهذا الحديث لا يثبت ، فيه جماعة مجروحون ولا يصح عن رسول الله ﷺ أنه كان يزيد عن التبسم .

وخرَّج الإمام أحمد وأبو يعلي والبراء والطبراني في الكبير من حديث هشام عن أبي الزبير عن عبد الله بن سلمة عن علي أو عن الزبير قال : كان رسول الله ﷺ يخطبنا فَيُذكرنا بأيام الله حتى يُعرف ذلك في وجهه وكأنه نذير قوم يُصَبِّحُهم الأمر غدوة ، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكاً حتى يرتفع .

وأما محبته الفأل وتركه الطيرة وتغييره الاسم القبيح

فخرج مسلم من حديث يحيى بن عتيق قال : أخبرنا محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا عدوى ولا طيرة وأحب الفأل الصالح .

ومن حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا عدوي ولا هامة ، ولا طيرة وأحب الفأل الصالح .

وخرَّجا من حديث معمر وشعيب عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : لا طيرة وخيرها الفأل ، قيل يا رسول الله وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم .

وخرَّج البخاري وأبو داود من حديث هشام : أخبرنا قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال : لا عدوي ولا طيرة ، ويعجبني الفأل الكلمة الحسنة .

وخرَّج أبو داود من حديث هشام عن قتادة عن عبيد الله بن مريدة عن أبيه أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه ؛ فإذا

---

(١) (مسند الحميدي) جـ٢ ص ٣٤٥ من حديث زيد بن أرقم حديث رقم ٧٨٥ وقال فيه : « فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرنا ذلك فقال له : ما أعلم فيها إلا ما قال علي » ، (مسند أحمد) جـ٤ ص ٣٧٤ من حديث زيد بن أرقم بنحوه ، (سنن النَّسائي) جـ٦ ص ١٨٢ باب القرعة في الولد إذا تنازعوا فيه ، وقال : « فذكر ذلك للنبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه » ، ولم يذكر أحد من أهل العلم أن النبي ﷺ كان يزيد عن التبسم .

أعجبه اسمه فرح به رؤي بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمه رؤي كراهة ذلك في وجهه ، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها ؛ فإذا أعجبه اسمها رؤي بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمها رؤي كراهية ذلك في وجهه .

وقال مالك عن يحيى بن سعيد : أن رسول الله ﷺ قال للقحةٍ تُحْلَب : من يَحْلِب هذه ؟ فقام رجل ، فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال الرجل : مُرَّة ، فقال له رسول الله ﷺ : اجلس ، ثم قال : من يحلب هذه ؟ فقام رجل فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال : حَربٌ ، فقال له : اجلس ، ثم قال : من يحلب هذه ؟ فقام رجل ، فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال : يعيش ، فقال له رسول الله ﷺ : احلب . هكذا رواه مالك موقوفاً على يحيى[1] .

وخرَّج قاسم بن أصبغ من حديث الحسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ لا يتطير ولكن يَتَفَأَّل ، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم ، فلقي رسول الله ﷺ فقال له رسول الله : من أنت ؟ قال : بريدة ، فالتفت إلى أبي بكر ضي الله عنه فقال : برد أمرنا وصلح ، ثم قال ممن ؟ قال : مِن أسلم ، فقال لأبي بكر سلمنا ، ثم قال : ممن ؟ قال : من سهم ، قال : خرج سهمك . فقال بريدة للنبي ﷺ : فمن أنت ؟ قال : محمد ابن عبد الله رسول الله ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله ، فأسلم بريدة وأسلم الذين معه جميعاً ، فقال بريدة للنبي ﷺ : لا تدخل المدينة إلا معك لواء ، فحلّ عمامته ثم شدّها في رُمح ثم مشي بين يديه حتى دخل المدينة . قال بريدة : الحمد لله الذي أسلمت [له][2] بنو سهم طائعين .

وخرَّج الترمذي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن أنس : أن نبي الله

---

(١) (موطأ مالك) ص ٦٩٠ باب ما يكره من الأسماء ، حديث رقم ١٧٧٦ .
قال ابن عبد البر : ليس هذا من باب الطيرة لأنه مُحال أن ينهي عن شيء ويفعله ، وإنما هو من باب طلب الفأل الحسن ، وقد كان أخبرهم عن شرّ الأسماء أنه حَرْبٌ ومُرَّة ، فأكد ذلك حتى لا يتسمى بهما أحد . (تنوير الحوالك شرح موطأ مالك) جـ٢ ص ٢٤٥ . وفي (خ) « القحة تجلب من تحلب » وما أثبتناه من (الموطأ).

(٢) زيادة للسياق .

ﷺ كان إذا خرج لحاجته يعجبه أن يسمع يا راشد .. يا نجيح . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب صحيح .

وخرَّج البزار من حديث معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أبردتم إليَّ بريداً فأبردوه حسن الوجه حسن الاسم ، ذكره أنه لا يعلم رواه عن عبد الله بن بريدة عن أبيه إلا قتادة . وقال هشام الدستواني عن يحيى بن كثير قال : كتب رسول الله ﷺ إلى أمراء الأجناد ألا توفدوا إلينا إلا برجل حسن الوجه حسن الاسم .

وخرَّج ابن حبان من حديث مبارك بن فضالة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته فقال : أخذنا فألك من فيك .

وخرَّج الترمذي من حديث عمر بن علي المقدي عن هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يغير الاسم القبيح ، وربما قال عمر ابن علي في هذا الحديث هشام بن عروة عن أبيه ، ولم يذكر فيه عائشة .

وخرَّج مسلم والترمذي من حديث يحيى عن سعيد عن عبيد الله قال : أخبرني نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ غيَّر اسم عاصية وقال : أنت جميلة[1] .

ولمسلم من حديث حماد بن سلمة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أن ابنة لعمر رضي الله عنه كان يقال لها عاصية ، فسماها رسول الله ﷺ جميلة[1] .

وله من حديث سفيان عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت جويرة اسمها برَّة ، فحول رسول الله ﷺ اسمها جويرة ، وكان يكره أن يقال : خرج من عند برة[1] .

وللبخاري ومسلم من حديث شعبة عن عطاء بن ميمونة عن أبي رافع عن أبي هريرة أن زينب ان اسمها برة ، فقيل تزكي[2] نفسها ، فسماها رسول الله ﷺ زينب .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) جـ١٤ ص ١١٩ ، ١٢٠ . باب استحباب تغيير الاسم القبيح إلى حسن وتغيير اسم برة إلى زينب وجويرة ونحوهما .

(٢) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وما أثبتناه من المرجع السابق .

ولمسلم من حديث الوليد بن كثير قال : حدثني محمد بن عمر عن عطاء قال : حدثتني زينب ابنة أم سلمة قالت : كان اسمي برة ، فسمّاني رسول الله ﷺ زينب ، قالت : ودخلتْ عليه زينب بنت جحش واسمها برة فسماها زينب .

ومن حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن محمد بن عمر بن عطاء قال : سميت ابنتي برة ، فقالت لي زينب ابنة أبي سلمة : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم ، وسميت برّة فقال رسول الله : لا تزكوا أنفسكم ، الله أعلم بأهل البرِّ منكم ، فقالوا : بم نسميها ؟ قال : سموها زينب[1] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث عبيد الله بن عمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن علي عن علي رضي الله عنه قال : لما وُلد الحسن سماه حمزة ، فلما وُلد الحسين سماه بعمه جعفر ، قال : فدعاني رسول الله ﷺ فقال : إني أُمرت أن أغير اسم هذين ، قلت : الله ورسوله أعلم ، فسماهما حسناً وحسيناً .

وخرَّج قاسم بن أُصبغ وأحمد بن حنبل من حديث إسرائيل عن أبي إسحٰق عن هانيء عن علي رضي الله عنه قال : لما وُلد الحسن جاء النبي ﷺ فقال : أروني ابني ، ما سميتموه ؟ قلت : سميتُه حَرْباً ، قال : بل هو حسن ، فلما وُلد الحسين قال : أروني ابني ، ما سميتموه ؟ قلت : سميته حرباً ، قال بل هو حسين ، فلما وُلد الثالث جاء النبي ﷺ فقال : أروني ابن ، ما سميتموه ؟ قلت : حرباً ، قال هو محسن[2] .

وخرج الإمام أحمد حديث سفيان عن أبي إسحٰق عن رجل من جهينة قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يقول يا حرام ، فقال : يا حلال .

ومن حديث يحيى بن أبي بكير ، حدثنا عبيد الله بن إياد[3] بن لقيطة [السدوسي][4] عن أبيه عن ليلى امرأة بشير بن الخضامية عن بشير قال – وكان

---

(١) المرجع السابق .

(٢) ثم زاد أسد ، ثم قال : إني سَمَّيْتُهم بأسماء ولد هارون : شبرّ وشَبِّير ومشبِّر . (الاستيعاب لابن عبد البر) جـ٣ ص ١٠٠ .

(٣) في (خ) « إبان » .

(٤) ما بين القوسين غير واضح في (خ) ، وما أثبتناه من (الجرح والتعديل) جـ٢ ص قسم٢ ص ٣٠٧ ترجمة رقم ١٤٦٢ وهو ثقة كما قال عنه يحيى بن معين .

قد أي النبي ﷺ واسمه زحم - فسماه النبي بشيراً[١] .

ومن حديث إسماعيل بن عياش عن بكر بن زرعة الخولاني عن مسلم بن عبد الله الأزدي قال : جاء عبد الله بن قرظ الأزدي إلى النبي ﷺ فقال له : ما اسمك ؟ قال : شيطان بن قرظ ، فقال له النبي ﷺ : أنت عبد الله بن قرظ .

ومن حديث شعبة عن عبد الله بن أبي السفر[٢] عن عامر الشعبي عن عبد بن مطيع ابن الأسود ، حدثني عدي بن كعب عن أبيه مطيع - وكان اسمه العاصي - فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً . قال سمعت رسول الله حين أمر بقتل هؤلاء الرهط بمكة يقول : لا تُغزى مكة بعد هذا اليوم أبداً .

ولأبي داود[٣] من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال له : ما أسمك ؟ قال : حَزْنٌ ، قال : بل أنت سَهْلٌ ، قال : لا ، السهل يوطأ ويمتهن ، قال سعيد : فظننت أن ستُصيبنا بعده حُزُونَةٌ . قال أبو داود : وغير النبي ﷺ اسمه العاص وعزيز وعَتْلة[٤] وشيطان والحكم وغُراب وحُباب وشهاب فسماه هشاماً ، وسمي حرباً سلماً[٥] ، وسمي المضطجع المنبعث ، وأرض

---

(١) ونحوه في (سنن أبي داود) جـ٣ ص ٥٥٤ حديث رقم ٣٢٣٠ باب المشي في النعل بين القبور .

(٢) في (خ) « اليفر » وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) جـ٤ ص ٣٤٠ عند ترجمة شعبة بن الحجاج رقم ٥٨٠ .

(٣) وأخرجه (البخاري) في الأدب باب اسم الحزن وفيه [قال ابن المسيّب : فمازالت فينا الحزونة بعد] .

(٤) العتلة : عمود حديد تهدم به الحيطان ، وقيل : حديدة كبيرة يقلع بها الشجر والحجر .

(٥) أما (العاص) : فإنما غيره كراهة لمعنى العصيان ، وإنما سمة المؤمن : الطاعة والاستسلام .

و (عزيز) : إنما غيره لأن العزة لله سبحانه ، وشعار العبد : الذلة والاستكانة ، وقد قال سبحانه عندما يُقَرِّع بعض أعدائه : ﴿ ذُق إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [الدخان : ٤٩] .

و (عتلة) : معناها الشدة والغلظة ، ومنه قولهم : رجل عُتُلّ : أي شديد غليظ . ومن صفة المؤمن : اللين والسهولة .

و (شيطان) : اشتقاق من الشَّطْن : وهو البعد عن الخير ، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس .

و (الحكم) : هو الحاكم الذي إذا حكم لم يُرَدُّ حُكمه ، وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه ، ومن أسمائه الحكم .

و (غراب) : مأخوذ من الغَرْب ، وهو البعد . ثم هو حيوان خبيث الفعل ، خبيث الطعم ، وقد أباح رسول الله ﷺ قتله في الحل والحرم .

و (حباب) : نوع من الحيات ، وقد روي أن الحباب اسم الشيطان .

تسمى عَفِرة[1] سماها خَضِرة ، وشِعْب الضلالة سماها شِعْب الهدى ، وبني الزِّنْيَة سماهم بني الرِّشْدة ، وسمى بني مُغْوِيَة بني رشْدةَ[2] . قال أبو داود : وتركنا أسانيدهما للاختصار .

وخرَّج بقي [بن] مخلد من حديث عبدة بن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ مرَّ بأرض تسمى مجدبة فسماها خضرة .

وخرَّج البخاري من حديث الزهري عن ابن المسيب عن أبيه أن أباه جاء النبي ﷺ فقال : ما اسمك ؟ قال : حزن ، قال : أنت سهل ، قال لا أغير اسماً سمانيه أبي ، قال ابن المسيب :فمازالت الحزونة فينا بعده . ترجم عليه باب اسم الحزن ، وذكره أيضا في باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه .

[و][3] من حديث ابن جريج ، أخبرني عبد الحميد بن جبير بن شيبة قال : جلست إلى سعيد بن المسيب فحدثني أن جده قدم على النبي فقال : ما اسمك ؟ (الحديث بنحو منه) .

وللبخاري ومسلم من حديث أبي غسان حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال : أُتي بالمنذر بن أبي أُسيد إلى النبي ﷺ حين وُلد فوضعه على فخذه وأبو أسيد جالس ، فلهي النبي ﷺ بشيء بين يديه ، فأتي أبو أسيد بابنه فاحتمل من فخذ النبي ﷺ فأقلبوه[4] ، ....

فقيل : إنه أراد به المارد الخبيث من شياطين الجن ، وقيل ـــ: أراد نوعاً من الحيات يقالها لها : الشياطين . ومن ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ **طلعها كأنها رؤوس الشياطين** ﴾ [الصافات : ٦٥] .

و (الشهاب) : الشعلة من النار ، والنار عقوبة الله سبحانه ، وهي محرقة مهلكة .

(١) وأما (عفرة) : فهي نعت للأرض التي لا تنبت شيئاً ، أخذت من العُفْرة ، وهي : لون الأرض القحلة فسماها خضرة على معنى التفاؤل لتُخضر وتُمرع .

وقوله : (عقرة) : المحفوظ عقرة بالقاف . كأنه كره اسم العقرة ، لأن العاقر هي المرأة التي لا تحمل ، وشجرة عاقر : لا تحمل .

(٢) يقال : هذا ولد رشدة : إذا كان لنكاح صحيح ، كما يقال في ضده : ولد زنية ، بالكسر فيهما ، وقيل بالفتح . (معالم السنن للخطابي) على هامش (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٤١ وما بعدها ، تعليقاً على الحديث رقم ٤٩٥٦ .

(٣) زيادة للسياق .

(٤) فأقلبوه : أي ردوه وصرفوه في جميع نسخ (صحيح مسلم) فأقلبوه بالألف وأنكره جمهور أهل اللغة والغريب وشراح الحديث وقالوا : صوابه قلبوه بحذف الألف . قالوا : قال : قلبتُ الصبي والشيء صرفته ورددته .

فاستفاق النبي[1] ﷺ فقال : أين الصبي ؟ فقال أبو أسيد : أقلبناه يا رسول الله ، قال ما اسمه ؟ قال : فلان ، قال : لا ، ولكن اسمه المنذر ، فسماه يومئذ المنذر . وذكره البخاري[2] في باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ولم يقل : فأقلبوه ، وقال : ولكن اسمه المنذر ، لم يذكر لا .

وخرَّج أبو داود[3] من حديث بشير بن ميمون عن عمه عن أسامة ابن أَخْدَرِيّ أن رجلا يقال له أصرم كان في النفر الذين أتوا رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ ما اسمك ؟ قال [أنا][4] أصرم ، قال : بل أنت زُرْعَة .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة ، أخبرنا يزيد بن المقدام بن شريح عن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده هانيء بن شريح أنه ذكر أنه أول ما وفد إلى النبي ﷺ في قومه سمعهم وهو يكنون هاني أبا الحكم ، فدعاه النبي ﷺ فقال : إنه الله هو الحكم وإليه الحكم ، فلم تكن أبا الحكم ؟ فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء فحكمت بينهم رضى كلا الفريقين ، قال : ما أحسن هذا ، قال : فما لك من الولد ؟ قال : شريح بن هاني وعبد الله ومسلم قال أين أكبرهم ؟ قال : شريح ، قال : أنت أبو شريح ، فدعاه له ولولده ، وسمع القوم وهم يسمون رجلا منهم عبد الحجر فقال : ما اسمك ؟ فقال : عبد الحجر ، فقال : بل أنت عبد الله – وأنه لما حضر خروج القوم إلا بلادهم أعطى كل رجل منهم [ ][5] في بلاده حيث أحب ، إلا أن هانيء قال له : يا رسول الله ، أخبرني بشيء يوجب لي الجنة ، قال : عليك بُحسن الكلام وبذل الطعام . وذكره أبو ادود في باب تغيير الاسم القبيح إلى قوله ـــ: فأنت أبو شريح ، وبعده قال أبو داود : هذا هو الذي كسر السلسلة وهو ممن دخل تستر . وخرَّجه النسائي[6] أيضاً والبخاري في الأدب المفرد[7] .

---

(١) أي انتبه من شغله وفكره الذي كان فيه والله أعلم (مسلم بشرح النووي) جـ١٤ ص ١٢٨ .

(٢) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ٨٠ .

(٣) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٣٩ حديث رقم ٤٩٥٤ .

(٤) زيادة من نص (أبي داود) .
وإنما غير اسم (أصرم) لما فيه معنى الصَّرْم وهو القطيعة ، يقال : صرمت الحبل : إذا قطعته ، وصرمت النخلة ، إذا جذذت ثمرها . (معالم السنن للخطابي) جـ٥ ص ٢٤٠ .

(٥) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) « ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٦) (سنن النسائي) جـ٨ ص ٣٢٦ باب إذا حكّموا رجلا فقضى بينهم .

(٧) (فضل الله الصمد) جـ٢ ص ٢٨٣ حديث رقم ٨١١ .

وأما قبوله الهدية ومثوبته عليها

فخرج أبو بكر الشافعي من حديث علي بن خشرم قال : حدثنا عيسى ابن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها ، وقالت عائشة رضي الله عنها لعروة : ابن أختي ! لتنظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ قال : قلت : يا خالة ! ما كان يُعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله جيران من الأنصار وكانت لهم منائح ، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا . وفي رواية : كانت لم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من ألبانهم فيسقينا .

وخرَّج البخاري من حديث الأعمش عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : لو دُعيت إلى كراع لأجبت ، ولو أُهدى إلىّ ذراع لقبلت .

وأما مشاورته أصحابه

فقال تعالى : ﴿ **فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ﴾[1] .

وقد اختلف السلف في المعنى الذي من أجله أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يشاورهم فيه ؛ فقال بعضهم : أمره بمشاورة أصحابه في مكائد الحروب وعند لقاء العدو ، وتطييباً منه بذلك لأنفسهم ، وتألفاً لهم على دينهم ، وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم ، وإن كان الله تعالى قد أغناه بتدبيره له أموره ، وسياسته إياه وتقويمه أسبابه عنهم ، وإلى هذا ذهب قتادة والربيع وابن إسحٰق والشافعي .

قال قتادة : أمر الله تعالى نبيه أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه وحي السماء ، لأنه أطيب لأنفس القوم ، وإن القوم إذا شاور بعضهم بعضاً وأرادوا بذلك وجه الله ، عزم الله لهم على رَشَده .

وقال الربيع : أمر الله نبيه أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه الوحي من السماء ، لأنه أطيب لأنفسهم .

---

(١) الآية ١٥٩ / آل عمران .

وقال ابن إسحٰق : وشاورهم في الأمر : أي لقولهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم ، وإن كنت عنهم غنياً ، تألفهم بذلك على دينهم .

وقال الشافعي ، وكقوله عليه السلام : والبكر تستأمر ، تطييباً لقلبها لأنه واجب .

وقال آخرون : بل أمره الله بمشورتهم في ذلك ليتبين له الرأى وأصوب الأمور في الأمور ، لما علم الله تعالى في المشورة من الفضل . وإلى هذا ذهب الضحاك ابن مزاحم والحسن .

قال الضحاك : ما أمر الله نبيه بالمشورة إلا لما علم فيها من الفضل ، وعن الحسن : ما شاور قوم قَطّ إلا هُدُوا لأرشد أمورهم .

وقال آخرون : إنما أمرهُ[1] الله بمشاورة أصحابه مع استغنائه عنهم ، ليتبعه المؤمنون وبعده فيما جدّ لهم من أمر دينهم ، لأنهم إذا تشاوروا في أمر دينهم متبعين الحق في المشورة ، لم يخلهم الله من لطفه وتوفيقه إياهم للصواب من الرأي ، ونظيره قوله تعالى فيما مدح به المؤمنين : ﴿ **وأمرهم شورى بينهم** ﴾[2] .

قال سفيان بن عيينة في قوله : ﴿ **وشاورهم في الأمر** ﴾ : قال : هي للمؤمنين أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبي ﷺ فيه أثر .

واختار أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : أن الله تعالى أمر نبيه بمشاورة أصحابه فيما حزبه[3] من أمر عدوّه ومكائد حربه تألفاً منه بذلك لمن لم يأمن عليه الفتنة ، وتعريفاً لأمته ليقتدوا به في ذلك عند النوازل ، وأما النبي ﷺ فإن الله تعالى كان يعرف مطالب ما جدَّ به من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه بالصواب ، وأما أمته إذا تشاوروا مستنين بفعله فإنه تعالى يسددهم[4] .

وقد خرَّج ابن حبان من حديث طلحة بن زيد عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رجلاً أكثر استشارة للرجال من

---

(١) في (خ) « أمر الله » .

(٢) الآية ٣٨ / الشورى .

(٣) في (خ) « جذّبه » وما أثبتناه من (الطبري) .

(٤) (جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري) جـ٣ ص ١٥٣ .

رسول الله ﷺ .

وقد ذكرتُ فيما يأتي فصلاً في ذكر من شاوره النبي ﷺ ورجعه إلى رأيه ، فتأمّله ففيه ما لم أره مجموعاً كما أوردته فيه والله أعلم .

وأمَّا مَا يفعله عند نزول المطر

فخرج مسلم من حديث يحيى بن يحيى ، أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت البُنَانيّ عن أنس قال : أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر ، قال : فحسر النبي ﷺ ثوبه حتى أصابه المطر ، فقلنا : يا رسول الله ! لم صنعت هذا ؟ قال : لأنه حديث عهد بربّه[1] .

وخرَّج ابن حبان من حديث أيوب بن مدرك عن مكحول عن معاوية بن قرة[2] قال : سمعت أبا هريرة يقول : كان رسول الله ﷺ وأصحابه يكشفون رءوسهم في أول مطر يكون من السماء في العام ويقول رسول الله ﷺ : إنه أحدث بربنا وأعظمه بركه .

وخرَّج الحاكم من حديث أبي عامر العقدي حدثنا سليمان بن سفيان المديني ، حدثني بلال[3] بن طلحة بن عبيد الله عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال : اللهم أهلّه علينا باليمن[3] والإيمان والسلامة والإسلام ربي وربك الله[4] .

ومن حديث عفان : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، حدثنا أبو مطر عن سالم عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال : اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك . قال : هذا حديث صحيح الإسناد[5] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) جـ٦ ص ١٩٧ .

(٢) في (خ) « قشر » وصوبناها من (تهذيب التهذيب) جـ١٠ ص ٢١٦ ترجمة معاوية بن قرة رقم ٣٩٩ .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (المستدرك) « بلال بن يحيى بن طلحة » .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (المستدرك) « بالأمن » .

(٤) (المستدرك للحاكم) جـ٤ ص ٢٨٥ .

(٥) (المرجع السابق) جـ٤ ص ٢٨٦ .

وأمَّا احتيَاطُه في نفي التُّهمَة عنه

فخرَّج البخاري ومسلم من حديث أبي سليمان ، أخبرنا شعيب عن الزهري قال : عن [عليّ][1] بن الحسين أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرته أنها جاءت إلى النبي ﷺ تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان ، فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبي ﷺ معها يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة ، مرَّ رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله ﷺ ، فقال لهما النبي ﷺ : إنها صفية[2] ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! وكبُر عليهما ، فقال النبي ﷺ إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم ، وإني خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئاً . ذكره البخاري في الاعتكاف ، وترجم عليه باب : هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟. وذكره مسلم في كتاب الأدب ، وذكره البخاري في كتاب الخمس في باب : ما جاء في بيوت أزواج النبي[3] ﷺ من حديث عبد الرحمن بن خالد عن شهاب بنحوه ، وفيه : فسَلَّما على رسول الله ﷺ ثم نفذا فقال : على رسلكما ، قالا : سبحان الله ! الحديث . وذكره في كتاب الأدب في باب التكبير والتسبيح عند التعجب ، من حديث أبي اليمان عن شعيب ، ومن حديث محمد بن أبي عتيق كلاهما عن ابن شهاب ، وذكره في الاعتكاف باختلاف ألفاظ .

وأمَّا مَا يفعله إذا وَرَد عليه ما يَسُرُّه

فخرَّج أبو داود[4] في سننه وفي كتاب الجهاد عن مخلد بن خالد ، وخرَّج أبو عيسى الترمذي[5] في السِّيَر من جامعه عن محمد بن المثنى ، وخرَّج ابن ماجة[6] عن عبدة بن عبد الله وأحمد بن يوسف ؛ أربعتهم عن أبي عاصم الضحاك

---

(١) زيادة من رواية البخاري جـ١ ص ٣٤٦ .

(٢) في (البخاري) « صفية بنت حُيَي » .

(٣) (صحيح البخاري) جـ٢ ص ١٨٨ .
وخرجه الإمام أحمد في (المسند) من حديث أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها جـ٦ ص ٣٣٧ ، و (مسلم) جـ١٤ ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٤) (سنن أبي داود) جـ٣ ص ٢١٦ حديث رقم ٢٧٧٤ .

(٥) (الجامع الصحيح للترمذي) جـ٣ ص ٦٩ حديث رقم ١٦٢٦ .

(٦) (سنن ابن ماجة) جـ١ ص ٤٤٦ حديث رقم ١٣٩٤ وفيه قال : «حدثنا أبو عاصم عن بكار

ابن مخلد الشيباني النبيل[1] عن أبي بكرة بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه عن بكرة رضي الله عنه آن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه أمر يسرُّه أو بُشِّر به خرَّ ساجداً . وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث بكار بن عبد العزيز ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم رأوا سجدة الشكر . انتهى .

وذكره أبو بكر البزار في مسنده قال : حدثنا عمرو بن عليّ ، حدثنا أبو عاصم بهذا الإسناد أن رسول الله ﷺ سُرَّ بأمر بُشِّر به فخرَّ ساجداً .

وذكر يونس بن بكير عن عنبسة بن الأزهر عن ابن إسحٰق قال : لما جاء رسول الله ﷺ البشير يوم بدر بقتل أبي جهل ، استحلفه ثلاثة أيمان بالله الذي لا إلٰه إلا هو لقد رأيته قتيلاً فحلف له ، فَخرَّ رسول الله ﷺ ساجداً ، أو قد جاء أنه ﷺ صلى لما بُشِّر بقتله [ركع][2] ركعتين . وجاء من طريق ابن لهيعة : حدثني موسى ابن وردان العامري عن أبي هريرة قال : رأى رسول الله ﷺ مُقْعَداً فخرّ ساجداً .

وأمَّا ظهور الرضى والغضب في وجهه

فخرَّج ابن حبان من حديث ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب عن عمه عن عبد الله بن كعب عن كعب بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ إذا سرَّه الأمر استنار وجهه كأنه دارةُ القمرة .

وله من حديث الليث عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ مسروراً تبرق أسارير وجهه .

وله من حديث جامع بن أبي راشد عن مُنْذِر الثوري عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا سَرَّهُ الأمر استنار وجهه .

وخرَّج الحاكم من حديث أبي همام محمد بن حبيب ، حدثنا سفيان الثوري ، حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ

= ابن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي بكرة عن أبيه ... » .

(١) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (تهذيب التهذيب) ج١٢ ص ١٤٣ .

(٢) زيادة للسياق .

إذا ذكر الساعة احمَّرتْ وجنتاه واشتد غضبه وعلا صوته ، كأنه منذر جيش صبحتكم مساتكم ، قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين .

وخرَّج ابن حبان وله من حديث قتادة عن أبي السوار عن عمران بن حصين قال : كان النبي ﷺ إذا كره شيئاً عُرف في وجهه .

وله من حديث عبد الله بن إدريس عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى ابن عبد الرحمن بن حاطب عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اشتد وجده أكثر من مسّ لحيته .

وخرَّج الحاكم من حديث يزيد بن هارون ، أخبرنا محمد بن إسحاق عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله ، أتأذن لي فأكتب ما أسمع منك ؟ قال : نعم ، قلت : في الرضى والغضب ؟ قال : نعم ، فإنه لا ينبغي أن أقول عند الرضى والغضب إلا حقاً . قال الحاكم : صحيح الإسناد[1] .

وأما مُخَالطته الناس وحذره واحتراسه منهم وتفقده أصحابه

ففي حديث هند بن أبي هالة : كان رسول الله ﷺ يحرز لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ، ويحترس منهم من غير أن يطوي على أحد بشره ولا خلقه ، يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس .

وفي حديث علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه[2] .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث همام : حدثنا رجل من الأنصار أن أبا بكر بن عبد الله بن قيس حدثه أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ كان يكثر زيارة الأنصار خاصة وعامة ، وكان إذا زار خاصة أتى الرجل في منزله ، وإذا زار عامة أتى المسجد .

---

(١) (المستدرك على الصحيحين) جـ١ ص ١٠٥ .

(٢) في (خ) بعد قوله « أحبه » عبارة «يمينه إذا حلف» وحذفناها لبعدها عن السياق ولعلها سهو من الناسخ .

وأمَّا يمينه إذا حلف

فخرَّج البخاري من حديث موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنه قال : كانت يمين النبي ﷺ لا ومقلب القلوب .

وخرَّج من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : يا أمة محمد ! لو تعلمون ما أعلم لبكيتُم كثيراً ولضحكتم قليلاً . وهو مما اتفقا عليه[1] .

وخرَّجا من حديث إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : بعث النبي ﷺ بعثاً وأمَّر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن بعض الناس في إمارته ، فقال النبي ﷺ : إن تطعنوا في إمارته ، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل ، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلَيّ ، وإن هذا لمن أحب الناس إلَيَّ بعده . اللفظ للبخاري وقد كرره في مواضع .

وقد أورد البخاري رحمه الله في باب كيف كانت يمين النبي ﷺ جملة من الأحاديث ، منها يمينه : والذي نفسي بيده ، وبوالذي نفس محمد بيده : ولبقيّ ابن مخلد من حديث حماد بن خالد عن محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كانت يمين رسول الله ﷺ لا وأستغفر الله

وأمَّا قوله إذا أراد القيام من مجلسه

فخرَّج أبو داود من حديث الحجاج بن دينار عن أبي هاشم عن أبي العالية عن أبي برزة قال : كان رسول الله ﷺ يقول بآخرة إذا أراد أن يقوم من المجلس : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إلٓه إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . فقال رجل : يا رسول الله ، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما ما مضى ، قال : كفارة لما يكون في المجلس . وخرَّجه النسَّائي بنحو أو قريب منه .

والنسائي من حديث الليث عن ابن الهاد عن يحي بن سعيد عن زرارة عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس إلا قال : لا إلٓه

---

(١) يعني البخاري ومسلم .

إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ، فقلت : يا رسول الله ! ما أكثر ما تقول هؤلاء الكلمات إذا قمت ! قال : لا يقولهن أحد حين يقوم من مجلسه إلا غُفر له ما كان في ذلك المجلس . وفي لفظ له : قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قام من مجلس يكثر أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك ، وساق الحديث بنحوه .

فصل في ذكر زهد رسول الله ﷺ في الدنيا وإعراضه عنها وصبره على القوت الشديد فيها واقتناعه باليسير منها وأنه كان لا يدخر إلَّا قُوتَ أهله ، وصفة عيشه ، وأنه اختار الله والدار الآخرة

قال الله جل جلاله : **﴿ ولا تَمُدَّن عينك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيها ورزق ربك خير وأبقى ﴾**[1] .

وأما زهده في الدنيا وإعراضه[2] عنها

فقد[3] روى أنه عليه السلام خُيِّر بين أن يكون عبداً نبياً وبين أن يكون ملكاً نبياً ، فاستشار فيه جبريل عليه السلام فأشار عليه بأن يتواضع ، فاختار أن يكون عبداً نبياً .

وخرَّج يعقوب بن سفيان الفسوى ، من حديث بقية بن الوليد ، عن الزبيدي عن الزهري ، عن محمد بن عبد الله بن عباس قال : كان ابن عباس رضي الله عنه يتحدث أن الله عزَّ وجلَّ أرسل إلى نبيه مَلكا من الملائكة معه جبريل عليه السلام ، فقال الملك لرسول الله ﷺ : إن الله يخيرك بين أن تكون عبداً نبياً ، وبين أن تكون ملكاً نبياً ، فالتفت نبي الله ﷺ إلى جبريل عليه السلام كالمستشير له ، فأشار جبريل إلى رسول الله ﷺ أن تواضع ، فقال رسول الله ﷺ : بل أكون عبداً نبياً ، قال : فما أكل بعد تلك الكلمة طعاماً متكئاً حتى لقى ربه عزَّ وجلَّ[4] .

---

(١) الآية ١٣١ / طه .

(٢) في (خ) « وإعراضها » .

(٣) في (خ) « وقد » .

(٤) سبق تخريج هذا الحديث .

وقال عمر بن الخطاب : رضي الله عنه في حديث اعتزال رسول الله ﷺ نساءه : فدخلت على رسول الله ﷺ في خزانته ، فإذا هو مضطجع على حصير ، فأدني عليه إزاره وجلس ، وإذا الحصير أثَّرتْ بجنبه ، وقلّبتُ عيني في خزانة رسول الله ﷺ فإذا ليس فيها شيء من الدنيا غير قبضتين – أو قال قبضة – من شعير ، وقبضة من قرظ نحو الصاعين ، وإذا أفيق أو أفيقان معلقان ، فابتدرت عيناي ، قال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ قلت : يا رسول الله ! ومالي لا أبكي وأنت صفوة الله ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وهذه خزانتك ، وهذه الأعاجم كسرى وقيصر ، في الثمار والأنهار ، وأنت هكذا ؟ قال : يا ابن الخطاب ، أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فاحمد الله . وذكر الحديث .

وفي لفظ قال : فجلستُ فرفعت رأسي في البيت ، فوالله ما رأيت فيه شيئاً يرد البصر إلا أُهُب ثلاثة ، فقلتُ : أُدع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك ، فقد وسَّع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله ، فاستوى جالساً فقال : أفي شك يا ابن الخطاب ؟ أولئك عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا ، فقلتُ : أستغفر الله يا رسول الله .

وفي رواية أنس : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على سرير مرمول بالشريط ، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، ودخل عليه عُمَرُ وناس من أصحابه ، فانحرف النبي ﷺ انحرافة ، فرأى عمر – رضي الله عنه – أثر الشريط في جنبه فبكى ، فقال له : ما يبكيك يا عمر ؟ فقال عمر : ومالي لا أبكي وكسرى وقيصر يعيشان فيما يعيشان فيه من الدنيا ، وأنت على الحال التي أرى ؟ فقال له النبي ﷺ : يا عمر ! أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ قال : بلى ، قال : هو كذلك .

ولأبي داود من حديث عمرو بن مرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : اضطجع النبي ﷺ على حصير فأثر الحصير بجلده ، فجعلت أمسحه عنه وأقول : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ألا آذنتنا فنبسط لك شيئاً يقيك منه تنام عليه ؟ فقال : مالى وللدنيا ؟ ما أنا والدنيا ؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها .

وخرَّجه الترمذي بهذا السند ولفظه : نام رسول الله على حصير فقام وقد أثَّر

في جنبه ، فقلنا يا رسول الله ! لو اتخذنا لك ؟ فقال : مالى والدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها . قال : هذا حديث حسن صحيح[1] .

وخرَّجه الحاكم من حديث ثابت بن زيد : حدثنا هلال بن خباب[2] عن عكرمة عن ابن عباس ، ومن حديث عمرو بن مرة كما تقدم وصححاه .

وخرَّج ابن حبان من طريق أبي حسين الجعفي عن فضيل بن عياض عن مطرح ابن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن القثم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ عرض عليّ ربي بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يارب ، ولكن أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فإذا شبعت حمدتك وشكرتك ، وإذا جعت تضرعت إليك ودعوتك[3] .

وله من حديث محمد بن حمير عن الزارع بن نافع عن أبي سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت : اتخذتُ لرسول الله ﷺ فراشين حشوهما ليف وإذخر فقال : يا عائشة ! مالى والدنيا ؟ إنما أنا والدنيا كراكب استظل تحت شجرة في أصلها ، حتى إذا فاء الفيء ارتحل فلم يرجع إليها أبداً .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث مالك بن مغول عن مقاتل بن بشير عن شريح ابن هانيء قال : سألت عائشة عن صلاة رسول الله قالت : لم تكن صلاة أحرى أن يؤخرها إذا كان على حدث من صلاة العشاء الآخرة ، وما صلاها قط فدخل عليّ إلّا صلّى بعدها أربعاً أو ستاً ، وما رأيته متقى الأرض بشيء قط [ولقد مُطرنا مرة بالليل فطرحنا له نطعاً ، فكأني أنظر إلى ثقب فيه ينبع الماء منه][4] .

وله من حديث ابن لهيعة عن الأسود عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : ما أعجب رسول الله شيئاً من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذو تقى . وفي رواية : ولا أعجبه شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذو تقى . وله من حديث مروان بن معاوية قال : أخبرني هلال بن يزيد أبو يعلي قال : سمعت أنس بن مالك يقول :

---

(١) (الجامع الصحيح للترمذي) جـ٤ ص ١٧ حديث رقم ٢٤٨٣ .

(٢) في (خ) « حباب » ، والتصويب من (الجرح والتعديل) جـ٩ ص ٧٥ ترجمة رقم ٢٩٤ .

(٣) ونحوه في المرجع السابق باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه حديث رقم ٢٤٥١ .

(٤) ما بين القوسين تكملة من (سنن أبي داود) جـ٢ ص ٧١ حديث رقم ١٣٠٣ .

أُهْدِيَت لرسول الله ﷺ ثلاثة طوائر ، فأطعم خادمه طائراً ،فلما كان من الغد أتيته به فقال لها : ألم أنهك أن ترفعي شيئاً لغد ؟ فإن الله يأتي برزق كل غد[1] .

وروي بكر بن مُضر عن أبي هاني عن علي بن رباح أنه سمع عمرو بن العاص وهو على المنبر يقول : ما أبعد هديكم من هدي نبيكم ؛ أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا ، وأما أنتم فأرغب الناس فيها .

ولأبي نعيم من حديث الفضيل بن عياض ، أخبرنا سفيان الثوري عن عون ابن أبي جحيفة عن أبيه أن معاوية ضرب على الناس بعثاً فخرجوا ، فرجع أبو الدحداح فقال له معاوية : ألم تكن خرجت مع الناس ؟ قال : بلى ، ولكني سمعت من رسول الله حديثاً فأحببت أن أضعه عندك مخافة أن لا تلقاني ، سمعتُ [من][2] رسول الله ﷺ يقول : يا أيها الناس من ولى منكم عملاً فحجب بابه عن ذي الحاجة المسلم[3] حجبه الله أن يلج باب الجنة ، ومن كانت الدنيا نهمته حرَّم الله عليه جِواري ، فإني بُعثت بخراب الدنيا ولم أُبعث بعمارتها[4] .

وأما صبره على القوت الشديد وقنعه من الدنيا بالشيء اليسير

فخرَّج البخاري من حديث عمارة عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : اللهم ارزق آل محمد قوتاً . ذكره في باب كيف كان عيش النبي ﷺ[5] .

وخرَّجه عنه مسلم بمثله في كتاب الأدب . وفي رواية : اللهم ارزق آل محمد قوتاً ، وفي رواية : اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً ، وفي رواية : اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً . وقال محمد بن دينار الأزدي عن هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رفع رسول الله ﷺ قط عشاء الغداء ولا غداء العشاء ، ولا اتخذ من شيء زوجين ؛ لا قميصين ولا رداءين ولا إزارين ولا من النعال ، ولا

---

(١) (مسند أحمد) جـ٣ ص ١٩٨ .
(٢) زيادة من (الحلية) .
(٣) في الحلية « للمسلمين » .
(٤) (حلية الأولياء لأبي نعيم) جـ٨ ص ١٣٠ .
(٥) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ١٢٣ .

رُؤي قط فارغاً في بيته ؛ إما يخصف نعلاً لرجل مسكين ، أو يخيط ثوباً لأرملة .

وخرَّج البخاري من حديث عبد الرزَّاق عن معمر عن همام سمع أبا أهرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : لو كان عندي أُحُد ذهباً لأحببتُ أن لا تأتي ثلاث وعندي منه دينار ، ليس شيء أرصده في دين عليَّ أَجِدُ من يقبله . ذكره في كتاب التمني في باب تمني الخير[1] .

وخرَّج في كتاب الرقاق من حديث يونس عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله ، قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرَّني ألا تمرّ عليّ ثلاث ليالٍ وعندي منه شيء إلا شيء أرصده لدين . وذكره في كتاب الاستقراض في باب أداء الدين ، قال بعقبه : رواه صالح وعقيل عن الزهري .

وذكر في الرقاق حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ : ما يَسرُّني أن عندي بمثل أُحد ذهباً تمضي عليّ ثلاثة وعندي منه دينار إلا شيء أرصده لدَيْني .

وخرَّجه مسلم من طُرق ، وخرَّجه الإمام أحمد أيضاً ، ولأحمد من حديث الأعمش عن شقيق[2] ، عن مسروق عن عائشة قالت : ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ، ولا شاةً ولا بعيراً ، ولا أوصى بشيء .

ولابن سعيد من حديث الأعمش عن عمرو بن عمر ، عن أبي نصر ، سمعتُ عائشة تقول : إني لجالسة مع رسول الله ﷺ في البيت ، فأهدى لنا أبو بكر رجل شاة ، فإني لأقطعها مع رسول الله في ظلمة البيت ، فقال لها قائل : يا محمد ! ألكم سراج ؟ فقالت : لو كان لنا ما يُسرج به أكلناه .

وقال حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : لقد أُخِفْتُ في الله ولا أخاف أحد ، ولقد أوذيتُ في الله وما يؤذي[3] أحد ، ولقد أتت عليَّ ما بين ثلاثين من يوم وليلة ، مالي طعام آكله إلا شيء يواريه إبط بلال . خرجه ابن حبان في صحيحه .

---

(١) (المرجع السابق) ص ٢٤٩ .

(٢) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (المسند) .

(٣) في (خ) « يؤذا » ..

وخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه ، حدثنا وكيع عن حماد عن ثابت عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أخفت في الله وما نخاف أحد ، ولقد أتت عليّ ثلاثة ما بين يوم وليلة ما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا ما والاه إبط بلال .

وأما أنه لا يدّخر إلّا قوت أهله

فخرج ابن حبان من حديث قيس بن حفص ، أخبرنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ لا يدخر شيئاً .

وخرَّج البخاري من حديث عمر بن سعيد قال : أخبرني ابن أبي مليكة عن عقبة قال : صليت وراء النبي ﷺ بالمدينة العصر ، فسلم فقام مُسرعاً فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه ، ففزع الناس من سرعته ، فخرج عليهم فرأى أنهم عجبوا من سرعته فقال : ذكرتُ شيئاً من تبرٍ عندنا فكرهت أن يحبسني فأمرت بقسمته .

وفي حديث رَوْحٍ فقال : ذكرت وأنا في الصلاة تبراً عندنا ، فكرهتُ أن يُمْسِيَ أو يبيت عندنا ، فأمرت بقسمته [1] . ذكره في كتاب الصلاة في باب يُفْكِرُ الرجل [2] [في] [3] الشيء في الصلاة ، وذكره في كتاب الزكاة في باب من أحب تعجيل الصدقَة من يومها ولفظه : فقال : كنت خلفت في البيت تبراً من الصدقة ،

---

(١) الحديث رقم (١٢٢١) : « حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا روح ، حدثنا عمر - هو ابن سعيد - قال : أخبرني ابن أبي مُليكة عن عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال : صليتُ مع النبي ﷺ العصر ، فلما سلَّم قام سريعاً دخل على بعض نسائه ، ثم خرج ورآى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته ، فقال : ذكرتُ - وأنا في الصلاة - تبراً عندنا ، فكرهت أن يُمْسي أو يبيت عندنا ، فأمرتُ بقسمته » (فتح الباري) جـ ٣ ص ١١٥ .

(٢) والتقييد بالرجل لا مفهوم له ، لأن بقية المُكَلَّفين في حكم ذلك سواء ، قال المهلب : التفكر أمر غالب لا يمكن الاحتراز منه في الصلاة ولا في غيرها ، لما جعل الله للشيطان من السبيل على الإنسان ، ولكن يفترق الحال في ذلك ، فإن كان في أمر الآخرة والدين ، كان أخفَّ مما يكون في أمر الدنيا . (المرجع السابق) ص ١٢١ .

(٣) كذا في (خ) ، وفي (البخاري) بدونها - وروح : هو روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي أبو محمد البصري . (تهذيب التهذيب) جـ ٣ ص ٢٥٣ .

فكرهت أن أبيته فقسمته[1] ، وذكره في كتاب الاستئذان في باب من أسرع في مشيه لحاجة [أو قصد][2] .

وخرَّج تقي بن مخلد من حديث محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ في وجعه الذي مات فيه : ما فعلت تلك الذّهب ؟ قالت : هي عندنا ، قال : آتيني بها - وهي بين السبعة والخمسة - فجعلها في كفه ثم قال : ما ظن محمد بالله لو لقي ربه وهذه عنده ؟ أنفقيها[3] .

وخرَّجه الإمام أحمد من حديث محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبو سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه : ما

---

(١) الحديث رقم (١٤٣٠) : « حدثنا أبو عاصم ، عن عمر بن سعيد ، عن ابن أبي مليكة ، أن عقبة بن الحارث رضي الله عنه حدّثه قال : « صلى بنا النبي ﷺ العصر فأسرع ، ثم دخل البيت ، فلم يلبث أن خرج ، فقلتُ : أو قيل - له فقال : كنتُ خلَّفْتُ في البيت تِبْراً من الصدقة، فكرهتُ أن أُبَيِّتَهُ فقَسمْتُه » . (فتح الباري) جـ ٣ ص ٣٨١ .

قوله : « أن أُبَيِّتَهُ » أي أتركه حتى يدخل عليه الليل ، يقال : بات الرجل : دخل في الليل ، وبَيَّتَهُ : تركه حتى دخل في الليل .

قال ابن بطال : فيه أن الخير ينبغي أن يبادر به ، فإن الآفات تعرض ، والموانع تمنع ، والموتُ لا يؤمن ، والتسويف غير محمود .

زاد غيره : وهو أخلص للذمة ، وأنفى للحاجة ، وأبعد من المطل المذموم ، وأرضى للرب ، وأمحى للذنب . (المرجع السابق) ص ٣٨٢ .

(٢) زيادة من البخاري ، والحديث رقم (٦٢٧٥) : « حدثنا أبو عاصم عن عمر بن سعيد ، عن ابن أبي مُليكة أن عقبة بن الحارث حدَّثه قال : صلى النبي ﷺ العصر ، فأسرع ثم دخل البيت » (فتح الباري) جـ ١١ ص ٧٩ .

(٣) ذكره ابن حبان في كتاب الرقاق ، باب الفقر والزهد والقناعة ، وعَنْوَنَ له : ذكر ما يُستحب للمرء أن يكون خروجه من هذه الدنيا الفانية الزائلة وهو صفر اليدين ممَّا يُحاسب عليه مما في عنقه، حديث رقم (٧١٥) : أخبرنا اسماعيل بن داود بن وردان بالفسطاط ، حدثنا عيسى بن حماد ، أخبرنا الليث ، عن ابن عجلان ، عن أبي حازم ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة أنها قالت : اشتدّ وجع رسول الله ﷺ ، وعنده سبعة دنانير أو تسعة ، فقال : « يا عائشة ، ما فعلت تلكَ الذهب » ؟؟ فقلت : هي عندي ، قال : « تَصَدَّقي بها » قالت : فشغلتُ به ثم قال : « يا عائشة ، ما فعلت تلك الذهب » ؟ فقلت : هي عندي ، فقال : « ائتني بها » ، قالت : « فجئت بها ، فوضعها في كفه ، ثم قال : « ما ظن محمد أن لو لقى الله وهذه عنده ؟ ما ظن محمد أن لو لقى الله وهذه عنده » ؟ هذا الحديث إسناده حسن ، وابن عجلان صدوق ، روى له مسلم متابعة ، وباقي رجاله على شرط الصحيح . (الإحسان) جـ ٢ ص ٤٩١ - ٤٩٢ .

فعلت بالذهب ؟ فجاءت ما بين الخمسة إلى السبعة أو الثمانية أو التسعة ، فجعل يقلبها بيده ويقول : ما ظن محمد بالله لو لقيه وهذه عنده ؟ أنفقيها[1] .

ولأبي ذر عبد بن أحمد الهروي من حديث مفضل بن صالح قال : حدثني سليمان الأعمش عن طلحة بن مصرف الهمداني عن مسروق عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : أطعمنا يا بلال ، قال : يا رسول الله ! ما عندي إلا صُبَرَ من تمر خبأته لك ، قال : أما تخشى أن يخسف الله به في نار جهنم ، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً[2] .

---

(١) (مسند أحمد) جـ ٧ ص ٧٤ ، حديث رقم (٢٣٧٠٢) ، وص (٢٦١ ، حديث رقم ٢٤٩٦٤) .

(٢) الطبراني في الكبير ، والبزار في مسنده ، من حديث عاصم بن علي ، والطبراني فقط ، وكذا القضاعي في مسنده ، من حديث مالك بن إسماعيل كلاهما عن قيس بن الربيع ، عن أبي حُصين ، عن يحيى بن وثاب ، عن مسروق ، عن ابن مسعود ، قال : دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صبر من تمر ، فقال : « ما هذا يا بلال ؟ » قال : يا رسول الله ذَخَرْتُه لله ، ولضيفانك ، قال : « أما تخشى أن يفور لها بخار من جهنم ، أنفق يا بلال » ، وذكره ، قال البزار : هكذا رواه جماعة عن قيس ، وخالفهم يحيى بن كثير عنه ، فقال : عن عائشة بدل ابن مسعود .

وتابعه طلحة بن مصرف ، عن مسروق ، عن عائشة ؟ أخرجه العسكري في (الأمثال) ، من طريق مفضل بن صالح ، عن الأعمش ، عن طلحة به ، ولفظهما قالت : قال رسول الله ﷺ : « أطعمنا يا بلال » فقال : يا رسول الله ما عندي إلا صبر تمر خبأته لك فقال : « أما تخشى أن يقذف به في نار جهنم ، أنفق يا بلال ، ولا تخش من ذي العرش إقلالاً » .

وقيل عن مسروق ، عن بلال ، أخرجه البزار من طريق محمد بن الحسن الأسدي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن مَسْروق ، عن بلال ، ولفظه : دخل النبي ﷺ وعنده صبر من المال . فقال : « انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً » .

ومن هذا الوجه ، أخرجه الطبراني ، بلفظ: « أنفق يا بلال » .

وقال البزار : لم يقل عن بلال إلا محمد بن الحسن ، وقيل : عن مسروق مرسلاً بدون صحابي .

وفي الباب عن أبي هريرة ، أخرجه البزار ، من حديث موسى بن داود ، عن مبارك بن فضالة ، عن يونس بن عبيد ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده صبر من تمر ، فقال : « ما هذا ؟ » قال : أدخره ، فقال : « أما تخشى أن يُرى له بخار في نار جهنم ، أنفق يا بلال ، ولا تخشى من ذي العرش إقلالاً » وقال : تفرد به مبارك » وكذا أخرجه الطبراني في الكبير ، من حديث موسى بن داود ، وإسناده حسن . ولكن خولف مبارك ، فرواه بشر بن المفضل ، ويزيد بن زريع ، كلاهما عن يونس مرسلاً بدون أبي هريرة ، وكذلك اختلف على عوف بن أبي جميلة في وصله وإرساله .

وقال الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضي الله عنه قال : كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، وكانت لرسول الله ﷺ خاصة ، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ، وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله [1] .

وقال وكيع عن ابن عيينة قال : قال لي معمر : قال لي الثوري : هل سمعت في الرجل يجمع لأهله قوت سنتهم أو بعض سنتهم ؟ قال معمر : فلم يحضرني ، ثم ذكرت حديثاً حدثناه الزهري عن مالك بن أوس عن عمر أن النبي ﷺ نحل بني النضير ، ويحبس لأهله قوت سنتهم . هذا الحديث والذي قبله واحد ، وهو متفق عليه ، وبهذا تبين أنه ﷺ كان يعطي نفقاتهم ولا يدخر لنفسه.

وأما صفة عيشه وعيش أهله[2]

فقال الأسود عن عائشة رضي الله عنها : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاثة أيام تباعاً من خبز بُرٍ حتى مضى إلى سبيله .

فأخرجه البيهقي في (الشُّعَب) من حديث عثمان بن الهيثم ، حدثنا عوف ، عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده صبر من تمر ، فقال : « ما هذا يا بلال ؟ » قال : تمر ذخرته ، فقال : « أما تخشى يا بلال أن يكون له بخار في نار جهنم ، أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالاً » ، قال : وخالفه روح بن عبادة ، فرواه عن عوف ، عن ابن سيرين ، قال : دخل رسول الله ﷺ على بلال فوجد عنده تمر ادخره ، فذكره مُرسلاً ، ثم ساقه كذلك .

وكذا اختلف فيه على ابن عون ، فقال معاذ بن معاذ ، ومحمد بن أبي عدي عنه عن ابن سيرين مرسلاً ، وأخرجه الطبراني ، والبيهقي في (الدلائل) ، من حديث بكار بن محمد السيريني ، حدثنا ابن عون به متصلاً ، فلفظ البيهقي : « أنفق بلال » ، ولفظ الآخر : « أنفق يا بلال » .

ولم يُختلف على هشام بن حسان ، في وصله ، فأخرجه أبو يعلي ، والطبراني ، من حديث حرب بن ميمون ، حدثنا هشام فقط ، فلفظ أبي يعلي : « أنفق يا بلال ، ولا تخافَنَّ من ذي العرش إقلالاً » ، ولفظ الطبراني : « ولا تخش » .

وما يُحكى على لسان كثيرين في لفظ هذا الحديث ، وأنه بلالاً ، ويتكلفون في توجيهه لكونه نهياً عن المنع وبغير ذلك ، فشيء لم أقف له على أصل .

(١) (المغازي) جـ ١ ص ٣٧٨ .

(٢) (صحيح سنن ابن ماجه) باب رقم (٤٨) باب خبز البُرّ ، وباب رقم (٤٩) باب خبز الشعير ، وفيهما الأحاديث :

(٣٣٤٣) : عن أبي هريرة أنه قال : والذي نفسي بيده ، ما شبع نبي الله ثلاثة أيام تباعاً من خبز الحنطة حتى توفاه الله عز وجل .

وفي رواية : ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة ثلاث ليال تباعاً من خُبزِ بُرٍ حتى توفى . وفي لفظ : ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً حتى مضى لسبيله . وفي لفظ : ما شبع آل محمد من خبزِ شعيرٍ يومين متتابعين حتى قبض ﷺ .

وقال عبد الرحمن بن عائش عن أبيه عن عائشة قالت : ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله ، وفي لفظ : ما شبع آل محمد من خبز بُر فوق ثلاث .

وقال هلال عن عروة عن عائشة قالت : ما أكل محمد أكلتين في يوم إلا إحداهما تمر . وفي لفظ : ما شبع آل محمد يومين من خبز بُر إلا إحداهما تمر [(١)] .

وقال ابن قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت : لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين .

وقال منصور بن عبد الرحمن عن أمه عن عائشة : تُوفّي النبي ﷺ حين شبعنا من الأسودين التمر والماء . وفي لفظ : وما شبعنا من الأسودين . وقال عكرمة عن عائشة قالت : لما فتحت خيبر قلنا : الآن نشبع من التمر .

وقال أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : والذي نفسي بيده ، ما شبع آل محمد من طعام ثلاثة أيام حتى قبض . وفي لفظ : ما أشبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا .

وخرّج ابن عساكر من حديث حماد عن إبراهيم عن عائشة أنها قالت : ما شبع

(٣٣٤٤) : عن عائشة ، قالت : ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدموا المدينة ثلاث ليالٍ تباعاً من خُبز بُرّ حتى توفي ﷺ .

(٣٣٤٥) : عن عائشة قالت : لقد توفي النبيُّ ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رفّ لي . فأكلت منه حتى طال عليّ ، فَكِلْتُهُ ففنى .

(٣٣٤٦) : عن عائشة قالت : ما شبع آل محمد ﷺ من خُبز الشعير حتى قُبض .

(٣٣٤٧) : عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله ﷺ يبيتُ الليالي المتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون العشاء ، وكان عامة خبزهم خبز الشعير . ونحوه (مسند أحمد) جـ ٦ ص ٢٥٥ ، حديث رقم (٢٥٦٤٤) .

(١) (المستدرك) جـ ٤ ص ١٠٦ ، ولفظه : « ما أكل آل محمد ﷺ في يوم أكلتين إلا إحدهما تمر » وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه .

آل محمد ثلاثة أيام متتابعات من خبز البُرّ حتى ذاق محمد ﷺ الموت ، وما زالت الدنيا علينا عَسِرة حتى مات ﷺ ، فلما مات انصبّت الدنيا علينا صباً[1] .

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً ، إنما هو التمر والماء ، إلا أن يُؤتى باللُّحَيْم » ، وفي رواية قالت : « ما شبع آل محمد من خُبز البر ثلاثاً حتى مضى لسبيله » ، وفي أخرى قالت : « ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليال تباعاً حتى قُبض » ، وفي أخرى : « ما شبع آل محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ » .

وفي أخرى قالت : « ما أكل آل محمد أكلتين في يوم واحد إلا وإحداهما تمر » وفي أخرى كانت تقول لعروة : « والله يا ابن أختي ، إن كنا لننظر إلى الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين – وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار ، قال : قلت : يا خالة ، فما كان يُعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقيناه » .

وفي أخرى قالت : « توفى رسول الله ﷺ حين شبع الناس من الأسودين: التمر والماء » ، وفي رواية : « ما شبعنا من الأسودين » .

هذه روايات البخاري ومسلم . ولمسلم أيضاً قالت : « لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين » .

وأخرج الترمذي الرواية الأولى ، إلى قوله : « الماء » والرابعة .

وله في أخرى عن مسروق ، قال : « دخلتُ على عائشة ، فدعت لي بطعام فقالت : ما أشبعُ فأشاء أن أبكي إلا بكيتُ ، قلت : لِمَ ؟ قالت : أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله ﷺ الدنيا ، والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم » .

المنائح : جمع منيحة ، وهي الناقة يعيرها صاحبُها إنساناً ليشرب لبنها ويعيدها .

الأسودين : السواد : من صفات التمر ، لأن الغالب على أنواع تمر المدينة السواد ، فأما الماء فليس بأسود ، وإنما جُعل أسود حيث قُرن بالتمر ، فَغُلِّبَ أحدهما على الآخر فَسُمِّي به ، وهذا من عادة العرب يفعلونه بالشيئين – يصطحبان ، فيغلبون اسم الأشْهَر ، كقولهم : « القمران » للشمس والقمر .

رواه (البخاري) في الأطعمة باب ما كان النبي ﷺ وأصحابه يأكلون ، وفي الرقاق ، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا .

و (لمسلم) في الزهد والرقائق ، رقم (٢٩٧٠) ، (٢٩٧١) ، (٢٩٧٢) ، (٢٩٧٣) .

(مسلم بشرح النووي) جـ ١٨ ص ٣١٥ – ٣١٨ و (الترمذي) في معيشة النبي ﷺ وأهله رقم (٢٣٥٧) ، (٢٣٥٨) ﷺ ، ورقم (٢٤٧١) في صفة القيامة باب رقم ٣٤ (صحيح سنن الترمذي) جـ ٤ ص ٥٠٠ ، ٥٥٦ .

وقال سعيد المقبري عن أبي هريرة : أنه مرّ بقوم بين أيديهم شاة مَصْليَّة ، فدعوه فأبى أن يأكل وقال : خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير [(١)] .

وهذه الأحاديث : منها ما خرّجاه ، ومنها ما خرَّجه أحدهما ، وللترمذي من حديث ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس ، رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً ، وأهله لا يجدون شيئاً ، وكان أكثر خبزهم الشعير . قال : هذا حديث حسن صحيح [(٢)] .

ولتقي بن مخلد من حديث عقبة بن مكرم ، أخبرنا عبد الله بن خراش عن العوام عن المسيب بن رافع عن أبي هريرة قال : ما ترك النبي ﷺ ديناراً ولا درهما ، ولا عبداً ولا أمة ، ولا شاة ولا بعيراً ، ولقد كان يربط على بطنه حجراً من الجوع [(٣)] .

ولمسلم من حديث أبي الأحوص عن سماك قال : سمعت النعمان بن بشير يقول : ألستم في طعام وشراب ما شئتم ؟ لقد رأيتُ نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه . وخرّجه الترمذي [(٤)] بهذا الإسناد مثله وقال : هذا حديث [حسن] [(٥)] صحيح .

ولمسلم من حديث شعبة عن سماك بن حرب قال : سمعت النعمان يخطب قال : ذكر عمر رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا ، [فقال] [(٥)] لقد رأيتُ رسول الله ﷺ [يظل] [(٦)] اليوم يتلوى ما يجد دقلاً يملأ به بطنه [(٧)] .

وخرَّج البخاري من حديث هشام الدستوائي عن قتادة عن أنس رضي الله عنه

---

(١) ونحوه في (سنن الترمذي) جـ ٤ ص ٩ حديث رقم (٢٤٦٢) ، (٢٤٦٣) باب ما جاء في معيشة النبي ﷺ ، و (مسلم) في الزهد حديث رقم (٢٩٧٦) .

(٢) المرجع السابق حديث رقم (٢٤٦٥) .

(٣) ونحوه في (سنن الترمذي) جـ ٤ ص ١٥ حديث رقم (٢٤٧٦) وقال فيه : « ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر ورفع رسول الله ﷺ عن حجرين » وقال : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٤) المرجع السابق ص ١٥ حديث رقم ٢٤٧٧ .

(٥) زيادة من المرجع السابق والدَّقْل : ضعف الجسم ، والدَّقَل أردأ التمر .

(٥) زيادة من (صحيح مسلم) .

(٦) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (صحيح مسلم) .

(٧) (مسلم بشرح النووي) جـ ١٨ ص ١٠٩ .

أنه مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير وإهالةٍ سَنِخةٍ ، ولقد رهن النبي ﷺ درعاً له بالمدينة عند يهوديّ وأخذ منه شعيراً لأهله . ولقد سمعته يقول : ما أمسى عند آل محمد صاعُ بُرّ ولا صاعُ حَبّ ، وإن عنده لِتسعَ نِسوة . ذكره في كتاب البيوع في باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة[1] . وذكره الترمذي في جامعه بهذا السند وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ذكره في البيوع[2] .

وخرَّج البخاري من حديث همام بن حيي ، أخبرنا قتادة قال : كنا نأتي أنس بن مالك و [خبَّازُه][3] قائم فقـال[4] : كلوا فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفاً مرقَّقاً حتى لحق بالله ، ولا رأى شاة سميطاً بعينه قط . ذكره في الرقاق وفي كتاب الأطعمة[5] .

وله من حديث قتادة عن أنس[6] قال : ما علمت النبي ﷺ أكل على[7] سكرجة قط ولا خبز له مرقق قط ، ولا أكل على خوان[8] ، قيل لقتادة : فعلى ما كانوا يأكلون ؟ قال : على السُّفَر[9] .

ولأحمد من حديث سليمان بن رومان عن عروة عن عائشة أنها قالت : والذي بعث محمداً بالحق ، ما رأى منخلاً ولا أكل خبزاً منخولاً منذ بعثه الله إلى أن قبضه ، فقلت : كيف كنتم تأكلون الشعير ؟ قالت : كنا نقول : أفّ أفّ .

ولأبي ذر الهروي من حديث حماد عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت عليّ من بين يوم وليلة ومالى طعام نأكله إلا شيء يواريه إبط بلال .

وخرّج البخاري[10] من حديث أبي حازم : سألْتُ سهل بن سعد فقلت : هل

---

(١) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ ٢ ص ٦ .

(٢) (سنن الترمذي) جـ ٢ ص ٣٤٤ حديث رقم (١٢٣٣) .

(٣) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) وأثبتناها من (البخاري) .

(٤) كذا في (خ) ، ورواية البخاري (قال) .

(٥) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ ٣ ص ٢٩٧

(٦) (المرجع السابق) ص ٢٩٦ .

(٧) كذا في (خ) وفي (البخاري) «في سكرجة » والسكرجة : إناء صغير يؤكل فيه الشيء ، وكل ما يوضع فيه الكوامخ ونحوها على المائدة حول الأطعمة للتشهي والهضم .

(٨) الخوان : ما يؤكل عليه .

(٩) السفرة : ما يُحمل فيه الطعام .

(١٠) (صحيح البخاري بحاشية السندي) جـ ٣ ص ٢٩٦ .

أكل رسول الله ﷺ النَّقيَّ ؟ قال [سهل][1] ما رأى رسول الله النَّقيَّ من حين ابتعثه الله حتى قبضه الله ، قال : قلت : فهل كانت لكم في عهد رسول الله مناخل ؟ قال : ما رأى رسول الله منخلاً من حين بعثه الله حتى قبضه الله ، قال : فكيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول ؟ قال : كنا نطعنه وننفخه فيطير [ما طار وما بقى ثرَّيناه فأكلناه][1] .

وَأَمَّا تَبَسُّمُهُ[2] ﷺ

فقد قالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت النبي ﷺ مستجمعاً قط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته ، إنما كان يتبسم[3] .

وخرج الإمام أحمد من حديث ابن لهيعة ، عن عبد الله بن المغيرة قال : سمعت عبد الله بن الحارث بن جزء يقول : ما رأيت أحداً كان أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ[4] .

وخرَّج ابن حبان من حديث عبد الحميد بن زياد بن صهيب ، عن أبيه عن صهيب قال : ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[5] .

---

(١) زيادة من المرجع السابق .

(٢) بَسَمَ ، يَبْسِمُ بَسْماً وابْتَسَمَ وتَبَسَّمَ : وهو أَقَلُّ الضَّحِك وأحسنُه . وفي التنزيل : ﴿ **فتبسَّم ضاحكاً من قولها** ﴾ (١٩ / النمل) . قال الزَّجَّاج : التبسم أكثر ضحك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقال الليث : يَبْسِمُ بَسْماً إذا فتح شفتيه كالمُكاشِر ، وامرأة بسَّامة ورجل بسَّام . وفي صفته ﷺ : أنه كان جُلّ ضحكه التَّبَسُّم . (لسان العرب) جـ ١٢ ص ٥٠ .

(٣) (المستدرك) جـ ٢ ص ٤٥٦ ، حديث رقم (٣٧٠٠ / ٨٣٧) : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا بحر بن نصر ، حدثنا ابن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث أن أبا النضر حدَّثه ، عن سليمان بن يسار ، عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت : « ما رأيت رسول الله ﷺ قط مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منها لهواته ، إنما كان يتبسم » . قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة . واللهوات : جمع لَهاة ، وهي اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين مُنْقَطَع أصل اللسان إلى منقطع القلب من أعلى الفم . (ترتيب القاموس) جـ ٢ ص ١٧٩ .

(٤) (مسند أحمد) جـ ٥ ص ٢١٢ ، حديث رقم (١٧٢٦١) .

(٥) (الإحسان) جـ ١٦ ص ٣١٨ ، حديث رقم (٧٣٢٥) ، (٧٣٢٦) فأما الحديث الأول : « أخبرنا أحمد بن علي بن المثني ، قال : حدثنا أبو خيثمة قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ فقال : إن الله يُمسك السماوات على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، والخلائق كلها على إصبع ، ثم يقول : أنا الملك ، فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ، ثم قرأ هذه الآية : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً**

وخرج من حديث بقية ، عن حبيب بن عمر الأنصاري ، عن شيخ يكنى أبا عبد الله الصمد ، قال : سمعت أم الدرداء [1] تقول :

قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى ما يشركون ﴾ (٦٧ / الزمر) ، أخرجه البخاري في التوحيد (٧٤١٥) ، ومسلم في صفة القيامة (٢٧٨٦) .

إسناده صحيح على شرط الشيخين ، أبو خيثمة : هو زهير بن حرب ، وجرير : هو ابن عبد الحميد ، وإبراهيم : هو ابن يزيد النخعي ، وعلقمة : هو ابن قيس النخعي .

وأما الحديث الثاني : أخبرنا عبد الله بن محمد الأزدي ، قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، قال : أخبرنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن عبيدة ، عن عبد الله قال : جاء حبرٌ من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إذا كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع ، ثم يَهُزُّهُنَّ ، ثم يقول : أنا الملك ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه تعجباً لما قال اليهوديُّ تصديقاً له ، ثم قرأ ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة** ﴾ أخرجه البخاري في التوحيد (٧٥١٣) ، ومسلم في صفة القيامة (٢٧٨٦) إسناده صحيح على شرط الشيخين ، ومنصور هو ابن المعتمر ، وعبيدة : هو ابن عمرو السلماني .

وأخرجه أحمد (١ / ٤٥٧) ، والبخاري (٤٨١١) في تفسير سورة الزمر ، باب قوله تعالى : ﴿ **وما قدروا الله حق قدره** ﴾ .

والنواجذ : من الأسنان الضواحك ، وهي التي تبدو عند الضحك ، والأكثر الأشهر أنها أقصى الأسنان ، والمراد الأول ، إنه ما كان يبلغ به الضحك حتى تبدو أواخر أضراسه ، كيف وقد جاء في صفة ضحكه ﷺ : جُلُّ ضحكه التبسم ؟ وإن أُريد بها الأواخر ، فالوجه فيه أن يريد مبالغة مثله في ضحكه ، من غير أن يُراد ظهور نواجذه في الضحك ، وهو أقيس القولين لاشتهار النواجذ . بأواخر الأسنان ، ومنه حديث عمر رضي الله عنه : ولن يَلِيَ الناسَ كقرشيٍّ عضَّ على ناجذه أي صبر وتصلَّب في الأمور ، ومنه حديث العرباض : عضوا عليها بالنواجذ ، أي تمسكوا بها كما يتمسك العاضّ بجميع أضراسه . (لسان العرب) ج ٣ ص ٥١٣ – ٥١٤ .

(١) هي خَيْرة بنت أبي حَدْرَد ، أم الدرداء الكبرى ، سماها أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين فيما رواه ابن أبي خيثمة عنهما ، وقالا : اسم أبي حَدْرَد « عبد » وقال : أم الدرداء الصغرى اسمها هُجَيْمَة ، وقال غيرهما : جُهيمة .

وقال أبو عمر : كانت أم الدرداء الكبرى من فضلى النساء وعقلائهن ، وذوات الرأي فيهن ، مع العبادة والنسك ، توفيت قبل أبي الدرداء بسنتين ، وذلك بالشام في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه ، وكانت حفظت عن النبي ﷺ ، وعن زوجها .

روى عنها جماعة من التابعين ، منهم : ميمون بن مهران ، وصفوان بن عبد الله ، وزيد بن أسلم .

قال عليّ بن المديني : كان لأبي الدرداء امرأتان كلتاهما يقال لها أم الدرداء : إحداهما رأت النبي ﷺ ، وهي خيرة بنت أبي حرد ، والثانية تزوجها بعد وفاة النبي ﷺ ، وهي هجيمة الوصابية .

كان أبو الدرداء[1] إذا حدَّث حديثاً تبسَّم ، فقلت : لا يقول الناس إنك أى أحمق ، فقال : ما رأيت أو ما سمعت رسول الله ﷺ يحدث حديثاً إلا تبسم .

وأورد ابن منده لأم الدرداء حديثاً مرفوعاً ، من طريق شريك ، عن خلف بن حَوْشب ، عن ميمون بن مهران ، قال : قلت لأم الدرداء : سمعت من النبي ﷺ شيئاً ؟ قالت : نعم ، دخلتُ عليه وهو جالس في المسجد ، فسمعتُه يقول : « ما يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن » .

وأخرج الطبراني من طريق زَبَّان بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، أنه سمع أم الدرداء تقول : خرجتُ من الحمام فلقيني رسول الله ﷺ فقال : من أين أقبلت يا أم الدرداء ؟ قلت : من الحمام ، قال : ما منكن امرأة تضع ثيابها في غير بيت إحدى أمهاتها أو زوج ، إلا كانت هاتكة كل سِتْر بينها وبين الله . وسنده ضعيف جداً .

(الإصابة) : جـ ٧ ص ٦٢٩ - ٦٣١ ، ترجمة رقم (١١١٣٧) ، (الاستيعاب) : جـ ٤ ص ١٩٣٤ ترجمة رقم (٤١٥٠) .

(١) هو عمير بن عامر ، ويقال : عويمر بن قيس بن زيد ، وقيل : عويمر بن ثعلبة بن عامر بن زيد بن قيس بن أمية بن مالك بن عامر بن عديّ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج ، أبو الدرداء الأنصاري ، هو مشهور بكُنيته .

وقد قيل في نسبه : عويمر بن زيد بن قيس بن عائشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عديْ بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج .

وقيل : إن اسمه عامر ، وَصُغِّر ، فقيل عويمر . وقال ابن اسحاق : أبو الدرداء عويمر بن ثعلبة من بني الحارث بن الخزرج .

وقال إبراهيم بن المنذر : أبو الدرداء اسمه عويمر بن ثعلبة بن زيد بن قيس بن عايشة بن أمية بن مالك بن عامر بن عديّ بن كعب بن الخزرج . وأُمُّه : محبّة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك بن ثعلبة بن كعب .

وقيل : أمه واقدة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة .

شهد أُحُداً وما بعدها من المشاهد ، وقد قيل : إنه لم يَشْهَدْ أُحُداً لأنه تأخر إسلامه ، وشهد الخندق وما بعدها من المشاهد .

كان أبو الدرداء أَحَدَ الحكماء ، العلماء ، الفُضَلاء .

روى ابن عبد البرّ : لما حضرت معاذاً الوفاة قيل له : يا أبا عبد الرحمن ، أوصنا ، قال : أجلسوني ، إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما ، يقولها ثلاث مرات - التمسوا العلم عند أربعة رَهْطٍ : عند عُويمر أبي الدرداء ، وسلمان الفارسي ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن سلام ، الذي كان يهودياً فأسلم ، فإني سمعتِ رسول الله ﷺ يقول : إنه عاشر عشرة في الجنة .

وفي رواية : كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم ، فقالت له : إني أخشى أن يُحَمِّقَكَ الناس ، فقال : كان رسول الله ﷺ لا يحدث بحديث إلا تبَسَّم [1] .

ومن حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت أنيابه . وكذا من حديث وهب بن جرير ، أخبرنا أبي قال : سمعت ابن اسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه قال : أقبل أعرابي على ناقة له حتى أناخ بباب المسجد ، فدخل على نبي الله وحمزة بن عبد المطلب جالس في نفر من المهاجرين والأنصار ، فيهم النعيمان ، فقالوا للنعيمان : ويحك ! إن ناقته نادية أى سمينة ، فلو نحرتها فإنا قد قدمنا إلى اللحم ، ولو فعلت عزمها رسول الله وأكلنا لحمها ، فقال : إني إن فعلت ذلك وأخبرتموه وجد عليّ ، قالوا : إلا تفعل !! فقام ،

عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أفرطكم على الحوض ، فلا أُلْفِيَنّ ما نوزعت في أحدكم فأقول : هذا مني ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدث بعدك ، فقلت : يا رسول الله ، أُدْعُ الله ألا يجعلني منهم ، قال : لستَ منهم » . فمات قبل عثمان رضي الله عنه بسنتين .

ولهذا الحديث قريب منه في (مسند أحمد) : من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أفرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً ، ثم لأغلبن عليهم ، فأقول : يارب أصحابي فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » ونظيرهُ في (مسلم) .

قال أبو عمر : ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال : « حكيم أمتي أبو الدرداء عُوَيمر » . قال أبو عمر : له حكم مأثورة مشهورة : منها قوله : « وجدْت الناس أخبر تقل ، أي من جرَّبهم رماهم بالمقت لخُبث سرائرهم وقلة إنصافهم » .

ومنها : « من يأت أبواب السلطان يُقام ويُقعد » .

ووصف الدنيا فأُحسن ، فمن قوله فيها : « الدنيا دار الكدر ، ولن ينجو منها إلا أهل الحذر ، ولله فيها علامات يسمعها الجاهلون ، ويعتبر بها العالمون ، ومن علاماته فيها أن حفّها بالشبهات ، فارتطم فيها أهل الشهوات ، ثم أعقبها بالآفات ، فانتفع بذلك أهل العظات ، ومزج حلالَها بالمئونات، وحرامها بالتبعات ؛ فالمُثري فيها تعِب ، والمُقِل ففيها نَصِب » .

(الاستيعاب) : جـ ٣ ص ١٢٢٧ - ١٢٣٠ ترجمة رقم (٢٠٠٦) ، (الإصابة) : جـ ٤ ص ٧٤٧ - ٧٤٨ ترجمة رقم (٦١٢١) ، (مسند أحمد) : جـ ١ ص ٦٣٥ حديث رقم (٣٦٣٢) ، (مسلم بشرح النووي) : جـ ١٥ ص ٦٤ حديث رقم (٢٢٩٧) .

(١) (كنز العمال) : جـ ٧ ص ١٤٠ حديث رقم (١٨٤٠١) ، (سند أحمد) : جـ ٥ ص ١٩٩ حديث رقم (٢١٢٨٨) : « حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا يونس ، حدثنا بقية عن حبيب بن عمر الأنصاري ، عن أبي عبد الصمد ، عن أم الدرداء قالت : كان أبو الدرداء لا يحدث بحديث إلا تبسم فيه ، فقلت له : إني أخشى أن يحمقك الناس ، فقال : « كان رسول الله ﷺ لا يحدث بحديث إلا تبسم » .

فضرب لبتها ثم انطلق ، فمر بالمقداد قد حفر حفرة استخرج منها طيناً ، فقال : يا مقداد ! غيبني في هذه الحفرة وأطبق عليّ شيئاً ، ولا تدل عليّ أحداً ، فإني قد أحدثت حدثاً ، ففعل .

فما خرج الأعرابي ورأى ناقته صرخ ، فخرج نبي الله ﷺ وقال : من فعل هذا ؟ قالوا : نعيمان ! قال : فأين توجه ؟ قالوا : ها هنا ، فتبعه رسول الله ﷺ ومعه حمزة وأصحابه ، حتى أتى على المقداد فقال له : هل رأيت نعيمان ؟؟ فصمت ، فقال : لتخبرني أين هو ؟ فقال : مالي به علم وأشار بيده إلى مكانه ، فكشف رسول الله ﷺ عن الحفرة ، فلما رآه قال : أى عدوَّ نفسه ! ما حملك على ما صنعت ؟؟ قال : والذي بعثك بالحق لأمرني حمزة وأصحابه ، فأرضى عليه السلام الأعرابي وقال : شأنكم بها فأكلوها ، فكان رسول الله ﷺ إذا ذكر صنعه ضحك حتى تبدو نواجذه .

وقال زائدة عن إبان ، عن قيس بن أبي حازم ، عن جرير بن عبد الله قال : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا ضحك[1]

(١) (الشمائل المحمدية) ص ١٨٩ حديث رقم (٢٣٢) : حدثنا أحمد بن منيع ، حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، عن جرير قال : « ما حجبني رسول الله ﷺ ولا رآني منذ أسلمت إلا تبسَّم » ، (صحيح سنن الترمذي) : جـ ٣ ص ٢٣٢ حديث رقم (٤٠٩١) : عن جرير بن عبد الله قال : « ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا ضحك » ، وحديث رقم (٤٠٩٢) : عن جرير قال : « ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسَّم » . قال الألباني : (صحيح ، وهو بهذا اللفظ أرجح) . وهو في (البخاري) : في باب من لا يثبتُ على الخيل ، حديث رقم (٣٠٣٥) حدثنا محمد بن عبد الله بن نُمير ، حدثنا محمد بن إدريس عن إسماعيل ، عن قيس ، عن جَرير رضي الله عنه قال : « ما حجبني ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسم في وجهي » (فتح الباري) : جـ ٦ ص ١٩٨ ، (مسند أحمد) : جـ ٤ ص ٣٥٨ ، حديث رقم (١٨٦٩٢) ، ص ٣٥٩ ، حديث رقم (١٨٦٥٥) ، ص ٣٦٥ ، حديث رقم (١٨٧٦٥) .

(مسند الحميدي) : جـ ٢ ص ٣٥٠ ، حديث رقم (٨٠٠) : حدثنا الحميدي قال : حدثنا سفيان قال : حدثنا إسماعيل بن أبي خالد قال : سمعتُ قيساً يقول : سمعت جرير بن عبد الله البجلي : « مارآني رسول الله ﷺ قط إلا تبسَّم في وجهي » ، قال : وقال رسول الله ﷺ : « يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن على وجهه مسحة ملك ، فطلع جرير بن عبد الله » .

قال الحافظ في (الفتح) : التَّبَسُّمُ : مبادىء الضحك ، والضحك انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور ، فإن كان بصوت ، وكان بحيث يُسمع من بُعد فهو القهقهة ، وإلا فهو الضحك ، وإن كان

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ حكى عن رجل أُخرج من النار ، فقيل له ، تَمَنَّ فَتَمَنَّى ، فيقال : لك ما تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا ، فيقول أتسخر بي وأنت الملك ؟ فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه[1] .

ولابن حبان من حديث الليث ، عن جرير بن حازم عن الحسن بن عمارة ، عن سلمة بن كهيل ، عن عبد الرحمن قال : سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، أتاني ثلاثة نفر يختصمون في غلام ابن امرأة وقعوا عليها جميعاً في طهر واحد ، كلهم يدعى أنه ابنه ، فأقرعت بينهم فألحقته بالذي أصابته القرعة ، ولصاحبيه ثلثي دية الحد ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت له ذلك ، فضحك حتى ضرب برجْليه الأرض ثم قال : حكمت فيهم بحكم الله ، أو قال لقد رضي الله حكمك فيهم[2] .

بلا صوت فهو التبسم ، وتسمى الأسنان في مقدم الفم : الضواحك ، وهي الثنايا والأنياب ، وما يليها يسمى النواجذ .

(١) (المرجع السابق) ص ١٨٩ - ١٩٠ ، حديث رقم (٢٣٣) : حدثنا هَنَادُ بنُ السَّرِيّ ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن عَبِيدة السَّلْمانيّ ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف آخر أهل النار خروجاً ، رجلاً يَخْرُجُ منها زَحْفاً ، فيقال له إنطلق فَادْخُل الجنة » . قال : « فيذهب ليدخُل الجنة فيجدُ النَّاسَ قَدْ أَخذُوا الْمَنَازِلَ ، فيرجع فيقول : يارب قد أخذ الناسُ المنازل - فيُقال له : أَتَذْكُرُ الزّمان الذي كنت فيه ؟ فيقول : نَعمْ » ، قال : « فَيُقَالُ تَمَنَّ » ، قال : « فيتمنى ، فيقال له : فإِنَّ لَكَ الذي تَمنيتَ وعَشْرَة أضعاف الدنيا » ، قال : « فيقول : أَتَسْخَرُ مني وأنت الملك » ؟ قال : « فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضحك حتى بَدَتْ نَواجِذُهُ » .
أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، حديث رقم (٦٥٧١) باختلاف يسير ، وحديث رقم (٧٥١٣) .
(فتح الباري) جـ ١١ ص ٥١٠ ، جـ ١٣ ص ٥٨٠ .

(٢) (كنز العمال) جـ ٥ ص ٨٤١ - ٨٤٢ ، حديث رقم (١٤٥٣٢) : « عن زيد بن أرقم قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ، إذ أتاه رجل من أهل اليمن ، وعليٌّ بها ، فجعل يحدث النبي ﷺ . ويخبره قال : يارسول الله ، أتى علياً ثلاثةُ نفر فاختصموا في ولد كلهم زعم أنه ابنه ، وقعوا على امرأة في طُهر واحد ، فقال عليٌّ : إنكم شركاء متشاكسون ، وإني مُقْرعٌ بينكم ، فمن قَرَعَ فله الولد ، وعليه ثُلثا الدية لصاحبه ، فأقرع بينهم ، فَقَرع أحدهم ، فدفع إليه الولد ، وجعل عليه ثلثي الدية ، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه أو أضراسه » . ثم رَمَزَ إليه : (عب) ، (ش) أي مصنف عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة . قَرَع : المقارعة : المساهمة ، يقال : قارعه فقرعه : إذا أصابته القرعة دونه ، وقَرَعَهم : غلبهم بالقُرعة .
(ترتيب القاموس) جـ ٣ ص ٥٩٧ .

قال ابن الجوزي : وهذا الحديث لا يثبت ، فيه جماعة مجروحون ، ولا يصح عن رسول الله ﷺ أنه كان يزيد على التبسم .

وخرَّج الإمام أحمد[١] وأبو يعلي ، والبزار والطبراني في الكبير ، من حديث هشام عن أبي الزبير ، عن عبد الله بن سلمة ، عن علي أو عن الزبير قال : كان رسول الله ﷺ يخطبنا فيذكرنا بأيام الله ، حتى نعرف ذلك في وجهه ، وكأنه نذير قوم يصبحهم الأمر غدوة ، وكان إذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكاً حتى يرتفع (عنه)[٢] .

وأما محبته الفأل[٣] وتركه الطيرة[٤] وتغيير الاسم القبيح

فخرج مسلم من حديث يحيى بن عتيق قال : أخبرنا محمد بن سيرين عن أبي

---

(١) (مسند أحمد) جـ ١ ص ٢٧٢ ، حديث رقم (١٤٤٠) ، وقال فيه : « عن عبد الله بن سلمة . أو مسلمة » .

(٢) زيادة من المرجع السابق .

(٣) الفأل : ضدّ الطيرة ، والجمع فُؤول . وتَفَأَلت به ، وتَفَأَّل به . قال ابن الأثير : يقال : تفاءلْتُ بكذا ، وتَفَأَلْتُ ، على التخفيف والقلب ، قال : وقد أولع الناس بترك هَمْزِهِ تخفيفاً .
والفأل : أن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول : ياسالم ، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : ياواجد ، فيقول : تفاءلْتُ بكذا ، ويتوجه له في ظنه كما سمع أنه يبرأ من مرضه ، أو يجد ضالته .
وفي الحديث : أنه ﷺ كان يحب الفأل ويكره الطيرة ؛ والطيرة : ضد الفأل ، وهي فيما يكره ، كالفأل فيما يُستحب ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، والفأل يكون فيما يَحْسُن وفيما يسوء .
قال أبو منصور : من العرب من يجعل الفأل فيما يكره أيضاً . قال أبو زيد تفاءلتُ تفاؤلاً ، وذلك أن تَسمع الإنسان وأنت تريد الحاجة يدعو : يا سعيد ، يا أفلح ، أو يدعو باسم قبيح . والاسم : الفأل ، مهموز .
وفي نوادر الأعراب : يقال : لا فأل عليك بمعني لا ضَيْرَ عليك ، ولا طَيْرَ عليك ، ولا شرَّ عليك .
وفي الحديث ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : « لا عدوى ولا طيَرَة ويعجبني الفأل الصالح والفأل الصالح الكلمة الحسنة » .
قال : وهذا يدل عى أن من الفأل ما يكون صالحاً ، ومنه ما يكون غير صالح ، وإنما أحب النبي ﷺ الفأل ، لأن الناس إذا أَمَّلُوا فائدة الله وَرَجَوْا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي ، فهم على خير . ولو غلِطوا في جهة الرجاء ، فإن الرجاء لهم خير ، ألا ترى أنهم إذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر ؟ وإنما خبرَّ النبي ﷺ عن الفطرة كيف هي ، وإلى أي شيء تنقلب . (لسان العرب) جـ ١١ ص ٥١٣ – ٥١٤

(٤) الطيرة : مضاد للفأل ، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد ، فأثبت النبي ﷺ الفأل واستحسنه ، وأبطل الطيرة ونهى عنها . والطِّيَرَةُ من اطَّيَّرْتُ وتَطيَّرْتُ ، ومثل الطِّيَرَةُ الخِيَرَةُ .

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لا عدوى ولا طيرة وأحب الفأل الصالح[1] .

ومن حديث هشام بن حسان ، عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ، وأحب الفأل الصالح[2] .

وخرَّجا من حديث معمر وشعيب عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن أبا هريرة[3] قال : سمعت النبي ﷺ يقول : لا طيرة ، وخيرها الفأل ، قيل : يا رسول الله ، وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم[4] .

وخرج البخاري وأبو داود من حديث هشام ، أخبرنا قتادة عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل ، الكلمة الحسنة[5] .

وخرج أبو داود[6] من حديث هشام عن قتادة ، عن عبيد الله بن بريدة ، عن

والطِّيَرَةُ من الشرك ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الطير تجلب لهم نفعاً ، أو تدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبه ، فكأنهم أشركوه مع الله في ذلك .

وفي التنزيل : ﴿ **قالوا إنا تطيرنا بكم** ﴾ ١٨ / ياسين ، ﴿ **قالوا اطيرنا بك وبمن معك** ﴾ ١٣١ / الأعراف ، ﴿ **ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لايعلمون** ﴾ ١٣١ / الأعراف .

(المرجع السابق) جـ ٤ ص ٥١٢ – ٥١٣ .

(١) (مسلم بشرح النووي) جـ ١٤ ص ٤٧٠ كتاب السلام (٣٩) باب (٣٤) حديث رقم (١١٣ – ٢٢٢٣) .

(٢) (المرجع السابق) حديث رقم (١١٤) .

(٣) (اللؤلؤ والمرجان) جـ٣ ص ٧١ باب (٣٤) (الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم)حديث رقم (١٤٣٨).

(٤) وضيرها : أي ضير الطيرة ، والفأل : ضد الطيرة ويستعمل في الخير والشر ، وفي حديث عروة بن عامر عند أبي دواد قال : « ذُكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال : ضيرها الفأل ، ولا تَردّ مسلما ؛ فإذا رآى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوه إلا بالله » . (المرجع السابق) .

(٥) (فتح الباري) : جـ ١٠ ص ٢٦٣ ، كتاب الطب ، باب (٤٤) ، حديث رقم (٥٧٥٦) ، (مسلم بشرح النووي) جـ ١٤ ص ٤٧٠ ، كتاب السلام باب (٣٤) ، حديث رقم (١١١ – ٢٢٢٤) : وزاد فيه « الكلمة الطيبة » بعد قوله : « الكلمة الحسنة » .

(٦) (صحيح سنن أبي دواد) : جـ ٢ ص ٧٤٢ حديث رقم (٣٩٢٠) ، قال الألباني : صحيح ، و (مسند أحمد) : ٥ / ٣٤٧ حديث رقم (٢٢٤٣٧) باختلاف يسير .

أبيه أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه ، فإذا أعجبه اسمه فرح به ، ورؤى أثر [1] ذلك في وجهه ، وإن كره اسمه رؤى كراهه[2] ذلك في وجهه ، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها ، فإذا[3] أعجبه اسمها [فرح بها] ، وَرُؤى بشر ذلك في وجهه ، وإن كره اسمها رؤى كراهية[4] ذلك في وجهه .

وقال مالك عن يحيى بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال لِلَقْحَة تُحْلَبُ : من يَحْلُب هذه ؟ فقام رجل ، فقال رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال له الرجل : مُرَّة ، فقال له رسول الله ﷺ : اجلس ، ثم قال : من يحلُب هذه ؟ فقام رجل فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال : حرب ، فقال رسول الله ﷺ : اجلس ، ثم قال : من يحلب هذه ؟ فقام رجل فقال له رسول الله ﷺ : ما اسمك ؟ فقال يعيش ، فقال له رسول الله ﷺ : احلب . هكذا رواه مالك مرفوعاً عن يحيى[5] .

وخرج قاسم بن أصبغ من حديث الحسين بن واقد ، عن عبد الله بن بريدة[6] عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ لا يتطير ولكن يتفاءل ، فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم ، فلقي رسول الله ﷺ بماء ، فقال له رسول الله ﷺ : من أنت ؟ قال : بريدة ، فالتفت إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : برد أمرنا وصلح ، ثم قال : ممن ؟ قال : من أسلم ، قال : لأبي بكر : سلمنا ، ثم قال : ممن ؟ قال : من سهم ، قال : خرج سهمك[7] ، قال بريدة للنبي ﷺ فمن أنت ؟ قال :

---

(١) في (خ) : « بشر ذلك » (٢) في (ج) : « كراهية » . (٣) في (خ) : « فإن »

(٤) في (خ) : « كراهة » وما أثبتناه من (المرجع السابق) ، (شعب الإيمان) جـ ٢ ص ٦٢ حديث رقم (١١٧٠) بسياقة أُخرى .

(٥) (الموطأ) كتاب الجامع ، باب مايُكْره من الأسماء ، حديث رقم (١٧٧٦) قال أبو عمر : ليس هذا من باب الطيرة ، لأنه مُحال أن ينهي عن شيء يفعله ، وإنما هو من باب طلب الفأل الحسن ، وقد كان أخبرهم عن سيء الأسماء أنه حَرْب ، ومُرَّة ، وأكدَّ ذلك حتى لا يتسمى بهما أحد . (شرح الزرقاني على الموطأ) جـ ٤ ص٤٩٠ .

(٦) هو بُرَيْدة بن الحصيب الأسلمي (ستأتي ترجمته تفصيلاً) .

(٧) إلى هنا ورد الخبر في (الاستيعاب) : جـ ١ ص ١٨٥ – ١٨٦ ، ترجمة بريدة بن الحصيب الأسلمي رقم (٢١٧) .

محمد بن عبد الله ، رسول الله ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك عبده ورسوله . فأسلم بريدة ، وأسلم الذين معه جميعاً ، فقال[1] بريدة للنبي ﷺ لا تدخل المدينة إلا معك لواء ، فحل عامته ، ثم شدها في رمح ، ثم مشى بين يديه حتى دخل المدينة ، قال بريدة : الحمد لله الذي أسلمت [له] بنو سهم طائعين .

وخرج الترمذي من حديث حماد بن سلمة عن حميد عن أنس ، أن نبي الله ﷺ كان إذا خرج لحاجته ، يعجبه أن يسمع : يا راشد .. يا نجيح . قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح[2] .

وخرج البزار من حديث معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أبردتم إليّ بريداً فأبردوه حسن الوجه ، حسن الاسم[3] . وقال : لا نعلم رواه بهذا الإسناد إلا قتادة .

وقال هشام الدستواني ، عن يحيى بن كثير قال : كتب رسول الله ﷺ إلى أمراء الأجناد : ألا توفدوا إلينا إلابرجل حسن الوجه ، حسن الاسم .

وخرَّج ابن حبان من حديث مبارك بن فضالة[4] ، عن عبيد الله بن عمر ، عن

---

(١) قال ابن أبي حاتم في (تاريخ الصحابة) : ص ٤٤ ترجمة بريدة بن الحصَيب الأسلمي رقم (١٠٨) : لحق النبي ﷺ قبل قدومه المدينة فقال : « يارسول الله لا تدخل المدينة إلا معك لواء » ثم حلَّ عمامته ، وشدَّها في رمح ، ومشى بين يدي النبي ﷺ يوم قدم المدينة .

(٢) (تحفه الأحوذي) : جـ ٥ ص ٢٠٠ ، حديث رقم (١٦٦٥) ، قوله : « هذا حديث حسن صحيح » ، وأخرج الشيخان معناه من حديث أبي هريرة ، قوله : « كان يُعجبه » أي يستحسنه ويتفاءل به ، « أن يسمع يا راشد » ، أي واجد الطريق المستقيم ، « يانَجيح » ، أي من قُضِيَتْ حاجته ، (صحيح سنن الترمذي) : جـ ٤ ص ١٣٨ ، حديث رقم (١٦١٦) .

(٣) (المقاصد الحسنة) : ص ١٤٩ ، عند الكلام على الحديث رقم (١٦١) ، « التمسوا الخير عند حسان الوجوه » ، قال : وله أيضا من حديث عمر بن أبي خثعم ، عن يحى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « إذا بعثتم إليّ رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم » . وقال أيضاً . لا نعلمه روي عن أبي هُريرة إلا بهذا الاسناد . قال (السخاوي) : وأحدهما يقوي الآخر .

وفي (المطالب العالية) : جـ ٢ ص ٤٢٢ ، حديث رقم (٢٦٣٨) : الحضرمي بن لاحق ، أن النبي ﷺ قال : « إذا أبردتم بريداً فأبردوه حسن الوجه حسن الاسم » (لابن أبي عمر) . وقال في هامشه : سكت عليه البوصيري .

(٤) أحاديث مبارك بن فضاله في (صحيح ابن حبان) (١٩) حديثاً ليس من بينهم هذا الحديث . (الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان) : جـ ١٨ ص ٢١٩ (الفهارس) .

نافع عن ابن عمر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته ، فقال : أخذنا فألك من فيك[1] .

وخرج الترمذي من حديث عمر بن عليّ المقدَّميّ ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يغير الاسم القبيح . وربما قال عمر ابن على عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي ﷺ مرسل ، ولم يذكر فيه [عن] عائشة[2] .

وخرَّج مسلم والترمذي من حديث يحيى عن سعيد عن عبيد الله قال : أخبرني نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ غيّر اسم عاصية ، وقال : أنت جميلة[3] .

ولمسلم من حديث حماد بن سلمة عن عُبيد الله عن نافع ، عن ابن عمر ، أن ابنة لعمر رضي الله عنه يقال لها عاصية ، فسماها رسول الله ﷺ جميلة[4] ، وله من حديث سفيان بن عبد الرحمن - مولى أبي طلحة - عن كريب عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت جويرة اسمها برة ، فحول رسول الله ﷺ اسمها جويرة ، وكان

---

(١) (صحيح سنن أبي دواد) : جـ ٢ ص ٤٧٢ ، رقم (٣٣١٧ - ٣٩١٧) ، (المجموعة الصحيحة) : حديث رقم ٧٢٦ ، (كشف الخفا) : جـ ١ ص ٦٦ ، حديث رقم (١٥٤) ، (المقاصد الحسنة) : ص ٧٠ ، حديث رقم (٤٠) من حديث محمد بن يونس ، حدثنا عون بن عمارة ، حدثنا السري بن يحى ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب قال : كان رسول الله ﷺ يعجبه الفأل الحسن ، فسمع علياً يوماً وهو يقول : هذه خضرة ، فقال ﷺ : « يالَبَّيْك قد أخذنا فألك من فيك فاخرجوا بنا إلى خضرة » ، قال : فخرجوا إلى خيبر ، فما سل سيف إلا سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه . زاد (العسكري) : حتى فتح الله عزَّ وجلّ . والعسكري هو : أبو هلال العسكري ، مؤلف كتاب الصناعتين ، وديوان المعاني ، وجمهرة الأمثال ، وغيرهم ، حيث تزيد مؤلفاته على العشرين مصنفا ، مات في القرن الخامس .

(٢) (سنن الترمذي) : جـ ٥ ص ١٢٣ - ١٢٤ ، حديث رقم (٢٨٣٩) ، (صحيح سنن الترمذي) جـ ٢ ص ٣٧٢ ، باب ما جاء في تغيير الأسماء ، حديث رقم (٢٢٧٥ - ٣٠٠٧) ، (المجموعة الصحيحة) حديث رقم (٢٠٧) ، (٢٠٨) .

(٣) (المرجع السابق) حديث رقم (٢٨٣٨) : « حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقيّ ، وأبو بكر محمد بن بشار ، وغير واحد قالوا : حدثنا يحى بن سعيد القطان عن عُبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر : أن النبي ﷺ غير اسم عاصية ، وقال : « أنت جميلة » ، (صحيح سنن الترمذي) : جـ ٢ ص ٣٧٢ ، حديث رقم (٢٢٧٤ - ٣٠٠٦) ، قال الألباني : « صحيح » (صحيح سنن ابن ماجه) : جـ ٢ ص ٣٠٦ حديث رقم (٣٠٠٨ - ٣٧٣٣) ، (المجموعة الصحيحة) حديث رقم (٢١٣) .

(٤) (مسلم بشرح النووي) : جـ ١٤ ص ٦٦٦ - ٣٦٧ ، حديث رقم (٢١٣٩)

يكره أن يقال : خرج من عند برة[١] .

وللبخاري ومسلم من حديث شعبة عن عطاء بن ميمونة ، عن أبي رافع ، عن أبي هريرة، أن زينب كان اسمها برة، فقيل : تزكي نفسها ، فسماها رسول الله ﷺ زينب[٢].

ولمسلم من حديث الوليد بن كثير قال : حدثني محمد بن عمرو ، عن عطاء قال: حدثتني زينب ابنة أم سلمة ، قالت : كان اسمي برة ، فسماني رسول الله زينب . قالت : دخلت عليه بنت جحش واسمها برة ، فسماها زينب[٣].

ومن حديث الليث عن يزيد بن أبي حبيب ، عن محمد بن عمرو بن عطاء ، قال سميت ابنتى برة ، فقالت لي زينب بنت أبي سلمة : إن رسول الله ﷺ نهى عن هذا الاسم ، وسُميت بَرَّة ، فقال رسول الله ﷺ : لا تزكوا أنفسكم ، الله أعلم بأهل البر منكم ، فقالوا : بم نسميها ؟ قال : سموها زينب[٤] .

وخرّج الإمام أحمد من حديث عبيد الله بن عمر ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن محمد بن علي ، عن علي رضي الله عنه قال : لما ولد الحسن سماه حمزة، فلما ولد الحسين سماه بعمه جعفر فدعانى رسول الله ﷺ ، فقال : إني أمرت أن أغير اسم هذين ، قلت : الله ورسوله أعلم ، فسماها ، حسناً وحسيناً[٥] .

وخرّج قاسم بن أصبغ وأحمد بن حنبل من حديث إسرائيل عن أبي إسحق عن هانئ عن علي رضى الله عنه قال : لما وُلد الحسن جاء النبي فقال : أرونى ابني ، ماسميتموه ؟ قلت : سميتُه حَرْباً ، قال : بل هو حسن ، فلما وُلد الحسين

---

(١) (المرجع السابق) : حديث رقم (٢١٤٠) .

(٢) (اللؤلؤ والمرجان) : جـ ٣ ص ٤٧ حديث رقم (١٣٨٤) .

(٣) (مسلم بشرح النووى) : جـ ١٤ ص ٣٦٧ حديث رقم (٢١٤٢) .

(٤) (المرجع السابق) ، حديث رقم (١٩) .

قال الإمام النووى فى (المرجع السابق) : معنى هذه الأحاديث تغيير الاسم القبيح أو المكروه إلى حسن ، وقد ثبتت أحاديث بتغييره ﷺ أسماء جماعة كثيرين من الصحابة ، وقد بين العلة فى النوعين وما في معناهما ، وهى التزكية أو خوف التطيرّ .

(٥) (مسند أحمد) : جـ١ ص ١٥٩ ، حديث رقم (١٣٧٤) .

قال: أرونى ابني ، ماسميتموه ؟ قلت : سميته حرباً ، قال بل هو حسين ، فلما وُلد الثالث جاء النبي ﷺ فقال : أروني ابني ، ماسميتموه ؟ قلت : حرباً ، قال هو محسن[1] .

وخرج الإمام أحمد من حديث سفيان عن أبي إسحق عن رجل من جهينة قال سمع النبي ﷺ رجلاً يقول : ياحرام ، فقال : ياحلال .

ومن حديث يحيى بن أبي بكير ، حدثنا عبيد الله بن إياد[2] بن لقيطة [السدوسي][3] عن أبيه عن ليلى امرأة بشير بن الخصامية عن بشير قال : وكان قد أى النبي ﷺ واسمه زحم - فسماه النبي بشيراً[4] .

ومن حديث إسماعيل بن عياش عن بكر بن زرعة الخولانى عن مسلم بن عبد الله الأزدي قال : جاء عبد الله بن قرظ الأزدي إلى النبي ﷺ فقال له : ماسمك ؟ قال : شيطان بن قرظ ، فقال له النبي ﷺ : أنت عبد الله بن قرظ .

ومن حديث شعبة عن عبد الله بن أبي السفر[5] عن عامر الشعبي عن عبد بن مطيع بن الأسود ، حدثنى عدي بن كعب عن أبيه مطيع - وكان اسمه العاصي - فسماه رسول لله ﷺ مطيعاً . قال : سمعت رسول الله ﷺأمر بقتل هؤلاء الرهط بمكة يقول : لا تُغزى مكة بعد هذا اليوم أبداً .

ولأبي داود[6] من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه عن جده أن

---

(١) ثم زاد أسد ، ثم قال : إني سَمَّيْتُهم بأسماء ولد هارون : شبَّر وشَبِّر ومشَبَّر . (الاستيعاب لابن عبد البر) جـ ٣ ص ١٠٠ .

(٢) فى (خ) «إبان» .

(٣) مابين القوسين غير واضح في (خ) ، وما أثبتناه من (الجرح والتعديل) جـ ٢ قسم ٢ ص ٣٠٧ ترجمة رقم (١٤٦٢) وهو ثقة كما قال عنه يحيى بن معين .

(٤) ونحوه في (سنن أبي داود) جـ ٣ ص ٥٥٤ حديث رقم ٣٢٣٠ باب المشي في النعل بين القبور .

(٥) فى (خ) «اليفر» وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) جـ ٤ ص ٣٤٠ عند ترجمة شعبة بن الحجاج رقم (٥٨٠) .

(٦) وأخرجه ٠البخارى في الأدب باب اسم الحزن وفيه [قال ابن المسيَّب : فمازالت فينا الحزونة بعد] .

النبي ﷺ قال له : ما اسمك ؟ قال : حَزْنٌ، قال : بل أنت سَهْلٌ ، قال : لا ، السهل يوطأ ويمتهن ، قال سعيد : فظننت أن ستُصيبنا بعده حُزُونَةٌ . قال أبو داود : وغير النبي ﷺ اسمه العاص وعزيز وعتلة[1] ووشيطان والحكم وغُراب وحُباب وشهاب فسماه هشاماً ، وسمى حرباً سلماً[2] ، وسمي المضطجع المنبعث ، وأرض تسمى عَفِرة[3] سماها خَضِرة ، وشعْب الضلالة سماها شعْب الهدى ، وبنى الزِّنْية سماهم بني الرِّشْدة ، وسمى بني مُغْوِيَة بني رشْدَة[4] . قالَ أبو داود : وتركنا أسانيدهما للاختصار .

---

(١) العتلة : عمود حديد تهدم به الحيطان ، وقيل : حديدة كبيرة يقلع بها الشجر والحجر .

(٢) أما (العاص) : فإنما غيره كراهة لمعنى العصيان ، وإنما سمة المؤمن : الطاعة والاستسلام .

و(عزيز) : إنما غيره لأن العزة لله سبحانه ، وشعار العبد : الذلة والاستكانة ، وقد قال سبحانه عندما يُقَرِّع بعض أعدائه : ﴿ذُق إنك أنت العزيز الحكيم﴾ [الدخان : ٤٩] .

و(عتلة) : معناها الشدة والغلظة ، ومنه قولهم : رجل عُتُلٌ : أي شديد غليظ . ومن صفة المؤمن:اللين والسهولة .

و(شيطان) : اشتقاق من الشَّطْن : وهو البعد عن الخير ، وهو اسم المارد الخبيث من الجن والإنس .

و(الحكم) : هو الحاكم الذي إذا حكم لم يُرَدُّ حُكمه ، وهذه الصفة لا تليق بغير الله سبحانه ، ومن أسمائه الحكم .

و (غراب) : مأخوذ من الغَرْب ، وهوالبعد . ثم هو حيوان خبيث الفعل ، خبيث الطعم ، وقد أباح رسول الله ﷺ قتله في الحل والحرم .

و (حباب) : نوع من الحيات ، وقد روي أن الحباب اسم الشيطان .

فقيل : إنه أراد الخبيث من شياطين الجن ، وقيل - : أراد نوعاً من الحيات يقالها لها : الشياطين. ومن ذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿طلعها كأنه رووس الشياطين﴾ [الصافات :٦٥] .

(٣) وأما (عفرة) : فهى نعت للأرض التى لا تنبت شيئاً ، أخذت من العُفْرة ، وهى : لون الأرض القحلة فسماها خضرة على معنى التفاؤل لتُخضر وتُمرع .

وقوله : (عقرة) : المحفوظ عقرة بالقاف . كأنه كره اسم العقرة ، لأن العاقر هي المرأة التي لا تحمل ، وشجرة عاقر : لا تحمل .

(٤) يقال : هذا ولد رشدة : إذا كان لنكاح صحيح ، كما يقال فى ضده : ولد زنية ، بالكسر فيهما =

وخرَّج بقي [بن] مخلد من حديث عبدة بن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ مرَّ بأرض تسمى مجدبة فسماها خضرة .

وخرَّج البخاري من حديث الزهري عن ابن المسيب عن أبيه أن أباه جاء النبي فقال : ما اسمك ؟ قال : حزن ، قال : أنت سهل ، قال لا أغير اسماً سمانيه أبي ، قال ابن المسيب : فمازالت الحزونة فينا بعده . ترجم عليه باب اسم الحزن ، وذكره أيضا في باب تحويل الاسم إلي اسم أحسن منه .

[و][1] من حديث ابن جريج ، أخبرني عبد الحميد بن جبير بن شيبة قال : جلست إلى سعيد بن المسيب فحدثني أن جده قدم على النبي فقال : ما اسمك ؟ الحديث بنحو منه .

وللبخاري ومسلم من حديث أبي غسان حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد قال : أتي بالمنذر بن أبي أُسيد إلى النبي ﷺ حين وُلد فوضعه على فخذه وأبو أسيد جالس ، فلهى النبي ﷺ بشئ بين يديه ، فأتي أبو أسيد بابنه فاحتمل من فخذ النبي فأقلبوه[2] ، فاستفاق النبي[3] ﷺ فقال : أين الصبي ؟ فقال أبو أسيد : أقلبناه يارسول الله ، قا ما اسمه ؟ قال : فلان ، قال :لا ، ولكن اسده المنذر ، فسماه يومئذ المنذر . وذكره البخاري[4] في باب تحويل الاسم إلى اسم أحسن منه ولم يقل : فأقلبوه ، وقال : ولكن اسمه المنذر ، لم يذكر لا . وخرَّج أبو داود[5]من حديث بشير ابن ميمون عن عمه عن أسامة بن أَخْدَريّ أن رجلا يقال له أصرم كان في النفر

= وقيل بالفتح . (معالم السنن للخطابي) على هامش (سنن أبي داود) جـ ٥ ص ٢٤١ ومابعدها، تعليقاً على الحديث رقم (٤٩٥٦) .

(١) زيادة للسياق .

(٢) فأقلبوه : أي ردوه وصرفوه في جميع نسخ (صحيح مسلم) فأقلبوه بالآلف وأنكره جمهور أهل اللغة والغريب وشراح الحديث وقالوا : صوابه قلبوه بحذف الألف . قالوا : قال : قلبتُ الصبي والشئ صرفته ورددته .

(٣) أى انتبه من شغله وفكره الذي كان فيه والله أعلم (مسلم بشرح النووي) جـ١٤ ص ١٢٨ .

(٤) (صحيح البخاري) جـ٤ ص ٨٠ .

(٥) (سنن أبي داود) جـ٥ ص ٢٣٩ حديث رقم (٤٩٥٤) .

الذين أتوا رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ ما اسمك ؟ قال [أنا][1] أصرم ، قال : بل أنت زُرْعَة .

وقال أبو بكر بن أبي شيبة ، أخبرنا يزيد بن المقدام بن شريح عن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده هانئ بن شريح أنه ذكر أنه أول ما وفد إلى النبي ﷺ في قومه سمعهم وهو يكنون هاني أبا الحكم ، فدعاه النبي ﷺ فقال : إنه الله هو الحكم وإليه الحكم ، فلم تكن أبا الحكم؟ فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شئ فحكمت بينهم رضي كلا الفريقين ، قال : ما أحسن هذا ، قال : فما لك من الولد ؟ قال : شريح بن هاني وعبد الله ومسلم قال أين أكبرهم ؟ قال : شريح ، قال : أنت أبو شريح ، فدعاه له ولولده ، وسمع القوم وهم يسمون رجلا منهم عبد الحجر فقال : ما اسمك ؟ فقال : عبد الحجر ، فقال : بل أنت عبد الله - وأنه لما حضر خروج القوم إلى بلادهم أعطى كل رجل منهم [ ][2] في بلاده حيث أحب ، إلا أن هانئ قال له : يارسول الله، أخبرني بشئ يوجب لي الجنة ، قال : عليك بُحسن الكلام وبذل الطعام . وذكره أبو داود في باب تغيير الاسم القبيح إلى قوله : فأنت أبو شريح ، وبعده قال أبو داود : هذا هو الذي كسر السلسلة وهو ممن دخل تستر . وخرّجه النسائي[3] أيضاً والبخاري في (الأدب المفرد)[4] .

---

(١) زيادة من نص (أبي داود) .

وإنما غير اسم (أصرم) لمافيه معنى الصَّرْم وهو القطيعة ، يقال : صرمت الحبل : إذا قطعته ، وصرمت النخلة ، إذا جذذت ثمرها . (معالم السنن للخطابي) جـ٥ ص ٢٤٠ .

(٢) هذه الكلمة غير واضحة في (خ) ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٣) (سنن النسائي) جـ٨ ص ٣٢٦ باب إذا حكّموا رجلا فقضى بينهم .

(٤) (فضل الله الصمد) جـ٢ ص ٢٨٣ حديث رقم (٨١١) .

فصل في ذكر اجتهاد رسول الله ﷺ في طاعة ربه ومداومته على عبادته

خرَّج البخاري من حديث حيوة عن أبي الأسود ، سمع عروة عن عائشة رضي الله عنها أن نبي الله ﷺ كان يقوم الليل حتى تتفطر [1] قدماه ، فقالت عائشة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً ؟ فلما كثر لحمه صلى جالساً فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع [2] .

---

(١) تتفطر : تتشقق

(٢) (فتح الباري) جـ ٨ ص ٧٥١ ، كتاب التفسير ، سورة (٤٨) : باب (٢) ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما** ﴾ حديث رقم (٤٨٣٧) .

وحيوة : هو ابن شريح المصري . وأبو الأسود : هو محمد بن عبد الرحمن النوفلي المعروف بيتيم عروة ، ونصف هذا الإسناد مصريون ونصفه مدنيون . قوله : « فلما كثر لحمه » ، أنكره الداودي وقال : المحفوظ « فلما بدن » أي كبر ، فكأن الراوي تأوله على كثرة اللحم .

وتعقبه أيضا ابن الجوزي فقال : لم يصفه أحد بالسمن أصلاً ، ولقد مات ﷺ وما شبع من خبز الشعير في يوم مرتين ، وأحسب بعض الرواه لما رأى « بدن » ظنه كثر لحمه ، وليس كذلك ، وإنما هو بدن تبديناً أي أسنّ ، قاله أبو عبيدة .

قال الحافظ ابن حجر : وفي استدلاله بأنه لم يشبع من خبز الشعير نظر ، فإنه يكون من جملة المعجزات ؛ كما في كثرة الجماع ، وطوافه في الليلة الواحدة على تسع وإحدى عشرة ، مع عدم الشبع وضيق العيش ، وأي فرق بين تكثير المني مع الجوع ، وبين وجود كثرة اللحم في البدن مع قلة الأكل ؟ وقد أخرج مسلم من طريق عبد الله بن عروة ، عن عائشة قالت : « لما بدن رسول الله ﷺ وثقل كان أكثر صلاته جالساً » ، لكن يمكن تأويل قوله : « ثقل » ، أي ثقل عليه حمل لحمه ، وإن كان قليلاً لدخوله في السن .

قوله: «صلى جالساً ، فإن أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع» في رواية هشام بن عروة عن أبيه ، « قام فقرأ نحواً من ثلاثين أو أربعين آية ثم ركع » ، أخرجاه .

وأخرجا من طريق أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة بلفظ ، « فإذا بقى من قراءته نحو من ثلاثين أو أربعين آية ، قام فقرأها وهو قائم ثم ركع » .

ولمسلم من طريق عمرة عن عائشة : « فإذا أراد أن يركع قام فقرأ قدر ما يقرأ إنسان أربعين آية » .
وقد روى مسلم من طريق عبد الله بن شقيق عن عائشة في صفة تطوعه ﷺ ، وفيه : « وكان إذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم ، وإذا قرأ قاعداً ركع وسجد وهو قاعد » . وهذا محمول على حالته الأولى قبل أن يدخل في السنّ جمعاً بين الحديثين . (المرجع السابق) : ٧٥٢ .

وخرَّجه مسلم من حديث أبي صخر عن ابن قسيط عن عروة عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه ، قالت عائشة : يا رسول الله ! أتصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟[1] .

ولهما من حديث أبي عوانة عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة أن النبي ﷺ صلى حتى انتفخت قدماه ، فقيل له : أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ [2] .

وللبخاري من حديث مسعر[3] عن زياد قال : سمعت المغيرة يقول : إنْ كان النبي ﷺ ليقوم أو يصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه ، فيقال له ، فيقول : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟[4] .

---

(١) (مسلم بشرح النووي) : جـ ١٧ ص ١٦٨ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث رقم (٨١ - ٢٨٢٠) .

والتفطر : التشقق ، قالوا : ومنه فطر الصائم ، وأفطره لأنه خرق صومه وشقه ، قال القاضي : الشكر ، معرفة إحسان المحسن والتحدث به ، وسميت المجازاة على فعل الجميل شكراً ، لأنها تتضمن الثناء عليه ، وشكر العبد لله تعالى اعترافه بنعمه وثناؤه عليه ، وتمام مواظبته على طاعته ، وأما شكر الله تعالى أفعال عِبَاده ، فمجازاته إياهم عليها ، وتضعيف ثوابها ، وثناؤه بما أنعم به عليهم ، فهو المعطي والمثني سبحانه ، والشكور : من أسمائه سبحانه وتعالى بهذا المعنى ؛ والله أعلم . (المرجع السابق) : ص ١٦٨ - ١٦٩ .

(٢) (مسلم بشرح النووي) جـ ١٧ ص ١٦٨ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث رقم (٧٩ - ٢٨١٩) .

(٣) في (خ) : « مسعود » وما أثبتناه من (البخاري) .

(٤) (فتح الباري) : جـ ٣ ص ١٨ حديث رقم (١١٣٠) . قال الحافظ ابن حجر : الفاء في قوله : « أفلا أكون » للسببية ، وهي عن محذوف تقديره : أأترك تهجدي فلا أكون عبداً شكوراً ، والمعنى : أن المغفرة سبب لكون التهجد شكراً فكيف أتركه ؟

قال ابن بطال : في هذا الحديث أخذ الإنسان على نفسه بالشدة في العبادة ، وإن أضرَّ ذلك ببدنه ، لأنه ﷺ إذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له ، فكيف بمن لم يعلم بذلك ، فضلاً عمن لم يأمن أنه استحق النار .

ومحل ذلك ما إذا لم يُفْضِ إلى الملال ، لأن حال النبي ﷺ كانت أكمل الأحوال ، فكان لا يمل من عبادة ربه وإن أضرَّ ذلك ببدنه ، بل صح أنه قال : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » ، كما أخرجه النسائي من حديث أنس ، فأما غيره ﷺ فإذا خشي الملل لا ينبغي له أن يُكره نفسه ، وعليه يُحمل قوله ﷺ « خذوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا » .

وله من حديث أبي عيينة ، أخبرنا زياد أنه سمع المغيرة يقول : قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟[1] .

وخرَّج قاسم بن أصبغ من حديث سفيان عن زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال : قال رسول الله ﷺ : جُعلت قُرة عيني الصلاة[2] ، وكان يصلي حتى ترم قدماه ، قال : فقيل له يا رسول الله ! أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟

وله من حديث شعبة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصلي حتى ترم قدماه ، فقيل له : تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟

وخرَّج ابن حبان في صحيحه من حديث أبي اسحاق عن حارثة بن مضرب أن علياً قال : إن رسول الله ﷺ لما أصبح ببدر من الغد أحيا تلك الليلة كلها وهو مسافر[3] .

وفيه : مشروعية الصلاة للشكر ، وفيه أن الشكر يكون بالعمل ، كما يكون باللسان ، كما قال تعالى : ﴿ **إعملوا آل داود شكراً** ﴾

وقال القرطبي : ظن من سأله عن سبب تحمله المشقه في العبادة أنه إنما يعبد الله خوفاً من الذنوب وطلباً للمغفرة والرحمة ، فمن تحقق أنه غُفر له لا يحتاج إلى ذلك ، فأفادهم أن هناك طريقاً آخر للعبادة وهو الشكر على المغفرة ، وإيصال النّعمة لمن لا يستحق عليه فيها شيئاً ، فيتعين كثرة الشكر على ذلك .

والشكر : الاعتراف بالنعمة والقيام بالخدمة ، فمن كثر ذلك منه سُمّي شكوراً ، ومن ثم قال سبحانه وتعالى : ﴿ **وقليل من عبادي الشكور** ﴾ وفيه : ما كان عليه النبي ﷺ من الاجتهاد في العبادة ، والخشية من ربه ، قال العلماء : إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدّة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم ، وأنه ابتدأهم بها قبل استحقاقها ، فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره ، مع أن حقوقه أعظم من أن يقوم بها العباد . وطرفه في الحديث رقم (٦٤٧١) .

(١) (المرجع السابق) : جـ ٨ ص ٧٥١ حديث رقم (٤٨٣٦) : « حدثنا صَدَقَةُ بن الفضل ، أخبرنا ابن عيينة ، حدثنا زياد أنه سمع المغيره يقول : « قام النبي ﷺ ؛ حتى تورمت قدماه ، فقيل له : غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : أفلا أكون عبداً شكوراً » .

(٢) (البداية والنهاية) : جـ ٦ ص ٣٠ ، (كنز العمال) : جـ ٧ ص ٢٨٦ حديث رقم (١٨٩١٢) ، الطبراني عن أنس .

(٣) (الإحسان) : ج ١١ ص ٧٣ ، حديث رقم (٤٧٥٩) ، إسناده حسن ، رجاله رجال الشيخين ،

ومن حديث شعبة عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ، ولقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح[1]

وخرَّج الإمام أحمد من حديث مالك عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر عن أبي يوسف مولى عائشة عن عائشة أن [رجلاً سأل رسول الله ﷺ] فقال : يا رسول الله ، تدركني الصلاة وأنا جنب ، وأنا أريد الصيام فقال رسول الله ﷺ وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب وأنا أريد الصيام فأغتسل وأصوم ، فقال الرجل : إنا لسنا مثلك ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فغضب رسول الله وقال : والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله عز وجل وأعلمكم بما أتقى[2]

وخرَّج ابن عساكر من حديث آدم ، أخبرنا أبو شيبة عن عطاء الخراساني عن أبي عمران الجوني عن عائشة قالت : كان أحب الأعمال إلى رسول الله أربعة ، فعملان يجهدان ماله وعملان يجهدان جسده ، فأما اللذان يجهدان ماله فالجهاد والصدقة ، وأما اللذان يُجهدان جسده فالصوم والصلاة[3].

وخرَّج من حديث عبد الرزاق ، أخبرنا ابن جريج قال : قال عبد الله بن أبي مليكة : سمعت أهل عائشة يذكرون عنها أنها كانت تقول : كان رسول الله شديد الإنصاب لجسده في العبادة ، غير أنه حين دخل في السن وثقل من اللحم كان أكثر ما يصلي وهو قاعد[3].

غير حارثة بن مضرب ، فقد روى له أصحاب السنن ، وهو ثقة ، والأزرق بن علي ، ذكره المؤلف في الثقاتِ وقال : يُغرب ، وروىٰ عنه أبو يعلي ، وابن عاصم ، وعبد الله بن أحمد ، وأبو زرعة ، وغيرهم ، وأخرج له الحاكم في (المستدرك) ، وقد اعتمد الشيخان رواية يوسف بن أبي إسحاق ، وهو يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق ، عن جده .

(١) (المرجع السابق) : جـ ٦ ص ٣٢ حديث رقم (٢٢٥٧) ، وإسناده صحيح . رجاله ثقات رجال الصحيح غير حارثة بن مضرب ، وهو ثقة روى له أصحاب السنن .

(٢) (مسند أحمد) : جـ ٧ ص ١٠٠ ، حديث رقم (٢٣٨٦٤) ، ص ٣٤٩ ، حديث رقم (٢٥٥٥٢) باختلاف يسير ، من حديث عائشة أيضاً .

(٣) لم أظفر بهما فيما بين يديّ من مراجع .

وخرَّج البخاري [1] ومسلم [2] وأبو داود [3] من حديث منصور عن إبراهيم عن علقمة قال : سألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قلت : يا أم المؤمنين ، كيف كان عمل رسول الله ﷺ ؟ هل كان يخص شيئاً من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله ديمة ، وأيّكم تستطيعون ما كان رسول الله ﷺ يستطيع . ذكره البخاري في كتاب الرقاق ، وفي كتاب الصيام [4]

وخرَّج البخاري من حديث عبد الرزاق قال : أخبرنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثني أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : أياكم والوصال ، قال : قلت : فإنك تواصل يا رسول الله ، قال : إني لست في ذاكم مثلكم ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني ، فاكلفوا من العمل مالكم به طاقة [5] . وخرَّجه مسلم من

---

(١) (فتح الباري) : جـ ٤ ص ٢٩٥ ، حديث رقم (١٩٨٧) ولفظه : حدثنا مُسدَّدٌ ، حدثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة « قلتُ لعائشة رضي الله عنها : هل كان رسول الله ﷺ يختصُّ من الأيام شيئاً ؟ قالت : لا ، كان عمله دِيمة ، وأيكم يُطيق ما كان رسول الله ﷺ يُطيق » ؟ و (المرجع السابق) : جـ ١١ ص ٣٥٥ ، حديث رقم (٦٤٦٦) ، « سألتُ أم المؤمنين عائشة قلت : يا أم المؤمنين ، كيف كان عمل النبي ﷺ ، هل كان يخص شيئاً من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عملُه دِيمة ، وأيكم يستطيع ما كان النبي ﷺ يستطيع » ؟

قوله : « كان عمله ديمة » ، بكسر الدال المهملة وسكون التحتانية أي دائماً ، والديمة في الأصل المطر المستمر مع سكون بلا رعد ولا برق ، ثم استُعمل في غيره ، وأصلها الواو ، فا نقلبت بالكسره قبلها ياء .

قوله : « وأيكم يستطيع » أي في العبادة ، كميةً كانت أو كيفية من خشوع وخضوع وإخبات وإخلاص . والله أعلم . (المرجع السابق) .

(٢) (مسلم بشرح النووي) : جـ ٦ ص ٣١٩ حديث رقم (٢١٧ - ٧٨٣) ، « حدثنا زهير بن حرب ، وإسحاق بن إبراهيمَ ، قال زهير : حدثنا جرير عن منصور ، عن إبراهيم عن علقمة قال : سألتُ أم المؤمنين عائشة ، قال : قُلت : يا أم المؤمنين ، كيف كان عمل رسول الله ﷺ هل كان يخص شيئاً من الأيام ؟ قالت : لا ، كان عمله ديمة ، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع » ؟ .

(٣) (عون المعبود) : جـ ٤ ص ١٧٠ ، حديث رقم (١٣٦٧) .

(٤) وأخرجه أيضاً :

الإمام أحمد في (المسند) : جـ ٧ ص ٦٦ ، حديث رقم (٢٣٦٤٢) ، ص ٨٣ ، حديث رقم (٢٣٧٦١) ، ص ٢٧١ ، حديث رقم (٢٥٠٣٤) ، وفي (الزهد) : ص ٨ .

ابن حبان في صحيحه ، (الإحسان) : جـ ٢ ص ٢٦ ، حديث رقم (٣٢٢) ، جـ ٨ ص ٤٠٨ ، حديث رقم (٣٦٤٧) .

(٥) (فتح الباري) : جـ ٤ ص ٢٥٨ ، حديث رقم (١٩٦٦) ، قوله : « بما تطيقون » ، في رواية أحمد : « بما لكم به طاقة » ، وكذا لمسلمٍ من طريق أبي الزناد عن الأعرج . قوله : « يطعمني ويسقيني » ، أي =

أوجه(1) .

وخرَّجا معناه من حديث ابن عمر وأنس وعائشة والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة من [حديث] سعيد بن عبد العزيز عن إسماعيل بن عبيد الله عن خالد بن عبد الله بن الحسين قال : سمعت أبا هريرة يقول : ما رأيت أحداً أكثر أن يقول : أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ ، قال : إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة(2) .

يشغلني بالتفكر في عظمته ، والتملي بمشاهدته ، والتغذي بمعارفه ، وقره العين بمحبتة ، والاستغراق في مناجاته ، والإقبال عليه عن الطعام والشراب . وإلي هذا جنح ابن القيم وقال : قد يكون هذا الغذاء أعظم من غذاء الأجساد ، ومن له أدنى ذوق وتجربة يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح ، عن كثير من الغذاء الجسماني .

ولاسيما الفَرِح المسرور بمطلوبه ، الذي قرت عينه بمحبوبه . (المرجع السابق)

(1) (مسلم بشرح النووي) : جـ ٧ ص ٢٢٠ ، حديث رقم (٥٨ - (...)) ، قوله : « إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني » معناه : يجعل الله تعالى في قوة الطاعم والشارب ، وقيل : هو على ظاهره ، وأنه يطعم من طعام الجنة كرامة له ، والصحيح الأول ، لأنه لو أكل حقيقة ، لم يكن مواصلاً . ، قوله : « فَاكْلَفُوا من الأعمال ما تطيقون » ، هو بفتح اللام ، ومعناه : خذوا وتحملوا . (المرجع السابق) .

وخرجه أيضاً : الإمام أحمد في (المسند) : جـ ٢ ص ٤٦١ ، حديث رقم (٧١٢٢) ، وص ٤٨٤ ، حديث رقم (٧٢٨٦) .

البيهقي في (السنن الكبرى) : جـ ٤ ص ٢٨٢ ، باب النهي عن الوصال في الصوم .

مالك في (الموطأ) : جـ ٢ ص٢٤٠ ، حديث رقم (٦٧٦) ، باب النهي عن الوصال في الصيام ، وص ٢٤٣ ، حديث رقم (٦٧٧) ، قوله : (إني لستُ كهيئتكم) ، أي ليس حالي كحالكم ، والمراد لستُ كأحدكم . (شرح الزرقاني على الموطأ) .

الدارمي في (السنن) : جـ ٢ ص ٨ باب النهي عن الوصال في الصوم .

(2) (مسند أحمد) : جـ ٣ ص ٢٠٢ ، حديث رقم (٩٥١٥) ، (حلية الأولياء) : جـ ٢ ص ٨٨ ، ترجمة رقم (١٧٣) ، أبو بكر بن عبد الرحمن وقال فيه « أكثر من سبعين مرة » ثم قال : رواه عقيل وغيره عن الزهري ، ولم يروه عن موسى بن عقبة إلا سليمان ، (فتح الباري) : جـ ١١ ص ١٢١ ، حديث رقم (٦٣٠٧) باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة ، قوله : إني لأ ستغفر الله وأتوب إليه » ظَاهِرُهُ أنه يطلب المغفرة ، ويعزم على التوبة ، ويحتمل أن يكون المراد يقول هذا اللفظ بعينه ، ويرجح الثاني ما أخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : « أستغفر الله الذي لا إلّه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة » .

وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ « إنا كنا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلس : رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور ، مائة مرة » ، (كنز العمال) : جـ ١ ص ٤٨٣ حديث رقم (٢١١٣ - ٢١١٤) ، (صحيح سنن ابن ماجة) جـ ٢ ص ٣٢١ ، حديث رقم (٣٠٧٦ - ٣٨١٥) ، وقال فيه : « مائة مرة » ، قال الألباني : حسن صحيح ، (المرجع السابق) : =

وله من حديث مغيرة بن أبي الخواء الكندي عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده قال : جاء رسول الله ﷺ ونحن جلوس فقال : ما أصبحتُ غداةً قط إلا استغفرتُ الله فيها مائة مرة[1] .

وله من حديث عفان عن حماد بن سلمة قال : أخبرنا ثابت عن أبي بردة عن [الأغر المزني][2] قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في كل يوم مائة مـرة[3] .

حديث رقم (٣٠٧٧ - ٣٨١٦) ، وقال فيه « سبعين مرة » ، قال الألباني : صحيح .

(١) (المطالب العالية) : جـ ٣ ص ١٩٧ ، حديث رقم (٢٣٤٢) ، رواه الطبراني بغير هذا اللفظ ، وبزيادة . « وأتوب إليه » قال الهيثمي : رجال أحد إسناديه رجال الصحيح (١٠/٢٠٩) ، وصحح إسناده البوصيري (٣/٩٦) .

(٢) مابين القوسين غير واضح في (خ) ، وما أثبتناه من (صحيح مسلم) .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : جـ ١٧ ص ٢٦ - ٢٧ ، حديث رقم (٤١ - ٢٧٠٢) باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه ، وقال فيه : « إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » .

قال أهل اللغة : الغين والغيم بمعنى ، والمراد هنا ما يتغشّى القلب . قال القاضي :

قيل : المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه ، فإذا فتر عنه أو غفل ، عدَّ ذلك ذنباً واستغفر منه .

وقيل : هو همه بسبب أمته ، وما أطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم .

وقيل : سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ، ومحاربة العدو ومداراته ، وتأليف المؤلفة ، ونحو ذلك ، فيشتغل بذلك من عظيم مقامه ، فيراه ذنباً بالنسبة إلي عظيم منزلته ، وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات ، وأفضل الأعمال ، فهي نزول عن عالي درجته ، ورفيع مقامه ، من حضوره مع الله تعالى ، ومشاهدته ، ومراقبته ، وفراغه مما سواه ، فيستغفر لذلك .

وقيل : يحتمل أن يكون هذا الغين هو السكينة التي تغشي قلبه ، لقوله تعالى : ﴿ **فأنزل السكينة عليهم** ﴾ (آية ١٨ / الفتح) ، ويكون استغفاره إظهاراً للعبودية والافتقار ، وملازمة الخشوع ، وشكراً لما أولاه .

وقيل : يحتمل أن يكون هذا الغين حال خشية وإعظام يغشي القلب ، ويكون استغفاره شكراً كما سبق .

وقيل : هو شيء يعتري القلوب الصافية ، مما تتحدث به النفس ، فهو شأنها ، والله أعلم . (المرجع السابق) .

(عون المعبود) : جـ ٤ ص ٢٦٥ ، حديث رقم (١٥١٢) وقال فيه : « في كل يوم مائة مرة » ، قال في النهاية : وغينت السماء تغان إذا أطبق عليها الغيم ، وقيل : الغين شجر مُلْتَف . أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر ، لأن قلبه أبداً كان مشغولاً بالله تعالى ، فإن عرض له وقتاً ما عارض بشريّ يشغله عن أمور الأمة أو الملة ومصالحهما ، عدَّ ذلك ذنباً وتقصيراً ، فيفرغ إلى الاستغفار .

ومن حديث جعفر بن سليمان عن ثابت عن أبي بردة عن رجل من أصحابه قال : قال رسول الله ﷺ إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله كل يوم مائة مرة .

ومن حديث سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال : حدثني أبو بردة قال : جلست إلى رجل من المهاجرين يعجبني تواضعه ، فسمعته يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم [مائة] مرة ، أو قال : أكثر من مائة مرة [1] .

وقال السيوطي : هذا من المتشابه الذي لا يُعلم معناه . وقد وقف الأصمعي إمام اللغة على تفسيره وقال : لو كان قلب غير النبي ﷺ لتكلمت عليه .

وقال السنديّ : وحقيقته بالنظر إلى قلب النبي ﷺ لا تدري ، وإن قَدْرَهُ ﷺ أجلّ وأعظم مما يخطر في كثير من الأوهام ، فالتفويض في مثله أحسن ؛ نعم القدر المقصود بالإفهام مفهوم ، وهو أنه ﷺ كان يحصل له حالة داعية إلي الاستغفار ، فيستغفر كل يوم مائة مرة ، فكيف غيره . والله أعلم . (المرجع السابق) .

(مسند أحمد) : جـ ٥ ص ٢٤٢ ، حديث رقم (١٧٣٩٢) ، وقال فيه : « فإني أستغفر الله » ، وحديث رقم (١٧٣٩٣) ، وقال فيه : « حتى أستغفر الله » . كلاهما من حديث الأغرّ المزنيّ رضى الله تعالى عنه .

(السنن الكبرى للبيهقي) : جـ ٧ ص ٥٢ باب : كان يغان على قلبه ، فيستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مائة مرة .

(إتحاف السادة المتقين) : جـ ٥ ص ٢٨٤ ، كتاب الأذكار والدعوات ، الباب الثاني : قوله : « إنه لَيُغان على قلبي » ، الغين : شيء رقيق من الصدأ يغشى القلب فيغطيه بعض التغطية ، وهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء ، فلا يحجب الشمس ، لكنه يمنع ضوءها . والمزني : له صحبه ، روي عنه معاوية ابن قرة ، وأبو بردة . (المرجع السابق) .

(جامع الأصول) : جـ ٤ ص ٣٨٦ ، حديث رقم (٢٤٤٣) ، قوله : « لَيُغان على قلبي » ، أي لَيُغطي ويُغشى ، والمراد به : السهو ، لأنه كان لا يزال في مزيد من الذكر والقُربة ، ودوام المراقبة ، فإذا سها عن شيء منها في بعض الأوقات ، أو نسي ، عدَّه ذنباً على نفسه ، ففزع إلى الاستغفار . (المرجع السابق) .

(كنز العمال) : جـ ١ ص ٤٧٦ ، حديث رقم (٢٠٧٥) .

(١) (مسلم بشرح النووي) جـ ١٧ ص ٢٧ ، حديث رقم (٤٢ - (...)) ، وقوله : « يأيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة » ، هذا الأمر بالتوبة موافق لقوله تعالى ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبه نصوحاً** ﴾ ، (آية ٣١ / النور) ، (آية ٨ / التحريم) على الترتيب . وقد سبق في الباب قبله بيان سبب استغفاره وتوبته ﷺ ، ونحن إلى الاستغفار والتوبة أحوج .

قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : للتوبة ثلاثة شروط : أن يقلع عن المعصية ، وأن يندم على فعلها ، =

ورواه النضر بن شميل من حديث محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأستغفر الله وأتوب إليه في كل يوم مائة مرة[1] .

وخرج الإمام أحمد من حديث داود عن الشعبي عن مسروق قال : قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ يكثرفي آخر أمره من قول : سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ، قالت : فقلت : يا رسول الله ! مالي أراك تكثر من قول سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ؟ قال : إني ربي عزّ وجل كان أخبرني أني

وأن يعزم عزماً جازماً أن لا يعود إلى مثلها ، فإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع ، وهو رد الظلامة إلى صاحبها ، أو تحصيل البراءة منه . والتوبة من أهم قواعد الإسلام ، وهي أول مقامات سالكي طريق الآخرة . (المرجع السابق) .

(مسند أحمد) : جـ ٥ ص ٢٤٢ ، حديث رقم (١٧٣٩٤) من حديث الأغَرّ المزني ، ص ٢٢٢ ، حديث رقم (١٧٨٢٨) من حديث الأغر المزني أيضاً ، ص ٣٢٢ ، حديث رقم (١٧٢٩) عن رجل رضي الله عنه ، حديث رقم (١٧٨٣٠) ، من حديث رجل من المهاجرين رضي الله عنه ، لعل الرجل المجهول في هذين الحديثين هو الأغَرّ المزني ، جـ ٦ ص ٥٧٠ ، حديث رقم (٢٢٩٧٧) ، من حديث شيخ من أصحاب النبي ﷺ ، حدثنا عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا اسماعيل ، حدثنا يونس عن حميد بن هلال ، عن أبي بردة قال : جلست إلي شيخ من أصحاب النبي ﷺ في مسجد الكوفة ، فحدثني فقال : سمعت رسول الله ﷺ – أو قال : قال رسول الله ﷺ – : « يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإني أتوب إلى الله وأستغفره كل يوم مائة مرة ، فقلت : اللهم إني أستَغْفِرُك اثنتان ، قال : هو ما أقول لك .

(علل الحديث) : جـ ٢ ص ١٣٧ حديث رقم (١٩٠٤) : سألت أبي عن حديث رواه يحيى القطان ، عن سليمان بن المغيرة ، عن حميد بن هلال ، عن أبي برزة ، عن رجل من المهاجرين يعجبني تواضعه ... فذكر الحديث . قال أبي : يقال إن هذا الرجل هو الأغر المزني ، وله صحبه . (المرجع السابق) .

(المجموعة الصحيحة) : جـ ٣ ص ٤٣٥ ، حديث رقم (١٤٥٢) ، قال الألباني : وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وجهالة الصحابي لا تضر ، ويبدو أنه الأغر المزني .

(١) (سنن ابن ماجه) : جـ ٢ ص ١٢٥٤ ، كتاب الأدب ، حديث رقم (٣٨١٥) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن بشْر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، وقال فيه : « مائة مرة »

وحديث رقم (٣٨١٦) : حدثنا على بن محمد ، حدثنا وكيع ، عن مغيرة بن أبي الحُرّ ، عن سعيد ابن أبي بردة بن أبي موسى ، عن أبيه ، عن جده ، وقال فيه : « سبعين مرة » .

(صحيح سنن ابن ماجه » : جـ ٢ ص ٣٢١ ، باب الاستغفار ، حديث رقم (٣٠٧٦ – ٣٨١٥) ، قال الألباني : حسن صحيح ، وحديث رقم (٣٠٧٧ – ٣٨١٦) ، قال الألباني ، صحيح .

سأرى علامة في أمتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان تواباً ، فقد رأيتها ، ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾[1] .

وخرّج البخاري ومسلم من حديث الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة السليماني عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : إقرأ عليّ القرآن ، فقلت : يا رسول الله ! أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل ؟ قال : إني أشتهي أن أسمعه من غيري ، قال : [فقرأت عليه] حتى إذا بلغت ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾[2] ، فرفعت بصري أو غمزني رجل إلى جنبي فرفعت رأسي فرأيت دموعه تسيل . وقال البخاري : إني أحب أن أسمعه من غيري – وهنا انتهى حديثه – لم يذكر ما بعده . ترجم عليه باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره ، وذكره في باب البكاء عند قراءة القرآن[3] .

---

(١) سورة النصر

(مسند أحمد) : جـ ٧ ص ٥٤ ، حديث رقم (٢٣٥٤٥) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها .

(ابن كثير في التفسير) جـ ٤ ص ٦٠٢ قال : ورواه مسلم من طريق داود بن هند به ، وقال ابن جرير : حدثنا أبو السائب ، حدثنا حفص ، حدثنا عاصم عن الشعبي ، عن أم سلمة قالت : كان رسول الله ﷺ في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ، ولا يذهب ولا يجيء إلا قال : « سبحان الله وبحمده ، فقلت : يارسول الله ! رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده ، لا تذهب ولا تجيء ، ولا تقوم ولا تقعد ، إلا قلت : « سبحان الله وبحمده » ؟ قال : إني أُمرت بها ، فقال : ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ إلى آخر السورة . غريب .

ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه ، عن عمرو بن مرة ، عن شعبة ، عن إسحاق به . والمراد بالفتح هنا ، فتح مكة قولاً واحداً ، فإن أحياء العرب كانت تتلوم بإسلامها فتح مكة ؛ يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي ، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجاً ، فلم تَمْضِ سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام . ولله الحمد والمنة . (المرجع السابق) .

(٢) آية ٤١ / النساء

(٣) (اللؤلؤ والمرجان) جـ ١ ص ١٥٥ باب فضل استماع القرآن ، وطلب القراءة من حافظه للاستماع ، والبكاء عند القراءة والتدبر ، حديث رقم (٤٦٣) .

(فتح الباري) : جـ ٩ ص ١١٥ ، باب (٣٢) من أحبَّ أن يستمع القرآن من غيْرِه ، وباب (٣٣) قول المقرىء للقارىء : حسبك ، حديث رقم (٥٠٤٩) ، (٥٠٥٠) . قال ابن بطال : يحتمل أن يكون أَحَبَّ أن يسمعه من غيره ، ليكون عرض القرآن سنة . ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه ، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ، ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارىء لاشتغاله بالقراءة =

وفي رواية لمسلم : قال لي رسول الله ﷺ وهو على المنبر إقرأ عليّ ، فذكره [1] .

وذكر البخاري في كتاب التفسير من حديث سفيان عن سليمان عن إبراهيم عن عبيده عن عبد الله قال يحيى بعض الحديث « عن عمرو بن مرة قال : قال لي النبي ﷺ إقرأ عليّ ، قلت : أقرأ عليك وعليك أنزل ، قال : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت : ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً** ﴾ قال : أمسك ، فإذا عيناه تذرفان »[2] . وذكره في فضائل القرآن وكرره[3] . وذكر له مسلم عدة طُرق .

وخرج الترمذي من حديث عبد الله بن المبارك ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ،

= وأحكامها ، وهذا بخلاف قراءته هو ﷺ على أُبَيّ بن كعب ، فإنه أراد أن يعلمه كيفية أداء القراءة ، ومخارج الحروف ، ونحو ذلك . باختصار من (المرجع السابق) .

(المرجع السابق) : ص ١٢١ ، باب ٣٥ البكاء عند قراءة القرآن ، حديث رقم (٥٠٥٥) ، (٥٠٥٦) . قال الغزالي : يستحب البكاء مع القراءة وعندها ، وطريق تحصيله أن يحضر قلبه الحزن والخوف ، بتأمل ما فيه من التهديد والوعيد الشديد ، والمواثيق والعهود ، ثم ينظر تقصيره في ذلك ، فإن لم يحضره حزن فليبك على ذلك ، فإنه من أعظم المصائب .

قال ابن بطال : إنما يبكي عند تلاوه هذه الآية لأنه مثل لنفسه أهوال يوم القيامة ، وشدة حال الداعية له إلى شهادته لأمته بالتصديق ، وسؤاله الشفاعة لأهل الموقف ، وهو أمر يحق له طول البكاء .

والذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته ، لأنَّه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملهم ، وعملهم قد لا يكون مستقيما ، فقد يُفضي إلى تعذيبهم . والله أعلم . (المرجع السابق) .

(١) (مسلم بشرح النووي) : جـ ٦ ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ، باب (٤٠) ، فضل استماع القرآن ، وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتتبع

حديث رقم (٢٤٧ - ٨٠٠) ، وحديث رقم (٢٤٨ - ٠٠٠) ، وفي هذا الحديث من الفوائد : استحباب استماع القراءة والإصغاء لها ، والبكاء عندها ، وتدبرها ، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له ، وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه ، وفيه تواضع أهل العلم والفضل ، ولو مع أتباعهم . (المرجع السابق) .

(٢) (فتح الباري) : جـ ٨ ص ٣١٧ ، كتاب التفسير ، حديث رقم (٤٥٨٢)

(٣) (المرجع السابق) : جـ ٩ ص ١١٥ ، كتاب فضائل القرآن باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره ، حديث رقم (٥٠٤٩) ، باب قول المقريء للقاريء : حسبُك ، حديث رقم (٥٠٥٠) .

ولجوفه أزيز[1] كأزيز المرجل (من البكاء)[2] .

وخرجه ابن حبان من حديث هدبه عن حماد بمثله سواء[3] .

ورواه يزيد بن هارون عن حماد عن ثابت عن مطرف عن أبيه أنه قال : رأيت

---

(١) أزيز : أي خنين من الخوف بالخاء المعجمة ، وهو صوت البكاء ، وقيل : هو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء . (النهاية) : جـ ١ ص ٤٥ ، ومنه الحديث : « فإن المسجد يتأزز » أي يموج فيه الناس وفي حديث الأَستر : « كان الذي أَزَّ أم المؤمنين على الخروج ابن الزبير » ، أي هو الذي حرَّكها وأزْعَجَها وحملها على الخروج ، وفي رواية أخرى : « أن طلحة والزبير أَزَّا عائشة حتى خرجت » . وقال الحربي : الأَزّ أن تحمل إنساناً على أمر بحيلة ورفق حتى يفعله . (المرجع السابق) ، وفي التنزيل : ﴿ **ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزًّا** ﴾ آية ٨٣ / مريم . ، (الشمائل المحمدية) : ص ٢٦٣ باب ما جاء في بكاء الرسول ﷺ ، حديث رقم (٣٢٣) .

(٢) مابين القوسين زيادة من المرجع السابق .

(٣) (الإحسان) : جـ ٢ ص ٤٣٩ ، كتاب الرقاق ، باب الخوف ، والتقوى ، ذكر البيان بأن المرء إذا تهجَّد بالليل وخلا بالطاعات ، يجب أن تكون حالةُ الخوف عليه غالبة لئلا يعجب بها وإن كان فاضلاً في نفسه ، تقياً في دينه ، حديث رقم (٦٦٥) : أخبرنا أبو يعلي ، حدثنا حَوْثَرة بن أشرس العدوي ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن أبيه قال : « دخلتُ على النبي ﷺ المسجد وهو قائم يصلي ، وبصدره أزيز كأزيز المِرْجَل » . إسناده صحيح ، حَوْثَرة بن أشرس : روي عنه أبو حاتم وأبو زرعة فيما ذكره ابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل) : جـ ٣ ص ٢٨٣ ، ترجمة رقم (١٢٦٢) . وقال ابن حجر في (تعجيل المنفعة) : ص ١٠٩ ، ترجمة رقم (٢٤٣) : ورى عن حماد ابن سلمة ، وأبي الأشهب وجماعة ، وروى عنه عبد الله بن أحمد ، ومسلم بن الحجاج خارج الصحيح ، وأبو يعلي وغيرهم ، مات سنه إحدى وثلاثين ومائة ، ذكره ابن حبان في (الثقات) جـ ٨ ص ٢١٥ وقال : « حَوْثَرة بن أشرس العدوي ، أبو عامر ، من أهل البصرة ، يروي عن حماد بن سلمة والبصريين ، حدثنا عنه الحسن بن سفيان وأبو يعلي » . وباقي رجاله ثقات على شرط الصحيح .

و(الإحسان) جـ ٣ ص ٣٠ - ٣١ ، حديث رقم (٧٥٣) من طريق يزيد بن هارون ، عن حماد بهذا الإسناد ، وقال في آخره : « من البكاء » .

قال أبو حاتم رضي الله عنه : في هذا الخبر بَيانٌ واضح أن التحزن الذي أذن الله ، جلَّ وعلا ، فيه بالقرآن ، واستمع إليه وهو التحزن بالصوت مع بدايته ونهايته ؛ لأن بداءته هو العزم الصحيح على الانقلاع عن المزجورات ، ونهايته وفور التشمير في أنواع العبادات ، فإذا اشتمل التحزن على البداية التي وصفتها ، والنهاية التي ذكرتها ، صار المتحزن بالقرآن كأنه قذف بنفسه في مقلاع القربة إلي مولاه ، ولم يتعلق بشيء دونه .

و(مسند أحمد) : جـ ٤ ص ٦٠٤ ، حديث رقم (١٥٨٨٢) ، عن عبد الرحمن بن مهدي ، حديث رقم (١٥٨٩١) ، عن عفان ، كلاهما من حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه رضي الله تعالى عنهما .

رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز كأزيز الرحي من البكاء[1] .

وخرج الترمذي من حديث أبي كريب ، أخبرنا معاوية بن هشام عن شيبان عن أبي اسحاق عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ! أراك شبت ! قال : شيبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه[2] .

---

(١) (عون المعبود) : جـ ٣ ص ١٢١ ، باب البكاء في الصلاة ، حديث رقم (٨٩٩) ، « المرجل » : القدر من حديد ، أو حجر ، أو خزف ، لأنه إذا نُصب كأنه أقيم على الرجل .

وفي الحديث دليل على أن البكاء لا يبطل الصلاة سواء ظهر منه حرفان أم لا ، وقد قيل : إن البكاء من خشية الله لم يُبطل ، وهذا الحديث يدل عليه . ويدل عليه أيضاً ما رواه ابن حبان بسنده إلى علي بن أبي طالب قال : « ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد بن الأسود ، ولقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يُصلي ويبكي حتى أصبح » ، وبَوَّب عليه : ذكر الإباحة للمرء أن يبكي من خشية الله . واستدل على جواز البكاء في الصلاة بقوله تعالى : ﴿ **إذا تُتلى عليهم آيات الرحمٰن خروا سُجَّداً وبُكِيّاً** ﴾ آية ٥٨ / مريم .

(صحيح سنن أبي دواد) : جـ ١ ص ١٧٠ باب البكاء في الصلاة ، حديث رقم ٧٩٩١ - ٩٠٤) قال الألباني : صحيح .

وأخرجه الحاكم في (المستدرك) : جـ ١ ص ٣٩٦ ، حديث رقم (٩٧١ - ٢٩٨) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه . والبيهقي في (السنن الكبرى) جـ ٢ ص ٢٥١ ، باب من بكى في صلاته فلم يظهر من صوته ما يكون كلاماً له هجاء ، إلا أنه قال : « ولجوفه أزيز كأزيز المرجل » ، من طريق يزيد بن هارون .

و(النسائي) : جـ ٣ ص ١٨ ، كتاب السهو ، باب البكاء في الصلاة ، حديث رقم (١٢١٣) .
(صحيح سنن النسائي) : جـ ١ ص ٢٦٠ حديث رقم (١١٥٦) . قال الألباني : صحيح .

(٢) (الشمائل المحمدية) ص ٥٦ - ٥٧ ، حديث رقم (٤١) ، وفيه : « يارسول الله قد شِبْتَ » . وهو صحيح بشواهده ، أخرجه الترمزيّ في (الجامع الصحيح) : جـ ٥ حديث رقم (٣٢٩٧) ، قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه ، وروى عليُّ بن صالح هذا الحديث عن أبي إسحاق ، عن أبي جُحَيْفة نحو هذا . ورُوي عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة شيءٌ من هذا مرسلا .

وروى أبو بكر بن عَيَّاش عن أبي إسحاق عن عكرمة ، عن النبي ﷺ نحو حديث شيبان عن أبي إسحاق ، ولم يذكر فيه عن ابن عباس ، حدثنا بذلك هاشم بن الوليد الهَرَويُّ ، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش .
(صحيح سنن الترمذي) : جـ ٣ ص ١١٣ حديث رقم (٢٦٢٧ - ٣٥٢٨) ، قال الألباني صحيح .
(الصحيحة) : جـ ٢ ص ٦٧٦ ، حديث رقم (٩٥٥) .

=

وروى علي بن صالح هذا الحديث عن أبي اسحاق عن أبي جحيفه نحو هذا[1]، وقد روى عن أبي الحق عن أبي ميسرة شيء من هذا مرسلاً ، ورواه معاوية ابن هشام أيضاً عن شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله ! أسرع عليك الشيب ! فقال : شيبتني هود ، وأخواتها : الواقعة ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت[2].

وقال سيف بن عمر عن محمد بن عون عن عكرمة عن ابن عباس قال : أَلَظَّ[3] رسول الله ﷺ بالواقعة والحاقة ، وعم يتساءلون ، والنازعات ، وإذا

= وأخرجه الحاكم في (المستدرك) : جـ ٢ ص ٥١٨ ، حديث رقم (٣٧٧٧ / ٩١٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه . وابن سعد في (الطبقات) : جـ ١ ص ٤٣٥ : أخبرنا يعلي بن عبيد ، أخبرنا حجاج بن دينار بن محمد بن واسع قال : قيل : « يارسول الله أسْرَعَ عليك الشيب ! قال ﷺ : شيبتني ﴿ الَر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ﴾ وأخواتها » ، وعن الزهري عن أبي سلمة قال : قيل : « يارسول الله نرى في رأسك شيباً ! قال : ما لي لا أشيب وأنا أقرأ هوداً وإذا الشمس كورت ؟ » .

(١) أخرجه أيضاً أبو نعيم في (الحلية) جـ ٤ ص ٣٥٠ ، وقال : اختُلف على أبي إسحاق ، فرواه أبو إسحاق عن أبي جحيفة ، وروى عنه عمرو بن شرحبيل ، عن أبي بكر ، ورى عنه عن مسروق عن أبي بكر ، وروى عنه مصعب بن سعد عن أبيه ، وروى عنه عن عامر بن سعد عن أبي بكر ، وروى عنه عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، رضي الله تعالى عنهم . (المرجع السابق) .

والبيهقي في (الدلائل) جـ ١ ص ٣٥٧ – ٣٥٨ ، وللحديث شواهد من حديث عقبة بن عامر ، وأنس ، وعمران بن حصين ، وأبي سعيد ، وسهل بن سعد وغيرهم .

وأخرجه الخطيب في (تاريخ بغداد) جـ ٣ ص ١٤٥ من حديث ابن سيرين عنه بلفظ « شيبتني هود وأخواتها » عند ترجمة محمد بن غالب أبو جعفر التمتام رقم (١١٧٦) .

(٢) الحديث صحيح بشواهده كما سبق .

(٣) أَلَظَّ بالمكان ، وأَلَظَّ عليه : أقام به وألحَّ . وأَلَظَّ بالكلمة : لزمها . والإِلْظَاظُ : لزوم الشيء والمثابرة عليه . يقال : أَلْظَظْتُ به أُلِظّ إِلْظَاظًا . وأَلَظَّ فُلانٌ إذا لزمه . ولَظَّ بالشيء : لزمه مثل أَلَظَّ به . (النهاية) : ٤ / ٢٥٢ ، (لسان العرب) : ٧ / ١٥٩ ، (الفائق) : ٣ / ٣١٧ . ومنه حديث النبي ﷺ الذي أخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٥ / ١٨٩ ، حديث رقم (١٧١٤٣) ، وابن كثير في (التفسير) : ٤ / ٣٠١ في تفسير سورة الرحمٰن : « أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام » وهذا الحديث أخرجه ابن حجر في (الكافي الشافي) : ص ٦٢ ، حديث رقم (٧٧) ، الترمذي من رواية يزيد الرقاشي . عن أنس ، ويزيد ضعيف ، ومن رواية مؤمل عن حماد بن حميد عن أنس مرفوعاً ، وقال غيره : محفوضاً ، وإنما هو عن حماد عن حميد عن الحسن مرسلاً وهو أصح ، وأخرجه من رواية مؤمل إسحاق وابن أبي شيبة وبالثاني أبو يعلي والبزار . قال ابن أبي حاتم في (العلل) : ٢ / ١٧٠ ، ٢ / ١٩٢ ، عن أبيه : أخطأ فيه مؤمل ، =

الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، فاستطار[١] فيه القتير[٢] فقال له أبو بكر رضي الله عنه : أسرع فيك القتير[٢] ! بأبي أنت وأمي ، فقال : شيبتني هود وصواحباتها[٣] هذه ، وفيها ، والمرسلات .

وخرَّج البخاري من حديث أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لن يُنجيَ أحداً منكم عملُه ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمة ، سدِّدُوا ، وقاربوا ، وأغدُوا ، وروحوا ، وشيءٌ من الدُّلْجةِ ، والقصد القصد (تبلَغوا)[٤] ذكره في الرقاق[٥]

= والصحيح مارواه أبو سلمة عن حماد عن ثابت . وحميد عن الحسن مرسلاً ، ورواه ابن مردويه من رواية روح بن عبادة ، عن حماد ، عن حميد عن أنس موصولاً أيضاً ، وهذه متابعة قوية لمؤمل .

وفي الباب عن ربيعة بن عامر بن نجاد ، أخرجه الحاكم في (المستدرك) : ١ / ٦٧٦ ، حديث رقم (١٨٣٦ / ٣٦) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرّجاه ، وفيه رشد بن سعد ، وهو ضعيف ، وعن ابن عمر أخرجه ابن مردويه ، وإسناده ضعيف .

(١) استطار : انتشر وتفرق كأنه طار في نواحيها ، ومنه استطار الصدع في الحائط إذا انتشر فيه ، واستطار البرق إذا انتشر في السماء . (لسان العرب) : ٤ / ٥١٣ .

(٢) القتير : الشيب (سنن أبي دواد) : جـ ٢ ص ٥٨١ ، كتاب النكاح ، باب في تزويج من لم يولد ، وقال في (لسان العرب) : القتير : هو الشيب ، أول ما يظهر منه ، وفي الحديث : « وَيقَرْن أيِّ النساء هي اليوم ؟ قال : قد رأتْ القتير » ، قال الخطابي : يُريد بسنٍّ أيِّ النساء هي ، والقرن : بنو سِنٍّ واحد ، يُقال : هؤلاء قرن زمان ، وفي النهاية : بقرن أي النساء هي ؟ أي بِسِنِّ أيتهن ؟ ، قد رأت القتير : كناية عن تجاوزها سنَّ التزويج . (عون المعبود) : ٣ / ٩٣ ، (لسان العرب) : ٥ / ٧٢ .

(٣) لم أقف على حديث شيبتني هود بلفظ (صواحباتها) .

(٤) تتمه من البخاري .

(٥) (فتح الباري) : ١١ / ٣٥٥ ، حديث رقم (٦٤٦٣) ، وبعده حديث رقم (٦٤٦٤) : « عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال : « سدِّدوا وقاربوا ، واعلموا أن لن يُدخِلَ أحدَكم عملُه الجنة ، وأن أحب الأعمال إلى الله أدْوَمُها وإن قَلَّ »

قوله : « ينجي » ، أي يخلص ، والنجاةُ من الشيء : التخلص منه ، قال ابن بطال في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى : ﴿ **وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ ما محصله : أن تحمل الآية على أن الجنة تُنال المنازل فيها بالأعمال ، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب الأعمال ، وأن يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ، ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿ **سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ فصرح بأن دخول الجنة أيضاً بالأعمال ، وأجاب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث ، والتقدير : ادخلوا منازل الجنة وقُصُورَها بما كنتم تعملون ، وليس المراد بذلك أصل الدخول .

وقال القاضي عياض : طريق الجمع أن الحديث فسَّر ما أجمل في الآية ، فذكر نحواً من كلام ابن بطال =

الأخير ، وأن من رحمة الله توفيقه للعمل ، وهدايته للطاعة ، وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله ، وإنما هو بفضل الله ورحمته .

وقال ابن الجوزي : يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة : الأول أن التوفيق للعمل من رحمة الله ، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ، ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة . الثاني ، أن منافع العبد لسيده ، فعمله مستحق لمولاه ، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله .

الثالث ، جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله ، واقتسام الدرجات بالأعمال . الرابع ، أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير ، والثواب لا ينفد ، والإنعام الذي لا ينفد في جزاء مايَنْفَد بالفضل لا بمقابلة الأعمال .

وقال ابن القيم في كتاب (مفتاح دار السعادة) : الباء المقتضية للدخول ، غير الباء الماضية ، فالأولى السببية الدالة على أن الأعمال سبب الدخول المقتضية له ، كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها ، والثانية بالمعاوضة ، نحو اشتريت منه بكذا ، فأخبر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد ، وأنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة ، لأن العمل بمجرده ولو تناهى لايوجب بمجرده دخول الجنة ، ولا أن يكون عوضاً لها ، لأنه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله ، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة ، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها ، وهو لم يوفها حق شكرها ، فلو عذَّبه في هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم ، وإذا رحمه في هذه الحالة ، كانت رحمته خيراً من عمله ، كما في حديث أُبيّ بن كعب ، الذي أخرجه أبو داود وابن ماجة في ذكر القَدَر ، ففيه : « لو أن الله عذَّب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم » .

قال : وهذا فَصْل الخطاب مع الجبرية الذين أنكروا أن تكون الأعمال سبباً في دخول الجنة من كل وجه . والقدرية الذين زعموا أن الجنة عوض العمل وأنها ثمنه ، وأن دخولها بمحض الأعمال . والحديث يُبطل دعوى الطائفتين .

قوله : « قالوا ولا أنت يارسول الله » ؟ قال الكرماني : إذا كان كل الناس لايدخلون الجنة إلا برحمة الله ، فوجه تخصيص رسول الله ﷺ بالذكر أنه إذا كان مقطوعاً له بأنه يدخل الجنة ثم لا يدخلها إلا برحمة الله ، فغيره يكون في ذلك بطريق الأَوْلى .

قوله : « برحمة » ، في رواية أبي عبيد : «بفضل ورحمة» ، وفي رواية الكشميني من طريقه : « بفَضْلِ رحمته » ، وفي رواية الأعمش : « برحمة وفضل » ، وفي رواية بشر بن سعيد : « منه برحمة » ، وفي رواية ابن عون : « بمغفرة ورحمة » قال أبو عبيد : المراد بالتغمد ، الستر ، وما أظنه إلا مأخوذاً من غمد السيف ، لأنك إذا أغمدت السيف فقد ألبسته الغمد وسترته به .

قال الرافعي : في الحديث أن العامل لا ينبغي أن يتكل على عمله في طلب النجاة ونيل الدرجات ، لأنه إنما عمل بتوفيق الله ، وإنما ترك المعصية بعصمة الله ، فكل ذلك بفضله ورحمته .

قوله : « سدّدوا » ، في رواية بشر بن سعيد ، عن أبي هريرة عند مسلم : « ولكن سدّدوا » ، ومعناه : اقصدوا السداد ، أي الصواب ، ومعنى هذا الاستدراك أنه قد يفهم من النفي المذكور نفي فائدة العمل ، فكأنه قيل : بل له فائدة ، وهو أن العمل علامة على وجود الرحمة التي تُدخل العامل الجنة ، فاعملوا واقصدوا بعملكم الصواب ، أي اتباع السنة من الإخلاص وغيره ليقبل عملكم ، فينزل عليكم

وخرَّجه مسلم من حديث ليث عن بكير عن بُسْر بن سعيد عن أبي هريرة عن رسول ﷺ أنه قال : لن يُنجي أحداً منكم عَملُه ، قال رجل : ولا إياك يا رسول الله ؟ قال : ولا إياي إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ، ولكن سددوا[1] . وفي رواية له : قاربوا وسددوا ، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله ، قالوا : يا رسول الله ، ولا أنت ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل[2] .

الرحمة . قوله « قاربوا » ، أي لا تفرطوا ، فتجهدوا أنفسكم في العبادة ، لئلا يُفضي بكم ذلك إلى الملال ، فتتركوا العمل فتفرطوا .

قوله : « واغدوا وروحوا وشيئاً من الدلجة » المراد بالغدو السير من أول النهار ، وبالرواح السير من أول النصف الثاني من النهار ، والدلجة (بضم المهملة وسكون اللام ويجوز فتحها وبعد اللام جيم » سير الليل ، يقال : سار دلجة من الليل ، أي ساعة ، فلذلك قال : شيئاً من الدلجة لعُسر سير جميع الليل .

فكأنه فيه إشارة إلى صيام جميع النهار ، وقيام بعض الليل ، وإلى أعمّ من ذلك من سائر أوجه العبادة ، وفيه إشارة إلى الحث على الترفق في العبادة ، وهو الموافق للترجمة ، وعبَّر بما يدل على السّير ، لأن العابد كالسائر إلى محل إقامته وهو الجنة . و« شيئاً » منصوب بفعل محذوف ، أي افعلوا .

قوله : « والقصْدَ القصْدَ » ، بالنصب على الإغراء ، أي الزموا الطريق الوسط المعتدل . (المرجع السابق) .

(١) (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ١٦٤ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى : حديث رقم (٧١ - ٢٨١٦) ، قال الإمام النووي : اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ، ولا عقاب ، ولا إيجاب ، ولا تحريم ، ولا غيرهما من أنواع التكليف ، ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها إلا بالشرع . ومذهب أهل السنة أيضاً أن الله تعالى لا يجب عليه شيء - تعالى الله - بل العالم ملكه ، والدنيا والآخرة في سلطانه ، يفعل فيهما ما يشاء ، فلو عَذَّب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار ، كان عدلاً منه ، وإذا أكرمهم ونعَّمهم وأدخلهم الجنة ، فهو فضل منه ، ولو نعَّم الكافرين وأدخلهم الجنة ، كان له ذلك ، ولكنه أخبر وخبره صدق ، أنه لا يفعل هذا ، بل يغفر للمؤمنين ، ويدخلهم الجنة برحمته ، ويعذب المنافقين ويدخلهم في النار عدلاً منه .

وأما المعتزلة فيثبتون الأحكام بالفعل ، ويوجبون ثواب الأعمال ، ويوجبون الأصلح ، ويمنعون خلاف هذا ، في ضبط طويل لهم ، تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة ، المنابذة لنصوص الشرع .

وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق ، أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته ، وأما قوله تعالى : ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ و ﴿ **تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ ، ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يُدخل بها الجنة ، فلا يُعارض هذه الأحاديث ، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ، ثم التوفيق للأعمال ، والهداية للإخلاص فيها ، وقبولها برحمة الله تعالى وفضله ، فيصبح أنه لم يدخل بمجرد العمل ، وهو مراد الأحاديث ، ويصح أنه دخل بالأعمال ، أي بسببها ، وهي من الرحمة ، والله أعلم . (المرجع السابق) .

(٢) (المرجع السابق) : ص ١٦٦ ، حديث رقم (٧٦ - (...)) .

وله من حديث معقل عن أبي الزبير عن جابر قال : سمعت النبي ﷺ قال : ما من أحد يدخله عمله الجنة ، فقيل له : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة .[1] وذكره من طرق عديدة .

وللبخاري[2] ومسلم[3] من حديث موسى بن عقبة قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يحدث عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول : قال رسول الله ﷺ : سددوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه لن يدخل الجنة أحداً عملهُ ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه برحمته ، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل .

ولابن حبان من حديث جعفر بن عوف قال : حدثنا أبو جناب الكلبي ، حدثنا عطاء قال : دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعبيد بن عمير على عائشة رضي الله عنها ، فقال ابن عمر : حدثيني بأعجب ما رأيت من رسول الله ، فسكتت ثم قالت : كل أمره كان عجباً ، أتاني في ليلتي حتى إذا دخل معني في لحافي ، وألصق جلده بجلدي ، قال : يا عائشة ، إئذني لي في ليلتي لربي ، فقلت ، إني أحب قربك وهواك ، فقام إلى قربة في البيت ، فما أكثر صب الماء ، ثم قام فقرأ القرآن ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت حجره ، ثم اتكأ على جنبه الأيمن ، ووضع يده اليمنى تحت خده ، ثم بكى حتى رأيت دموعه قد بلغت الأرض ، قالت : فجاءه بلال فآذنه بالصلاة ، فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله ! أتبكي وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ وقال : أفلا أبكي وقد أنزل علي الليلة : ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار** ﴾[4] ،

---

(١) (المرجع السابق) : ص ١٦٧ ، حديث رقم (٧٧ – ٢٨١٧) .

(٢) (فتح الباري) : ١١ / ٣٥٥ ، حديث رقم (٦٤٦٧) ، وقال : « بمغفرة ورحمة » .

(٣) (مسلم بشرح النووي) : ١٧ / ١٦٧ حديث رقم (٧٨ – ٢٨١٨) .

(٤) سورة آل عمران الآيات ١٩٠ – ١٩١

وويل لمن قرأ هذه الآية ولم يتفكر فيها[1] .

وله من حديث شعبة عن أبي اسحاق قال : سمعت حارثة بن مضرب يحدث عن علي رضي الله عنه قال : لقد رأيتنا وما فينا قائم إلا رسول الله ﷺ تحت شجرة يصلي ويبكي حتى أصبح ، يعني ليلة القدر[2] .

وخرَّج البخاري من حديث معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التمرة ساقطة على فراشي فأرفعها لآكلها ، ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها[3] . وخرَّجاه من طرق متعددة .

---

(1) (الإحسان) : ٢ / ٣٨٦ ، كتاب الرقائق ، باب التوبة ، ذكر البيان بأن المرء إذا تخلى لزومُ البكاء على ما ارتكب من الحوبات وإن كان بائناً عنها مجتهداً في إثبات ضدها ، حديث رقم (٦٢٠) : أخبرنا عمران ابن موسى بن مُجاشع ، حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا يحيى بن زكريا ، عن إبراهيم بن سويد النَّخَعِيّ ، حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء قال : دَخَلْتُ أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعُبَيْد بن عُمير : قد آن لك أن تزورنا ، فقال : أقول يا أُمَّه كما قال الأُوَل : زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا . قال : فقالت : دعونا من رَطانتكم هذه . قال ابن عمير : أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ ، قال : فسكتت ثم قالت : لما كان ليلةٌ من الليالي قال : « يا عائشة ذريني أتعبَّد الليلة لربي » . قلت : والله إني لأُحِبُّ قُربَك ، وأُحِبَّ ما سرَّك . قالت : فقام فتطهر ، ثم قام يُصلي . قالت : فلم يزل يبكي حتى بلَّ حِجْرَه ، قالت : ثم بكى ، فلم يزل يبكي حتى بلَّ الأرض ، فجاء بلالٌ يُؤْذِنُهُ بالصلاة ، فلما رآه يبكي قال : يارسول الله ، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً ؛ لقد نزلت عليّ الليلة آية ، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ﴿ **إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار** ﴾ الآية كلها . إسناده قوي على شرط مسلم ، وأخرجه أبو الشيخ في (أخلاق النبي) : ص ١٨٦ عن الفريابي ، عن عثمان بن أبي شيبة ، بهذا الإسناد . وله طريق أخرى عن عطاء عند أبي الشيخ ص ١٩٠ – ٩٩١ وفيه أبو جناب الكلبي يحي بن أبي حية ، ضعفوه لكثرة تدليسه ، لكن صرَّح بالتحديث هنا ، فانتفت شبهة تدليسه .

(2) سبق الإشارة إليه .

(3) (جامع الأصول) : ٤ / ٦٥٧ ، حديث رقم (٢٧٤٨) ، البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، البخاري في الزكاة وفي الجهاد ، ومسلم في تحريم الزكاة على النبي وآله .

قوله : « إني لأنقلب إلى أهلي فأجد التَّمْرَةَ ساقطة على فراشي ثم أرفها لأكلها ثم أخشى أن تكون صدقة فألقيها » ، وفيه تحريم الصدقة عليه ﷺ وأنه لا فرق بين صدقة الفرض والتطوع ، لقوله ﷺ : « لولا أن تكون من الصدقة لأكلتُها » فهي تعم النوعين ، ولم يقل الزكاة ، وفيه استعمال الورع ، لأن هذه التمرة لا تحرم بمجرد الاحتمال ، لكن الورع تركها . وفيه أن التمرة ونحوها من محقرات الأموال لا يجب تعريفها ، بل يُباح أكلها والتصرف فيها في الحال ، لأنه ﷺ إنما تركها خشية أن تكون من الصدقة لا لكونها لقطه ، وهذا الحكم متفق عليه ، وعلله أصحابنا وغيرهم بأن صاحبها في العادة لا يطلبها ، ولا يبقى له فيها =

وخرَّج الحاكم من حديث عبد الله بن المبارك ، أخبرنا أسامة بن زيد عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ تضور ذات ليلة فقيل له : ما أسهرك ؟ قال : إني وجدت تمرة ساقطة فأكلتها ثم ذكرت تمراً كان عندنا من تمر الصدقة ، فما أدري أمن ذلك كانت التمرة أو من تمر أهلي ؟ فذلك أسهرني . قال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه [1] .

وله من حديث المعافي بن عمران عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن ضمرة ابن حبيب عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس أنها بعثت إلى النبي ﷺ بقدح لبن عند فطره ، وذلك في طول النهار وشدة الحر ، فرد إليها الرسول : أنى لك هذا اللبن ؟ قالت : من شاةٍ لي ، قال : أنى لك هذه الشاة ؟ قالت : أشتريتها من مالي ، فشرب فلما أن كان من الغد أتت أمُّ عبد الله رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ! بعثت إليك بذلك اللبن مرثيَّة لك من شدة الحر وطول النهار ، فرددتها إلي مع الرسول ! فقال النبي ﷺ : « بذلك أُمِرَتْ الرسل ، أن لا تأكل إلا طيباً ، ولا تعمل إلا صالحاً » قال : هذا حديث صحيح الإسناد [2] .

وخرَّج أبو داود في كتاب الجهاد عن مخلد بن خالد [3] ، وخرَّج الترمذي في السير عن محمد بن المثنى [4] ، وخرَّج ابن ماجة عن عبدة بن عبد الله ، وخرَّج محمد

مطمع . والله أعلم . (مسلم بشرح النووي) : ٧ / ١٨٣ ، حديث رقم (١٦٢ - ١٠٧٠) ، (السنن الكبرى للبيهقي) : ٥ / ٣٢٥ ، كتاب البيوع ، باب كراهية مبايعة من أكثر ماله من الربا أوثمن المحرم . (كنز العمال) ٦ / ٤٥٥ ، حديث رقم(١٦٥٠٩) ، (الحلية) : ٨ / ١٨٧ ، وقال فيه : « على فراشي فلا أدري أمن تمر الصدقة هي أم من تمر أهلي فلا آكلها » وقال في أخرى : صحيح متفق عليه ، أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن المبارك عن معمر .

(١) (المستدرك) : ٢ / ١٧ ، حديث رقم (٢١٧٣ / ٤٤) . قال في التلخيص : صحيح .

(٢) (المرجع السابق) : ٤ / ١٤٠ ، حديث رقم (٧١٥٩ / ٨٨) . قال في التلخيص : ابن أبي مريم واهٍ .

(٣) (صحيح سنن أبي دواد) : ٢ / ٥٣٤ ، حديث رقم (٢٤١٢ - ٢٧٧٤) ، قال الألباني : « صحيح » ، ولفظه : « كان إذا جاءه أمر سرور ، أو بُشِّرَ به ، خَرَّ ساجداً شاكراً » .

(٤) (صحيح سنن الترمذي) : ٢ / ١١٢ ، حديث رقم (١٢٨٢ - ١٦٤٢) . قال الألباني : « حسن » ، ولفظه : « أن النبي ﷺ أتاه أمرٌ فَسُرَّ به ، فخرَّ ساجداً » ، قال أبو عيسى : والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم : رأوا سجدة الشكر .

(صحيح سنن ابن ماجه) : ١ / ٢٣٣ ، حديث رقم (١١٤٣ - ١٣٩٤) ، قال الألباني : « حسن » .

ابن يوسف أربعتهم عن أبي عاصم الضحاك بن مخلد النبيل عن أبي بكرة بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه أمر يسُرُّه أو يُسَرّ به خرّ ساجداً[1] .

وقال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عبد الله الأسدي ، أخبرنا كثير بن زيد عن زياد بن أبي زياد مولى عياش بن أبي ربيعة عن رسول الله ﷺ قال : كانتا خصلتان لا يكلهما ، إلى أحد : الوضوء من الليل حين يقوم والسائل يقوم حتى يعطيه[2] .

وله من طريق الليث بن سعد أن معاوية بن صالح حدثه أن أبا حمزة حدثه أنّ عائشة قالت : ما خُيرٌ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ، [قالت] : [3] وما انتقم رسول الله لنفسه من أحد قط إلا أن يُؤذَى في الله فينتقم ، ولا رأيت رسول الله وَكَل صَدَقَتَهُ إلى غير نفسه حتى يكون هو الذي يضعها في يد السائل ، ولا رأيت رسول الله ﷺ وكل [في وضوئه][4] إلى غير نفسه حتى يكـون هو

---

(١) وقد ذهب إلى شرعية سجود الشكر ، الشافعيُّ وأحمد ، خلافاً لمالك ورواية أبي حنيفة بأنه لا كراهة فيها ولا ندب ، والحديث دليل للأولين .

قال الحافظ شمس الدين بن القيم رحمه الله : وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي بكره : « أنه شهد النبي ﷺ أتاه بشير يبشره بظفر جند له على عدوهم – ورأسه في حجر عائشة – فقام فَخَرَّ ساجداً » .

وفي المسند أيضاً عن عبد الرحمٰن بن عوف قال : خرج النبي ﷺ فتوجه نحو صدقته ، فدخل فا ستقبل القبلة فَخَرَّ ساجداً ، فأطال السجود ثم رفع رأسه وقال : إن جبريل أتاني فبشرني فقال : إن الله عزَّ وجلَّ يقول لك : من صلى عليك صليت عليه ، ومن سلم عليك سلمت عليه ، فسجدتُ لله شكراً »

واعلم أنه قد اختلف هل يُشترط لها الطهارة أم لا ؟ فقيل : يشترط قياساً على الصلاة ، وقيل : لا يشترط ، وهو الأقرب .

وليس في أحاديث سجود الشكر ما يدل على التكبير . وفي (زاد المعاد) : وفي سجود كعب حين سمع صوت المبشر ، دليل ظاهر على أن تلك كانت عادة الصحابة ، وهو سجود الشكر عند النعم المتجددة ، والنقم المندفعة . وقد سجد أبو بكر الصديق لما جاءه قتل مسيلمة الكذاب ، وسجد عليٌّ لما وجد ذا الثدية مقتولاً في الخوارج ، وسجد رسول الله ﷺ حين بشَّره جبريل أنه من صلى عليه مرة ، صلى الله عليه بها عشراً ، وسجد حين شفع لأمته فشفَّعه فيهم ثلاث مرات ، وأتاه بشيرٌ فبشره بظفر جند له على عدوهم ورأسه في حجر عائشة رضي الله عنها ، فقام فخرَّ ساجداً . وقد جاء حديث سجدة الشكر من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما بإسناد صحيح ، ومن حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، وغير ذلك .

(٢) (طبقات ابن سعد) :١ / ٣٦٩ .

(٣) زيادة في (خ) .

(٤) في (ابن سعد) : « وكل وضوءة »

الذي يُهيىء وضوءه لنفسه حتى يقوم من الليل[1] .

وقال محمد بن حمير حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : اشترى أسامة بن زيد بمائة دينار إلى شهر ، فسمعت النبي ﷺ يقول : « لا تعجبوا من أسامة المشتري إلى شهر ، إن أسامة لطويل الإبل ، والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننتُ أن شفراى لا يلتقيان حتى أُقبض ، ولا لقمت لقمة إلا ظننتُ أن لا أُسيغها حتى أغصّ بها من الموت » ، ثم قال : « يابني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت ، وما أنتم بمعجزين »[2] .

وقال ابن لهيعة عن أبي هريرة عن حيثر عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يهريق الماء فيمسح التراب ، فأقول : يارسول الله ! الماء منك قريب ، فيقول : « وما يدريني لعلي لا أبلغه » .

وخرج الإمام أحمد من حديث مسلم بن محمد بن زائدة ، قال عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن ، عن عائشة أنها قالت : ما رفع رسول الله ﷺ رأسة إلى السماء إلا قال : « يا مصرف القلوب ثبت قلبي على طاعتك »[3] .

وقال ابن المبارك : حدثنا الحسن بن صالح ، عن منصور عن إبراهيم قال : حدثنا أن النبي ﷺ لم يُرَ خارجاً من الغائط قط إلا توضأ[4] .

وذكر ابن عساكر من حديث محمد بن الحجاج عن محمد بن عبد الرحمٰن بن

---

(١) (المرجع السابق) : ١ / ٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٢) مسند أبي سعيد الخدري في (مسند أحمد) : ٣ / ٣٦٧ ، يبدأ من الحديث رقم (١٠٦٠٢) إلى الحديث رقم (١١٥٢٩) ، لم أجد من بينهم هذا الحديث .

(٣) (مسند أحمد) : ٣ / ١٤٦ ، حديث رقم (٩١٣٩) .

(٤) اختلف العلماء في موجب الوضوء : فقيل : يجب بالحدث وجوباً موسعاً . وقيل : به وبالقيام إلى الصلاة معاً ، ورجحة جماعة من الشافعية . وقيل بالقيام إلى الصلاة حسب ، ويدل له ما رواه أصحاب السنن عن ابن عباس مرفوعاً : إنما أمرت بالوضوء إذا قُمْتُ إلى الصلاة . (المواهب اللدنية) : ٤ / ٢٢ - ٢٣ .
حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك قال : حدثنا شُعْبَةُ عن أبي معاذ - واسمه عطاء بن أبي ميمونة - قال : سمعتُ أنَس بن مالك يقول : كان النبي ﷺ إذا خرج لحاجته أجيء وأنا غلام ، معنا إداوة من ماء ، يعني يستنجي به . (فتح الباري) : ١ / ٣٣٣ ، حديث رقم (١٥٠) ، وأطرافه في (١٥١) ، (١٥٢) ، (٢١٧) ، (٥٠٠) .

سفينة عن أبيه عن سفينة قال : تعبّد النبي ﷺ واعتزل النساء حتى صار كالشن[1] البالي قبل موته بشهرين[2] .

---

(١) الشن : القِرْبَة (النهاية) : ١ / ٥٠٦ .

(٢) هذا الحديث يتعارض مع ما أخرجه (البخاري) في النكاح باب (١) حديث رقم (٥٠٦٣) ، و (مسلم) في النكاح باب (١) حديث رقم (١٤٠١) ، و (النسائي) في النكاح باب (٥) ، و (أبو دواد) في النكاح باب (٣) ، و (أحمد) ٣ / ٢٤١ ، حديث رقم (١٣١٢٢) ، كلهم عن أنس : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ ؟ وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما فأنا أصلي الليل أبداً . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أُفطر . وقال آخر : أنا أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله ﷺ فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » واللفظ للبخاري . وفي رواية ثابت عند (مسلم) « أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ » ، ولا منافاة بينهما ؛ فالرهط من ثلاثة إلى عشرة ؛ والنفر من ثلاثة إلى تسعة ، كل منهما اسم جمع لا واحد له من لفظه .

ووقع في مرسل سعيد بن المسيب عن عبد الرزاق ، أن الثلاثة المذكورين هم علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعثمان بن مظعون . وعند ابن مردويه من من طريق الحسن العدني : « كان عليّ في أناس ممن أرادوا أن يحرموا الشهوات ، فنزلت الآية في المائدة » .

ووقع في (أسباب النزول للواحدي) بغير إسناد أن رسول الله ﷺ « ذكَّر الناس وخَوَّفهم ، فا جتمع عشرة من الصحابة وهم : أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وأبو ذرّ وسالم مولى أبي حذيفة والمقداد وسلمان وعبد الله بن عمرو بن العاص ومعقل بن مقرن – في بيت عثمان بن مظعون ، فاتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفُرش ، ولا يأكلوا اللحم ، ولا يقربوا النساء ويجبوا مذاكيرهم » فإن كان هذا محفوظاً ، احتمل أن يكون الرهط الثلاثة هم الذين باشروا السؤال ، فنُسب ذلك إليهم بخصوصهم تارة ، ونُسب تارة للجميع لاشتراكهم في طلبة ، ويؤيد أنهم كانوا أكثر من ثلاثة في الجملة ، ماروي مسلم من طريق سعيد بن هشام أنه « قدم المدينة ؛ فأراد أن يبيع عقاره فيجعله في سبيل الله ، ويجاهد الروم حتى الموت ، فلقي ناساً بالمدينة فنهوه عن ذلك ، وأخبروه أن رهطاً ستة أرادوا ذلك في حياة رسول الله ﷺ فنهاهم ، فلما حدثوه ذلك راجع امرأته وكان قد طلقها » يعني بسبب ذلك ، لكن في عدّ عبد الله بن عمرو معهم نظر ، لأن عثمان بن مظعون مات قبل أن يهاجر عبد الله فيما أحسب .

قوله : « إني لأخشاكم لله وأتقاكم له » فيه إشارة إلى ردّ ما بنوا عليه أمرهم ، من أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد في العبادة بخلاف غيره ، فأعلمهم أنه مع كونه يبالغ في التشديد في العبادة أخشى الله وأتقى من الذين يشددون ، وإنما كان كذلك لأن المشدِّد لا يأمن من الملل بخلاف المقتصد ، فإنه أمكن لاستمراره ، وخير العمل ما داوم عليه صاحبه ، وقد أرشد إلى ذلك قوله في الحديث الآخر « المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

قوله : « فمن رغب عن سنتي فليس مني » المراد بالسنة الطريقة ، لا التي تقابل الفرض ، والرغبة عن الشيء الإعراض عنه إلى غيره . والمراد : من ترك طريقتي وأخذ بطريقة غيري فليس مني ، ولمح بذلك إلى طريقة الرهبانية ، فإنهم الذين ابتدعوا التشديد كما وصفهم الله تعالى ، وقد عابهم بأنهم ما وفوه بما التزموه ، وطريقة النبي ﷺ الحنيفية السمحة ، فيفطر ليقوى على الصوم ، وينام ليقوى على القيام ، ويتزوج لكسر = يـ

[تنبيه] : حديث وجود التمر في بعض طرقه : لقي تمرة على فراشه ، وفي بعضها لقي تمرة في منزلة ، وفي أخرى لقي تمرة في الطريق ، فكان في ذلك ثلاث رتب في الورع ، متفاوتة في التأكيد ، أيسرها تمرة الفراش ؛ فإنه ﷺ لم يكن يقبل الصدقة ، ولا تدخل منزله غالباً ، فكيف بأخص منزله وهو الفراش ، فَيَنْدُرُكَوْنها من تمر الصدقة ، وفوق ذلك في التأكيد تمرة المنزل ، وآكدها تمرة الطريق لكثرة مرور الصدقات فيها ، هذا كله مع أن تمر الصدقة قليل بالنسبة إلى جنس التمر ، فآكد هذه الصور الثلاث لا يجاوز الورع في المباح ، ولا تنتهي التمرة به إلى حد النهي ، لكن مقام النبوة كريم ، والورع به جدير .

* * *

الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل .

وقوله : « فليس مني » إن كانت الرغبة بضرب من التأويل يُعذر صاحبه فيه ، فمعنى « فليس مني » أي على طريقتي ، ولا يلزم أن يخرج عن الملة ، وإن كان إعراضاً وتنطعاً يفضي إلى اعتقاد أرجحيَّة عمله ، فمعنى « فليس مني » ليس على ملتي ، لأن اعتقاد ذلك نوعٌ من الكفر ، وفي الحديث دلالة على فضل النكاح والترغيب فيه .

وفيه تتبع أحوال الأكابر للتأسي بأفعالهم وأنه إذا تعذرت معرفته من الرجال جاز استكشافه من النساء ، وأن من عزم على عمل بر واحتاج إلى إظهاره حيث يأمن الرياء لم يكن ذلك ممنوعاً .

وفيه تقديم الحمد والثناء على الله عند إلقاء مسائل العلم وبيان الأحكام للمكلفين ، وإزالة الشبهة عن المجتهدين ، وأن المباحات قد تنقلب بالقصد إلى الكراهة والاستحباب .

وقال الطبري : فيه الرد على من منع استعمال الحلال من الأطعمة من الملابس وآثر غليظ الثياب وخشن الأكل . قال عياض : هذا مما اختلف فيه السلف ، فمنهم من نحا إلى ما قال الطبري ، ومنهم من عكس واحتج بقوله تعالى : ﴿ أذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا ﴾ ، قال : والحق أن هذه الآية في الكفار ، وقد أخذ النبي ﷺ بالأمرين ، كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يفضي إلى الملل القاطع لأصلها وملازمة الاقتصار على الفرائض مثلاً ، وترك التنفل يُفضي إلى إيثار البطالة ، وعدم النشاط إلى العبادة ، وخير الأمور الوسط . (فتح الباري) : ٩ / ١٢٩ - ١٣٢ .

وقد أخرج الإمام أحمد في (المسند) : ٤ / ٢٥ ، ٢٦ ، ٤١٤ ، حديث رقم (١٥٨٨٠) « من صام الدهر ضُيقت عليه جهنم » ، لأنه رغب رخصة الله تعالى ويسره ، والراغب عن الرخصة كالراغب عن العزم ، وكلاهما مستحق للعقوبة . (تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة) ص ١٣٥ وقد قال رسول الله ﷺ في صائم الدهر : « ولا صام ولا أفطر » . أخرجه مسلم في كتاب الصيام (١٣) ، (١٤) ، وأبو داود في كتاب الصوم (١٤) ، (٥٣) ، والنسائي : (٢٢) كتاب الصوم . قال يحى : وهو حديث حسن .

فصل في حفظ الله لنبيه ﷺ
في تثبيته عن أقذار الجاهلية ومعايبها
تكرمةً له وصيانة

قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : فتثبت رسول الله ﷺ مع أبي طالب يكلؤه الله عزَّ وجلَّ ويحفظه من أقذار الجاهلية ومعايبها لما يريد به من كرامته ورسالته ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلماً ، وأصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين[1] ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة . وكان رسول الله ﷺ فيما

---

(١) قال أبو نعيم في (دلائل النبوة) باب ذكر خروج النبي ﷺ إلى الشام ثانياً مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها ، وقصة نسطورا الراهب : ومما يدخل في هذا الباب مما خصَّ الله به نبيه في الجاهلية الجهْلاء ، أن وفقة لوضع الحجر الأسود موضعه بيده لما اختلفت قريش في وضعه ، دلالة بصحة نبوته ، حديث رقم (١١٣) : حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن القاسم بن مشاور قال : حدثنا سعيد بن سليمان الواسطي قال : حدثنا عباد بن العوام ، عن هلال بن خَبَّاب عن مجاهد قال : حدثني مولاي عبد الله بن السائب قال : « كنتُ فيمن بني البيت وأخذتُ حجراً فسويّته ووضعتهُ إلى جنْب البيت ، وإن قريشاً قد اختلفوا في الحجر حيث أرادوا وضعه ، حتى كاد أن يكون بينهم قتال بالسيوف ، فقالوا : اجعلو بينكم أول رجل يدخل من الباب ، فدخل رسول الله ﷺ وكانوا يسمونه في الجاهلية [الأمين] ، فقالوا : قد دخل الأمين ، فقالوا : يا محمد ، قد رضينا بك ، فدعا بثوب فبسطه ، ثم وضع الحجر فيه ، ثم قال لهذا البطن ولهذا البطن ، لجميع البطون من قريش : ليأخذ كلُّ رجل من كل بطن منكم بناحية من الثوب ، فرفعوه ، فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه » .

هذا الحديث أخرجه الحاكم في (المستدرك) ١ / ٤٥٨ ، حديث رقم (١٦٨٣ / ٧٥) باختلاف يسير ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه ، وله شاهد صحيح على شرطه . قال ابن حجر في (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٦٨ ترجمة رقم (١٢٣) : هلال بن خباب العبدي أبو العلاء البصري ، مولى زيد بن صوحان . سكن المدائن ومات بها . روى عن أبي جحيفة ، ويحى بن جعدة بن هبيرة ، وعكرمة مولى ابن عباس وميسرة أبي صالح وسعيد بن جبير ، وعبد الرحمٰن بن الأسود بن يزيد ، ومجاهد بن جبير ، والحسن بن محمد بن الحنفية وغيرهم ، وعنه الثوري ومعر ، ويونس بن أبي إسحاق ، وثابت بن زيد أبو يزيد الأحول ، وعبد الواحد بن زياد ، وهشيم وأبو عوانه ، وآخرون .

وقال أبو بكر بن أبي الأسود ، عن يحى بن سعيد القطان : أتيتُ هلال بن خباب وكان قد تغيَّر قبل موته ، وقال إبراهيم بن الجنيد : سألت ابن معين عن هلال بن خباب وقلت : إن يحى القطان يزعم أنه تغير قبل أن يموت واختلط ، فقال يحى : لا ، ما اختلط ولا تغيَّر ، قلت ليحى : فثقة هو ؟ قال : ثقة مأمون ،

ذكر لي يُحدِّثُ عما كان يحفظه الله به في صغره ، فحدثني والدي إسحاق بن يسار عمن حدثه عن رسول الله ﷺ ، أنه قال فيما يذكر من حفظ الله إياه : إن لمعي غلمان هم أسناني[1] ، قد جعلنا أزرنا[2] على أعناقنا لحجارة ننقلها نلعب بها إذ لكمني لاكم لكمة شديدة ثم قال : أُشْدُدْ عليك إزارك[3] .

= وذكره ابن حبان في الثقات وقال : يخطىء ويخالف ، وقال ابن عمار الموصلي ، والمفضل بن غسان الغلابي ثقة . (تهذيب التهذيب) : ١١ / ٦٨ - ٦٩ ، ترجمة رقم (١٢٣) ، (الثقات) : ٧ / ٥٧٤ .

وقال ابن سعد : فلما انتهوا إلى حيث يوضع الركن من البيت ، قالت كل قبيلة : نحن أحق بوضعه ، واختلفوا حتى خافوا القتال ، ثم جعلوا بينهم أول من يدخل من باب بني شيبة ، فيكون هو الذي يضعه ، وقالوا : رضينا وسلمنا ، فكان رسول الله ﷺ أول من دخل من باب بني شيبة ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رضينا بما قضى بيننا ، ثم أخبروه الخبر ، فوضع رسول الله ﷺ رداءه ، وبسطه في الأرض ، ثم وضع الركن فيه ، ثم قال : ليأت من كل رُبع من أرباع قريش رجل ، فكان في رُبع بني عبد مناف عتبة بن ربيعة ، وكان في الربع الثاني أبو زمعة ، وكان في الربع الثالث أبو حذيفة بن المغيرة ، وكان في الربع الرابع قيس بن عديّ .

ثم قال رسول الله ﷺ : ليأخذ كل رجل منكم بزاوية من زوايا الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، فرفعوه ، ثم وضعه رسول الله ﷺ بيده موضعه ذلك ؛ فذهب رجل من أهل نجد ليناول النبي ﷺ حجراً يشدّ به الركن ، فقال العباس بن عبد المطلب : لا ، ونحّاه ، وناول العباسُ رسولَ الله ﷺ حجراً فشدَّ به الركن ، فغضب النجديّ حيث نُحيّ ، فقال النبي ﷺ : إنه ليس يبني معنا في البيت إلاّ مِنّا ، فقال النجديّ : يا عجباً لقوم أهل شرف ، وعقول ، وسنّ ، وأموال ، عمدوا إلى أصغرهم سنّا ، وأقلهم مالاً ، فرأسوه عليهم في مكرمتهم وحرزهم ، كأنهم خدم له ، أما والله ليفوتنهم سبقاً ، وليقسمن بينهم حظوظاً وجدوداً ! ويقال : إنه إبليس ، فقال أبو طالب :

إن لنـــا أولــه وآخـــره
في الحكم والعدل الذي لاننكره
وقـد جَهَدْنـا جَهْدَنـا لِنَعْمُـرَه
وقـد عَمَرْنـا خيره، وأكْثَـرَه
فإن يكنْ حقاً ففينا أوفَرَه .

(طبقات ابن سعد) : ١ / ١٤٦ .

(١) يقال : فلانٌ سِنُّ فلان ، إذا كان مثله في السنّ (لسان العرب) ١٣ / ٢٢٢ .

(٢) جمع إزار .

(٣) إسحاق بن يسار مولى قيس بن مخرمة ، والد محمد بن إسحاق صاحب (المغازي) ، روي عن مقسم مولى عبد الله بن الحارث ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، روى عنه ابنه محمد بن إسحاق ، سمعتُ أبي وأبا زرعة يقولان ذلك ، زاد أبي : وروى عنه ابن طحلاء . وزاد أبو زرعة : يُعدّ في المدينيين . قال : وسئل أبو زرعة عنه ، فقال : ثقة ، هو أوثق من ابنه .

حدثنا عبد الرحمٰن ، أخبرنا يعقوب بن إسحاق الهروي ، فيما كتب إليّ ، حدثنا عثمان بن سعيد قال : سألتُ يحى بن معين قلت: والد محمد بن إسحاق ، كيف حاله ؟ قال : ثقة . (الجرح والتعديل) : =

وخرج البخاري ومسلم من حديث روح بن عبادة قال: أخبرنا زكريا بن إسحاق، أخبرنا عمرو بن دينار قال: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يحدث أن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة، قال: فحله فجعله على منكبيه فسقط مغشياً عليه، قال: فما رؤي بعد ذلك اليوم عرياناً. لفظهما فيه سواء[1].

وخرجا أيضاً من حديث ابن جريج قال: أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول: لما بنيت الكعبة ذهب النبي ﷺ وعباس ينقلان حجارة – وقال البخاري: الحجارة – فقال عباس للنبي ﷺ: إجعل إزارك على عاتقك – وقال

= ٢ / ٢٣٨، ترجمة رقم (٨٣٨).

والحديث أخرجه البيهقي في (الدلائل) ٢ / ٣٠ – ٣١، باب ما جاء في حفظ الله عزَّ وجلَّ رسوله ﷺ في شبيبته عن أقذار الجاهلية ومعائبها، لما يريد به من كرامته برسالته حتى بعثه رسولاً، وزاد بقية الخبر في الهامش وعزاها إلى ابن هشام في (السيرة) ١ / ١٩٧: «قال: فأخذته وشددته عليّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي، وإزارى عليَّ من بين أصحابي».

(١) حديث روح بن عبادة أخرجه البخاري ومسلم، وقد أوْرده الحافظ أبو نعيم في (الدلائل): ١ / ١٨٨ – ١٨٩، الفصل الثالث عشر، باب: ومما عُظِّم به ﷺ وحُرِس منه أن لا يتعرى كفعل قومه وأهله، وإذا حُفظ من التعري فما فوقه أوْلى أن يُعصم منه، ويُنهى عنه، حديث رقم (١٣٢):

قوله: «إن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم» أي مع قريش لما بنوا الكعبة، وكان ذلك قبل البعثة، فرواية جابر لذلك من مراسيل الصحابة، فإما أن يكون سمع ذلك من رسول الله ﷺ بعد ذلك أو من بعض من حضر ذلك من الصحابة. والذي يظهر أنه العباس، وقد حدَّث به عن العباس أيضاً ابنه عبد الله، وسياقه أتم. (فتح الباري): ١ / ٦٢٥، كتاب الصلاة، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها، حديث رقم (٣٦٤).

قوله: «عن جابر رضي الله عنه» هذا الحديث مرسل صحابي، وقد قدمنا أن العلماء من الطوائف متفقون على الاحتجاج بمرسل الصحابي، إلا ما انفرد به الأستاذ أبو إسحاق الاسفرايني منه أنه لا يُحتج به. وسميت الكعبة كعبة لعلوها وارتفاعها، وقيل لاستدارتها وعلوها.

قوله: «اجعل إزارك على عاتقك من الحجارة» معناه ليقيك من الحجارة، أو من أجل الحجارة. والعاتق ما بين المنكب والعنق، وجمعه عواتق وعُتُق، وهو مذكر وقد يؤنث.

قوله: «فخرَّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء»، مَعْنَى خَرَّ سقط، وطمحت بفتح الطاء والميم، أي ارتفعت. وفي هذا الحديث بيان بعض ما أكرم الله سبحانه وتعالى به رسوله ﷺ، وأنه ﷺ كان مصوناً في صغره عن القبائح وأخلاق الجاهلية. وجاء في رواية غير الصحيحين أن الملك نزل فشدَّ عليه ﷺ إزاره. والله أعلم. (مسلم بشرح النووي): ٤ / ٢٧٣ – ٢٧٤، كتاب الحيض، باب الاعتناء بحفظ العورة، حديث رقم (٧٦ – (٣٤٠)).

البخاري : على رقبتك - يقك من الحجارة ، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء ثم أفاق فقال : إزاري إزاري فشدَّ عليه إزاره[1] . ورواه ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر نحوه .

ورواه عمرو بن أبي قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه قال : كنا ننقل الحجارة إلى البيت حين بَنَتْ قريشٌ البيت ، وأفردتْ قريش رجلين رجلين ينقلون الحجارة ، والنساء تنقل الشِّيد ، وكنت أنا وابن أخي وكنا نحمل على رقابنا وأُزُرُنا تحت الحجارة ، فإذا غشِيَنا اتزرنا ، فبينما أمشي ومحمد عليه السلام قدامي ليس عليه شيء ، فخر محمد فانبطح على وجهه ، قال : فجئت أسعى وألقيتُ حجري ، قال وهو ينظر إلىّ السماء فوقه فقلت : ما شأنك ؟ قال : فأخذ إزاره ثم قال : نُهيتُ أن أمشي عرياناً ، قلت : اكتمها الناس مخافة أن يقولوا : مجنون[2] .

ورواه شعيب عن عكرمة عن ابن عباس مثله[3] .

وروى إبراهيم بن الحكم بن إبان عن أبيه عن جده عن عكرمة عن ابن عباس

---

(١) قوله : « يقك من الحجارة فخرَّ إلى الأرض » ، فيه حذف تقديره : ففعل ذلك فخر . وفي حديث أبي الطفيل : « فبينما رسول الله ﷺ ينقل الحجارة معهم إذ انكشفت عورته ، فنودي : يا محمد غط عورتك . فذلك أول ما نودى ، فما رؤيت له عورة قبل ولا بعد » . (فتح الباري) : ٧ / ١٨٤ - ١٨٥ ، كتاب مناقب الأنصار ، باب بنيان الكعبة ، حديث رقم (٣٨٢٩) .

وأخرجه الإمام أحمد في (المسند) : ٤ / ٢٤٨ حديث رقم (١٣٩٢٢) ، ٤ / ٢٨٦ حديث رقم (١٤١٦٨) ، ٦ / ٦٣٥ حديث رقم (٢٣٢٨٢) .

وأبو نعيم في (الدلائل) : ١ / ١٨٩ . حديث رقم (١٣٣) .

(٢) (دلائل النبوة للبيهقي) : ٢ / ٣٣ ، والشِّيَد : كل ماطُلِيَ به البناء من جَصّ أو نحوة . وأخرجه أيضاً أبو نعيم في (الدلائل) ١ / ١٩٨ - ١٩٩ ، حديث رقم (١٣٤) ، وقال فيه : « نُهيت أن أمشي عرياناً قال : فكتمته حتى أظهر الله عزَّ وجلّ نبُّوته » .

(٣) رواية شعيب بن خالد ، كلهم عن سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، حدثني أبي العباس بن عبد المطلب قال : « لما بَنَتْ قريشٌ الكعبة ، انفردت رجلين رجلين ينقلون الحجارة ، فكنتُ أنا وابن أخي ، جعلنا نأخذ أُزرنا فنضعها على مناكبنا ونجعل عليها الحجارة ، فإذا دنونا من الناس لبسنا أزرنا ، فبينما هو أمامي إذ صُرِع ، فسعيت وهو شاخص ببصره إلى السماء ، قال : فقلت لابن أخي : ما شأنك ؟ قال : نُهيت أن أمشي عرياناً ، قال : فكتمته حتى أظهر الله نبوته » . تابعه الحكم بن إبان عن عكرمة ، وروى ذلك أيضاً من طريق النضر أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس ليس فيه العباس ، وقال في آخره : « فكان أول شيء رأى من النبوة » ، والنضر ضعيف ، وقد خبط في إسناده وفي متنه ، فإنه جعل القصة في معالجة زمزم بأمر أبي طالب وهو غلام . (فتح الباري) : ٣ / ٥٦٣ ، كتاب الحج .

قال : لما قُبض النبي ﷺ غسّله عليٌّ والفضلُ ، وكان العباس يناول الماء من وراء الستر ، وقال العباس ، ما منعني أن أغسله إلا أنا كنا صبياناً نحمل الحجارة إلى المسجد يعني لبناء الكعبة ، فننزع أزرنا ونضعها على أكتافنا ونضع الحجر عليها فبينما نحن كذلك ورسول الله ﷺ إذ وقع وسقط الحجر وأنا قائم فقلت : يا ابن أخي ! قم ، وإني لا أرى بك بأساً ولا أرى الحجر ضرك [فقام] ثم نظر إلي فقال : أشدد عليك إزارك ، فإني قد نُهيت أن أتعرى بعد هذا اليوم . قال العباس : هذا أول ما رأيت منه .

وروى محمد بن إسماعيل [الأحمسيّ][1] عن المجازي ، حدثنا النضر عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان أبو طالب يعالج زمزم ، وكان النبي ﷺ ينقل الحجارة وهو غلام ، فأخذ إزاره واتقى به الحجارة ، [فغشي عليه][2] فقيل لأبي طالب عن غشيته : الحق ابنك قد غُشي عليه ، فلما أفاق النبي ﷺ من غشيته سأله أبو طالب عن غشيته فقال : أتاني آت عليه ثياب بياض فقال لي : استتر ، قال ابن عباس : فكان أول شيء رأى النبي ﷺ من النبوة أن قيل له : استتر ، فما رؤيت عورته من يومئذ .

ورواه الأحمسيّ عن الحماني عن النضر أبي عمر عن عكرمة عن ابن عباس قال : أول شيء أتي النبي ﷺ من النبوة وهو غلام أن قيل له استتر ، فما رؤيت عورته من يومئذ .

ورواه الحسن بن حماد الوراق عن الحماني عن النضر مثله .

وخرجه الحاكم من حديث الحماني عبد الحميد بن عبد الرحمن ، حدثنا النضر به ونحوه . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد[3] .

---

(١) في (خ) « الأحمس » وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) : ٩ / ٥٨ ترجمة رقم ٥٨ .

(٢) زيادة للسياق من (المستدرك) .

(٣) (المستدرك) : ٤ / ١٩٨ ، حديث رقم (٧٣٥٦ / ٣) ولفظه : « حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا العباس بن محمد الدوري ، حدثنا أبو يحى الحماني عبد الحميد بن عبد الرحمن ، حدثنا النضر أبو عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان أبو طالب يعالج زمزم ، وكان النبي ﷺ ممن ينقل الحجارة ، وهو يومئذ غلام ، فأخذ النبي ﷺ إزاره فتعري واتقى به الحجر ، فغُشي عليه ، فقيل لأبي طالب : أدرك ابنك فقد غُشي عليه ، فلما أفاق النبي ﷺ من غشيته ، سأله أبو طالب عن غشيته فقال : « أتاني آتٍ عليه ثياب بيض فقال لي : استتر » فقال ابن عباس : فكان ذلك =

وقال الحسن بن سفيان : حدثنا زهير بن سلام ، حدثنا عمرو بن محمد عن طلحة بن عمرو عن عطاء أن أبا طالب كان يرسل بنيه ومحمد عليه السلام ، معهم صبيان صغار ينقلون الحجارة إلى صفة زمزم ، فأخذ محمد ﷺ نمرة[1] صغيرة كانت عليه على عنقه ، ثم حمل عليها حجرين فطرح عنه الحجرين وأغمى عليه ساعة ، ثم قام فشد نمرته[1] عليه ، فقال له بنو عمه : مالك يا محمد ؟ قال : نُهيتُ عن التعري[2] .

وقال عبد الأعلى بن حماد : حدثنا دواد العطار ، حدثنا عبد الله بن عثمان بن خيثم عن أبي الطفيل قال : قلت له : يا خال ، حدثنا عن بنيان الكعبة قبل أن تبنها قريش ، قال : كانت رضمه[3] يابس ليس بمدر[4] ينزوة[5] العناق[6] ، وتوضع الكسوة على الجدُر ثم تُدلي ، ثم إن سفينة الروم أقبلت حتى إذا كانت بالشعيبة انكسرت ، فسمعت بها قريش فركبوا إليها ، فأخذوا خشبها ، وروى كذا : يقال بالقوم نجاريان ، فلما قدموا مكة قالوا : لو بنينا بيت ربنا ، فا جتمعوا كذلك ونقلوا الحجارة من أجياد الضواحي ، فبينا رسول الله ﷺ ينقلها إذ انكشفت نمرته ، فنودي : يا محمد عورتك ، فذلك أول ما نودى والله أعلم ، فما رؤيت له عورة قبل ولا بعد .

ورواه الحسن بن الربيع وداود بن مهران عن دواد العطار مثله .

= أول ما رآه النبي ﷺ من النبوة أن قيل له : « استتر ، فما رؤيت عورته من يومئذ » .

قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يُخرجاه ، وشاهده حديث أبي الطفيل ، وهو الحديث رقم (٧٣٥٧ / ٤) : « أخبرنا محمد بن عبد الحميد الصَّنْعَاني ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباد ، أنبأنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم ، عن أبي الطفيل قال : « لما بني البيت كان الناس ينقلون الحجارة ، والنبي ﷺ ينقل معهم ، فأخذ الثوب ووضعه على عاتقه فنودي : « لا تكشف عورتك » ، فألقي الحجر ولبس ثوبه . (المرجع السابق) ، وذكره البيهقي في (الدلائل) : ص ١٩٠ حديث رقم (١٣٥) ، وابن سعد في (الطبقات) ١ / ١٥٧ مُختصراً .

(١) نمرة : شملة مخططة من مآزر الأعراب النهايه جـ ٥ ص ١١١ .

(٢) (فتح الباري) : ٣ / ٥٦٣ ، كتاب الحج ، باب (٤٢) .

(٣) هذه الكلمة ممجوجة في (خ) وأثبتناها من (عرائس المجالس للثعالبي) ص ٧٨ ، والرضام : صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض في الأبينة (ترتيب القاموس) جـ ٢ ص ٣٤٩ .

(٤) المدر : قطع الطين اليابس (المرجع السابق) جـ ٤ ص ٢١٦ .

(٥) نزت الحُمُر : وثبت من المراح (المرجع السابق) جـ ٤ ص ٣٥٩ .

(٦) العناق (بفتح العين) : الدواب ونحوها (المرجع السابق) جـ ٣ ص ٣٢٩ .

وقال عبد الرازق عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن حشيم عن أبي الطفيل قال : كانت الكعبة مبنية بالرضم ليس فيها مدَرَ ، وكان قدر ما تقتحمها العناق وكانت غير مسقوفة ، إنما توضع ثيابها عليها ثم تسدل سدلاً عليها ، وكان الركن الأسود موضوعاً على سورها بادياً ، وكان ذات ركنين كهيئة الحلقة ، فأقبلت سفينة من أرض الروم حتى إذا كانوا قريباً من جدة انكسرت ، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها ، فذكروا بناء البيت ، وقال : فبينا النبي ﷺ يحمل حجارة من أجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة ، فذهب يضع النمرة على عاتقة ، فترى عورته من صغر النمرة ، فنودي : يا محمد خمِّر عورتك ، فلم يُرَ عُرياناً بعد ذلك ، وكان بين بُنيان الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين[١] .

قال الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني : وحديث أبي الطفيل جائز أن يكون وقوعه في حالة ثالثة ، وهي انكشاف الثوب لا سقوطه ، والحالتان المتقدمتان ، بسقوط الثوب مرة بفعله وأخرى بغير فعله تنبيها له ﷺ في الأحوال الثلاث ، قال : وإذا حفظ من التعري فما فوقه أولى أن يعصم منه وينهى عنه[٢] .

وقال ابن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده عن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا ليلتين من الدهر ، كلتاهما يعصمني الله فيها ، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن رعاية غنم أهلنا ، فقلت لصاحبي : أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر فيها كما يسمر الفتيان[٣] ، قال : فدخلت حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ فقيل : تزوج فلان ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أذني ، فو الله ما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، فرجعتُ إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ قلت ما فعلت شيئاً ، ثم أخبرته بالذي رأيت ، ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لي غنمي حتى أسمر بمكة ، ففعل ، فدخلت ، فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة ، فسألت ، فقيل : فلان نكح فلانة ، فجلست أنظر فضرب الله

---

(١) (فتح الباري) : ٣ / ٥٦٣ ، كتاب الحج ، باب (٤٢) .

(٢) (دلائل النبوة لأبي نعيم) : ١٨٨ .

(٣) في (خ) : بعد قوله : « الفتيان » عبارة : « فقال بلى » والسياق يقتضي حذفها .

على أذني ، فو الله ما أيقظني إلا مسّ الشمس ، فرجعت إلى صاحبي فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شيء ثم أخبرته الخبر ، فو الله ما هممتُ ولا عدتُ بعدها لشيء من ذلك حتى أكرمني الله بنبوته[1] .

وخرجه الحاكم[2] بنحوه وقال : حديث صحيح على شرط مسلم .

وخرج الحافظ أبو نعيم من حديث مسعر بن كدام[3] عن العباس بن ذريح[4] الكلبي عن زياد بن عبد الله النخعي قال : حدثني عمار بن ياسر رضي الله عنه أنهم قالوا : يا رسول الله ، هل أتيت في الجاهلية من النساء شيئاً ؟ قال : لا ، وقد كنت منه على ميعادين ؛ أما أحدهما فغلبتني عيناي ، وأما الآخر فحال بيني وبينهم سامر قوم[5] .

---

(١) (عيون الأثر) : ١ / ٤٤ - ٤٥ ، (دلائل النبوة للبيهقي) : ٢ / ٣٣ - ٣٤ ، (دلائل النبوة لأبي نعيم) : ١ / ١٨٦ ، حديث رقم (١٢٨) ، أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده ، وابن إسحاق ، والبزار ، والبيهقي ، وأبو نعيم ، وابن عساكر ، كلهم عن علي بن أبي طالب . وقال ابن حجر : إسناده حسن متصل ، ورجاله ثقات ، والحاكم في (المستدرك) : ٤ / ٢٧٢ ، حديث رقم (٧٦١٩ / ١٩) وقال : حديث صحيح على شرط مسلم . وقال في التلخيص : على شرط مسلم .

(٢) في (خ) « الحاكم بن نحوه » .

(٣) في (خ) « مسعد بن لرام » وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) جـ ١٠ ص ١٠٢ ترجمة رقم ٢١٠ .

(٤) (خ) « موبح » وما أثبتناه من (تهذيب التهذيب) جـ ٥ ص ١١٦ ترجمة رقم ٢٠٢ ، قال ابن معين : ثقة ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الدارقطني : ثقة .

(٥) لم أجده ، ويُؤيِّد بحديث : « ما هممتُ بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين في الدهر » .

وفي (الدلائل) للبيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، قال حدثنا أحمد بن عبد الجبار ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده علي بن أبي طالب ، قال : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « ما هممتُ بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين ، كلتاهما عصمني الله تعالى .. » وذكر باقي الحديث بنحوه . إحداهما المذكورة بقوله : « ما هممتُ بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين الدهر ، كلتاهما يعصمني الله عزَّ وجل منهما » (دلائل أبي نعيم) : ١٨٦ ، حديث رقم (١٢٨) .

والسياقة الأخرى بقوله « ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به من النساء إلا ليلتين ، كلتا هما عصمني الله تعالى فيهما » (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٣ . وقال في (الاحسان) : إسناده حسن ، ومحمد ابن إسحاق روى له البخاري تعليقاً ، ومسلم متابعة ، وهو صدوق ، وقد صرح بالتحديث ، فا نتفت شبهة تدليسة ، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح ، غير محمد بن عبد الله بن قيس بن مخرمة ، فقد روى عنه جمع ، وذكره المؤلف في الثقات ٧ / ٣٨٠ ، وله ترجمة عند ابن أبي حاتم ٧ / ٣٠٣ ، والبخاري في التاريخ الكبير ٩ / ١٣٠ ، ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً ، وذكر صاحب (الكمال) : أن الشيخين

وخرج من حديث أبي سنان عن الضحاك بن مزاحم عن النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه قال : قيل للنبي ﷺ : هل عبدت وثناً قط ؟ قال : لا ، قال : شربت خمراً قط ؟ قال : لا ، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر ، وما كنتُ أدرى ما الكتاب ولا الإيمان ، وبذلك نزل القرآن : ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾[1] .

أخرجا حديثه ، وقال المزي فيما نقله عن الإمام الذهبي والحافظ ابن حجر : لم أقف على رواية أحدهما .

قال محقق (الإحسان) : ولم يرد له ذكر في كتاب رجال مسلم لابن منجويه ، ولا في الجمع بين رجال الصحيحين لابن طاهر ، ولا في رجال البخاري للكلاباذي .

وأخرجه الحاكم في (المستدرك) : ٤ / ٢٧٣ ، حديث رقم (٧٦١٩ / ١٩) ، من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، وعلقه البخاري في (تاريخه) ١ / ١٣٠ باختصار ، فقال : قال لي شهاب : حدثنا بكر بن سليمان ، عن ابن إسحاق به ، (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٥١ .

(١) (الشورى : ٥٢) ، قال الزمخشري : فإن قلتَ : قد عُلم أن رسول الله ﷺ ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه ، فما معنى قوله تعالى : ﴿ **ولا الإيمان** ﴾ ، والأنبياء لا يجوز عليهم إذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ، أن يخطئهم الإيمان بالله وتوحيده ، ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ، ومن الصغائر التي يكون فيها تنفير قبل المبعث وبعده ، فيكف لا يعصمون من الكفر ؟ .

قلت : الإيمان اسم يتناول أشياء ، بعضها الطريق إليه العقل ، وبعضها الطريق إليه السمع ، فعَنَى به ما الطريق إليه السمع دون العقل ، وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ، ألا ترى أنه فسَّر الإيمان في قوله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ بالصلاة ، لأنها بعض مايتناوله الإيمان . (الكشاف) : ٣ / ٤٠٩ - ٤١٠ .

قال الإمام ناصر الدين أحمد بن المنير الاسكندري المالكي : لما كان معتقد الزمخشري أن الإيمان اسم التصديق مضافاً إليه كثير من الطاعات فعلاً وتركاً ، حتى لا يتناول الموحد العاصي ولو بكبيرة واحدة اسم الإيمان ، ولا يناله وعد المؤمنين ، وتفطن لإمكان الاستدلال على صحة معتقده بهذه الآية ، عدَّها فرصة لينتهزها ، وغنيمة ليحرزها ، وأبعد الظن بإرادة مذهب أهل السنة على صورة السؤال ، ليجيب عنه بصورة معتقده ، فكأنه يقول : لو كان الإيمان وهو مجرد التوحيد والتصديق ، كما تقول أهل السنة ، للزم أن ينفي عن النبي ﷺ قبل المبعث بهذه الآية كونه مُصدِّقاً ، ولما كان التصديق ثابتاً للنبي ﷺ قبل البعث باتفاق الفريقين ، لزم أن لا يكون الإيمان المنفي في هذه الآية عبارة عما اتفق على ثبوته ، وحينئذ يتعين صرفه إلى مجموع أشياء من جملتها التصديق ، ومن جملتها كثير من الطاعات التي لم تعلم إلا بالوحي ، وحينئذ يستقيم نَفْيُه قبل البعث ، وهذا الذي طمع فيه ، لا يبلغ منه ما أراد ، وذلك أن أهل السنة وإن قالوا أن الإيمان هو التصديق خاصة ، حتى يتصف به كل موحد وإن كان فاسقاً ، يخصون التصديق بالله وبرسوله ، فالنبيّ ﷺ مخاطب في الإيمان بالتصديق برسالة نفسه ، كما أن أمته مخاطبون بتصديقه ، ولا شك أنه قبل الوحي لم يكن يعلم أنه رسول الله ، وما علم ذلك إلا بالوحي ، وإذا كان الإيمان عند أهل السنة هو التصديق بالله ورسوله . ولم يكن هذا المجموع ثابتاً قبل الوحي ، بل كان الثابت هو التصديق بالله تعالى خاصة استقام نفي الإيمان قبل الوحي على هذه الطريقة الواضحة ، والله أعلم . (الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال) : ٣ / ٤١٠ .

وخرج من حديث عمر بن صبح عن ثور بن يزيد عن مكحول عن شداد بن أوس قال : بينا رسول الله ﷺ يحدثنا على باب الحجرات فقال : لما ولدتني أمي فنشأتُ بُغّضت إلي أوثان قريش وبغض إليّ الشعر[1] .

وخرج البيهقي من حديث محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ويحى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن أسامة بن زيد ، عن زيد بن حارثة قال : كان صنم من نحاس يقال له إساف أو نائلة ، يتمسح به المشركون إذا طافوا ، فطاف رسول الله ﷺ فطفت معه ، فلما مررتُ مسحت به ، فقال رسول ﷺ : لا تمسه ، قال زيد : فطفنا ، فقلت في نفسي : لأمسنه حتى أنظر ما يكون ، فمسحته ، فقال رسول الله ﷺ ألم تُنه ؟ قال زيد : فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ، ما استلم رسول الله ﷺ صنماً حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه[2] .

وسيأتي في قصة بحيرا الراهب حين قيل لرسول الله ﷺ وهو غلام : أسألك بحق اللات والعُزى إلا ما أخبرتني عما أسألك ، فقال عليه السلام : لا تسألني باللات والعزى ، فو الله ما أبغضتُ شيئاً بغضهما[3] .

وخرج أبو نعيم من حديث حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال : حدثتني أم أيمن قالت : كانت ببوانة[4] صنماً تحضره قريش ، وتعظمه ، وتنسك له النسائك ، ويحلقون رءوسهم عنده ، ويعكفون عنده يوماً إلى الليل وذلك يوم في السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه ، فيأبى رسول الله [ﷺ][5] حتى رأيتُ

= وقالوا : معنى الآية : ما كنت تدري قبل الوحي كيف تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق إلى الإيمان ، وقيل : كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلاً وفي المهد .

وقال الحسين بن الفضل : إنه على حذف مضاف : أي ولا أهل الإيمان ، وقيل : المراد بالإيمان دين الإسلام ، وقيل : الإيمان هنا عبارة عن الإقرار بكل ما كلّف الله به العباد . (فتح القدير) : ٤ / ٧٦٤ .

(١) لم أجده .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٤ ، (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٥١ ، وذكر أبو نعيم في (الدلائل) : ١٨٧ - ١٨٨ : حدثنا أبو عمر بن حمدان ، قال : حدثنا طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، عن ابن عباس : « أن محمداً ﷺ كان يقوم مع بني عمه عند الصنم الذي عند زمزم ، واسمه « إساف » فرفع رسول الله ﷺ بصره إلى الكعبة ساعة ثم انصرف ، فقال له بنو عمه : ما لك يا محمد ؟ قال : نُهيت أن أقوم عند هذا الصنم » .

(٣) (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٤٦ ، (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٥ .

(٤) بوانة : هضبة وراء بلدة ينبع (معجم البلدان) : ٢ / ٥٩٩ موضع رقم (٢٢١٣) .

(٥) زيادة للسياق من كتب السيرة .

أبا طالب غضب عليه أسوأ غضب ، فيقول : إنا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ، وجعل يقول : ما ترى يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً ، قالت : فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوباً ، فقلن عماته : ما دهاك ؟ [قال إني أخشى أن يكون بي لمم ، فقلن ما كان الله ليبتليك وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذي رأيت ؟][1] قال إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي : وراءك يا محمد ! لا تمسّه ، قالت أم أيمن : فما عاد إلى عيد لهم ﷺ [حتى تنبّأ][1] .

وخرج من حديث المنذر بن عبد الله بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ : مرَّ عليّ جبريل وميكائيل عليهما السلام وأنا بين النائم واليقظان بين الركن وزمزم ، فقال أحدهما للآخر : هو هو ؟ قال نعم ونعم المرء هو لولا أنه يمسح الأوثان . قال النبي ﷺ فما مسحتهن حتى أكرمني الله بالنبوة خمس حجج .

وخرج من حديث دواد بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : بينا النبي ﷺ بأجياد رأى ملكاً واضعاً إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح : يا محمد ! أنا جبريل ، فذعر من ذلك وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء ورجع سريعاً إلى خديجة رضي الله عنها فأخبرها خبره فقال : يا خديجة ، ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئاً قط ولا آلهتكن .

وخرج من حديث عمرو بن محمد حدثنا طلحة بن عمر عن عطاء عن ابن عباس أن محمداً ﷺ كان يقوم مع بني عمه عند الصنم الذي عند زمزم واسمه إساف ، فرفع رأسه إلى ظهر الكعبة ساعة ثم انصرف ، فقال له بنو عمه : ما لك يا محمد ؟ قال : نهيت أن أقوم عند هذا الصنم[2] .

وخرج الحافظ أبو أحمد بن عدي من حديث عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير عن سفيان الثوري عن عبد الله بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال :

---

(١) ما بين القوسين سقط من (خ) وما أثبتناه من كتب السيرة ، والحديث أخرجه أبو نعيم في (الدلائل) : ١٨٦ - ١٨٧ ، حديث رقم (١٢٩) ، وابن سعد في (الطبقات) : ١ / ١٥٨ .

(٢) سبق الإشارة إليه .

كان النبي ﷺ يشهد مع المشركين مشاهدهم ، قال : فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب حتى نقوم خلف رسول الله ﷺ قال : كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام قبيل ؟ قال : فلم يعد بعد ذلك أن يشهد مع المشركين مشاهدهم . قال أبو القاسم الطبراني في تفسير قول جابر : وإنما عهده باستلام الأصنام يعني أنه شهد مع من استلم الأصنام وذلك قبل أن يوحى إليه[1] .

---

(١) (المطالب العالية) : ٤ / ١٧٩ ، حديث رقم (٤٢٦١) قال في هامشه : « هذا الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبي شيبة فبالغوا ، والمنكر منه قوله عن الملك أنه قال : عهده باستلام الأصنام ، فإن ظاهره أنه باشر الاستلام ، وليس ذلك مُراداً ، بل المراد أن الملك أنكر شهوده لمباشرة المشركين قبل البعثة منكراً عليهم .

وقال البوصيري : رواه أبو يعلي بسند فيه عبد الله بن محمد بن عقيل . وقال الهيثمي : فيه عبد الله بن محمد ، ولا يحتمل هذا من مثله ، إلا أن يكون يشهد تلك المشاهد للإنكار ، وهذا يتجه . وبقية رجاله رجال الصحيح ٨٠ / ٢٦٦ .

وفي الباب بعده : باب البيان بأن النبي ﷺ لما مسَّ الصنم إنما مسَّه مُوَبِّخاً لعابديه ، حديث رقم (٤٢٦٢) : ابن بريدة عن أبيه قال : دخل جبريل المسجد الحرام فطفق ينقلب ، فَبَصُر بالنبي ﷺ نائماً في ظل الكعبة ، فأيقظه ، فقام ، وهو ينفض رأسه ولحيته من التراب ، فانطلق به نحو باب بني شيبة ، فتلقاهما ميكائيل ، فقال جبريل لميكائيل : ما منعك أن تصافح النبي ﷺ ، فقال : أجد من يده ريح النحاس ، وكأن جبريل أنكر ذلك ، فقال : أفعلت ذلك ؟ فكأن النبي ﷺ نسي ، ثم ذكر فقال : « صدق أخي ، مررتُ أوّل من أمس على إساف ونائلة ، فوضعتُ يدي على أحدهما فقلت : إن قوماً رضوا بكما إلٰهاً مع الله قوم سوء » . هذا الحديث ضَعَّف البوصيري سنده لضعف صالح بن حبان ، وقد استدل به الحافظ على كون الحديث الأول (٤٢٦١) مصروفاً عن الظاهر .

وأيضاً في (المطالب العالية) ٤ / ٩٥ - ٩٦ ، حديث رقم (٤٠٥٧) : زيد بن حارثة قال : خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً حاراً من أيام مكة ، وهو مُرْدِفي إلى نُصُبٍ من الأنصاب ، وقد ذبحنا له شاة فأنضجناها قال : فقال النبي ﷺ : « يا زيد ! ما لي أرى قومك قد شنفوا لك ؟ » - [شَنَفَ له : إذا أبغضه] - قال : والله يا محمد إن ذلك لغير نائلة لي منهم ، ولكني خرجت أبتغي هذا الدين حتى أقدم على أحبار فدك ، فوجدتهم يعبدون الله ويشركون به ، فقلت : ما هذا الدين الذي أبتغي ، فقال شيخ منهم : إنك لتسأل عن دين ما نعلم أن أحداً يعبد الله به إلا شيخاً بالحيرة ، فخرجت ، حتى أقدم فلما رآني قال : مِمَّنْ أنت ؟ قلت : من أهل بيت الله ومن أهل الشوك والقَرظ -[ورق السلم يُدبغ به] - فقال : إن الذي تطلب قد ظهر ببلادك ، قد بُعث نبي قد طلع نجمه ، وجميع من رأيتهم في ضلال ، فلم أحسّ بشيء بعد يا محمد ، قال : فقرب إليه السفرة فقال : ما هذا ؟ قال : « شاة ذبحناها لنَصُبٍ من الأنصاب » فقال : ما كنت لآكل مما لم يذكر اسم الله عليه ، قال زيد بن حارثة : فأتى النبي ﷺ البيت فطاف به وأنا معه ، وبالصفا والمروة ، وكان عند الصفا والمروة صنمان من نحاس ، أحدهما يقال له : يساف ، والآخر يقال له : نائلة ، وكان المشركون إذا طافوا مسحوا بهما ، فقال النبي ﷺ : « لا تمسحهما فإنهما رجْسٌ » فقلت في نفسي : لأ مسهّما حتى أنظر ما يقول النبي ﷺ ، فمسحتهما ، فقال : « ألم تُنْهَ ؟ » .

وقد أنكر الإمام أحمد هذا الحديث جداً وقال : هذا موضوع أو شبيه بالموضوع . وقال الدارقطني : أن عثمان وهم في إسناده . قال القاضي عياض : والحديث بالجملة منكر غير متفق على إسناده فلا يلتفت إليه ، والمعروف عن النبي ﷺ خلافه عند أهل العلم من قوله : بغضت إلى الأصنام[1] .

وخرج أبو نعيم من حديث موسى بن عقبة ، أخبرني سالم أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله ﷺ أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح وذلك قبل أن ينزل على رسول الله الوحي فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة[2] فيها لحم فأبى أن يأكل ، قال : لا آكل ما يذبحون على أنصابهم ، إني لا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه[3] ، وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض المرعى ، ثم يذبحونها على غير اسم الله إنكاراً لذلك واعظاماً له .



(١) قال الهيثمي : رواه أبو يعلي ، والبزار ، ورجالهما ورجال أحد أسانيد الطبراني رجال الصحيح ، غير محمد بن علقمه ، وهو حسن الحديث (٩ / ٤١٨) . وقال البوصيري : رواه النسائي في الكبرى في كتاب الحج بسند رجاله ثقات . (المرجع السابق) ، وذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٥٢ ، وفي (السيرة الشامية) : المراد بالمشاهد مشاهد الحلف ونحوها ، لا مشاهد استلام الأصنام . (هامش المرجع السابق) ، ونحوه في (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٤ - ٣٦ .

(٢) السفرة : السُفْرَةُ بالضم طعام المسافر (ترتيب القاموس) جـ ٢ ص ٥٧١ .

(٣) كذا في (خ) وبا ختلاف يسير في اللفظ في السنن الكبرى للبيهقي جـ ٩ ص ٢٥١ وصحيح البخاري جـ ٣ ص ٣١٠ ومسند أحمد جـ ٢ ص ٦٩ ، ص ٨٩ وفيهم (إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم) بدلاً من (لا آكل ما يذبحون على أنصابهم) .

وخرج من حديث عبد الله بن محمد بن يحى بن عروة عن هشام بن عروة عن أبية عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : سمعتُ زيد بن عمرو بن نُفيل يعيب أكل ما ذبح لغير الله ، فما ذقتُ شيئاً ذبح على النصُب حتى أكرمني الله بما أكرمني به من رسالته .

وقال عمرو بن شيبة : حدثنا إبراهيم بن المنذر ، حدثنا ابن وهب ، حدثنا عبد الله بن عمر أنه بلغه أن النبي ﷺ قال : إن أول ما أوقع الله في نفس هذا الأمر أن عمي أبا طالب ذبح للأنصاب فبعثني بلحم على حمار إليها ، فمررت بزيد بن عمرو بن نفيل[1] فقلت : يا عم ، ألّا نأكل من هذا اللحم ؟ قال : يا ابن أخي ، إني

---

(١) هو زيد بن عمرو بن نُفَيْل العدوي ، كان ممن فرَّ إلى الله من عبادة الأصنام ، وساح في أرض الشام يتطلَّب الدين القيم ، فرأى اليهود والنصارى ، فكره دينهم ، وقال : اللهم إني على دين إبراهيم ، ولكن لم يظفر بشريعة إبراهيم عليه السلام كما ينبغي ، ولا رأى من يوقفه عليها ، وهو من أهل النجاة ، فقد شهد له النبي ﷺ ، ولم يعش حتى بُعث .

وروى هشام بن عروة فيما نقله عن ابن أبي الزناد ، أنه بلغه أن زيد بن عمرو كان بالشام ، فلما بلغه خبر رسول الله ﷺ أقبل يُريده ، فقتله أهل مَيْفة بالشام . وروى الواقدي أنه مات فدفن بأصل حراء ، وقال ابن إسحاق : قُتل ببلاد لخم . والظاهر أن زيداً رحمه الله توفى قبل المبعث ، فقد نقل ابن إسحاق أن ورقة بن نوفل رثاه بأبيات منها :

رَشَدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابنَ عَمْرو وإنما
تَجَنَّبْتَ تَنُوراً من النَّارِ حَاميا

بدينك رباً ليس ربٌّ كمثله
وَتَرْكِكَ أوثان الطواغي كما هِيا

(تهذيب سير أعلام النبلاء) : ١ / ١٧ ، ترجمة رقم (٧) .

وقال الحافظ ابن حجر : إنَّ زيد بن عمرو ، وورقة بن نوفل ، خرجا يلتمسان الدين ، حتى انتهيا إلى راهب بالموصل ، فقال لزيد بن عمرو : من أين أقبلت يا صاحب البعير ؟ فقال : من بَنِيَّه إبراهيم ، قال : وما تلتمس ؟ قال : ألتمس الدين ، قال : ارجع ، فإنه يوشك أن يظهر الذي تطلب في أرضك ، فأمَّا ورقة فتنصَّر ، وأما أنا فعُرضت عليّ النصرانية ، فلم يوافقني ، فرجع وهو يقول :

لبيـــك حقّـــاً حـــقّـــاً
تعبُّــــداً ورقًّـــــــا

البرُّ أبغي لا الخـــالْ
وهل يرى مهجَراً كمن قالْ

آمنت بما أُمِر به إبراهيم ثم يقول :

أنفي لربّ البيت عانٍ راغم
مهما تُجشّمني فإني جاشم

=

لا آكل من ذبائحكم هذه[1] .

وخرج البخاري ومسلم من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمون الحُمْس[2] ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن

= عُذْتُ بما عاذ به إبراهيم
مستقبل القبلة وهو قائم

ثم يخر فيسجد [ذو خال : أي كِبْر ، المهجِّر : المسافر في الهاجرة ، قال : من القيلولة]

قال : وجاء ابنه إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان كما رأيت وكما بلغك فا ستغفر له ، قال : « نعم ، فإنه يُبعث يوم القيامة أُمَّةً وَحْدَه » . (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) ٤ / ٩٤ - ٩٥ باب (زيد بن عمرو بن نُفيل العدوي والد سعيد ، أحد العشرة ، وورقة) ، حديث رقم (٤٠٥٥) ، أنظر أيضاً : (البداية والنهاية) : ٢ / ٢٩٦ - ٣٠٢ .

قال البخاري في صحيحه : حدثنا معلي بن أسد ، حدثنا عبد العزيز - يعني ابن المختار - أخبرنا موسى ابن عقبة قال : أخبرني سالم أنه سمع عبد الله يحدث عن رسول الله ﷺ ، أنه لقي زيد بن عمرو بن نُفيل بأسفل بَلْدح ، وذاك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي ، « فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة لحم ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال : إني لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا مما ذكر اسم الله عليه » ، وفي الرواية التي في آخر المناقب : « فقدم إليه رسول الله ﷺ سفره » وللكشميهنى : « فقدم إلى رسول الله ﷺ سفرة » وجمع ابن المنير بين هذا الاختلاف بأن القوم الذين كانوا هناك قدموا السفرة للنبي ﷺ ، فقدمها لزيد ، فقال زيد مخاطباً لأولئك القوم ما قال . (فتح الباري) : ٩ / ٧٨٥ - ٧٨٦ كتاب الذبائح والصيد ، باب ما ذُبح على النصب والأصنام ، حديث رقم (٥٤٩٩) ، ونحوه ٧ / ١٧٩ - ١٨٠ كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، حديث رقم (٣٨٢٦) ، وزاد فيه بعد قوله : « ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه » ، « وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ، إنكاراً لذلك وإعظاماً له » .

(١) (المطالب العالية) : ٤ / ٩٥ ، وفيه : وأتي زيد بن عمرو على رسول الله ﷺ ومعه زيد بن حارثة ، وهما يأكلان من سُفرة لهما ، فدعواه لطعامهما ، فقال زيد بن عمرو للنبي ﷺ : « انا لا نأكل مما ذُبح على النُّصُب » قال الهيثمي : رواه أحمد وفيه المسعودي وقد اختلط ، وبقيه رجاله ثقات .

(٢) التحمّسُ : التشدّد ، وكانوا قد ذهبوا في ذلك مذهب التزهّد والتألّه ، فكانت نساؤهم لا ينسجن الشَّعْر ولا الوبر ، وكانوا لا يَسْلَئُون السمن ، وسلأُ السمن : أن يُطبخ الزبد حتى يصير سمناً ، ومن القبائل التي آمنت مع قريش بالحمس : كنانة ، وخزاعة . (الروض الأنف) : ١ / ٢٩٩ - ٢٣٠ .

قال ابن إسحاق : وقد كانت قريش - لا أدري أقبْل الفيل أمْ بعده - ابتدعت رأي الحُمْس رأياً رأوه فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، وأهل الحُرمة ، وولاة البيت ، وقُطّان مكة وساكنها ، فليس لأحد من العرب مثلُ حقنا ، ولا مثلُ منزلتنا ، ولا تعرفُ له العرب مثلُ ما تعرفُ لنا ، فلا تُعظِّموا شيئاً من الحِلّ كما تُعظمون الحرم ، فإنكم إن فعلتم ذلك استخفّت العربُ بحرمتكم ، وقالوا : قد عظموا من الحل مثل =

يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها ، فذلك قوله عزَّ وجل : ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾[1] . ذكره البخاري في كتاب التفسير[2] ، وخرجه أبو دواد

ما عظموا من الحرم ، فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها ، وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم ﷺ ، ويرون لسائر العرب أن يفيضوا منها ، إلا أنهم قالوا : نحن أهل الحرم ، فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ، ولا نعظم غيرها ، كما نعظمها نحن الحُمْس ، والحُمْس : أهل الحرم ، ثم جعلوا لمن وُلدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم ، يحل لهم ما يحل لهم ويحرمُ عليهم ما يحُرم عليهم .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة النحوي : أن بني عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن دَخلوا معهم في ذلك .

قال ابن إسحاق : ثم ابتدعوا في ذلك أموراً لم تكن لهم ، حتى قالوا : لا ينبغي للحُمْس أن يأْتَقِطُوا الأَقِط ، ولا يسْلَئوا السمن وهم حُرُم ، ولا يدخلوا بيتاً من شَعْر ، ولا يستظلوا – إن استظلوا – إلا في بيوت الأَدَم ما كانوا حرماً ، ثم رفعوا في ذلك فقالوا : لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحِلّ إلى الحرَم إذا جاءوا حُجَّاجاً أو عُمَّاراً ، ولا يطوفون بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحُمْس . فإن لم يجدوا منها شيئاً طافوا بالبيت عراة .

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحِلّ ألقاها ، فلم ينتفع بها هو ولا غيره ، وكانت العرب تسمي تلك الثياب : اللَّقَى ، فحملوا على ذلك العرب فدانت به ، ووقفوا على عرفات وأفاضوا منها ، وطافوا بالبيت عراة ، أما الرجال فيطوفون عراة ، وأما النساء فتضع إحْداهُنّ ثيابها كلَّها إلا درعاً مُفرَّجاً عليها ، ثم تطوف فيه ، فقالت امرأة من العرب ، وهي كذلك تطوف بالبيت :

اليومَ يَبْدو بَعْضُهُ أو كُلُّه
وما بدا منه فلا أُحِلُّه

ويذكر أن هذه المرأة هي : ضُباعة بنت عامر بن صَعْصَعَة ، ثم من بني سلمة بن قُشير .

وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله ﷺ خطبها ، فذُكرتْ له عنها كبرة ، فتركها ، فقيل إنها ماتت كمداً وحُزناً على ذلك . قال ابن حبيب : إن كان صح هذا ، فما أخَّرها عن تكون أماً للمؤمنين ، وزوجاً لرسول رب العالمين إلا قولها « اليوم يبدو بعضُه أو كلُّه » تكرمة من الله لنبيه ، وعِلْماً منه بغيرته ، والله أغير منه

ومن اللَّقَى : حديث فاختة أم حكيم بن حزام ، وكانت دخلت الكعبة ، وهي حامل مُتِمٌّ بحكيم بن حزام ، فأجاءها المخاض ، فلم تستطع الخروج من الكعبة ، فوضعته فيها ، فَلُفَّتْ في الأَنطاع هي وجنينها ، وطرح مثبرها [المِثْبَر : مِسقط الولد] وثيابها التي كانت عليها ، فجُعلت لقى لا تُقرب .

ومما ذُكر من تعريِّهم في الطواف أنَّ رجلاً وامرأةً طافا كذلك ، فانضم الرجل إلى المرأة تلذّذاً واستمتاعاً ، فلصق عضده بعضدها ، ففزعا عند ذلك ، وخرجا من المسجد ، وهما ملتصقان ، ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها ، حتى قال لهما قائل : تُوبا مما كان في ضميركما ، وأخلصا لله التوبة ، ففعلا ، فا نحلّ أحدهما من الآخر .

(سيرة ابن هشام) : ٢ / ٢١ – ٢٦ .

(١) (البقرة : ١٩٩) .

(٢) (فتح الباري) : ٨ / ٢٣٦ ، كتاب التفسير ، باب ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ حديث رقم (٤٥٢٠) .

بمثله[1] .

وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي [أحمد بن جحش] عن عثمان بن أبي سليمان عن نافع بن جبير عن أبيه قال : لقد لقيت رسول الله ﷺ وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع بعدهم توفيقاً من الله له[2] .

وقد خرج البخاري ومسلم هذا الحديث من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو ، سمع محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير بن مطعم قال : أُضْلَلْتُ بعيراً لي فذهبت أطلبه يوم عرفة ، فرأيت رسول الله ﷺ واقفاً مع الناس بعرفة فقلت : والله إن هذا لمن الحمس ، فما شأنه ها هنا ؟ وكانت قريش تُعد من الحمس[3] .

---

(1) (عون المعبود) : ٥ / ٢٧١ - ٢٧٢ ، كتاب المناسك ، باب الوقوف بعرفة ، حديث رقم (١٩٠٧) ، (تحفة الأحوذي) : ٣ / ٥٣٢ ، أبواب الحج ، باب ما جاء في الوقوف بعرفات والدعاء فيها ، حديث رقم (٨٨٥) ، وقال فيه : « يقفون بالمزدلفة يقولون : نحن قطين الله » قال في القاموس : قَطَن قطوناً : أقام ، وفلاناً خدمه فهو قاطن ، والجمع قطان ، وقاطنة ، وقطين ، وقطين الله ، على حذف المضاف ، أي سكان بيت الله .

قال أبو عيسى : هذا الحديث حسن صحيح . ومعنى الحديث : أن أهل مكة كانوا لا يخرجون من الحرم ، وعرفات خارج من الحرم ، فأهل مكة كانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن قطين الله ، يعني سكان الله ، ومن سوى أهل مكة كانوا يقفون بعرفات ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ (المرجع السابق) : ٥٣٣ .

(2) (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٥٢ ، و (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٧ ، وقال البيهقي : قوله : « على دين قومه » معناه : على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل ، في حجِّهم ، ومناكحهم ، وبيوعهم ، دون الشرك ، فإنه لم يُشرك بالله قط . وما بين القوسين زيادة من المرجعين السابقين .

(3) (فتح الباري) : ٣ / ٦٥٧ ، كتاب الحج ، باب الوقوف بعرفة ، حديث رقم (١٦٦٤) ، قال الكرماني : وقفة رسول الله ﷺ بعرفة كانت سنة عشر ، وكان جبير حينئذ مسلماً لأنه أسلم يوم الفتح فإن كان سؤاله عنه إنكاراً وتعجباً ، فلعله لم يبلغه نزول قوله تعالى : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ ، وإن كان للاستفهام عن حكمة المخالفة عما كانت عليه الحُمس فلا إشكال ، ويحتمل أن يكون لرسول الله ﷺ وقفة بعرفة قبل الهجرة . (المرجع السابق) . وفي (البداية والنهاية) : ٢ / ٣٥٢ : ويفهم من قوله هذا أيضاً أنه كان يقف بعرفات قبل الوحي إليه ، وهذا توفيق من الله له .

وخرجه الإمام أحمد من حديث جبير بن مطعم قال : « حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم الأنصاري ، عن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن عمه نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال : « رأيتُ رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه ، وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس حتى يدفع معهم منها ، توفيقاً من الله له » . (مسند أحمد) : ٥ / ٣٨ ، حديث رقم (١٦٣١٦) .

وأخرجه أبو بكر البرقاني وزاد بعد قوله : هذا من الحمس : فما باله خرج من الحرم ، وكان سائر الناس تقف بعرفة ، وذلك قول الله عزَّ وجل : ﴿ **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** ﴾ ، قال سفيان : الأحمس : الشديد في دينه .

* * *

فصل في ذكر ما كـان رسول الله ﷺ يتديّن به قبـل أن يوحي إليه

قال أبو بكر بن أبي شيبة : حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن عروة بن رويم قال : قال رسول الله ﷺ : أول ما نهاني ربي عن عبادة الأصنام وعن شرب الخمر وعن ملاجأة الرجال[1] .

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله : من قال أن رسول الله ﷺ كان على دين قومه فهو قول سوء ، أليس كان لا يأكل مما ذبح على النصب ؟ .

وقد خرج البيهقي من حديث يونس بن شبيب عن ابن إسحاق قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر عثمان بن أبي سليمان عن نافع عن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقاً من الله عزَّ وجل له . قال البيهقي : قوله على دين قومه معناه : على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل في حجهم ومناكحهم وبيوعهم دون الشرك ، فإنه لم يشرك بالله قط . وفيما ذكر من بغضه اللات والعزى دليل على ذلك[2] .

وقال أبو نعيم : وما أضيف إلى النبي ﷺ من الذبح على النُّصُب خلاف ما كانت قريش تذبحه ، لأن قريشاً تذبحه عند الآلهة تقرباً وتديناً وهو شرك وكفر ، ورسول الله ﷺ قد عصمه الله من هذا ، ويجوز أن يكون هذا الفعل في موضع ذبائحهم ، فيكون القربان لله ؛ كما لو صلى إنسان من المسلمين في كنيسة صلاة الإسلام جاز ، وهو في الظاهر مستقبح ، ويحتمل أن يكون يحضر مذابحهم مدارياً لأعمامه وعماته كما رواه ابن عباس رضي الله عنه في قصه عيد بوانة على ما تقدم ذكرنا مع طمأنينة قلبه للإيمان وبغضه لأنصابهم وأعيادهم كما روينا ، مع أن بعض الناس من أهل العلم كان يقول : كان النبي ﷺ على دين قومه في أكل ذبائحهم

---

(١) تلجَّأ من القوم : انفرد عنهم وخرج عن زمرتهم وعدل إلى غيرهم . وفي حديث كعب : « من دخل ديوان المسلمين ثم تلجَّأ منهم فقد خرج من قبة الإسلام » (المعجم الوسيط) جـ ٢ ص ٨١٥ .

(٢) (دلائل البيهقي) : ٢ / ٣٧ .

وغيره ، محتجاً بقوله تعالى : ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾[1] ، والأحرى والأشبه برسول الله ﷺ أن يضاف ذلك على ما قدمنا لأن قوله : ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾ تأولوه على غير وجه ، فقيل : مغموراً في بحور ضلال ، كقوله : ضل الماء في اللبن فلا يتميز منه ، فكذلك كان النبي ﷺ مختلطاً بقومه غير متميز منهم ، فحمل الضلال على هذا الوجه . وقيل : وجدك ضالاً عن الكتاب والشرائع كما قال تعالى : ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾[2] وكيف تحمل على غير ما اخترناه وتأولناه ، وقد نُهي عن التعري حين نقل الحجارة إلى بناء الكعبة مع قومه ؟ أفلا تراه ينهى عن الشرك والتدين بدين قومه لو أراده عليه السلام .

وقال أبو الوفاء بن عقيل : كان رسول الله ﷺ متديناً قبل بعثه ، فهل كان متعبداً بشريعة من قبله ؟ فيه روايتان ؛ إحداهما أنه كان متعبداً بما صح من شرائع من قبله بطريق الوحي إليه لا من جهتهم ولا بنقلهم ولا من كتبهم المبدلة ، واختارها أبو الحسن التميمي ، وهو قول أصحاب أبي حنيفة رحمه الله .

والرواية الثانية أنه لم يكن متعبداً بشيء من الشرائع إلا ما أوحي إليه في شريعته ، وهو قول المعتزلة والأشعرية . ولأصحاب الشافعي رحمه الله وجهان كالروايتين ؛ قال : واختلف القائلون بأنه متعبد بشرع من قبله بأية شريعه كان يتعبد ؟ فقال بعضهم بشريعة إبراهيم عليه السلام خاصة ، وإليه ذهب أصحاب الشافعي . وذهب قوم منهم إلى أنه كان متعبداً بشريعة موسى عليه السلام إلا مانُسخ في شرعنا . قال : وظاهر كلام أحمد رحمه الله : أنه كان متعبداً بكل ما صح أنه شريعة لنبي قبله ما لم يثبت نسخه ، يدل عليه قوله تعالى : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾[3] .

وقال النووي : والمختار أنه لا يجزم في ذلك بشيء ، إذ ليس فيه دلالة عقل ، ولا يثبت فيه نص ولا إجماع .

وقال محمد بن قتيبة : لم تزل العرب على بقايا من دين إسماعيل ، من ذلك : حج البيت ، والختان ، وإيقاع الطلاق إذا كان ثلاثاً ، وأن للزوج الرجعة في الواحدة والاثنين ، ودية النفس مائة من الإبل ، والغسل من الجنابة ، وتحريم ذوات المحارم

(١) الضحى : ٧ . (٢) الشورى : ٥٢ . (٣) الأنعام : ٩٠ .

بالقرابة والصهر ، فكان رسول الله ﷺ على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغسل والحج . قال : وقوله تعالى : ﴿ **ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾ **يعني به شرائع الإيمان ، ولم يُرِد به الإيمان الذي هو الاقرار [بواحدانية]**[1] **الله تعالى ، لأن آباءه الذين ماتوا في الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون له مع شركهم .**

وذكر الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي : في المسألة بحثان : الأول : أنه قبل النبوة هل كان متعبداً بشرائع من قبله ؟ أثبته قوم ونفاه آخرون ، وتوقف فيه ثالث ، احتج المنكرون بأمرين ، **الأول** : لو كان مقيداً بشرع أحد لوجب عليه الرجوع إلى علماء تلك الشريعة والاستفتاء منهم ، والأخذ بقولهم ، ولو كان كذلك لاشتهروا ولنُقل بالتواتر قياساً على سائر أحواله ، فحيث لم يُنقل علمنا أنه ما كان متعبداً بشرعهم . **الثاني** : لو كان على ملة قوم لافتخر به هؤلاء القوم ونسبوه إلى أنفسهم ولاشتهر ذلك . فإن قيل : ولو لم يكن متعبداً بشرع أحد ، فبقاؤه لا على شرع أحد البتة لا يكون شيئاً مخالفاً للعادة فلا تتوفر الدواعي على نقله ، أما كونه شرع ، إما كان على خلاف عادة قومه وجب أن ينقل ، احتجوا بأمرين : الأول : أن دعوة من تقدمه كانت عامة فوجب دخوله فيها ، الثاني أنه كان يركب البهيمة ويأكل اللحم ويطوف بالبيت . والجواب عن الأول : أنا لا نسلم عموم دعوة من تقدمه سلمناه ، لكن لا نسلم وصول تلك الدعوة إليه بطريق ، فوجب العلم أو الظن الغالب ، وهذا من زمن الفترة ، وعن الثاني أن نقول : أما ركوب البهائم فحسنٌ في العقل إذا كان طريقاً إلى حفظها ونفعها بالعلف وغيره ، وأما أكل اللحم الذكي فحسنٌ أيضاً لأنه ليس فيه مضيرة على حيوان ، وأما طوافه بالبيت فبتقدير ثبوته لا يجب ، أو فعله من غير شرع أن يكون حراماً .

البحث الثاني : في حالة بعد النبوة ، قال جمهور المعتزلة وكثير من الفقهاء : لم يكن متعبداً بشرع أحد . وقال قوم من الفقهاء : بل كان متعبداً بذلك إلا باستثناء الدليل الراجح ثم اختلفوا ، قال قوم : كان متعبداً بشرع إبراهيم عليه السلام ، وقيل بشرع موسى عليه السلام ، وقيل بشرع عيسى عليه السلام .

---

(١) زيادة للسياق .

واعلم أن من قال : كان متعبداً بشرع من قبله ؛ إما أن يريد أن الله تعالى كان يوحي إليه بمثل الأحكام التي أمر بها من قِبَله ، أو يريد به أن الله تعالى أمره باقتباس الأحكام من كتبهم ، فإن قالوا بالأول ، فإما أن يقولوا به في كل شرعه أو في بعضه ، والأول معلوم البطلان بالضرورة ، لأن شرعنا يخالف شرع من قبلنا في كثير من الأمور . والثاني مسلم [به][1] ولكن ذلك لا يقتضي إطلاق القول بأنه متعبد بشرع غيره لأن ذلك يوهم التبعية ، وأنه ﷺ ، ما كان تبعاً لغيره بل كان أصلاً في شرعه .

وأما الاحتمال الثاني وهو حقيقة المسألة فيدل على بطلانه وجوه :

الأول : لو كان متعبداً بشرع أحد لوجب أن يرجع إلى أحكام الحوادث إلى شرعه ، وأن لا يتوقف إلى نزول الوحي ، لكن لم يفعل ذلك لوجهين : الأول : أنه لو فعل لاشتـهر، والثاني أن عمر رضي الله عنه طالع ورقة في التوراة فغضب ﷺ وقال : لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي ، ولما لم يكن كذلك علمنا أنه لم يكن متعبداً بشرع أحد ، فإن قيل : الملازمة ممنوعة لا حتمال أن يقال : أنه ﷺ علم في تلك الصورة أنه غير متعبد فيها بشرع من قبله ، ولا جرم توقف فيها على نزول الوحي عليه ، أو لأنه ﷺ علم خلو شرعهم على حكم تلك الواقعة فانتظر الوحي ، أو لأن أحكام تلك الشرائع إن كانت منقولة بالتواتر فلا يُحتاج في معرفتها إلى الرجوع إليهم في كتبهم ، وإن كانت منقولة بالآحاد لم يجز قبولها ، لأن أولئك الرواة كانوا كفاراً ، ورواية الكفار غير مقبولة سلمنا الملازمة ، لكن قد ثبت رجوعه إلى التوراة في الرجم لما احتكم إليه اليهود ، والجواب قوله : إنما لم يرجع إليها في شيء من الوقائع إليهم ، وجب أن يكون ذلك لأنه علم أنه غير متعبد في شيء منها بشرع من قبله ، قوله : إنما لم يرجع إليها لعلمه بخلو كتبهم عن تلك الوقائع ، قلنا : العلم بخلو كتبهم عنها لا يحصل إلا بالمطلب الشديد والبحث الكثير ، فكان يجب أن يقع منه ذلك الطلب والبحث . قوله : « ذلك الحكم إما أن يكون متواتراً أو آحاداً » قلنا : يجوز أن يكون متن الدليل متواتراً إلا أنه لا بد من العلم بدلالته على المطلوب من نظر كثير أو بحث دقيق ، وكان يجب اشتغال النبي ﷺ بالنظر في كتبهم ، والبحث عن كيفية دلالتها على الأحكام . قوله : « رجع في الرجم إلى التوراة » قلنا : لم يكن

---

(١) زيادة للسياق .

رجوعه إليها رجوع مثبت الشرع بها ، والدليل عليه أمور ، أحدها : أنه لم يرجع إليها في غير الرجم، وثانيها : أن التوراة محرفة عنده ، فكيف يعتمد عليها ؟ وثالثها : أن من أخبره بوجوب الرجم في التوراة لم يكن ممن يقع العلم بخبره ، فثبت أن رجوعه إليها كان ليقرر عليهم أن ذلك الحكم أنه ثابت في شرعه فهو أيضاً ثابت في شرعهم ، وأنهم أنكروه كذباً وعناداً .

الحجة الثانية أنه ﷺ لو كان متعبداً بشرع من قبله لوجب على علماء الأمصار أن يرجعوا في الوقائع إلى شرع من قبله ضرورة أن التأسي به واجب ، وحيث [أنهم][1] لم يفعلوا ذلك علمنا بطلان ذلك .

الحجة الثالثة : أنه ﷺ صوَّب معاذاً على حكمه باجتهاده إذا عدم حكم الحادثة من الكتاب والسنة ، ولو كان متعبداً بحكم التوراة كما تعبد بحكم الكتاب لم يكن له العمل باجتهاد نفسه حتى ينظر في التوراة والانجيل ، فإن قلت : أن رسول الله ﷺ لم يصوب معاذاً في العمل باجتهاده إلا إذاعدمه من الكتاب – والتوراة كتاب – ولأنه إنما لم يذكر التوراه لأن في القرآن آيات تدل على الرجوع إليها ، كما أنه لم يذكر الاجماع لهذا السبب ، قلنا : الجواب عن الأول من وجهين : أحدهما : أنه لا يفهم من إطلاق الكتاب إلا القرآن ، فلا يُحمل على غيره إلا بدليل . الثاني : أنه لم يُعهد من معاذ قط تعليم التوراة والانجيل بتمييز المحرف منهما عن غيره كما عهد منه تعلم القرآن ، وبه ظهر الجواب عن الثاني .

الحجة الرابعة : لو كانت تلك الكتب حجة علينا لكان حفظها من فروض الكفايات كما في القرآن والأخبار ، ولرجعوا إليها في مواقع اختلافهم حين أشكل عليهم : كمسألة العول وميراث الجد والمفوضة ، وبيع أم الولد وحد الشرب ، والربا في غير النسيئة ، ودية الجنين ، والردّ بالعيب بعد الوطء ، والتقاء الختانين وغير ذلك من الأحكام . ولما لم ينقل عن واحد منهم مع طول أعمارهم وكثرة وقائعهم ، واختلافهم مراجعة التوراة ، سيما وقد أسلم من أحبارهم من تقوم الحجة بقولهم ، كعبد الله بن سلام وكعب [الأحبار] ووهب ، وغيرهم . ولا يجوز القياس إلا بعد اليأس من الكتاب ، وكيف يحصل اليأس قبل العلم ؟ احتجوا بأمور أحدها : قوله

---

(١) زيادة للسياق .

تعالى : ﴿ **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون** ﴾[1] وثانيها : قوله تعالى : ﴿ **فبهداهم اقتده** ﴾[2]أمره أن يقتدي بهداهم ، وثالثها : قوله تعالى : ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** ﴾[3] ، ورابعها : قوله تعالى : ﴿ **أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً** ﴾[4] ، وخامسها : قوله تعالى : ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً** ﴾[5] .

والجواب عن الأول ﴿ **يحكم بها النبيون** ﴾ : لا يمكن إجراؤه على ظاهره ، لأن جميع النبيين لم يحكموا بجميع ما في التوراة ، ذلك معلوم بالضرورة ، فوجب إما تخصيص الحكم وهو أن كل النبيين حكموا ببعضه وذلك لا يضرنا ، فإن نبينا ﷺ حكم بما فيه من معرفة الله تعالى وملائكته وكتبه ورسله ، أو تخصيص النبيين وهو أن بعض النبيين حكموا بكل ما فيه وذلك لا يضرنا .

وعن الثاني أنه تعالى أمر بأن[6] يهتدي بهدي مضاف إلى كلهم ، وهداهم الذي اتفقوا عليه هو الأصول دون ما وقع عليه النسخ .

وعن الثالث : أنه يقتضي تشبيه الوحي بالوحي ، لا تشبيه الوحي بالموحي به .

وعن الرابع : أن المسألة محمولة على الأصول دون الفروع ، ويدل عليه أمور ، أحدها : أنه يقال : ملة الشافعي وأبي حنيفة واحدة وإن كان مذهبهما في كثير الشرعيات مختلفاً ، وثانيها : قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ **وما كان من المشركين** ﴾[7] . وثالثها : أن شريعة إبراهيم عليه السلام قد اندرست .

وعن الخامس : أن الآية تقتضي أنه وصى محمداً ﷺ بالذي وصى به نوحاً من أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه ، وأمرهما بإقامة الدين لا يدل على اتفاق دينهما ، كما أن أمر الاثنين بأن يقوما بحقوق الله تعالى يدل على أن الحق على أحدهما مثل الحق على الآخر ، وعلى أن الآية تدل على أنه تعبَّدَ محمداً ﷺ بما وصى به نوحاً عليه السلام ، والله أعلم .

وقال الحافظ الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم : وأما شريعة

---

(١) المائدة : ٤٤ . (٢) الأنعام : ٩٠ . (٣) النساء : ١٦٣ .
(٤) النحل : ١٢٣ . (٥) الشورى : ١٣ . (٦) في (خ) « بأن أن » .
(٧) البقرة : ١٣٥ .

إبراهيم عليه السلام فشريعتنا ، ولسنا نقول : أن الله تعالى بعث محمداً ﷺ إلى الناس كافة بالشريعة التي بعث الله تعالى بها إبراهيم إلى قومه خاصة دون سائر أهل عصره ، وإنما لزمتنا لأن محمداً ﷺ بُعث بها إلينا لا لأن إبراهيم بُعث بها ، قال تعالى : ﴿ **ثم أوحينا إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفاً**﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين** ﴾ . قال : تبلجت المسألة والحمد لله .

قال : ونسخ الله تعالى عنا بعض شريعة إبراهيم عليه السلام كما نسخ عنا ما كان يلزمنا من شريعة محمد ﷺ ، فمن ذلك ذبح الأولاد نُسخ بقوله تعالى : ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم** ﴾[2] ، وبقوله تعالى : ﴿ **وإذا الموءودة سُئلت بأي ذنب قتلت** ﴾[3] ، وبقوله تعالى : ﴿ **قد خسر الذين قتلوا أولادهم** ﴾[4] . ونسخ الاستغفار للمشركين بقوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾[5] .

قال : وقد قال قوم : ماذا كانت شريعة النبي قبل أن يُنَبَّأ ؟ والجواب : أن يقال : في نفس سؤالكم جوابكم ، وهو قولكم : قبل أن يُنَبَّأ ، وإذا لم يكن نبياً فلم يكن مكلفاً شيئاً من الشرائع التي لم يؤمر بها ، ومن قبل أن يكون مأموراً بما لم يؤمر به ، فصح يقيناً أنه لم يكن ألزم شيئاً من الشريعة حاشا التوحيد اللازم لقومه من عهد إبراهيم لولده ونسله حتى غيَّره عمرو بن يحي ، وحاشا ما صانه الله من الزنا وكشف العورة والكذب والظلم وسائر الفواحش التي سبق في علم الله تعالى [أنه][6] سيحرمها عليه وعلى الناس .

ذكر ما ورد في أنه عقَّ عن نفسه ﷺ

قال الخلال : أخبرني أبو المثنى العنبري أن أبا دواد حدثهم قال : سمعت أحمد يحدث بحديث الهيثم بن جميل عن عبد الله بن المثنى عن ثمامة عن أنس أن النبي ﷺ عق عن نفسه .

---

(١) النحل : ١٢٣ .
(٢) الأنعام : ١٥١ . ، الإسراء : ٣١ .
(٣) التكوير : ٩ . وفي (خ) « وإذا المودة » .
(٤) الأنعام : ١٤٠ .   (٥) التوبة : ١١٣ . وفي (خ) « ما كان للنبيين » .
(٦) في (خ) « والتي » ولعل ما أثبتناه أجود للسياق .

قال أحمد [بن] عبد الله بن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ عق عن نفسه ، منكر ، وضعَّف عبد الله بن محرز قال الجلال : أخبرنا محمد بن عوف الحمصي ، أخبرنا الهيثم بن جميل ، حدثنا عبد الله بن المثنى عن رجل من آل أنس أن النبي ﷺ عقَّ عن نفسه بعد ما جاءته النبوة(١) .

وفي مصنف عبد الرازق : أخبرنا عبد الله بن محرز عن قتادة أن النبي ﷺ عقَّ عن نفسه بعد النبوة . قال عبد الرازق : انما تركوا ابن محرز لهذا الحديث(٢) .

* * *

(١) ذكره ابن القيم في (زاد المعاد) ٢ / ٣٣٢ وأخبر أنّ عبد الله بن المثنى كثير الغلط فالسند ضعيف .

(٢) ذكره الحافظ في الفتح جـ ٩ ص ٥٩٥ ونسبه للبزار وقال البزار : تفرد به عبد الله بن محرز وهو ضعيف ووصفه الحافظ في (التقريب) بقوله : متروك وأخرجه أبو الشيخ من وجهين آخرين : أحدهما من رواية إسماعيل بن مسلم عن قتاده وإسماعيل ضعيف أيضاً ، وقد قال عبد الرازق : إنهم تركوا حديث عبد الله بن محرز من أجل هذا الحديث ، فلعل إسماعيل تركه منه . ثانيهما من روايه أبي بكر المستملي عن الهيثم بن جميل ودواد بن المحبر قالا حدثنا عبد الله بن المثنى عن ثمامه عن أنس ، ودواد ضعيف لكن الهيثم ثقه وعبد الله من رجال البخاري فالحديث قوي الإسناد وقد أخرجه محمد بن عبد الملك بن أيمن عن إبراهيم بن إسحاق السراج عن عمرو الناقد وأخرجه الطبراني في « الأوسط » عن أحمد بن مسعود كلاهما عن الهيثم بن جميل وَحْدَهُ به ، فلولا ما في عبد الله بن المثنى من المقال لكان هذا الحديث صحيحاً ، لكن قد قال ابن معين : ليس بشيء ، وقال النسائي : ليس بقوي ، وقال أبو دواد : لا أخرج حديثه وقال الساجي : فيه ضعف لم يكن من أهل الحديث وروى مناكير وقد قال العقيلي : لا يتابع على أكثر حديثه ، قال ابن حبان في « الثقات » : ربما أخطأ ، ووثقه العجلي والترمذي وغيرهما ، فهذا من الشيوخ الذين إذا انفرد أحدهم بالحديث لم يكن حجه ا . هـ .

فصل في ذكر بدء الوحي لرسول الله ﷺ وكيف تراءى الملك له وإلقاؤه الوحي إليه وتقريره له أنه يأتيه من عند الله عز وجل وأنه قد صار يوحى إليه نبياً ورسولاً إلى الناس جميعاً

قال ابن سيده في كتاب المحكم : وجاء وحياً : كتب ، والوحي المكتوب أيضاً وعلى ذلك جمعوا فقالوا : أُوحِيَ ، وأَوْحَى إليه : ألهمه[1] ، وفي التنزيل : ﴿ **وأَوْحى**

---

(١) الوحي : ما يقع به الإشارة القائمة مقام العبارة من غير عبارة ، فإن العبارة يجوز منها إلى المعنى المقصود بها ، ولذا سميت عبارة ، بخلاف الإشارة التي هي الوحي فإنها ذاتُ المشار إليه ، والوحي هو المفهوم الأول ، والإفهام الأول ، ولا تعجب من أن يكون عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه ، فإن لم تحصل لك هذه النكتة فلست بصاحب وحي ، ألا ترى أن الوحي هو السرعة ، ولا سرعة أسرع مما ذكرنا ، فهذا الضرب من الكلام يسمى وحياً ، ولما كان بهذه المثابة وأنه تجلٍّ ذاتيّ ، لهذا ورد في الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه ، والقسطلاني في (إرشاد الساري) ١ / ١٦٧ من عدة طرق ، وبألفاظ تزيد وتنقص ، وكلها متقاربة المعنى : « أنَّ الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفاة فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، فإذا جاءهم فُزِّع عن قلوبهم [كشف عنهم الخوف] فيقولون : يا جبريل ، ماذا قال رَبُّك ؟ فيقول : الحقّ ، فينادون الحق وهو العلي الكبير » ، وما سألت الملائكة عن هذه الحقيقة وإنما عن السبب من حيث هويته .

فالوحي : ما يُسرع أثره من كلام الحق في نفس السامع ، ولا يعرف هذا إلا العارفون بالشئون الآلهية ، فإنها عين الوحي الإلهي في العالَم وهم لا يشعرون . وقد يكون الوحي إسراع الروح الآلهي بالإيمان بما يقع به الإخبار والمفطور عليه كلُّ شيء مما لا كسب فيه من الوحي أيضاً ، كالمولود يلتقم ثدي أمه ، ذلك من أثر الوحي الإلهي كما قال : ﴿ **ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون** ﴾ [الواقعة : ٨٥] ، ﴿ **ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون** ﴾ [البقرة : ١٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ **وأحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون** ﴾ ، [النحل : ٦٨] ، فلولا أنها فهمت من الله وحيه لما صدر منها ما صدر ، ولهذا لا تُتَصَوَّر معه المخالفة إذا كان الكلام وحياً ، فإن سلطانه أقوى من أن يُقَاوم ، ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليمّ** ﴾ [القصص : ٧] ، ولذا فعلت ولم تُخالف ، والحالة تؤذن بالهلاك ولم تُخالف ولا تردَّدت ، ولا حكمتْ عليها البشرية بأن هذا من أخطر الأشياء ، فدلَّ على أن الوحي أقوى سلطاناً في نفس الموحَى إليه من طبعه الذي هو عين نفسه ، قال تعالى : ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ [قٓ : ١٦] ، وحبل الوريد من ذاته .

فإذا زعمتَ ياوَلِيُّ بأن الله أوحى إليك فانُظر نفسك في التردُّد والمخالفة ، فإن وجدت لذلك أثر تدبير أو تفضيل أو تفكُّر فلستَ بصاحب وحي ، فإن حكم عليك وأَعماكَ وأصمَّك وحال بينك وبين فكرك وتدبيرك وأمضى حُكْمَهُ فيك ، فذلك هو الوحي ، وأنت عند ذلك صاحبُ وحي ، وعَلِمْتَ عند ذلك أن = ...

= رِفْعَتَكَ وعُلُوَّ مرتبتك أن تلحق بمن يقول إنه دونك من حيوانٍ أو نباتٍ أو جمادٍ ، فإن كل شيء مفطورٌ على العلم بالله ، إلا أن مجموع الإنس والجانّ فإنه من حيث تفصيله منطوٍ على العلم بالله كسائر ما سواهما من المخلوقات ؛ من مَلَك ، وحيوان ، ونبات ، وجماد ، فما من شيء فيه شَعْر ، وجلد ، ولحم ، وعصب ، ودم ، وروح ، ونفس ، وظُفرُ ، وناب ، إلا هو عالم بالله ، حتى ينظر ويفكّر ، ويرجع إلى نفسه ، فيعلم أن له صانعاً صَنَعَهُ ، وخالقاً خَلَقَهُ ، فلو أسمعه الله نُطق جلده ، أو يده ، أو لسانه ، أو عينه ، لسَمِعَهُ نَاطِقاً بمعرفته بربه ، مُسبّحاً لجلاله ، مقدّساً لجماله ﴿ **يوم تشهد عليهم ألسنتهم** ﴾ [النور : ٢٤] ، ﴿ **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم** ﴾ [يّس : ٦٥] ، ﴿ **وقالوا لجلودهم لم شهدتهم علينا** ﴾ [فصلت : ٣١] . فالإنسان من حيث تفصيلُه عالمٌ بالله ، ومن حيث جملتهُ جاهلٌ بالله حتى يعلم ، أي يعلم بما في تفصيله ، فهو العالم الجاهل ، ﴿ **فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قره أعين** ﴾ [السجدة : ١٧] .

قال أبو القاسم الأصفهانيّ : الوحي : الإشارة السريعة ، ولِتَضَمُّن السُّرعة قيل : أمرٌ وَحِيٌّ ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز أو التعريض فالرمزُ : الصوتُ الخفيّ ، أو الإشارة بالشّفَة ، والتعريض : خلاف التصريح ، وهو تورية في القول ، ولحن الكلام – وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب ، وبإشارة ببعض الجوارح ، وبالكتابة ، وقد حُمل على كل ذلك قوله تعالى : ﴿ **فأوحى إليهم أن سبّحوا بكرةً وعشياً** ﴾ [مريم : ١١] ، فقد قيل : رَمَز ، وقيل : أشَار ، وقيل كتَبَ ، وحمل على هذه الوجوه أيضاً قوله تعالى : ﴿ **يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً** ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، وقوله : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم** ﴾ [الأنعام : ١٢١] ، فلذلك بالوَسْواس المشار إليه بقوله : ﴿ **ومن شر الوسواس الخناس** ﴾ [الناس : ٤] وبقوله ﷺ : « إن للشيطان لَمَّةً » .

ويقال للكلمة الإلـٰهية التي تُلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيٌ ، وذلك أضْرُبٌ حسب ما دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾ [الشورى : ٥١] ، وذلك إما برسول مُشاهَدٍ تُرى ذاتُه ، ويُسمع كلامُه ، كتبليغ جبريل عليه السلام للنبي ﷺ في صورةٍ مُعَيَّنة ، وإما بسماع كلام من غير مُعَاينة ، كسماع موسى عليه السلام كلامَ الله تعالى .

وإما بإلقاء في الرُّوع [القلب أو النفس] ، كما ذكر ﷺ : « إن روح القُدُس نفثَ في روعي » [رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي أُمامة] ، وإما بإلهام نحو قوله تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه** ﴾ [القصص : ٧] ، وإما بتسخيرٍ نحو قوله تعالى : ﴿ **وأوحى ربُّك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون** ﴾ [النحل : ٦٨] وإما بمنام كما قال ﷺ : « لم يبْقَ من النبوة إلا المبشرات » [الحديث أخرجه الإمام أحمد ، ومسلم ، وأبو دواد ، وابن ماجه ، عن ابن عباس ، وأول الحديث : « أيها الناس ، لم يبق من مبشرات النبوة ...] .

فالإلهام ، والتسخير ، والمنام ، دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ **إلا وحْياً** ﴾ [الشورى : ٥١] ، وسماع الكلام من غير معاينة ، دلَّ عليه قوله تعالى : ﴿ **من وراء حجاب** ﴾ [الشورى : ٥١] ، وتبليغ جبريل عليه السلام في صورة مُعَيَّنة ، دل عليه قوله تعالى : ﴿ **أو يُرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾ [الشورى : ٥١] .
=

ربك إلى النحل ﴾[1] ، وفيه : ﴿ **بأن ربك أوْحى لها** ﴾[2] أي إليها ؛ فمعنى هذا : أمرها ، وَوَحى في هذا المعنى وأوحى إليه وَوَحى إليه : أومأ . وفي التزيل : ﴿ **فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً** ﴾[3] .

وقال الحافظ أبو نعيم[4] : ومعنى الوحي مأخوذ من الوحا ، وهو العجلة ، فلما

وقوله تعالى : ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحي إليّ ولم يُوحَ إليه شيء** ﴾ [الأنعام : ٩٣] ، فذلك ذمّ لمن يدعي شيئاً من أنواع ما ذكرنا من الوحي ، أي نوع ادّعاه من غير أن يكون حَصَل له .

وقوله تعالى : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه** ﴾ [الأنبياء : ٢٥] ، فهذا الوحي هو عامٌّ في جميع أنواعه ، وذلك أن معرفة وحدانية الله تعالى ، ومعرفة وجوب عبادته ، ليست مقصورة على الوحي المختص بأولي العزم من الرسُل ، بل ذلك يُعرف بالعقل والإلهام ، كما يُعرف بالسمع ، فإذاً القصدُ من الآية تنبيه أنه من المحال أن يكون رسولٌ لا يعرف وحدانية الله تعالى ووجوب عبادته .

وقوله تعالى : ﴿ **وإذْ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي** ﴾ [المائدة١١١] ، فذلك وحي بواسطة عيسى عليه السلام .

وقوله تعالى : ﴿ **وأوحينا إليهم فعل الخيرات** ﴾ [الأنبياء : ٧٣] فذلك وحى إلى الأمم بواسطة الأنبياء عليهم السلام .

ومن الوحي المختص بالنبي ﷺ قوله تعالى : ﴿ **اتَّبع ما أُوحي إليك من ربك** ﴾ [الأنعام : ١٠٦] ، وقوله تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى موسى وأخيه** ﴾ [يونس : ٨٧] ، فوحيه إلى موسى بوساطة جبريل ، وهارون بواسطة موسى عليهما السلام .

وقوله تعالى : ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة أنّي معكم** ﴾ [الأنفال : ١٢] ، فذلك وحيٌ إليهم بوساطة اللوح والقلم فيما قيل .

وقوله تعالى : ﴿ **وأوحي في كل سماء أمرها** ﴾ [فصلت : ١٢] ، فإن كان الوحي إلى أهل السماء فقط ، فالموحي إليه محذوفٌ ذِكْرُه ، كأنه قال : أوحى إلى الملائكة ، لأن أهل السماء هم الملائكة ، ويكون كقوله تعالى : ﴿ **إذ يوحي ربك إلى الملائكة** ﴾ [الأنفال : ١٢] ، وإن كان الموحي إليه هي السماوات ، فذلك تسخيرٌ عند من يجعل السماء غير حيٍّ ، ونُطقٌ عند من يجعله حياً .

وقوله تعالى : ﴿ **بأن ربك أوحى لها** ﴾ [الزلزلة : ٥] ، قريب من الأول .

وقوله تعالى : ﴿ **ولا تَعْجَلْ بالقرآن من قبل أن يُقْضَى إليك وحيه** ﴾ [طه : ١١٤] ، فحثٌّ على التثبت في السّماع ، وعلى ترك الاستعجال في تلقيه وتَلَقُّنه . (بصائر ذوي التمييز) : ٥ / ١٧٧ — ١٨٢ .

(١) النحل : ٦٨ . (٢) الزلزلة : ٥ . (٣) مريم : ١١ .

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني ، نسبة إلى أصبهان ، وهي بلدة في وسط إيران .

وينقل ابن خلكان في (وفيات الأعيان) عن أبي نُعَيْم نفسه أنه قد ذكر أن جده « مهران » قد أسلم ، وكأنه يُشير بذلك إلى أنه أول من أسلم من أجداده ، وقد كان « مهران » هذا مولى لعبد الله بن جعفر ، هذا =

= نسبه من جهة أبيه .

أما نسبه من جهة أمه ، فقد ذكر في (تذكرة الحفاظ) أن أبا نعيم هو سبط - [ولد الولد ويغلب إطلاقه على ابن البنت] - محمد بن يوسف البناء ، ومحمد بن يوسف البناء هذا كان عابداً ، زاهداً ، له شهرته في تلك البلاد ، وله ذكر في غيرها من بلاد الإسلام والمسلمين ، تخرج عليه جماعة من العباد الزهاد ، قال عنه أبو نعيم في مقدمته لحلية الأولياء : « فقد كان جدي محمد بن يوسف البناء رحمه الله ، أحد من نشر الله عزَّ وجلَّ به ذكر بعض المنقطعين إليه ، وعمرَّ به أحوال كثير من المقبلين عليه » ، ترجم له ابن الجوزي في (صفة الصفوة) وعدَّه من المصطفين من أهل أصبهان .

وفي يوم مُشرق من أيام رجب عام ست وثلاثين وثلاثمائة ، كانت الولادة السعيدة لأبي نعيم ، وُلد ولادة عادية . دون أن يدري أحد من مستقبل هذا الطفل شيئاً ، وما أن فتح عينيه إلى النور ، حتى رأى الناسُ جميعاً وميض الذكاء فيهما ، فتنبأوا له بمستقبل زاهر ، إن تمَّ له ما يتطلبه هذا الذكاء الفَذُّ من رعاية وتوجيه .

بدت معالم الذكاء على أبي نُعيم مُنذ نعومه أظفاره ، ولذلك وجَّهه والدُه الوجهة العلمية ، لأن ذلك أحسن ميدان للذكاء ، تتفتَّح فيه العبقرية ، ويعظُم الأثر ، وفعلاً فقد بدأ الغلام بمجالسة العلماء ، والسماع منهم في سنٍّ مبكرة جداً ، ولم تمض سنوات حتى ذاع صيتُه بين العلماء ، وامتدت شهرته في الآفاق ، وأجاز له مشايخ الدنيا سنة نيف وأربعين وثلاثمائة ، وقد كان له من العمر ست سنين .

فأجاز له من واسط : المعمر عبد الله بن عمر بن شوذب ، ومن نيسابور : شيخها أبو العباس الأصمّ ، ومن الشام : شيخها خيثمة بن سليمان الأطرابلسي ، ومن بغداد : جعفر الخلدي ، وأبو سهل بن زياد ، وغيرهم خلق كثير ، كلهم من علية القوم ورءوس العلماء ، وقد كان بعض هؤلاء الذين أجازوه ممسكاً عن الإجازة ، ومع ذلك فقد أجازوا لأبي نعيم . قال الذهبي : وأجازه طائفة تَفرَّد في الدنيا بإجازتهم » .

ولم يكن أبو نعيم من الذين يفترون بذكائهم وقوة حافظتهم فيعرضون عن الدَّأب ، بل كان يرى أن ما وهبه الله من قوة الحافظة نعمة يجب أن يستغلها حق الاستغلال ، مؤدياً حق الله تعالى فيها ، ولذلك كان دائباً على العلم ، عاكفاً على المطالعة ، فلم تكن تراه إلا مدرِّساً ، أو دارساً ، أو مصنِّفاً ، حتى قال عنه أحمد بن محمد بن مردويه : « لم يكن له غذاء سوى التسميع والتصنيف » ، فاجتمعت لأبي نعيم الأسباب الرئيسية التي تحمل الإنسان إلى المراتب ، وهي الذكاء ، والدأب ، واللذة بما يعمل ، فقد وصل أبو نعيم فعلاً إلى أعلى المراتب العلمية في عصرة ، وأطلق عليه ابن كثير في (البداية والنهاية) لقب « الحافظ الكبير » ، فقال : أبو نعيم هو الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة . وقال عنه ابن خلكان في (وفيات الأعيان) : كان أبو نعيم من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات . أما الحافظ الذهبي ، فقد أطلق عليه « محدِّث العصر » فقال : أبو نعيم الحافظ الكبير محدِّث العصر ... رحلت الحفاظ إلى بابه لعلمه وحفظ أسانيده . ويقول أحمد بن محمد بن مردويه : كان أبو نعيم في وقته مرحولاً إليه ، لم يكن في أفق من الآفاق أحدٌ أحفظَ منه ولا أسنَدَ منه ، فإن حفاظ الدنيا قد اجتمعوا عنده ، وكل يوم نوبة أحد منهم ، يقرأ ما يريده إلى قريب الظهر ، فإذا قام أبو نعيم إلى داره ، ربما كان يُقْرأ عليه في الطريق جُزْءاً ، وكان لا يضجر . أما الخطيب البغدادي فإنه يقول : لم أرَ أحداً أطلق عليه اسم الحافظ غير أبي نعيم وأبي حازم العبدري .

=

= ويذكر حمزة بن العباس العلوي أنَّ أصحاب الحديث قد قالوا : بقي أبو نعيم فترة طويلة من الزمن وهو لا نظير له أبداً ، فقال : كان أصحاب الحديث يقولون : بقي الحافظ أبو نعيم أربع عشر سنة بلا نظير لا يوجد شرقاً ولا غرباً أعلى إسناداً منه ، ولا أحفظ منه .

وهكذا نجد أن المحدثين جميعاً قد اتفقوا على أن أبا نعيم كان محدث عصره ، وأنه لم يكن له نظير في كثرة ما يحفظ ، ولا في علو الإسناد ، والإسناد العالي : هو الذي قلَّ عدد رجاله مع سلامتهم من الضعيف ، وهو على خمسة أقسام : [١] قربه من الرسول ﷺ ، [٢] قربه من إمام من أئمة الحديث ، [٣] العلو بالنسبة إلى رواية الصحيحين ، أو أحدهما ، أو غيرهما من الكتب المعروفة المعتمدة ، [٤] العلو المستفاد من تقدم وفاة الراوي ، [٥] العلو المستفاد من تقدم السماع .

وحيازة محدث الأسانيد العالية ، ميزة ترجحه على غيره من المحدثين ، فالمحدثون يتحرون الأسانيد العالية ، ويرحلون في طلبها ، حتى قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : « طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف » ، وذلك لأن العُلوّ يُبعد الإسناد عن الخلل ، لأن كل رجل من رجال السند يُحتمل أن يقع الخلل من جهته سهواً أو عمداً ، ففي قلتهم قلة جهات الخلل ، وفي كثرتهم كثرة جهات الخلل ، ولهذا رَجُحَ الحافظ أبو نعيم على غيره من محدثي عصره ، فهو يحدث بأسانيد عالية لم تجتمع لأحد غيره من محدثي عصره .

وقد أخذ أبو نعيم العلم من مُسْنِد أصبهان المعمّر أبي محمد بن فارس ، وأبي أحمد العسَّال ، وأحمد بن محمد القَصَّار ، وأبي بحر بن كوثر ، وأبي القاسم الطبراني ، وإبراهيم بن عبد الله بن أبي العزائم الكوفي ، وغيرهم كثير فأكثر وأجاد . قال الحافظ الذَّهبي : « وتهيَّأ له من لقيا الكبار ما لم يقع لحافظ » .

وقد أخذ العلم من أبي نعيم خلقٌ كثير ، منهم : الخطيب البغدادي ، وأبو صالح المؤذن ، وأبو بكر محمد ابن إبراهيم العطار ، وغيرهم كثير ، حتى قال علي بن المفضل الحافظ : قد جمع شيخنا السلفي أخبار أبي نعيم ، فسمي نحواً من ثمانين نفساً حدثوا عنه .

ومما أخذه العلماء على أبي نعيم ، أنه كان يخلط المسموع له بالمجاز ، ولا يوضح أحدهما من الآخر ، وأجاب الحافظ الذهبي عن هذه الدعوى وقال : ربما فعله نادراً . ومن هذه المآخذ : روايته الأحاديث الموضوعة دون التنبيه إليها في كثير من الأحيان ، حتى قال في ميزان الاعتدال : هو عندي مقبول ، لا أعلم له ذنباً أكبر من روايته الموضوعات ساكتاً عنها ، وهذه كبيرة من أبي نعيم لأن من كان مثله لا ينبغي له أن يروي شيئاً من هذه الموضوعات دون التنبيه عليها ، ولكن ذلك لا يقدح في عدالته وإمامته ، ولعل أبا نعيم كان يكتفي بذكر السند عن التنبيه عليها .

وقد أحسن أبو نعيم التصنيف ، ولهذا فقد عدَّه ابن الصلاح أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن الشهرزوري ، المتوفي سنة [٦٤٣ هـ] في مقدمته واحداً من سبعة من الذين أحسنوا التأليف ، وعظمت الاستفادة من مصنفاتهم ، فقال : « سبعة من الحفاظ في ساقتهم أحسنوا التصنيف ، وعظم الانتفاع بتصانيفهم في عصرنا ، منهم أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الحافظ » .

ومن أشهر مؤلفات أبي نعيم : [١] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، وقد طُبع كتاب الحلية في عشر مجلدات ، وقد حاز إعجاب العلماء في حُسن تصنيفه ، وغزارة مادته ، فقال عنه ابن خلكان : « كتاب الحلية من أحسن الكتب » ، وقال عنه ابن كثير : « من كتب أبي نعيم الحلية ، دلَّ على رواية أبي نعيم ، =

كان الرسول متعجلاً لما يفهم قيل لذلك التفهيم : وحي ، وله مراتب ووجوه في القرآن :

ــ وحى إلى الرسول ، وهو أن يخاطبه المَلَك شفاهاً ويلقي ذلك في روعه ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء** ﴾[1] يريد بذلك خطاباً يلقي فهمه في قلبه حتى يعيه ويحفظه .

ــ وما عداه من غير خطاب ، فإنما هو ابتداء إعلام وإلهام وتوقيف من غير كلام ولا خطاب كقوله تعالى : ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل** ﴾[2] ، ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى** ﴾[3] وما في معناهما .

= وكثرة مشايخة ، وقوه اطلاعه في مخارج الحديث ... » ، ويذكر الذهبي في تذكرة الحفاظ ، أن أبا نعيم لما صنف كتاب الحلية ، حُمل الكتاب إلى نيسابور ، فاشتروه بأربعمائة دينار » .

[٢]كتاب دلائل النبوة ، فقد ساق أبو نعيم في هذا الكتاب الأحاديث بإسناده ، دون أن ينبه إلى صحتها أو عدم صحتها ، ودون أن يتكلم على أحدٍ من رجال هذه الأسانيد ، ودون أن يشير إلى وجودها في شيء من كتب المحدثين الذين تقدموه ، وقد حوى هذا الكتاب خمسة وثلاثين فصلاً ، تحدثتْ عن أسماء الرسول ﷺ ، واشتهار أمره قبل مبعثه ، وذكْر الكتب السماوية له ، وتحدثها عن صفاته ، وما خصه الله به ، وغير ذلك ، وقد طُبع الكتاب في الهند بعد مرة ، في جزء واحد ، بدون تحقيق ، ثم طُبع في دار النفائس [بيروت – لبنان] بتحقيق كل من : الدكتور / محمد روَّاس والأستاذ عبد البر عباس .

وبعد أن امتدت حياة أبي نعيم أربعة وتسعين عاماً ، قضاها كلها ، إلا الأعوام الأربعة الأولى منها ، ما بين درس ، ومدرسة ، وتدريس ، وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من محرم سنة ثلاثين وأربعمائة كما يذكر ابن خلكان ، حمل النعي إلى العالم الإسلامي نبأ الفجيعة ، نبأ وفاة أبي نُعيم في أصفهان ، فبكي الناسُ العالِمَ المحقق ، والزاهد العابد ، والحافظ المحدِّث ، والمؤرخ المتبحر ، رحمه الله رحمةً واسعه وجزاه عن الإسلام خيراً .

(دلائل النبوة) : ١ / ٥ – ١٥ ، (الحلية) : ١ / المقدمة ، (البداية والنهاية) : ١٢ / ٥٦ ، (وفيات الأعيان) : ١ / ٩١ – ٩٢ ، ترجمة رقم (٣٣) ، (سير أعلام النبلاء) : ١٧ / ٤٥٣ – ٤٦٤ ، ترجمة رقم (٣٠٥) ، (الكامل في التاريخ) : ١٠ / ١١٩ ، ٢٥٤ ، ١١ / ٣٤٩ ، (طبقات الحفاظ) : ٤٢٣ ، ترجمة رقم (٩٥٨) ، (ميزان الاعتدال) : ١ / ١١١ ، ترجمة رقم (٤٣٨) ، (الوافي بالوفيات) : ٧ / ٨١ – ٨٤ ، ترجمة رقم (٣٠٢٤) ، (مرآة الجنان) : ٣ / ٥٢ ، (لسان الميزان) : ١ / ٢١٦ ، ترجمة رقم (٦٣٨) ، (شذرات الذهب) : ٣ / ٢٤٥ ، (المستفاد من ذيل تاريخ بغداد) : ١٩ / ٤٩ – ٥٢ ، ترجمة رقم (٣٥) .

(١) الشورى : ٥١ .
(٢) النحل : ٦٨ .
(٣) القصص : ٧ .

وقال ابن سيده[1] في كتاب المخصص : النبي هو من نَبَّأْتُ ، أي أخبأتُ ، لأنه إنباء عن الله ، وأنبىء ، ومن زعم أن أصله غير الهمز فقد أخطأ ، لأن سيبويه قال : وليس أحد من العرب إلا وهو يقول : تنبأ مسيلمة ، فلو كان من النبوة - كما ذهب إليه غير سيبويه لقالوا : تنبأ مسيلمة ، وبعضهم يقول تنبا مسيلمة ، كما أن سنة لما كانت من الهاء عند قوم ومن الواو عند آخرين ؛ قالوا : سنهات وسنوات ، وكذلك عضة ، قالوا مرة عضاة ومرة عضوات ، فكذلك النبي : لو كان من النبوة ومن النبأ لهمز مرة وترك همزة أخرى .

قال : وزعم سيبويه[2] أن بعض أهل الحجاز يهمزون النبي ، وهي لغة رديئة ،

---

(١) هو الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل ، المعروف بابن سِيدَةَ المُرسْيّ ، كان إماماً في اللغة والعربية ، حافظاً لهما ، وقد جمع في ذلك جموعاً ، من ذلك كتاب [المحكم] في اللغة ، وهو كتاب كبير جامع ، مشتمل على أنواع اللغة ، وله كتاب [المخصص] في اللغة أيضاً وهو كبير ، وكتاب [الأنيق] في شرح الحماسة في ست مجلدات ، وغير ذلك من المصنفات النافعة ، وكان ضريراً ، وأبوه ضريراً ، وكان أبوه أيضاً قيّماً بعلم اللغة ، وعليه اشتغل ولده في أول أمره ، ثم على أبي العلاء صاعد البغدادي ، وقرأ أيضاً على أبي عمر الطَّلمنكي ، قال الطلمنكي : ذهبتُ إلى مُرْسِية ، فتشبَّث بي أهلها يسمعون عليّ [غريب المصنف لأبي عبيد] ، فقلت لهم : أنظروا لي من يقرأ لكم وأمسك أنا كتابي ، فأتوني برجل أعمى يُعرف بابن سيدة ، فقرأة عليّ من أوله إلى آخره ، فتعجبتُ من حفظه ، وكان له في الشعر حظ وتصرف .

توفي بحضرة [دانية] عشية يوم الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الآخر ، سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وعمره ستون سنة أو نحوها . رأيت على ظهر مجلد من المحكم بخط بعض فضلاء الأندلس أن ابن سيدة المذكور كان يوم الجمعة قبل يوم الأحد المذكور صحيحاً سوياً إلى وقت صلاة المغرب ، فدخل المتوضَّأ فأُخرج منه وقد سقط لسانه ، وانقطع كلامه ، فبقي على تلك الحال إلى العصر من يوم الأحد ثم توفي ، رحمه الله . وقيل : سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، والأول أصح وأشتهر . و [سِيدَة] : بكسر السين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح الدال المهملة ، وبعدها ياء ساكنة . و [المرسيّ] : بضم الميم وسكون الراء ، هذه النسبة إلى مُرْسِيَة ، وهي مدينة في شرق الأندلس ، و [الطَّلَمَنْكيّ] : بفتح الطاء المهملة واللام والميم وسكون النون وبعدها كاف ، هذه النسبة إلى طلمنكة ، وهي مدينة في غرب الأندلس ، إلى الغرب من وادي الحجارة ، وقال الحميري : بينها وبين وادي الحجارة عشرون ميلاً .

(وفيات الأعيان) : ٣ / ٣٣٠ - ٣٣١ ، ترجمة رقم (٤٤٩) ، (مرآة الجنان) : ١ / ٨٣ ، (سير أعلام النبلاء) : ١٨ / ١٤٤ - ١٤٦ ، ترجمة رقم (٧٨) ، (معجم مصنفي الكتب العربية) : ٣٣٦ ، (كشف الظنون) : ١ / ٦٩١ ، ٢ / ١٦١٦ - ١٦١٧ ، (لسان الميزان) : ٤ / ٢٠٥ - ٢٠٦ ، (البداية والنهاية) : ١٢ / ١١٦ - ١١٧ .

(٢) إمام النحو ، حجة العرب ، أبو بِشْر ، عمرو بن عثمان بن قَنْبَر ، الفارسيّ ، ثم البصريّ ، وقد طلب الفقه والحديث مُدة ، ثم أقبل على العربية ، فبرع وساد أهل العصر ، وألَّف فيها كتابه الكبير الذي لا يُدرك شأْوه فيه . استملى على حمَّاد بن سلمة ، وأخذ النحو عن عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، والخليل ، وأبي الخطاب الأخفش الكبير .
=

ولم يستردىء ذهاباً منه إلى أن أصله غير الهمز ، وإنما استردأها من حيث كثرة استعمال الجمهور من العرب لها من غير همز .

قال أبو عبيد[1] : قال يونس : أهل مكة يخالفون غيرهم من العرب ، يهمزون

= وقد جمع يحى البرمكي ببغداد بينه وبين الكسائي للمناظرة . بحضور سعيد الأخفش ، والفَّراء ، وجرت مسألة الزنبور ، وهي كذب : أَظُنُّ الزُّنْبُورَ أشدَّ لسعاً من النحلة فإذا هو إياها ، فقال سيبويه : ليس المثل كذا ، بل : فإذا هو هي : وتشاجرا طويلاً ، وتعصبوا للكسائي دونه ، ثم وصله يحى بعشره آلاف ، فسار إلى بلاد فارس ، وكان قد قصد الأمير طلحة بن طاهر الخُزاعي . ومعنى [سيب]: تفاح ، و [ويه] : رائحة ، [رائحة التفاح] .

وقيل : كان فيه مع فرط ذكائه حُبْسَةٌ في عبارته ، وانطلاقٌ في قلمه . قال إبراهيم الحربيّ : سمي سيبويه ، لأن وجنتيه كانتا كالتفاحتين ، بديع الحُسن . قال أبو زيد الأنصاري : كان سيبويه يأتي مجلس ، وله ذؤابتان ، فإذا قال : حدثني من أَثِقُ به فإنما يعنيني . وقال العيشي : كنا نجلس مع سيبويه في المسجد ، وكان شاباً جميلاً نظيفاً ، قد تعلق من كل علم بسبب ، وضرب بسهم في كل أدب ، مع حداثة سنة .

عاش سيبويه اثنتين وثلاثين سنة ، ومات بشيراز سنة ثمانين ومائة .

(تاريخ بغدَاد) : ١٢ / ١٩٥ - ١٩٩ ، ترجمة رقم (٦٦٥٨) ، (وفيات الأعيان) : ٣ / ٤٦٣ - ٤٦٥ ، ترجمة رقم (٥٠٤) ، (مرآة الجنان) : ١ / ٤٤٥ ، (البداية والنهاية) : ١٠ / ١٨٩ - ١٩٠ ، (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) : ١ / ١٢٨ - ١٣٠ ، (شذرات الذهب) : ١ / ٢٥٢ .

(١) هو الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون ، أبو عُبيد ، القاسم بن سلَّام بن عبد الله ، ولد سنة سبع وخمسين ومائة ، وسمع إسماعيل بن جعفر ، وشريك بن عبد الله ، وهُشَيماً ، وخلقاً كثيراً ، إلى أن ينزل إلى رفيقه هشام بن عمار ، ونحوه ، وقرأ القرآن على أبي الحسن الكسائي ، وطائفة . وأخذ اللغة عن أبي عبيدة ، وأبي زيد ، وجماعة . وصنَّف التصانيف المونقة ، التي سارت بها الركبان ، وهو من أئمة الإجتهاد ، له كتاب [الأموال] في مجلد كبير ، وكتاب [الغريب] ، وكتاب [فضائل القرآن] ، وكتاب [الطهور] ، وكتاب [الناسخ والمنسوخ] ، وكتاب [المواعظ] ، وكتاب [الغريب المصنف في علم اللسان] ، وغير ذلك ، وله بضعة وعشرون كتاباً .

حدَّث عنه نصر بن داود ، وعباس الدوري ، وآخرون . كما قال عبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي : وكان ذا فضل ودين وسَتْر ، ومذهب حسن ، ثقة دَيِّناً ، ورعاً ، كبير الشأن . وقال أحمد بن كامل القاضي : كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وفي علمه ، ربانياً ، مُفتَّناً في أصناف علوم الإسلام من القرآن ، والفقه ، والعربية والأخبار ، حسن الرواية ، صحيح النقل ، لا أعلم أحداً طعن في شيء من أمر دينه .

عن ابن معين قال : أبو عبيد ثقة ، وقال أبو داود : أبو عبيد ثقة مأمون ، وقال الدارقطني : إمامٌ جَبل . قال البخاري وغيره : مات سنة أربع وعشرين ومائتين بمكة ، قال الخطيب : وبلغني أنه بلغ سبعاً وستين سنة .

(طبقات ابن سعد) : ٧ / ٣٥٥ ، (التاريخ الكبير) : ٧ / ١٧٢ ، ترجمة رقم (٧٧٨) ، (التاريخ الصغير) : ٢ / ٣٥٠ ، (المعارف) : ٥٤٩ ، (الجرح والتعديل) : ٧ / ١١١ ، ترجمة رقم =

النبي والبرية[1] ، وذلك قليل في الكلام .

وقال [يعني ابن سيده] في كتاب المحكم في مادة نَ بَ أْ : والنبي المخبر عن الله عز وجل مكية ، قال سيبويه : الهمز فيه لغة رديئة ، يعني لقلة استعمالها ، لا لأن القياس يمنع من ذلك ، ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ وقد قيل له : يا نبيء الله فقال : « لست بنبيء الله ولكني نبيّ الله » ، وذلك أنه عليه السلام أنكر الهمز في اسمه ، فرده على قائله لأنه لم يرد بما سماه ، فأشفق أن يمسك على ذاك وفيه شيء يتعلق بالشرع ، فيكون بالإمساك عنه مبيح محظور أو حاظر مباح ، والجمع أنبياء ونُبآء ، وتنبأ الرجل : ادعى النبوة .

وقال في مادة نَ بَ وَ : والنبي العلم من أعلام الأرض التي يُهتدى بها ، قال بعضهم : ومنه اشتقاق النبي لأنه أرفع خلق الله ، وذلك لأنه يُهتدى به .

وقال أبو نعيم : فالنبوة هي سفارة العبد بين الله وبين ذوي الألباب من خليقته ، ولهذا يوصف أبداً بالرسالة والبعثة .

وقيل : إن النبوة إزاحة علل ذوي الألباب فيما تقصر عقولهم عنه من مصالح الدارين ، ولهذا يوصف دائما بالحجة والهداية ليزيح عللهم على سبيل الهداية و [السقيف][2] .

ومعنى النبي وذو النبأ والخبر أن يكون مخبراً عن الله بما خصه به من الوحي —

= (٦٣٧) ، (تاريخ بغداد) : ٢ / ٤٠٣ - ٤١٦ ، ترجمة رقم (٦٨٦٨) ، (صفوة الصفوة) : ٤ / ١١٧ ، ترجمة رقم (٦٩٣) ، (الكامل في التاريخ) : ٦ / ٥٠٩ ، (تهذيب الأسماء واللغات) : ٢ / ٢٥٧ ، (وفيات الأعيان) : ٤ / ٦٠ - ٦٣ ، ترجمة رقم (٥٣٤) ، (تهذيب التهذيب) : ٨ / ٢٨٣ - ٢٨٥ ، ترجمة رقم (٥٧٤) ، (ميزان الاعتدال) : ٣ / ٣٧١ ، ترجمة رقم (٦٨٠٧) ، (مرآة الجنان) : ٢ / ٨٣ - ٨٦ ، (البداية والنهاية) : ١٠ / ٣١٩ - ٣٢٠ ، (المزهر في علوم اللغة وأنواعها) : ٢ / ٤١١ - ٤١٢ ، (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) : ٢ / ٣٠٦ ، (خلاصة تذهيب الكمال) : ٢ / ٣٤٣ ، ترجمة رقم (٥٧٧٨) ، (طبقات الحفاظ) : ٢ / ١٨٢ - ١٨٣ ، ترجمة رقم (٤٠٣) ، (الأموال) : ٥ - ٩ (المقدمة) ، (الرسالة المستطرفة) : ٣٥ ، (غريب الحديث) : (المقدمة) ، (سير أعلام النبلاء) : ١٠ / ٤٩٠ - ٥٠٩ ، ترجمة رقم (١٦٤) .

(١) النبيء ، البريئة ، وهي قراءة وَرش ،(رواية ورش عن الإمام نافع المدني) : للشيخ محمود الحصري .

(٢) كذا في (خ) ولم أجد لها معنى فيما بين يدي من المعاجم اللغوية .

وقيل إنها مشتقة من النَّبوة التي هي المكان المرتفع عن الأرض ، وهو أن يخص بضرب من الرفعة ، فجعل سفيراً بين الله وبين خلقه ، يعنى بذلك وصفه بالشرف والرفعة .

ومن جعل النبوة من الأنباء التي هي الأخبار ، لم يفرق بين النبوة والرسالة ، ومعنى الرسول : فهو المرسل ، معول على لفظ مُفعل ، وإرساله أمره إياه بإبلاغ الرسالة والوحي .

قال كاتبه : والنبي أصله بالعبرانية نُبِي - بضم النون وكسر الباء الموحدة ثم ياء آخر الحروف لا همز عليها - فلما عُرِّبَت قيل : نبي بفتح النون ، وهذا يؤيد أن ترك الهمز أشهر وأعرف ، وفوق كل ذي علم عليم .

تنبيه وإرشاد إلى معنى النبوة - والله أعلم - وكيفية تلقي الأنبياء الوحي : إعلم أن الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصاً فضلهم بخطابه ، وفطرهم على معرفته ، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده ، يعرفونهم مصالحهم ويحرصون على هدايتهم ، ويأخذون بحجزاتهم عن النار ، ويدلونهم على طرق النجاة ، وكان مما يلقيه الله تعالى إليهم من المعارف ، ويظهره على ألسنتهم من الخوارق ، وقوع الكائنات المغيبة عن البشر التي لا سبيل إلى معرفتها إلا من الله بوساطتهم ، ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياهم ، قال ﷺ : « ألا وإني لا أعلم إلا ما علمني الله » .

واعلم أن خبرهم في ذلك من خاصته وضرورته الصدق ، كما يتبين لك عند بيان حقيقة النبوة ، وعلامة هذا الصنف من البشر أن يوجد لهم في حال الوحي غيبة عن الحاضرين ، مع غطيط كأنها غشي أو إغماء وليست منها في شيء ، إنما هي بالحقيقة استغراق في لقاء المَلَك الروحاني بإدراكهم المناسب لهم ، الخارج عن مدارك البشر كلية . ثم يتنزل إلى المدارك البشرية إما سماع دوي من الكلام فيتفهمه ، أو يتمثل له في صورة شخص يخاطبه بما جاء به من عند الله ، ثم ينجلي عنه تلك الحال ، وقد وعى ما أُلقي عليه .

قال ﷺ وقد سُئل [1] عن الوحي :

---

(١) السائل هو : الحارث بن هشام المخزومي ، أخو أبي جهل شقيقه ، أسلم يوم الفتح ، وكان من فضلاء الصحابة ، واستشهد في فتوح الشام .

« أحياناً[1] يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أَشَدُّهُ عليّ ، فيفصم عني وقد وعيت

(١) [أحياناً]: جمع حين ، يطلق على كثير الوقت وقليله ، والمراد به هنا مجرد الوقت ، فكأنه قال : أوقاتاً يأتيني ، وانتصب على الظرفية ، وعاملهُ « يأتيني » مؤخر عنه . ولابن حجر من وجه آخر عن هشام في بدء الخلق قال : كل ذلك يأتي الملك ، أي كل ذلك حالتان فذكرهما ، وروى ابن سعد من طريق أبي سلمة الماجشون ، أنه بَلَغَهُ أن النبي ﷺ كان يقول : « كان الوحي يأتيني على نحوين : يأتيني به جبريل فيُلقيه عليّ كما يلقي الرجل على الرجل ، فذاك ينفلت مني . ويأتيني في بيتي مثل صوت الجرس حتى يخالط قلبي ، فذاك الذي لا ينفلت مني » وهذا مرسل مع ثقة رجاله ، فإن صحَّ فهو محمول على ما كان قبل نزول قوله تعالى : ﴿ **لا تحرك به لسانك** ﴾ [القيامة : ١٦] ، فإن الملك قد تمثل رجلاً في صُوَرٍ كثيرة ، ولم ينفلت منه ما أتاه به ، كما في قصة مجيئه في صورة دحية ، وفي صورة أعرابي ، وغير ذلك ، وكلها في الصحيح .

وأورد على ما اقتضاه الحديث – وهو أن الوحي منحصر في الحالتين – حالات أُخرى : إما من صفة الوحي كمجيئه كدوي النحل ، والنفث في الروع ، والإلهام ، والرؤيا الصالحة ، والتكلم ليلة الإسراء بلا واسطة . وإما من صفة حامل الوحي كمجيئه في صورته التي خُلق عليها له ستمائة جناح ، ورؤيته على كرسي بين السماء والأرض وقد سدَّ الأفق . والجواب : منع الحصر في الحالتين المقدم ذكرهما وحملهما على الغالب ، أو حمل ما يغايرهما على أنه وقع بعد السؤال ، أو لم يتعرض لصفتي الملك المذكورتين لندورهما ، فقد ثبت عن عائشة أنه لم يره كذلك إلا مرتين ، أو لم يأته في تلك الحالة بوحي ، أو أتاه به ، فكان على مثل صلصلة الجرس ، فإنه بيَّن بها صفة الوحي ، لا صفة حامله .

وأما فنون الوحي ، فدوي النحل لا يعارض صلصلة الجرس ، لأن سماع الدويّ بالنسبة إلى الحاضرين – كما في حديث عمر – يُسمع عنده كدوي النحل ، والصلصلة بالنسبة إلى النبي ﷺ ، فشبهه عمر بدوي النحل بالنسبة إلى السامعين ، وشبَّهه هو ﷺ بصلصلة الجرس بالنسبة إلى مقامه .

وأما النفث في الروع : فيحتمل أن يرجع إلى إحدى الحالتين ، فإذا أتاه الملك في مثل صلصلة الجرس ، نفث حينئذ في روعه . وأما الإلهام فلم يقع السؤال عنه ، لأن السؤال وقع عن صفة الوحي الذي يأتي بحامل ، وكذا التكليم ليلة الإسراء .

وأما الرؤيا الصالحة : فقال ابن بطال : لا ترد ، لأن السؤال وقع عما ينفرد به عن الناس ، لأن الرؤيا قد يشركه فيها غيره . والرؤيا الصادقة وإن كانت جُزْءاً من النبوة ، فهي باعتبار صِدْقها لا غير ، وإلا لساغ لصاحبها أن يُسمى نبياً وليس كذلك ، ويحتمل أن يكون السؤال قد وقع عما في اليقظة ، أو يكون حال المنام لا يخفي على السائل ، فاقتصر على مايخفى عليه ، أو كان ظهور ذلك له ﷺ في المنام أيضاً على الوجهين المذكورين لاغير . وقد ذكر الحليمي أن الوحي كان يأتيه على سِتة وأربعين نوعاً – فذكرها – وغالبها من صفات حامل الوحي ، ومجموعها يدخل فيما ذكر . وحديث « إن روح القدس نفث في روعي » ، أخرجه ابن أبي الدنيا في القناعة ، وصححه الحاكم من طريق ابن مسعود .

قوله : [مثل صلصلة الجرس] ، في رواية مسلم : « في مثل صلصلة الجرس ، والصلصلة بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة : في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه على بعض ، ثم أُطلق على كل صوت له طنين ، وقيل : هو صوت متدارك لا يُدرك في أول وهلة ، والجرس : الجلجل الذي يعلق في رؤوس الدواب ، واشتقاقه من الجرْس بإسكان الراء وهو الحسّ . =

= وقال الكرماني : الجرَس : ناقوس صغير أو سطل في داخله قطعة نحاس يعلق منكوساً على البعير ، فإذا تحرك تحركت النحاسة فأصابت السطل فحصلت الصلصلة . فإن قيل : المحمود لا يُشبَّه بالمذموم ، إذ حقيقة التشبيه إلحاق ناقص بكامل ، والمشبه الوحي وهو محمود ، والمشبه به صوت الجرس وهو مذموم لصحة النهي عنه ، والتَّنفير من مرافقة ما هو معلق فيه ، والإعلام بأنه لا تصحبهم الملائكة ، كما أخرجه مسلم ، وأبو داود ، وغيرهما ، فكيف يشبه ما فعله الملك بأمر تنفر منه الملائكة ؟ .

والجواب : أنه لا يلزم في التشبيه تساوي المشبه والمشبه به في الصفات كلها ، بل ولا في أخصّ وصف له . بل يكفي اشتراكهما في صفة ما ، فالمقصود هنا بيان الجنْس ، فذكر ما أَلِفَ السامعون سماعه ، تقريباً لأفهامهم . والحاصل أن الصوت له جهتان : جهة قوة وطنين ، فمن حيث القوة وقع التشبيه به ، ومن حيث الطرب وقع التنفير عنه ، وعلل بكونه مزمار الشيطان . قيل : والصلصلة المذكورة صوت الملك بالوحي .

قال الخطابي : يريد أنه صوت متدارك يَسْمَعُه ولا يتبينه أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد . وقيل : بل هو صوت حفيف أجنحة الملك . والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي ، فلا يبقى فيه مكان لغيره . ولما كان الجرس لا تحصل صلصلتُهُ إلا متدار ة . وقع التشبيه دون غيره من الآلات .

قوله : [وهو أشدّ عليّ] ، يفهم منه أن لوحي كلَّه شديد ، ولكن هذه الصفة أشدها ، وهو واضح ، لأن الفهم من كلام مثل الصلصلة أ كل من الفهم من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ، والحكمة فيه أن العادة جرت بالمناسبة بين القائل و سَّامع ، وهي هنا إما باتصاف السامع بوصف القائل بغلبة الروحانية وهو النوع الأول ، وإما باتصاف الدائل بوصف السامع وهو البشرية وهو النوع الثاني ، والأول أشدّ بلا شك .

قوله : [فيفصم] بفتح أوله وسكون الفاء وكسر المهملة ، أي يقلع ويتجلي ما يغشاني ، ويروي بضم أوله ، وفي رواية بضم أوله وفتح الصاد على البناء للمجهول ، وأصل الفصم القطع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **لا انفصام لها** ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، وقيل : الفصم بالفاء القطع بلا إبانة ، وبالقاف القطع بإبانة ، فذكر بالفصم إشارة إلى أن الملك فارقه ليعود ، والجامع بينهما بقاء العلة .

قوله : [وقد وعيتُ عنه ما قال] ، أي القول الذي جاء به ، وفيه إسناد الوحي إلى قول الملك ، ولا معارضة بينه وبين قوله تعالى - حكاية عمن قال من الكفار - : ﴿ **إنْ هذا إلا قول البشر** ﴾ [المدثر : ٢٥] لأنهم كانوا ينكرون الوحي ، وينكرون مجيء الملك به .

قوله : [يتمثل لي الملك] ، التمثل مشتق من المثل ، أي يتصور ، واللام في الملك للعهد وهو جبريل ، وقد وقع التصريح به في رواية ابن سعد ، وفيه دليل على أن الملك يتشكل بشكل البشر . قال المتكلمون : الملائكة أجسام علوية لطيفة تتشكل أي شكل أرادوا ، وزعم بعض الفلاسفة أنها جواهر روحانية .

و [رجُلاً] ، منصوب بالمصدرية ، أي يتمثل مثل رجل ، أو بالتمييز ، أو بالحال ، والتقدير هيئة الرجل . قال إمام الحرمين : تمثل جبريل معناه أن الله أفنى الزائد من خلقه ، أو أزاله عنه ، ثم يعيده إليه بعد . وجزم ابن عبد السلام بالإزالة دون الفناء ، وقرر ذلك بأنه لا يلزم أن يكون انتقالها موجباً لموته ، بل يجوز أن يبقى الجسد حياً ، لأن موت الجسد بمفارقة الروح ليس بواجب عقلاً ، بل بعادة أجراها الله تعالى في بعض خلقه . ونظيره انتقال أرواح الشهداء إلى أجواف طيور خُضر تسرح في الجنة . قال الحافظ =

ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول » ويدركه أثناء ذلك

= في (الفتح) : وقال شيخنا شيخ الإسلام : ما ذكره إمام الحرمين لا ينحصر الحال فيه ، بل يجوز أن يكون الآتي هو جبريل بشكله الأصلي ، إلا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجُلَ ، وإذا ترك ذلك عاد إلى هيئته ، ومثال ذلك القطن ، إذا جُمع بعد أن كان مُنْتَفِشاً ، فإنه بالنَّفْش يحصل له صورة كبيرة ، وذاته لم تتغير ، وهذا على سبيل التقريب ، والحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً ، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه . والظاهر أيضاً أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى ، بل يخفى على الرائي فقط . والله أعلم .

قوله : [فيكلمني] ، كذا للأكثر ، ووقع في رواية البيهقي من طريق القعنبي عن مالك « فيعلمني » بالعين بدل الكاف ، والظاهر أنه تصحيف ، فقد وقع في الموطأ رواية القعنبي بالكاف ، وكذا للدارقطني في حديث مالك من طريق القعنبي وغيره .

قوله : [فأعي ما يقول] ، زاد أبو عوانه في صحيحه : « وهو أهونه عليّ » . وقد وقع التغاير في الحالتين ، حيث قال في الأول : « وقد وعيت » بلفظ الماضي ، وهنا : « فأعي » بلفظ الاستقبال ، لأن الوعي حصل في الأول قبل الفصم ، وفي الثاني حصل حال المكالمة ، أو أنه كان في الأول قد تلبس بالصفات الملكية فإذا عاد إلى حالته الجِبِلِّيَّة كان حافظاً لما قيل له ، فعبر عنه بالماضي ، فإنه على حالته المعهودة .

قوله : [قالت عائشة] ، وحيث يريد التعليق يأتي بحرف العطف . وقد أخرجه الدارقطني في حديث مالك من طريق عتيق بن يعقوب ، عن مالك مفْصُولاً عن الحديث الأول ، وكذا فصلهما مسلم من طريق أبي أسامة عن هشام ، ونكتة هذا الاقتطاع هنا ، اختلاف التحمل ، لأنها في الأول أخبرت عن مسألة الحارث ، وفي الثاني أخبرت عما شاهدت تأييداً للخبر الأول .

قوله : [ليتفصَّد] بالفاء وتشديد المهملة ، مأخوذ من الفصد ، وهو قطع العرق لإسالة الدم ، شبّه جبينه بالعرق المفصود مبالغة في كثرة العرق . وفي قولها : « اليوم الشديد البرد » دلالة على كثرة معاناة التعب والكرب عند نزول الوحي ، لما فيه من مخالفة العادة ، وهو كثرة العرق في شدة البرد ، فإنه يُشعر بوجود أمر طارىء زائد على الطباع البشرية .

قوله : [عرقاً] ، بالنصب على التمييز ، زاد ابن أبي الزناد عن هشام بهذا الإسناد عند البيهقي في الدلائل : « وإن كان ليوحى إليه وهو على ناقته فيضرب حزامها من ثقل ما يوحى إليه » . حكى العسكري في (التصحيف) عن بعض شيوخه أنه قرأ : « ليَتَقَدَّد » بالقاف ، ثم قال العسكري : إن ثبت فهو من قولهم : تَقَصَّد الشيءُ إذا تكسر وانقطع ، ولا يخفى بُعْدهُ .

وفي حديث الباب من الفوائد : أن السؤال عن الكيفية لطلب الطمأنينة لا يقدح في اليقين ، وجواز السؤال عن أحوال الأنبياء من الوحي وغيره ، وأن المسؤول عنه إذا كان ذا أقسام يذكر المجيب في أول جوابه ما يقتضي التفصيل . والله أعلم (فتح الباري) : ١ / ٢٣ - ٢٨ ، كتاب بدء الوحي باب (٣) حديث رقم (٢) ، (ابن سعد في طبقاته) : ١ / ١٩٨ ، (تحفة الأحوذي) : ١٠ / ٧٨ - ٧٩ ، أبواب المناقب ، باب (٣٤) كيف كان ينزل الوحي على النبي ﷺ ، حديث رقم (٣٨٧٧) ، (دلائل النبوة لأبي نعيم) : ٢٢٣ باب وأما كيفية إلقاء الوحي إلى النبي ﷺ ، حديث رقم (١٧١) .

من الشدة[1] والغط ما لا يعبر عنه ، ففي الحديث : كان مما يعالج من التنزيل شدة[1] ، وقالت عائشة رضي الله عنها : « فلقد رأيتُه ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد [البرد][2] فيفصم عنه وإن جبينه ليفصد عرقاً » وقال تعالى : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾[3] ولأجل هذه الحالة في تنزيل الوحي كان المشركون يرمون الأنبياء بالجنون ويقولون : له رئِي أو تابع من الجن ، وإنما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الحال ﴿ **ومن يضلل الله فما له من هاد** ﴾[4] .

ومن علاماتهم أيضاً أنهم يوجد لهم قبل الوحي خُلق الخير والزكاة ومجانبة المذمومات والرجس أجمع ، وهذا هو معنى العصمة ، وكأنه مفطور على التنزه عن المذمومات والمنافرة لها ، وكأنها منافية لجبلته[5] ، واعتَبِرْ بسقوط إزار رسول الله ﷺ [حين] انكشف كيف خرَّ مغشياً عليه[6] ، وبقصده وليمة العرس كيف غشيه النوم ليله كله ولم يحضر شيئاً من شأنهم[7]، بل نزَّهَهُ الله عن ذلك بجبلته[1] حتى أنه عليه السلام ليتنزه عن المطعومات المستكرهة ؛ فلم يقرب البصل ولا الثوم ، فلما قيل له في ذلك قال : إني أناجي من لا تناجي[8] ، وانظر لما أخبر ......

---

(1) قال بعضهم : وإنما كان شديداً عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع ، وقيل : إنه إنما كان ينزل هكذا إذا نزلت آية وعيد أو تهديد ؛ وهذا فيه نظر ، والظاهر أنه لا يختص بالقرآن ، وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى والدرجات . (فتح الباري) : ١ / ٢٧ .

(2) تكملة من (البخاري) . (3) المزمل : ٥ .

(4) الرعد : ٣٣ . ، الزمر : ٢٣ . ، الزمر : ٣٦ . ، غافر : ٣٣ .

(5) جَبَل الله الخلق يَجْبِلُهم ويَجْبُلُهم : خلقهم . وجَبَلَهُ على الشيء : طَبَعَه . وجُبِل الإنسان على هذا الأمر أي طُبِعَ عليه ، وجِبْلَةُ الشيء : طبيعتُهُ وَأَصْلُهُ وما بُنِيَ عليه . قال تعالى : ﴿ **ولقد أضلَّ منكم جِبِلاً كثيراً** ﴾ ، خَلْقاً كثيراً ، وقوله تعالى : ﴿ **والجِبِلَّةَ الأولين** ﴾ ، الخِلْقَةَ الأولين . آية ٦٢ / يس ، آية ١٨٤ / الشعراء ، على الترتيب . (لسان العرب) : ١١ / ٩٨ - ٩٩ .

(6) سبق ذكره وتخريجه ، حيث أورده أبو نعيم في (دلائل النبوة) ، باب : « ومما عُظِّم به ﷺ وحُرِسَ منه أن لا يتعرى كفعل قومه وأهله ، وإذا حُفظ من التعرى ، فما فوقه أولى أن يُعصم منه ويُنهى عنه » .

(7) سبق ذكره وتخريجه ، حيث أورده أبو نعيم في (دلائل النبوة) : باب : « ذكر ما خصه الله عزَّ وجلَّ به من العصمة ، وحماه من التدين بدين الجاهلية ، وحراسته إياه عن مكائد الجن والإنس ، واحتيالهم عليه ﷺ » .

(8) أخرجه البخاري في كتاب (الأذان) ، باب : ما جاء في الثوم النِّيء والبصل ، والكُرَّاث ، حديث رقم (٨٥٥) ، قوله : « كل فإني أُناجي من لا تُناجي » ، أي الملائكة : (فتح الباري) :

[رسول][1] الله ﷺ خديجة رضي الله عنها بحال الوحي أول ما فجئه وأرادت اختباره فقالت له : اجعلني بينك وبين ثوبك ، فلما فعل ذلك ذهب عنه !! فقالت : إنه مَلك وليس بشيطان[2] ، ومعناهُ أنه لا يقرب النساء ، وكذلك سألته عن أحب الثياب إليه أن يأتيه فيها ، فقال : البياض والخضرة ، فقالت إنه الملك ، بمعنى أن الخضرة والبياض من ألوان الخير والملائكة ، والسواد من ألوان الشرّ والشياطين وأمثال ذلك .

ومن علاماتهم أيضاً دعواهم الخلق إلى الدين والعبادة من الصلاة والصدقة والعفاف ، وقد استدلت خديجة رضي الله [عنها][1] على صدقه ﷺ بذلك ، وكذلك أبو بكر رضي الله عنه ، فلم يحتاجا - رضي الله عنهما - في أمره عليه السلام إلى دليل خارج عن حاله وخلقه ، وكذا هرقل لما جاءه كتاب رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام سأل عن حاله ، وكان فيما قال : فبم يأمركم ؟ فقال أبو سفيان : بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف ، فأجابه عن ذلك ، فقال : إن يكن ما يقول حقاً إنه نبي وسيملك ما تحت قدمي هاتين[3] ، والعفاف الذي أشار إليه هرقل هو العصمة ، فانظر كيف أخذ من العصمة والدعاء إلى الدين والعبادة دليلاً على صحة النبوة ، ولم يحتج إلى معجزة ، فدل على أنَّ ذلك من علامات النبوة .

ومن علاماتهم أيضاً أن يكونوا ذوى حسب في قومهم ، كما قال ﷺ : « ما بَعَث الله نبياً في منعه[4] من قومه » ، وفي رواية للحاكم : في ثروة من قومه .

---

٢ / ٤٣٥ ، وابن حبان في صحيحه ، كتاب (الصلاة) ، باب : المساجد ، فصل ذكر الزجر عن إتيان المساجد لأكل الثوم والبصل والكراث إلى أن تذهب رائحتها ، حديث رقم (١٦٤٤) ، عن جابر بن عبد الله ، عن رسول الله ﷺ قال : « من أكل من هذه البقلة : الثوم والبصل والكراث ، فلا يَغْشَنا في مساجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس » ، والطحاوي في (شرح معاني الآثار) : ٤ / ٢٥٠ .

(١) زيادة للسياق .

(٢) سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى في فصل « ذكر مجيء الملك إلى رسول الله ﷺ برسالات ربه تعالى » .

(٣) سيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى عند شرح مكاتيب النبي ﷺ إلى الملوك .

(٤) مَنعَ : مَنَعَهُ يمنَعَه - بفتح نونهما - ضد أعطاه ، كَمنَّعَهُ فهو مانع ومنّاع ومَنُوع : جمع الأول منعه مُحرَّكة ، وهو في عزّ ومنعة - محرَّكة وتُسكّن - أي معه من يمنعه من عشيرته . (ترتيب القاموس) : ٤ / ٢٨٧ .

وكذا قال هرقل في مسائلته أبا سفيان : كيف هو فيكم ؟ فقال أبو سفيان : هو فينا ذو حسب ، قال هرقل : والرسل تبعث في أحساب قومها ، ومعناه أن تكون له عصبية وشوكة تمنعه من أذى الكفار حتى يبلغ رسالات ربه ، ويتم مراد الله من إكمال دينه وملته .

ومن علاماته أيضاً وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم ، وهي أفعال تعجز البشر عن مثلها ، فسميت لذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد ، وإنما تقعِ في غير محل قدرتهم ، وللناس في كيفية وقوعها ودلالتها على تصديق الأنبياء خلاف ليس هذا موضع إيراده .

وأما حقيقة النبوة : فاعلم أنّا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام ، وربط الأسباب بالمسببات ، واتصال الأكوان بالأكوان ، واستحالة بعض الموجودات إلى بعض ، لا تنقضي عجائبه ، ولا تنتهي غاياته ، وأبدأ من ذلك بالعالم المحسوس الجسماني ، وأولاً : عالم العناصر المشاهد كيف تدرج صاعداً من الأرض إلى الماء ، ثم إلى الهواء ، ثم إلى النار متصلاً بعضها ببعض ، وكل واحد منها مستعد أن يستحيل إلى ما يليه صاعداً أو هابطاً ، ويستحيل بعض الأوقات ، والصاعد منها ألطف مما قبله إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك وهي ألطف من الكل ، وعلى طبقات اتصل بعضها ببعض على هيئة لا يدرك الحس منها إلا الحركات فقط ، وما يهتدي بها بعضهم إلى معرفة مقاديرها وأوضاعها ، وما بعد ذلك من وجود الذات التي لها هذه الآثار فيها . ثم انظر إلى عالم التكوين ؛ كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج [إلى][1] آخر أفق المعادن ، متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذر له ، وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم ، متصل بأول أفق الحيوان كالحلزون والصدف ، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط ، ومعنى الاتصال في هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب لأن يصير أول أفق من الذي بعده ، واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه ، وانتهى في تدرج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر ، والرؤية ترتفع إليه

---

(١) زيادة للسياق .

من عالم [القدرة][1] الذي استجمع فيه الكيس والإدراك ، ولم ينته إلى الرؤية والفكر بالفعل ، وكان ذلك في أول أفق من الإنسان بعده ، وهذا غاية شهودنا .

ثم أنا نجد في العوالم على اختلافها آثاراً متنوعة ؛ ففي عالم الحس آثار من حركة الأفلاك والعناصر ، وفي عالم التكوين آثار من حركات النمو والإدراك تشهد كلها بأن لها مؤثراً مبايناً للأجسام ، فهو روحاني متصل بالمكونات ، لوجود اتصال هذه العوالم في وجودها ، وذلك هو النفس المدركة والمحركة ، ولابد فوقها من موجود آخر يعطيها قوى الإدراك والحركة ، ويتصل بها أيضاً وتكون [ذواته][2] إدراكاًصرفاً ، وتعقلاً محضاً ، وهو عالم الملائكة ، فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعداد للانسلاخ من البشرية إلى الملائكية ، لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الأوقات ، وفي لمحة من اللمحات ، وذلك بعد أن تكمل ذاتها الروحانية بالفعل - كما نذكره بعد [ذلك][3] إن شاء الله - ويكون لها اتصال بالأفق الذي بعدها ، شأن الموجودات المترتبة كما قدمناه ، فلها في الاتصال جهة العلو والسفل ، فهي متصلة بالبدن من أسفل منها ، ومكتسبة به المدارك الحسية التي تستعد بها للحصول على التعقل بالفعل ، ومتصلة من جهة الأعلى منها بأفق الملائكية ، ومكتسبة منه المدارك العلية والغيبية ، فإن علم الحوادث موجود في ذواتهم من غير زمان ، وهذا على ما قدَّمْناه من الترتيب المحكم فى الوجود باتصال ذواته وقواه بعضها ببعض .

ثم إن هذه النفس الإنسانية غائبة من العيان ، وآثارها ظاهرة في البدن ، وكأنه وجميع أجزائه مجتمعة ومتفرقة آلاتٌ للنفس ولقواها ؛ أما الفاعلة : فالبطش باليد ، والمشي بالرجل ، والكلام باللسان ، والحركة الكلية بالبدن متدافعاً ، وأما المدركة وإن كانت قوى الإدراك مترتبة ومرتقبة إلى القوة العليا منها وهي المعركة التي يعبرون عنها بالناطقة ؛ فقوى الحس الظاهر بآلاته من البصر والسمع وسائرها ترتقي إلى الباطن ، وأوله الحس المشترك ، وهو قوة تُدرك المحسوسات ، مبصرَة ، ومُسْمَعَة ، وملموسَة ، وغيرها في حالة واحدة ، وبذلك فارقت قوة الحس الظاهر ، لأن

---

(١) في (خ) : « القردة » . (٢) في (خ) : « ذواية » . (٣) زيادة للسياق .

المحسوسات لا يزدحم عليها في الوقت الواحد ، ثم يؤديه الحس المشترك إلى الخيال ، وهو قوة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو مجرد عن المواد الخارجة فقط ، وآلة هاتين القوتين في تصرفهما : البطن الأول من الدماغ مقدمهُ للأولى ومؤخرهُ للثانية ، ثم يرتقي الخيال إلى الوهمية والحافظة ؛ فالوهمية لإدراك المعاني المتعلقة بالشخصيات ، كعداوة زيد ، وصداقة عمرو ، ورحمة الأب ، وافتراس الذئب ، والحافظة لإيداع المدركات كلها متخلية ، وهي لها كالخزانة تحفظها إلى وقت الحاجة إليها ، وآلة هاتين القوتين في تصرفهما : البطن المؤخر من الدماغ أولهُ للأولى ومؤخرهُ للأخرى ثم ترتقي جميعها إلى قوة الفكر وآلته البطن الأوسط من الدماغ ، وهو القوة التي تقع بها حركة الرؤية والتوجه نحو التعقل ، فتحرك النفس بها دائماً بما ركب فيها من النزوع إلى ذلك لتخلص من درك القوة والاستعداد الذي للبشرية ، وتخرج إلى الفعل في خلقها متشبهة بالملأ الأعلى الروحاني ، وتعتبر في أول مراتب الروحانيات في إداركها بغير الآلات الجسمانية ، فهي متحركة دائماً ومتوجهة نحو ذلك ، وقد تنسلخ بالكلية من البشرية وروحانيتها إلى الملائكية من الأفق الأعلى من غير اكتساب بما جعل الله تعالى فيها من الجبلة والفطرة الأولى في ذلك .

واعلم أن النفوس البشرية في ذلك على ثلاثة أصناف : صنف عاجز بالطبع عن الوصول إلى الإدراك الروحاني ، فيقنع بالحركة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية ، وتركيب المعاني من الحافظة والوهمية على قوانين محصورة وترتيب خاص ، يستفيدون به العلوم التصورية والتصديقية التي للفكر في البدن ، وكُلُّها خيالي منحصر نطاقه ، إذ هو من جهة مبدئية ينتهى إلى الأوليات ولا يتجاوزها ، وإن فسدت فسد ما بعدها ، وهذا هو [أغلب][1] نطاق الإدراك البشري الجسماني ، وإليه ينتهي مدارك العلماء ، رفيه ترسخ أقدامهم .

وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو التعقل الروحاني والإدراك الذي لا يفتقر إلى آلات البدن بما جعل فيه من الاستعداد لذلك ، فيتّسع نطاق إدراكه عن الأوليات التي هي نطاق الإدراك الأول البشري ، ويسرح في فضاء المشاهدات

---

(١) في (خ) : « الأغلب » .

الباطنة ، وهي وجدان كلها ، لا نطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها ، وهذه مدارك الأولياء ، أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية ، وهي الحاصلة بعد الموت لأهل السعادة .

وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة : جسمانيها وروحانيها إلى الملائكية من الأفق الأعلى ليصير في لمحة من اللمحات مَلَكاً بالفعل ، ويحصل له شهود الملأ الأعلى في أفقهم ، وسماع الكلام النفساني والخطاب الإلٰهي في تلك اللمحة ، وهو لأهم الأنبياء صلوات الله عليهم ، جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية في تلك اللمحة وهي حالة الوحي ، فطرة فطرهم الله عليها ، وجبلة صورهم فيها ، ونزههم عن موانع البدن وعوائقه ماداموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب في غرائزهم من العصمة والاستقامة التي يحادون بها تلك الوجهة ، وركز في طبائعهم رغبة في العبادة تكتنف بتلك الوجهة ، وتشيع نحوها ، فهم يتوجهون إلى ذلك الأفق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاءوا بتلك الفطرة التي فطروها عليها ، لا باكتساب ولا صناعة ، فإذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم ، وتلقوا في ذلك الملأ الأعلى ما يتلقونه على جوابه على المدارك البشرية ، متنزلاً في قواها لحكمة التبليغ للعباد ، فتارة بسماع دَوِيّ كأنه رمز من الكلام يأخذ منه المعنى الذي ألقى إليه ؛ فلا ينقضي الدويّ إلا وقد وعاه وفهمه .

وتارة يتمثل له الملك الذي يلقى إليه رجلاً يكلمه ويلقى ما يقوله ، والتلقي من الملك والرجوع على المدارك البشرية وفهمه ما أُلقي عليه كأنه في لحظة واحدة بل أقرب من لمح البصر ، لأنه ليس في زمان بل كلها تقع جميعاً ، فتظهر كأنها سريعة ، ولذلك سميت وحياً ، لأن الوحي في اللغة الإسراع .

واعلم أن الأولى وهي حالة الدوي رتبة الأنبياء غير المرسلين على ما حققوه ، والثانية وهي حالة يتمثل الملك رجلاً يخاطب [و][1] هي رتبة الأنبياء المرسلين ، ولذلك كانت أكمل من الأولى ، وهذا معنى الحديث الذي فسر فيه النبي ﷺ الوحي لما سأله الحارث بن هشام وقال : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال ﷺ : أحياناً

---

(١) زيادة للسياق .

يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت ما قاله ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقوله[1] ، وإنما كانت الأولى أشد لأنها مبدأ الخروج في ذلك الاتصال من القوة إلى الفعل ، فيعسر بعض العسر ، ولذلك لما عاج[2] فيها على المدارك البشرية اختصت بالسمع وصعب ما سواه ، وعندما يتكرر الوحي ويكثر التلقي يسهل ذلك الاتصال ؛ فعندما يَعْرُجُ على المدارك البشرية يأتي على جميعها ، وخصوصاً الأوضح منها ، وهو إدارك البصر ، وفي العبارة عن الوعي في الأولى بصيغة الماضي وفي الثانية بصيغة المضارع لطيفة من البلاغة ، وهي أن الكلام جاء مجيء التمثيل لحالتي الوحي ، فتمثلت الحالة الأولى بالدويّ الذي هو المتعارف[3] غير كلام وإخبار ، أن الفهم والوعي يتبعه عقب[4] انقضائه ، فناسب عند تصوير انقضائه وانفصاله العبارة عن الوعي بالماضي المطابق للانقضاء والانقطاع ، ويمثل الملك في الحالة الثانية برجل يخاطب ويتكلم ، والكلام يساوقه الوعي فناسب العبارة بالمضارع المقتضى للتجدد .

واعلم أن في حالتي الوحي كلها على الجملة صعوبة وشدة ، قد أشار إليها القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ **إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً** ﴾[5] وقالت عائشة رضي الله عنها : كان مما يعاني من التنزيل شدة ، وقالت : كان ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصد عرقاً ، ولذلك ما كان يحدث فيه تلك الحالة من الغيبة والغطط ما هو معروف .

وشبيه ذلك أن الوحي كما قررناه مفارقة البشرية إلى المدارك الملائكية ، وتلقي كلام النفس ، فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها ، وانسلاخها من أفقها إلى ذلك الأفق الآخر ، وهذا معنى الغط الذي عَبَّر به في مبدأ الوحي في قوله : فغطني حتى بلغ من الجهد ثم أرسلني فقال : ﴿ **اقرأ** ﴾[6] .

---

(١) سبق شرحه .
(٢) طريق عاج : ممتلىء (ترتيب القاموس) جـ٣ ص ١٥٨ .
(٣) في (خ) « المتعاف » .
(٤) في (خ) « عب » .
(٥) آية : ٥ / المزمل .
(٦) آية : ١ / العلق .

وقد يقضي الاعتبار فيه بالتدريج شيئاً فشيئاً إلى بعض السهولة بالقياس إلى ما قبله ، وكذلك كانت تنزل نجوم القرآن[1] ، وسوره وآياته حين كان بمكة أقصر منها وهو بالمدينة ، وانظر إلى ما قيل في نزول سورة براءة[2] في غزوة تبوك ، وأنها أُنزلت أو أكثرها على رسول الله ﷺ وهو يسير على ناقته بعد أن كان بمكة ينزل عليه بعض السورة من القصار المفصل[3] في وقت ، وينزل عليه الباقي في حين آخر ، وكذلك كان من آخر ما نزل عليه بالمدينة آية الدين[4] ، وهي ما هي بالطول ، بعد أن كانت الآيات تنزل بمكة مثل آيات سورة الرحمن ، والذاريات ، والمدثر ، والضحى ، والعلق ، وأمثالها ، واعتبر من ذلك علامة تميزها بين المكي والمدني من السور والآيات ، والله المرشد إلى الصواب . هذا ما تحصل من أمر النبوة .

* * *

---

(١) واعلم أن القرآن نزل ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا ، في مكان يقال له : بيت العزة ، على هذا الترتيب الذي نقرؤه ، فإنه توقيفي ، ثم نزل على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة ، على حسب الوقائع لقوله تعالى : ﴿ **ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً** ﴾ [آية ٣٣ / الفرقان] ، لكن لا على هذا الترتيب ، فإنه نزل عليه ثلاث وثمانون سورة بمكة ، أي قبل الهجرة ، ثم بالمدينة أحد وثلاثين على التحقيق .

فأول ما نزل بمكة ﴿ **اقرأ** ﴾ ، وآخر ما نزل بها ، قيل : العنكبوت ، وقيل : المؤمنون ، وقيل : ﴿ **ويل للمطففين** ﴾ . وأول سورة نزلت بالمدينة : البقرة ، وآخر سورة نزلت بها : المائدة . وهناك بعض سور اختلف بها ، منها الفاتحة ، ويمكن تكرار نزولها .

وأما أول آية نزلت على الإطلاق : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، وآخر آية على الإطلاق ﴿ **واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ [الآية ٢٨١ البقرة] . (حاشية العلامة الصاوي على الجلالين) : ١ / ٤ .

(٢) براءة : من أسماء سورة التوبة ، وهي السورة رقم [٩] في المصحف ، وعدد آياتها [١٢٩] آية : نزلت بعد سورة المائدة ، وهي من القرآن المدني ، إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان .

(٣) سور المفصل : من أول سورة الحجرات حتى آخر القرآن الكريم .

(٤) هي الآية رقم ٢٨٢ / البقرة وهي أطول آية في القرآن الكريم ، أولها : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه** ﴾ .

أنواع الوحي وأقسامه

وتبيان لأنواع الوحي وأقسامه : إعلم أن الوحي للأنبياء والمرسلين يكون تارة في النوم وتارة في اليقظة ؛ فالذي يكون في اليقظة إما بواسطة الملك أو بغير واسطة ، ومن الرسل من فضله الله تعالى بأن كلمه الله في اليقظة من وراء حجاب دون وحي ولا بتوسط ملك ، لكن بكلام مسموع بالآذان ، معلوم بالقلب ، زائد على الوحي الذي هو معلوم بالقلب فقط ، أو مسموع من الملك عن الله تعالى ، وهذا هو الذي خصّ به موسى عليه السلام[1] من الشجرة ، ومحمد ﷺ ليلة الإسراء[2] من المستوى الذي سمع فيه صريف[3] الأقلام ، وقد كان لرسول الله ﷺ في الوحي حالات متعددة ، فكان الوحي الذي يلقاه[4] رسول الله ﷺ منحصرة أقسامه في ثلاثة عشرة وهي : نزول الملك في صورة دحية[5] ، ونزوله على الصورة التي خلق عليها وله ستمائة جناح ، ونفث[6] روح القدس في رَوعه ، ورؤيته في المنام ، وسماعه مثل صلصلة الجرس ، ونزول إسرافيل عليه ، وتكليمه الله تعالى بلا واسطة من وراء حجاب في اليقظة ، وتكليمه تعالى كذلك في المنام ، والعلم الذي يلقيه سبحانه في صدره وعلى لسانه عند الاجتهاد في الوقائع لأن الشيطان ليس له إلى باطن الأنبياء من سبيل ؛ فخواطر الأنبياء كلها إما ربانية أو ملكية أو نفسية ، لا حَظّ للشيطان في قلوبهم ، لأنهم مشرعون ، فلذلك عُصمتْ بواطنهم ، والوحي المشبه بدويّ النحل ، ومجيء جبريل في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، ومجيء ملك الجبال ، والخطاب مشافهة على قول من يُثبت الرؤية ، وسنقف على شرح ذلك وتبيانه من الأحاديث المسندة بطرقها إن شاء الله تعالى .

* * *

---

(١) لعلها شجرة الأنبياء عليهم السلام .

(٢) سيأتي الحديث عنها عند الكلام على الإسراء والمعراج إن شاء الله تعالى ، وفي (خ) : « الإسرى » .

(٣) صريف الأقلام : أي صوت جريانها بما تكتبه من أقضية الله ووحيه ، وما يستنسخونه من اللوح المحفوظ ، وفي حديث موسى ، على نبينا وعليه السلام : أنه كان يسمع صريف القلم حين كتب الله تعالى له التوراة . (لسان العرب) : ٩ / ١٩٣ .

(٤) في (خ) : « يقاه » . (٥) هو دحية الكلبي . (٦) في (خ) : « نفس » .

[فصل في أمارات نبوته ﷺ
التي رآها قبل البعثة]

وأما أمارات النبوة التي رآها رسول الله ﷺ قبل بعثته بالرسالة : قال الواقدي : عن علي بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن منصور بن عبد الرحمن عن أمه صفية بنت شيبة عن برة بنت أبي بجزان أن رسول الله ﷺ كان حين أراد الله عز وجل كرامته وابتداءه بالنبوة إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً ، ويفضي إلى الشعاب و [بطون] الأودية ، فلا يمر بحجر ولا شجر[ة] إلا قال : السلام عليك يارسول الله ، [فكان] يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً(1) .

---

(1) (سنن الدارمي) : ١ / ١٢ ، عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسلِّم عليَّ قبل أن أُبعث ، إني لأعرفه الآن » ، قوله : « كان يسلم عليّ » ، أي يقول : السلام عليك يا رسول الله (تحفة الأحوذي) : ١٠ / ٦٩ أبواب المناقب ، حديث رقم (٣٨٦٧) ، « إن بمكة حجراً كان يسلم عليّ ليالي بُعثت ، إني لأعرفه الآن » قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، وفي (طبقات ابن سعد) : ١ / ١٥٧ ، وما بين القوسين زيادات منه .

قوله : « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أُبعث إني لأعرفه الآن » ، فيه معجزة له ﷺ ، وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات ، وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة : ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ [الآية : ٦٤ / البقرة] ، (مسلم بشرح النووي) : ١٥ / ٤١ ، كتاب الفضائل ، باب : فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ، حديث رقم (٢٢٧٧) ، (تاريخ الإسلام) : ٢ / ١٢٥ ، باب ذكر مبعثه ﷺ ، (مسند أحمد) : ٦ / ٩٢ ، من حديث جابر بن سمرة ، حديث رقم (٢٠٣١٧) ، (دلائل البيهقي) : ٢ / ١٤٦ ، باب مبتدأ البعث والتنزيل ، وما ظهر عند ذلك من تسليم الحجر والشجر وتصديق ورقة ابن نوفل إياه .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الملك بن عُبَيْد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، وكان واعية عن بعض أهل العلم : « أن رسول الله ﷺ حين أراد الله بكرامته ، وابتداأه بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجة أبعد حتى تحسَّر عن البيوت ، ويُفضي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها ، فلا يمر رسول الله ﷺ بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله ، قال فيلتفت رسول الله ﷺ حوله ، وعن يمينه ، وشماله ، وخلفه ، فلا يرى إلا الشجر والحجارة ، فمكث رسول الله ﷺ كذلك

وفي رواية لغير الواقدي : فكان رسول الله ﷺ يرد عليهم : وعليك السلام ، وكان علمه جبريل التحية[1] .

وخرج أبو نعيم من حديث الحرث بن أبي أسامة ، حدثنا ، داود ابن [المحبر][2] ، حدثنا حماد بن أبي عمران الجوني عن يزيد بن[3] بابنوس عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة بحراء ، فوافق ذلك من شهر رمضان ، فخرج النبي ﷺ فسمع : السلام عليك ، فظنها فجأة الجن ، فجاء مسرعاً حتى دخل على خديجة فسجّته[4] ثوباً وقالت : ماشأنك يا ابن عبد الله ؟ فقلت : قيل : السلام عليك فظننتها فجأة الجن ، فقالت : أبشر

= يرى ويسمع ، ما شاء الله أن يمكث ، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله ، وهو بحراء في شهر رمضان » (ابن هشام) : ٢ / ٦٦ - ٦٧ .

وقال السهيلي : وهذا التسليم : الأظهر فيه أن يكون حقيقة ، وأن يكون الله أنطقهُ إنطاقاً ، كما خلق الحنين في الجذع ، ولكن ليس من شروط الكلام الذي هو صوت وحرف : الحياة والعلم والإرادة ، لأنه صوت كسائر الأصوات ، والصوت عرض في قول الأكثرين ، ولم يخالف فيه إلا النَّظام ، فإنه زعم أنه جسم ، وجعله الأشعريُّ اصكاكاً في الجواهر بعضها لبعض ، وقال أبو بكر بن الطيب : ليس الصوت نفس الأصكاك ، ولكنه معنى زائد عليه ، ولو قدِّرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر ، والصوتُ عبارة عنه ، لم يكن بُد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام ، والله تعالى أعلم أي ذلك كان ؛ أكان كلاماً مقروناً بحياة وعلم ، فيكون الحجر به مؤمناً ؟ أو كان صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة ؟ ، وفي كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة . وأما حنين الجذع فقد سُمّي حنيناً ، وحقيقة الحنين تقتضي شرط الحياة ، وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافاً في الحقيقة إلى ملائكة يسكنون تلك الأماكن ، ويغمرونها ، فيكون مجازاً من قوله تعالى : ﴿ وسْئَلِ القرية ﴾ [الآية ٨٢ / يوسف] أي أهل القرية ، والأول أظهر ، وإن كانت كل صورة من هذه الصور التي ذكرناها فيها علم على نبوته ﷺ ، غير أنه لا يسمى معجزة في اصطلاح المتكلمين إلا ما تحدى به الخلق فيعجزون عن معارضته . (الروض الأنف) : ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(١) كل الروايات المعتمدة بدون هذه الزيادة .

(٢) تصويب من (تهذيب التهذيب) : ٣ / ١٩٩ ، ترجمة رقم ٣٨١ ، وقال فيه : كذبه أحمد بن حنبل ، وقال ابن حبان : كان يضع الحديث على الثقات ، ويروي عن المجاهيل المقلوبات .

(٣) قال عنه البخاري : كان ممن قاتل علياً كرم الله وجهه ، وقال ابن عديّ : أحاديثه مشاهير ، وقال الدارقطني : لا بأس به ، وذكره ابن حبان في (الثقات) ، قال الحافظ ابن حجر : وقال أبو حاتم مجهول ، وقال أبو داود : كان شيعياً . (المرجع السابق) ١١ / ٢٣١٦ ، ترجمة رقم ٦٠٧ .

(٤) كذا في (خ) ، وفي (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢١٥ ، ٢١٦ ، « فظنَنْتُها » ، « فجئتُ » ، « فسجتني » ، حديث رقم (١٦٣) .

يا ابن عبد الله فالسلام خير ، وذكر الحديث .

وخرج من حديث يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن أبيه عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة ، أن النبي ﷺ كان إذا برز سمع من ينادي : يا محمد ، فإذا سمع الصوت أنطلق هارباً فأتى خديجة رضي الله عنها فذكر ذلك لها فقال : يا خديجة ، قد خشيت أن يكون خالط عقلي شيء ! إني إذا برزت أسمع شيئاً يناديني فلا أرى شيئاً فأنطلق هارباً ، فقالت : ما كان الله ليفعل ذلك بك ، إنك ما علمت تصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتصل الرحم ، وما كان الله ليفعل ذلك بك ، فأسرَّت ذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه وكان صديقاً له في الجاهلية ، فأخذ أبو بكر بيده فقال : انطلق بنا إلى ورقة ، فقال له ورقة : ترى شيئاً ؟ قال : لا ، ولكني إذا برزت سمعتُ النداء ولا أرى شيئاً ! فأنطلق هارباً فإذا هو عندي يناديني ، قال : فلا تفعل ذلك ، إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك ، فلما برز سمع : يا محمد ، قال : لبيك ، قال : قل : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، ثم قال : قل : الحمد لله رب العالمين من فاتحة الكتاب – ثم أتى ورقة فذكر ذلك له فقال له : أبشر ثم أبشر ، أشهد أنك الرسول الذي بشّر به عيسى [إذ قال : ﴿ **ومبشراً**][1] **برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد** ﴾ ، فأنا أشهد أنك أحمد ، وأنا أشهد أنك محمد ، وأنا أشهد أنك رسول الله [وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ، ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك ، فلما توفى ورقة قال رسول الله ﷺ : لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدَّقني][2] . قال أبو نعيم[3] : ورواه شريك عن إسحق عن عمرو بن شرحبيل .

وروى الواقدي عن ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصن عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ بأجياد إذ رأى ملكاً واضع إحدى رجليه على الأخرى في أفق السماء يصيح : يا محمد ، أنا جبريل ، فذعر ورجع

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) ما بين الحاصرتين غير واضع في (خ) ، وأثبتناه من (الروض الأنف) : ١ / ٢٧٤ – ٢٧٥ .

(٣) هذا لفظ البيهقي وهو مرسل ، وفيه غرابة ، وهي كون الفاتحة أول ما نزل .

سريعاً إلى خديجة رضي الله عنها فقال : إني لأخشى أن أكون كاهناً ! قالت : كلا يا ابن العم ، لا تقل ذلك ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتؤدي الأمانة ، وإن خلقك لكريم[1] .

وخرج الإمام أحمد من حديث حماد قال[2] : حدثنا عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال : أقام النبي ﷺ بمكة خمسة عشر سنة ؛ سبعاً يرى الضوء [والنور][3] ويسمع الصوت ، وثماني سنين يوحى إليه .

وخرج مسلم من حديث إبراهيم بن طهمان قال : حدثني سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن[4] .

ورواه سليمان بن معاذ عن سماك عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : إن بمكة لحجراً كان يسلم عليّ ليالي بعثت ، إني لأعرفه إذا مررتُ عليه .

وخرج البيهقي من حديث السّدي عن عّباد بن عبد الله عن علي رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمكة ، فخرج في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ولا حجر ولا جبل إلا قال له : السلام عليك يا رسول الله[5] .

وفي رواية : لقد رأيتني أدخل معه بعد النبي ﷺ الوادي ، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله وأنا أسمعه . [[6]] .

---

(١) لم أجده بهذه السياقة ، وفي الباب من الأحاديث نحواً منه ، وفيه : « فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيّ بين السماء والأرض » ، وفيه حديث آخر : « فرفعت رأسي إلى السماء أنظر إلى السماء ، فإذا جبريل عليه السلام في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء » ، (دلائل أبي نعيم) : ١ / ٢١٥ ، [فصل في ذكر بدء الوحي وكيفية ترائي الملك وإلقائه الوحي إليه وتقريره عنده أنه يأتيه من عند الله ، وما كان من شق صدره ﷺ] ، (دلائل البيهقي) : ٢ / ١٤٨ (على الترتيب) . وانظر أيضاً الحديث رقم (٤) من باب (٣) ، كتاب بدء الوحي ، (صحيح البخاري) .

(٢) (مسند أحمد) : ١ / ٤٦٠ ، حديث رقم (٢٥١٩) ، وفيه : « سبع سنين » وقال في آخره : « وأقام بالمدينة عشر سنين » .

(٣) ما بين الحاصرتين ليس في المسند .(٤) سبق شرحه وتخريجه .

(٥) (دلائل البيهقي) : ٢ / ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٦) ما بين الحاصرتين في (خ) كلمة « لطيفة » ولا فائدة من إثباتها .

الفهــــــرس



الفهـــــرس